

تَرْغُيبٌ وَرَوْادَةٌ لِلْجَنَّةِ

لِلْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُرْتَضَى

تَرْغُيبٌ

وَرَوْادَةٌ

لِلْجَنَّةِ

المجلد الأول

الناشرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

بجزة التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحارثية

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى

٤٢١ - ١١١٠

نشرة

عبد السلام هارون

أحمد أمين

القسم الأول

الطبعة الثانية

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م



www.lisanarb.com



تَصْدِيرٌ

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نال ديوان الحماسة من الشهرة في العالم العربي ما يستحقه ، ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً ، لأن جامعاً شاعر ممتاز مكنه شعره من أن يختار أحسن ما تقع عليه عينه ، وما تسمعه أذنه . وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني ، فكان هذا أيضاً محور اختياره ، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها ، فيعجبه منها معنى أو معنيان ، فيختارها من بين القصيدة الطويلة . وإذا لم يكن بينهما رابطٌ ربط بينهما ، وإذا كانت هناك كلمة نائية غيرها بخيرٍ منها ، فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، فإننا لا نرى أحداً قبله قسم الشعر هذا التقسيم ؛ فأولا كانت حركة الجمع ، وثانياً كانت حركة الاختيار حيثما اتفق في النظم ، كالمفضليات والأصمعيات ، وفي الفرز كما إلى القالي ، ثم جاءت حركة الاختيار المبوب ، وأعمل فاحتها كان أبا تمام .

ويظهر أن العادة فشت أولاً في أن يسمى الكل باسم أي جزء حتى في تسمية القرآن . فسميت سورة البقرة لآية فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشيء بأوله ، فسمى العين للخليل . لأن أول أبوابه باب العين ، وسمى أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك .

وقد جرى المؤلفون على هذا النمط في عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودي ، وهو تقسيم ليس منطقياً كالذي اتبعه بعض الإفرنج في تقسيم الشعر

إلى شعر طبيعة ، وشعر إنسان ، وشعر إلهي مثلاً . وإلا فأى منطق في باب
الأدب ، وباب الأضياف ، وباب النسب .

قرأت أول عهدي بالأدب شرح ديوان الحماسة هذا للتبريزي فلم يعجبني ،
لأن التبريزي نحوي لغوي أكثر منه أديباً وناقداً ، فكنت أقرأ الشرح أحياناً
وأنا متعطش جداً لأفهم معنى بيت فلا أجده ، لأنَّ الشارح انصرف إلى شيء
آخر . ثم عثرت على نتف للرزوقي فرأيتها تسدُّ هذا النقص ، ثم قرأت شرحه
على مشكلات أبي تمام ، فرأيتُه إماماً عظيماً لا يتهرَّب من المشاكل ، ولكن
يتصدَّى لها ، فوددت أن لو عُثِرَ على شرحه لديوان الحماسة ونشر ، لأنه يكمل
نقص التبريزي ، فلما عثر عليه وجدته فوق ما أتوقع ، ووجدتُ له مقدّمة في
النقد لم أر مثلاًها في اللغة العربية ، فكما كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن
« عمود الشعر » ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها حتى شرحها للرزوقي شرحاً
دقيقاً وافياً ، وكما له من حسنات أخرى غير هذه . فإخراجه للقراء بسد ثلثة ،
ويكمل نقصاً .

والحق أن أبا تمام كان بارعاً في اختياره ، حتى كان شادي الأدب يحفظه
أول ما يحفظ ، حتى متعلمو النثر قد نصّحهم علماء الأدب أن يقبلوه ثراً مع
محافظةهم على المعاني ، ولقد ألف بعضهم ثراً كاملاً للديوان — وهو أبو سعيد
على بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ — وأوصوهم أن ينسوه إذا ثروه لتبقى
معانيه في اللواعي يستمد منها صاحبها عند الضرورة . وكما ألفت مختارات من
عهده إلى اليوم ، ولكن لم يحظ منها ما حظي ديوان الحماسة .

وكتب الأدب والنحو والصرف مليئة بتعبيرها : « قال في الحماسة » .
ويكفي هذا إشارة لأبي تمام وكتابه .

وكما برع فيه أبو تمام ، برع شارحه المرزوقي ، فوقى الكلام حقه لغة ونحواً و صرفاً ومعنى ونقداً ، فالكتاب في مَنَنِه وشرحه رغبة الأمل ، وبضية المتأدب .

وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ المحقق « عبد السلام محمد هارون » . والحق يقال أن كان له حظ في نشره أكبر من حظي ، فله الشكر على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب ؛ وفي نسبه ما ورد في الشرح إلى قائله ، والتعريف بأعلام الشعراء وغيرهم ؛ وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الناسخ ، ووضع فهارسه الفنية ، فإله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء .

أحمد أمين



تقديم

كتب الاختيار :

لعل أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيار هو « القصائد المفضليات » التي صنعها المفضل الضبي ، وهو اختيار قصائد طويلة من عيون الشعر ، لم يرتبها المفضل على أبواب خاصة ، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضاً معينة ، وإنما هو اختيار الذوق الأدبي والجزالة اللغوية ، فيما تراءى له في ذلك العصر .

وقد ظهر بعده من كتب الاختيار التي على هذا النمط « الأصمعيات » لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، و « جهرة أشعار العرب » لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، و « مختارات شعراء العرب » لأبي السعادات ابن الشجري .

وهناك ضرب آخر من كتب الاختيار بدأه أبو تمام بديوان الحماسة وجرى فيه على تبويب معاني الاختيار . وحذا حذوه البحترى مع بعض الريبة في نسبة الحماسة إليه^(١) ، وكذا الخالديان ، وابن الشجري ، وأبو هلال العسكري ،

(١) من اطلع على دقة تقسيم الأبواب في الحماسة المنسوبة إلى البحترى وكثرة ضروبها وأنواعها التي بلغت ١٧٤ بابا راعه أن يكون ذلك من صنيع مثل البحترى . وكما صنع أبو تمام حماسة لآل سلمة ، صنع البحترى حماسة للفتح بن خاقان . ونجد في صدر نسخة ليدن من حماسة البحترى هذا النص : « اختاره من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضة لكتاب الحماسة الذي ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحهما الله وعفا عنهما . رواية أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالد الأحول عن أبيه عن البحترى . على أن البغدادي يشك في نسبة الحماسة إلى البحترى ، في الخرافة (٣ : ٥٩١) بعد أن نقل عن العيني قوله : « ذكره البحترى في حماسته » : « ولم نسمع أن البحترى حماسة » .

هو الأعم الشنتمري ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسي ، وأبو الحسن
علي بن أبي الفرج البصري ، في دواوينهم المعروفة بالحجاسات .

اسم ديوان الحماسة :

ليس يُدرى أمر هذه التسمية ، أم هي من صنيع أبي تمام نفسه ، أم هي
عرف جرى بين الأدباء ، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى تأدّت إلينا جيلا
بعد جيل . فليس هذا الديوان ديوان حماسة فحسب ، ولكنه يجمع إلى الحماسة
المرائي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف ، والمديح ، والسير
والنعاس ، والملح ، ومدمة النساء .

والظاهر أن أبا تمام سماه بأول أبوابه وأعظمها .

ويقول التبريزي في مقدمة شرحه للحجاسة إن أبا تمام قد صنّف خمسة
كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة ، وكتاب الوحشيات .

وقد عثرت على نص في المؤلف ١٨١ فيه : « ومنهم المثلم بن عمرو
التنوخى أنشد له الطائي في اختياره الذي سماه الحماسة » . ومن هذا النص يفهم
أن صاحب التسمية هو أبو تمام نفسه .

والذي يقرن بين الحماسة والوحشيات يجد بينهما شهماً كبيراً في التبويب ،
فهي تشتمل على الحماسة ، والمرائي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والسماحة ،
والأضياف ، والصفات ، والمشيب ، والملح ، ومدمة النساء .

وكما أُطلق على الاختيار الأول اسم الحماسة الكبرى ، أُطلق على الاختيار
الثاني اسم الحماسة الصغرى . وجاء في مقدمة ناسخه : « وهذا الكتاب اختاره
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمه الله بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى ،
ويرويه ، ولكن وجد بعده مكتوباً في مسودة بخطه مترجماً بكتاب الوحشيات » .

ولقد رأيت أن هذه التسمية صارت شهرة لكتب الاختيار التي بوّبت
لمعاني الشعر ، وأن هذه الشهرة قديمة جداً ، ولا سيما أنها قد أطلقت على حماسة
البحترى ، وهو قريب العهد والمعاصرة لأبي تمام .

وقد عرف هذه التسمية ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ إذ يقول في مقدمة
(التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) : « وقد أجبناك — أيدك الله — إلى
ملتصك من عمل ما في الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتقاق
أو تصريف » .

تاريخ حماسة أبي تمام :

يقولون في أمثالهم : « رب ضارة نافعة » . وهكذا كانت الحال مع أبي تمام
في صنعه لديوان الحماسة . وقد اقتصر لنا التبريزي في مقدمة شرح الحماسة أن
أبا تمام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فدحه وأثابه ، وعاد من
خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله
وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم
أبا تمام ذلك وأخرج صدره ، على حين سر ذلك مضيغه أبا الوفاء ، فأقبل على
أبي تمام وقال له : وطن نفسك على هذا المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد
زمان . وأحضره خزانة كتبه فطالها واشتغل بها ، وصنّف خمسة كتب في
الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات ، وهي قصائد طوال ^(١) .

ويقول التبريزي : « إن كتاب الحماسة بقي في خزائن آل سلمة يصفون به
ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغيرت أحوالهم . وورد همدان رجل من أهل
ديور يعرف بأبي العواذل ، فظفر به وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه
ورفضوا ما عدها من الكتب المصنفة في معناه ، فشهروا فيهم ثم فيمن يليهم » .

(١) هكذا ذكر التبريزي . وقد رجعت إلى الوحشيات مصورة دار الكتب المصرية
برقم ٢٢٩٧ أدب فوجدتها مقطوعات على غرار الحماسة ، وإن كانت تمتاز بيمض الطول .

وقد نفهم من نص التبريزي : « ورفضوا ما عده من الكتب المصنفة في معناه » أن أبا تمام قد سبق في هذا الضرب من الاختيار ، وأرى أنه إنما يعني مطلق كتب الاختيار كالمفضليات ، والأصمعيات ، والمعلقات .

عمل أبي تمام في الحماسة :

صب أبو تمام ذوقه الفني على ما وصل إليه من أشعار العرب ، فاختر لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه ، وعنى عناية خاصة بشعراء طيِّف فكان قسطهم في اختياره قسطا كبيرا . وقد لحظ العلماء أن أبا تمام يعد أحيانا إلى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له أن يربط بين الأبيات التي تفككت ، أو ليستر عوار نقيصة يشين وجه الحسنة من مقطوعاته . وفي ذلك يقول المرزوقي (١) :

« وهذا الرجل لم يعد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، الحبيب لكل داع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم ، وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه وبخالفه ، لان ضروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ؛ حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده ، وهذا يبين أن رجوع إلى دواوينهم فقابل ما في اختيارها بها . »

وهذه التهمة : تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها ، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها كان جديرا بها أن تنزل بقيمة الحماسة باعتبارها نصوصا يستشهد بها في علوم اللغة والعربية ، ولكننا نجد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها ، بل يعدون

(١) في المقدمة ١٣ - ١٤ .

صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره . وفي ذلك يقول الزخشي^(١) : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل على هذا بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه » .

زيادات الحماسة :

وجدت نصا في الخزانة (٣ : ٣٥٢) عن ابن المستوفى ، قال وهو يتكلم في نسبة بعض الأبيات : « ووجدتها أيضا في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر سنة ٣٩٨ ، ونسبها - أي الأبيات - لمرداس بن عمرو . قال : وتروى للأخطل » . ولست أدري أمر هذه الزيادات ، هل هي من صنيع أبي تمام ، أم من صنيع غيره .

سراج الحماسة :

هذه الشهرة الطائرة لصانع الحماسة أبي تمام ، وذلك الاختيار الموفق الذي عمّد فيه أبو تمام إلى الأشعار التي يحتج بها في اللغات والعربية والمعاني ؛ ذلك الاختيار الذي انتزع إعجاب القدماء حتى يقول المرزوقي : « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار المقصداث أوفى مما دوّنه المفضل ونقده » ، ويقول التبريزي : « قالوا : إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

هذه الدوافع جميعا دعت الأدباء من قديم الزمان أن يُعنوا عناية صادقة بدراسة هذه المجموعة الشعرية ، وأن يتصدى لها جمهرة منهم بالتفسير والتوضيح والإعراب .

وقد حفظ لنا صاحب كشف الظنون أسماء عشرين ممن شرحوا الحماسة ،

(١) انظر الخزانة (١ : ٤ طبع بولاق) .

وقد رتبهم على وفياتهم ، وأذكر في هذه للناسبة أن وفاة أبي تمام كانت في سنة ٢٣١ .

١ — أبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ . وهو أول جامع لشعر أبي تمام .

٢ — وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ . وقد سمي شرحه « التنبيه على شرح مشكلات الحماسة » . وقد استحضر معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة جيدة منه ، من مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٣٦٩ مكتوبة في سنة ٥٩٤ . وقد استعنت بهذه النسخة واقتبست منها ما دعت الضرورة إليه في التحقيق . وفي اللوح ٢٢ ما يفيد أنه ألفه بعد سر الصناعة . ومن هذا الكتاب نسخة جيدة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤ أدب كتبت سنة ٦٨٢ .

٣ — وأبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى صاحب الموازنة ، المتوفى سنة ٣٧١ .

٤ — وأبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥ . وشرحه هو أحد الشروح التي اعتمد عليها التبريزى في تأليفه . ويمتاز هذا الشرح بعنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء ، وتوضيح بعض ما غمض في ذلك ، مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم .

٥ — وأبو المظفر محمد بن آدم المروى المتوفى سنة ٤١٤ .

٦ — وأبو على أحمد بن محمد المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ ، وهو صاحب هذا الشرح الذى نشره .

٧ — وأبو عبد الله الخطيب الإسكافى ، صاحب مبادئ اللغة ، المتوفى سنة ٤٢١ .

٨ — وأبو الحسن على بن سيده ، اللغوى المشهور ، المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو شرح كبير في ست مجلدات ، سماه « الأنيق » .

- ٩ - وأبو القاسم زيد بن علي الفسوي المتوفى سنة ٤٦٧ .
 ١٠ - وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي المتوفى سنة ٤٧٥ .
 ١١ - وعبد الله بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٤٧٥ .
 ١٢ - والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ .
 وهو كبير في ست مجلدات .

- ١٣ - وأبو بكر بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٤٧٦ .
 ١٤ - وعبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخبزي المتوفى سنة ٤٧٦ لا سنة
 ٥٨٤ كما ذكر صاحب كشف الظنون .

- ١٥ - وأبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .
 وقد فسر الحاسة ثلاث مرّات ، كما ذكر صاحب كشف الظنون ، قال :
 « شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرح ثانيا
 بيتا بيتا ، ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : « أما بعد حمد الله
 الذي لا يبلغ صفاته الواصفون » .

ومما هو جدير بالذكر أن شرح التبريزي المتداول - بهذا الاعتبار -
 هو الشرح المتوسط ، أما الصغير فمعه قطعة بدار الكتب برقم ١١٩٥ تشمل
 باب الحاسة . وأما الكبير فما لم نهتد إلى معرفته .

وقد طبع شرح التبريزي ثلاث مرّات إحداها في مدينة « بن » سنة ١٨٢٨
 بتحقيق المستشرق « غيورغ ولهم فريتغ » Dr. Georg. Guil. Freytag
 المعلم في المدرسة السكلية الفريدرخولهلمية^(١) .

وقد أُلحق بنسخته فهارس للأعلام واللغة والقوافي .

وطبع مرّة أخرى في بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم ، ومرّة ثالثة
 بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وذلك في سنة ١٣٥٧ .

(١) هذا هو المکتوب في صدر النسخة المطبوعة ، أثبتته كما هو .

وقد صنع له كذلك عدة فهرس نافعة .

- ١٦ — وأبو الحسن مسعود على البيهقي المتوفى سنة ٥٤٤ .
١٧ — وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون
الحضرمي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨٤ .
١٨ — وأبو البقاء عبد الله بن الحسين المكبري ، شارح ديوان المتنبى ،
المتوفى سنة ٦١٦ . وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب .
١٩ — وأبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي ، والمعروف بابن الدميك ،
لم يذكروا تاريخ وفاته . قال ياقوت : صنع تنمة لماقصر فيه ابن جني في شرح الحماسة .
٢٠ — وأبو علي حسن بن علي الاسترأبادي النحوي .
٢١ — وأبو نصر قاسم بن محمد النحوي .

* * *

٢٢ — هذا ما عرّفه صاحب كشف الظنون من شروح الحماسة ، عرضته
بعد تحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه .

على أن أول شارح للحماسة فيما نعلم ، هو أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني
المتوفى سنة ٣٣٩ . وهو شيخ أبي عبد الله النمرى^(١) ، خلافا لما نص البغدادي^(٢)
أن أول شارح لها هو أبو عبد الله النمرى . وقد نقل البغدادي نصوصا من هذا
الشرح في مواضع يسيرة من الخزانة ، على حين أكثر التبريزي من النقل عنه
في شرحه للحماسة . ويفهم من تتبع نصوصه أن معظمها في الأخبار والأسباب
التي قيل من أجلها الشعر ، وهي زاوية مهمة حقا في تفهم أسرار الحماسة .
٢٣ — وكما صنع أبو رياش تفسيرا للحماسة ، صنع تلميذه أبو عبد الله النمرى^(٣)

(١) إنباه الرواة (١ : ٢٥) مع الحواشي . ونزهة الألباء ٤٠١ .

(٢) في الخزانة (٣ : ٥٤١) .

(٣) نزهة الألباء ٤٠١ - ٤٠٣ .

كتاباً في « مشكلات الحامسة » . ومن هذا الكتاب نصوص في مواضع متفرقة من الخزانة . والتبريزي في شرحه يورد نصوصاً من هذا الكتاب ثم يعقبها برد أبي محمد الأعرابي عليها وتخطئته لها في تهكم ، معتمداً على شيخه أبي الندى ، في أكثر الأمر .

٢٤ - ومما تقدم يعلم أن أبا محمد الأعرابي قد صنع نقداً لشرح النمرى . ومن هذا الكتاب نسخة برقم ٨٠ أدب ش ، وأخرى برقم ١٤٨١ أدب بخط الشنقيطي ، والظاهر أنها منقولة من الأولى . واسم هذا النقد « إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمرى البصرى مما فسرته من أبيات الحامسة أولاً وثانياً جاء في أوله : « قال أبو محمد الأعرابي : حضرت المجلس العادلي العالی - نوره الله - ذات ليلة ، فجرى ذكر أبي عبد الله النمرى رحمه الله ، فأثنى عليه بعض الحاضرين وذكر أنه كان شيخ البصرة في زمانه فضلاً ونبلاً ، ودراية ورواية ، قد استخرج معاني الأبيات من أبيات الحامسة هو فيها السابق المبرز ، والجواد المبر ، فقلت : شاكه أبا يسار ! تأملت ما فسرته الشيخ من تلك الأبيات أولاً وثانياً ، فوجدت في خلال ذلك خلافاً كثيراً ، إما قصوراً وإما تقصيراً ، فقال لي :

* عننا باطلاً وظالماً^(١) *

إن كنت صادقاً فيما تدعيه فجرد لنقيضها كتاباً يدل على صحة دعواك ، وقد أمهلتك سنة . فأملت كتابي هذا بعون الله في مدة أسبوع ، وبينت مواضع الزلل فيما فسرته أبو عبد الله ، وأثبت الصواب تحت كل بيت ، وجعلت ذلك خدمة للمجلس العادلي العالی . وبالله التوفيق .

٢٥ - وقد فات صاحب الكشف أيضاً أن يذكر شيخ المعرفة أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المرسي المتوفى سنة ٤٤٩ . ومن هذا الشرح نصوص نقلها التبريزي في شرحه .

(١) للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته . وهو بياض :

عننا باطلاً وظالماً كما تدع . تر عن - حجرة الربيع الضياء

٢٦ — وأشار البغدادي إلى مصنف لأبي علي الشلوبين . قال (١) : « وذكر الشلوبين فيما كتب على الحماسة . . . » .

٢٧ — وإلى شرح لأبي الفضل الطبرسي ، وقد نقل البغدادي منه نحو ثلاثين نصا في مواضع متفرقة (٢) .

٢٨ — وهناك شرح حديث منسوب إلى الأديب «محمد سعيد الرافعي» . والحق أنه للمغفور له أستاذنا الشيخ إبراهيم الدجواني . وقد طبع هذا الشرح عدة مرات .

٢٩ — وآخر صنعه المغفور له العلامة الشيخ سيد بن علي المرصفي ، بعد تغيير ترتيبه . وقد طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٠ .

٣٠ — وآخر صنعه بهاء الدين عبد القادر بن لقمان ، سماه « الرصافة القادرية » . طبع بالهند سنة ١٢٩٩ وبآخره تفسير لبعض الكلمات اللغوية باللغة الإنجليزية . ومن هذا الشرح نسخة بالمكتبة الأزهرية .

وهناك ضرب آخر طريف من التفسير ، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات الحماسة ، مجليا بذلك معانيها الغامضة . وصاحب هذا التفسير ، هو أبو سعيد علي ابن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ . وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه ، وسماه « منثور البهائي (٣) » .

موازنة بين شرحي المرزوقى والتبريزى :

على أن الذى يميننا من هذه الشروح شرحان ، هما شرحا المرزوقى والتبريزى والمرزوقى متقدم على التبريزى ، بين وفاتيهما نحو إحدى وثمانين سنة .

(١) الخزانة (٤ : ٩٢) .

(٢) انظر إقليد الخزانة للراجكوتى ٥٥ .

(٣) كشف الطنون فى رسم (الحماسة) .

إذ كانت وفاة التبريزي في سنة ٥٠٢ من الهجرة . وبعد المرزوقي من أقدم الشراح
إذ كان بين وفاته في سنة ٤٢١ ووفاة أبي تمام في سنة ٢٣١ نحو مائة وتسعين سنة^(١) .

وشرح المرزوقي بعد أكبر الشروح التي وصلت إلينا ، وأكثرها عناية
بمعاني الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفته العناية باللغة والاشتقاق ،
وكذا العناية التي لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكنه قد فاته كثير
من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وهما
الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزي عليه . والتبريزي في هذه الناحية الأولى قد
أفاد من شرح أبي رياش للحجاسة — ويبدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي
حتى يمكنه الانتفاع به كما صنع التبريزي — وفي الناحية الأخرى قد أفاد من
شرح أبي هلال العسكري ، ومن المبهج لابن جنى .

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيرة ، يتكلف لها الصنعة حيناً ، ويعمد آخر
إلى السجع المهين . ومن عجب أن التبريزي ينقل عبارته هذه ذات الطابع الخاص ،
ولا يجهد قلبه في نسبة العبارة إليه إلا في القليل النادر^(٢) . بل إنه في مقدمة كتابة
لم بشر إلى إفادته منه ، مع أن اللوازن بين الشرحين يدعشه التقارب الشديد بين
عبارات التفسير وأجاءاته ، ثم لا يرتاب في أن التبريزي كان في جمهور شرحه
عالة على المرزوقي .

ومن عجب أيضاً أن التبريزي مع ذلك ينمى على هؤلاء الذين يهملون نسبة
أقوال العلم إلى أصحابها فيقول في تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٨٩^(٣) : « قال

(١) ولم يتأخر تأليف المرزوقي لشرح الحماسة عن سنة ٤١٧ . قال ياقوت : « وجدت
خطه على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤١٧ » .

(٢) من ذلك النادر ما ورد عند التبريزي في شرح البيت الأول من الحماسية ٦٩
والثاني من الحماسية ٨٧ والشطر الثالث من الحماسية ٨٨ .

(٣) هي الحماسية ٨٨ عند المرزوقي ، إذ أن هناك خلافاً في ترتيب المقطوعات كما سيأتي .

المرزوقي : وذكر بعض المتأخرين — يعني ابن جنى — ولم ينصفه حيث لم يسمه في كتابه ... (١) .

وفي أسلوب المرزوقي أيضاً استطالة عجيبة ، يفصل بين المبتدأ وخبره أو بين الفعل ومفعوله بعبارة طويلة يضل القارى في ثناياها حتى يهتدى إلى ارتباط الكلام (٢) .

ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النفيسة الجريئة التي تمدّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي : نقد الشعر ونقد النثر ، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر أيهما أشرف وأعلى قدراً ، ويتبع ذلك الكلام على المقايسة بين منزلة الشاعر والكاتب ، والعلة في كثرة الشعراء وقلة النثر ، ولماذا لا يستطيع الأديب أن يجمع الإجابة في صناعتي النظم والنثر ؟ وما أثر الصنعة والطبع في الآثار الأدبية في قيمتها وفي جمالها ؟ ومتى تستحسن الصنعة ؟ وما مدى العلاقة بين ذوق الأديب فيما يصنع بيانه من إنتاج أدبي وفيما يختار من بيان غيره ؟ وهذه المسألة هنبية على ما صنع أبو تمام في اختيار الحماسة ، إذ كان ذوقه في ذلك الاختيار مخالفاً للذوق في نسج شعره وصناعته مخالفة ظاهرة . وقد أجاد المرزوقي في جواب هذه المسألة بما يمدّ مثالا في البيان ، وغاية في إصابة الحكم .

وكلمة أخرى في هذين الشرحين : أن متن الحماسة فيهما يخالف بعضه بعضا في الرواية وعدد الأبيات ، وفي ترتيب المقطوعات وترتيب الأبيات ، بله عدد المقطوعات . وقد لحظت أن المرزوقي لم يرو الحماسة التي أولها :

(١) ما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لا يصرح باسم ابن جنى ، وكأنه كان يستضمفه ولا يرى مكانه ، وتكاد تكون عبارة « قال بعض » في شرح المرزوقي يقصد بها ابن جنى فحسب . وليس يذكر هذه العبارة إلا في مقام الاعتراض في أغلب الأمر .
(٢) انظر نموذجا لذلك ما ورد في الصفحة الأولى من مقدمته ، إذ فصل بين « جارتيني » وبين « أمر الشعر » بثلاثة أسطر .

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
 وترتيبها عند التبريزى ١٤ ، ونتج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التي تلى
 المقطوعة ١٣ يزيد رقمها واحدا عند التبريزى ، على حين نجدها برقم أدنى عند
 المرزوقى ، أى إن الحماسة رقم ١٥ عند التبريزى يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقى ،
 والحماسية ١٦ عند التبريزى يقابلها ١٥ ، عند المرزوقى ، وهلم جرا .
 كما نجد أن الحماسيتين ١٠٤ ، ١٠٥ فى ترتيب المرزوقى وهما ١٠٦ ، ١٠٥
 عند التبريزى — قد تقدمت أولاها على الأخرى عند المرزوقى وتأخرت
 عند التبريزى .

وهذه المفارقات راجعة إلى الخلاف فى نسخ الحماسة وروايتها ، وقد وجدت
 المرزوقى يقول فى شرحه^(١) : « وقد جمعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ... » ، يعنى
 بذلك نسخ الحماسة ، وهو نص صريح فى بيان تعدد نسخ الحماسة .

المرزوقى :

قال الصحاب ابن عباد^(٢) : « فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك ، وحلاج ،
 وإسكاف . فالحائك هو المرزوقى ، والحلاج أبو منصور بن ماشده ، والإسكاف
 أبو عبد الله الخطيب بالرى ، صاحب التصانيف فى اللغة » .

وليس يعنى الصحاب أن أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة ، ولكنه
 عنى أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات ، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون ،
 وقد ظهر فيها فحول كثير ، منهم قبل المرزوقى أبو الفرج الأصبهاني صاحب
 الأغاني المتوفى سنة ٣٥٦ وغيره كثير .

وليس يعرف زمان مولد (أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى) ،

(١) ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) .

ولكن وفاته قد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٢٤١ لم يشذ منهم أحد .
ولكننا نجد نصا غريباً في نهاية كتاب الأزمئة والأمكنة للمرزوقي^(١) ، وهو :
« فرغت منه ضحوة يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٤٥٣ » . والخطب
في هذا هين ، إذ يبدو أن هذه عبارة الناسخ لا عبارة المرزوقي . يؤيد هذا
إجماع المؤرخين قاطبة على سنة وفاته وعدم اختلافهم في ذلك . ويؤيده أيضاً
ما ورد في نص ياقوت : « وكان — أي المرزوقي — معلم أولاد بني بويه
بأصبهان ، ودخل إليه صاحب فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى صاحب
جفا » . فإذا عرفنا أن ولاية صاحب للوزارة دامت ثمانى عشرة سنة وأن
وفاته كانت في سنة ٣٨٥ وأنتجنا من ذلك أنه تولى الوزارة نحو سنة ٣٦٧ —
إذا عرفنا ذلك كان القول بأن المرزوقي دامت حياته ٨٦ سنة بعد جفا
الصاحب له ، غاية في البعد والاستحالة ، ولا سيما إذا وجدنا المؤرخين لم يذكر
المرزوقي بأنه كان من المعمرين^(٢) .

سبوه وتلاميذه :

والمؤرخون لا يعرفون للمرزوقي شيخاً إلا أبا عليّ الفارسي المتوفى سنة
٣٧٧ . يذكر أن قرأ عليهم كتاب سبويه ، وتتلذذ به بعد أن كان رأساً
بنفسه^(٣) . والمرزوقي يذكر سماعه منه في مواضع من شرحه^(٤) .

وأما تلاميذه فلم يذكر منهم إلا سعيداً البقال : قال ياقوت : « وكتب
عنه سعيد البقال ، وأخرجه في معجمه .

ويذكر أن أيضاً أنه اتصل ببني بويه وكان معلم أولادهم .

(١) الأزمئة والأمكنة (٢ : ٣٨٤) .

(٢) وقد عثرت أخيراً على نص في شرح الحماسية ١٦٤ يفهم منه أن المرزوقي صنع كتاب
الأزمئة قبل شرح الحماسية ، أي قبل سنة ٤١٧ . انظر الحاشية الأولى من صفحة ١٦ من التقديم .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) . (٤) انظر الحماسية ١٢٣ : ٢ ، ١٣٥ : ٣ .

والمرزوقي يعد في زمرة البصريين ، وهو في مواضع من شرحه^(١) يقول :
« أصحابنا البصريون » .

مؤلفات المرزوقي :

- ١ — شرح الحماسة ، قال ياقوت : « أجاد فيه جدا » . وقال القفطى :
« وهو الغاية في بابه » . وقال ابن شاکر^(٢) : « وهو أحسن شروحها » .
- ٢ — شرح المفضليات . ومنه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦ .
- ٣ — شرح الفصيح . قال القفطى : « وهو كتاب جميل في نوعه »
- ٤ — شرح أشعار هذيل .
- ٥ — كتاب الأزمنة والأمكنة . وقد طبع في مجلدين في حيدر أباد سنة ١٣٣٢ .

- ٦ — الأمالى . ومنه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ أدب .
تكلم فيها على شرح طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والحكم ،
مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة .
- ٧ — أفاظ العموم والشمول . منه قطعة بدار الكتب المصرية
برقم ٤١٤٠ أدب .

- ٨ — شرح الموجز ، في النحو ، كما ذكر ابن شاکر .
- ٩ — شرح النحو (!؟) . ذكره ياقوت . والظاهر أنه الكتاب السابق .
- ١٠ — وذكر له القفطى كتاباً بعنوان « مفردات متعددة في النحو » .

شرح المرزوقي للحماسة :

سمى المرزوقي كتابه هذا « شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي .

(١) انظر الحماسة ١٣ : ١ والحماسة ٥٠ : ٤ .

(٢) في عيون التواريخ نسخة دار الكتب في وفيات ٤٢١ .

المعروف بكتاب الحماسة . وقد أثبت هذه التسمية في صدر مقدمته .
 وفي مكنتبات العالم من هذا الكتاب نسخ كثيرة منها في تركيا وحدها
 عشر نسخ ، وفي القاهرة نسختان : إحداهما في دار الكتب المصرية ، والأخرى
 في التيمورية الملحقه بدار الكتب . وفي كل من برلين ، وليدن ، والمتحف
 البريطاني ، والموصل ، وطهران نسخة واحدة . فهي سبع عشرة نسخة ،
 وإليك أرقامها :

- ١ — نسخة كوبرلي برقم ١٣٠٨ — ١٣١١
- ٢ — « نور عثمانية برقم ٣٩٩٩ — ٤٠٠١
- ٣ — « أيا صوفيا برقم ٤٠٥٨
- ٤ — « لاله لي برقم ١٨١٠ — ١٨١٣
- ٥ — « الفاتح برقم ٣٩٤١ — ٣٩٤٤
- ٦ — « بايزيد برقم ٢٦٠٤
- ٧ — « عاطف برقم ٢١٤٦
- ٨ — « المكتبة العمومية برقم ٥٣٩٢ ، ٥٣٩٣ ، ٥٥٤٧
- ٩ — « فيض الله برقم ١٦٤٤
- ١٠ — « برلين برقم ٧٤٤٩
- ١١ — « ليدين برقم ٦٠٣
- ١٢ — « المتحف البريطاني برقم ٥٦٨ — ٥٦٩
- ١٣ — « الموصل (مخطوطات الموصل ١٩٠)
- ١٤ — « طهران (الجزء الثاني ٢٨٨)
- ١٥ — « دار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ أدب
- ١٦ — « مكتبة تيمور باشا برقم ١٠٢٧ شمر . وهذه النسخة لم يعرفها
 بروكلمان .

١٧ - نسخة روان كشك الملحقة بمكتبة طوب قبو سراى ، ورقها ٧٠٦
وهذه النسخة لم يعرفها بروكلمان أيضاً .

النسخ المعتمدة في التحقيق :

اعتمدنا في تحقيق هذه النسخة على أربع نسخ هي التي أمكننا أن نحصل
عليها ، واسترجعنا من هذه النسخ الأربع نسختين اعتمدنا عليهما اعتماداً تاماً .

١ - النسخة الأولى ، وهي التي سميناها نسخة الأصل ، وهي نسخة
المكتبة العمومية بالأستانة ، وهي كاملة في مجلدين يرجع تاريخ نسخها إلى سنة
٥٢٥ هـ أي بعد وفاة المرزوق بأربع سنين ومائة سنة ، كتبها سعد بن إبراهيم
ابن أحمد الفرائى ، قياسها ١٨,٥ × ٢٩,٥ وينتهى الجزء الأول منها بالحماسية
رقم ٣٥٠ .

٢ - نسخة دار الكتب المصرية ، وهي قديمة أرجح أنها من مخطوطات
القرن السادس ، بها ترقيع وتقطع وتلوث وآثار أرضة ، وهي نسخة ناقصة
بها تكميل في أولها ، وتنتهى بنهاية المقموعة الحماسية رقم ٣٠٠ أى إنها أقل من
نصف الكتاب ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ والفاسخ ، وقد رمزت إلى هذه
النسخة بالرمز (م) .

أما النسختان الأخريان فهما :

٣ - نسخة للمكتبة التيمورية ، وهي نسخة ناقصة حديثة الخط مجهولة
التاريخ وتاريخ النسخ ، وهي في حجم متوسط تنتهى بنهاية الحماسية رقم ٣٢٣ .

٤ - نسخة روان كشك الملحقة بمكتبة طوب قبو سراى برقم ٧٠٦ ، وهي
من مجلوبات معهد المخطوطات بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وهي
نسخة خزائنية مكتوبة بخط نسخى دقيق جميل ، مع خلوها من الضبط ، كتبها

شمس الدين القدسي برسم السلطان مراد خان سنة ٨٦٩ بأولها طرة مذهبة ، كما
أن صفحاتها مجدولة بالذهب ، وقياسها ٢٢ × ٣٥ .

تحقيق الكتاب :

في هذا الجزء الأول عارضت نسختي المكتبة العمومية ودار الكتب
المصرية معارضة تامة في النص وفي الضبط ، وقد ظهر لي أن خلافهما قليل جدا ،
وستستمر المعارضة التامة بينهما إلى أن تنتهي نسخة دار الكتب . هذا مع الاستعانة
بما نقدر عليه من المخطوطات ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وحينئذ تحل نسخة
روان كشك محل نسخة دار الكتب المصرية في المقابلة التامة .

وقد استدعى تحقيق هذا الكتاب أن أقارنه مقارنة تامة بشرح التبريزي
بحيث لا أترك فائدة جديرة بالإثبات فيما أرى إلا اقتسبتها في الحواشي . ولا سيما
ما كان متعلقا برواية المتن ، أو تحقيق الأخبار وتوضيحها ، أو ما كان فيه تأكيد
المرزوقي أو طعن عليه .

وكذلك اصطحبت في تحقيقه شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جني ،
وكان في النية أن أقتبس جميع نصوص هذا الكتاب وأضعها في أما كتبها إزاء
أبيات الحماسة ، لكنني وجدت في ذلك إنقلا ، ووجدت الفائدة التي يجنيها
القارئ من إسهاب ابن جني في هذا الكتاب خاصة فائدة غير مرجوة . لذلك
لم أثبت منها إلا ما كان ضروريا لتوضيح أو تأكيد .

كذلك كان الصنّف في كتاب المبهج لابن جني أيضا .

وقد التزمت أن أترجم لجميع شعراء الحماسة ترجمة موجزة ، وأن أشير إلى
مراجع الترجمة . وقد أفدت من جهدي في تراجم شعراء الحيوان للجاحظ ، والبيان
والتبيين له ، شيئا كثيرا ، كما أفدت من جهد الأخ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر
في كتاب « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ما يجعلني أعترف له هنا بالفضل العظيم -

كما عنيت عناية خاصة بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين يعتبر
عندهم أبو تمام بقوله : « وقال آخر » أو بعض شعراء قبيلة ما من قبائل العرب ،
وقد وفقت في ذلك بعون الله بعض التوفيق .

وكذلك كان الأمر في تعيين أسماء المجهولين في شرح المرزوقي .
واستعنت بعد ذلك بمختلف المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية والبلدانية
وكتب القراءات والتفسير وغيرها لتحقيق هذا الكتاب وضبط نصوصه .
وبيان تلك المراجع سوف ألقه بالفهارس العامة للكتاب إن شاء الله .

الفهارس العامة والاستدراكات :

وسيلحق بنهاية هذا الكتاب إن شاء الله — أى في نهاية المجلد الرابع —
ما تقتضيه طبيعته من الفهارس الفنية للشعر ، واللغة ، والأمثال ، والأعلام ،
والبلدان ، ويتلوها الاستدراكات والتصحيحات .

* * *

وبعد ، فإن صاحب الفضل الأكبر في إخراج هذه النشرة الأولى من هذا
الكتاب الجليل ، هو أستاذنا الكبير « الدكتور أحمد أمين بك » ، فهو الذى
اقترح أن ينشر هذا الكتاب ، لما له ولؤلؤه من خطر ، كما أقرّ إخراجه في لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، التى كانت لمصر والعالم العربى بمثابة جامعة علمية عاملة ،
بما أظهرت للمثقفين من آثار التأليف فى الشرق والغرب . وقد اشترك حفظه الله
فى وضع منهج الإخراج ليبدو الكتاب فى هذا الوضع العلمى الحديث ، كما تفضل
بمراجعة ما صنعت لتحقيق هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، فله من الله ومن العلم
خير الجزاء .

عبد السلام محمد هارون

القاهرة فى } ٢٠ من المحرم سنة ١٣٧١
٢١ من أكتوبر سنة ١٩٥١

الجزء الأول

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي

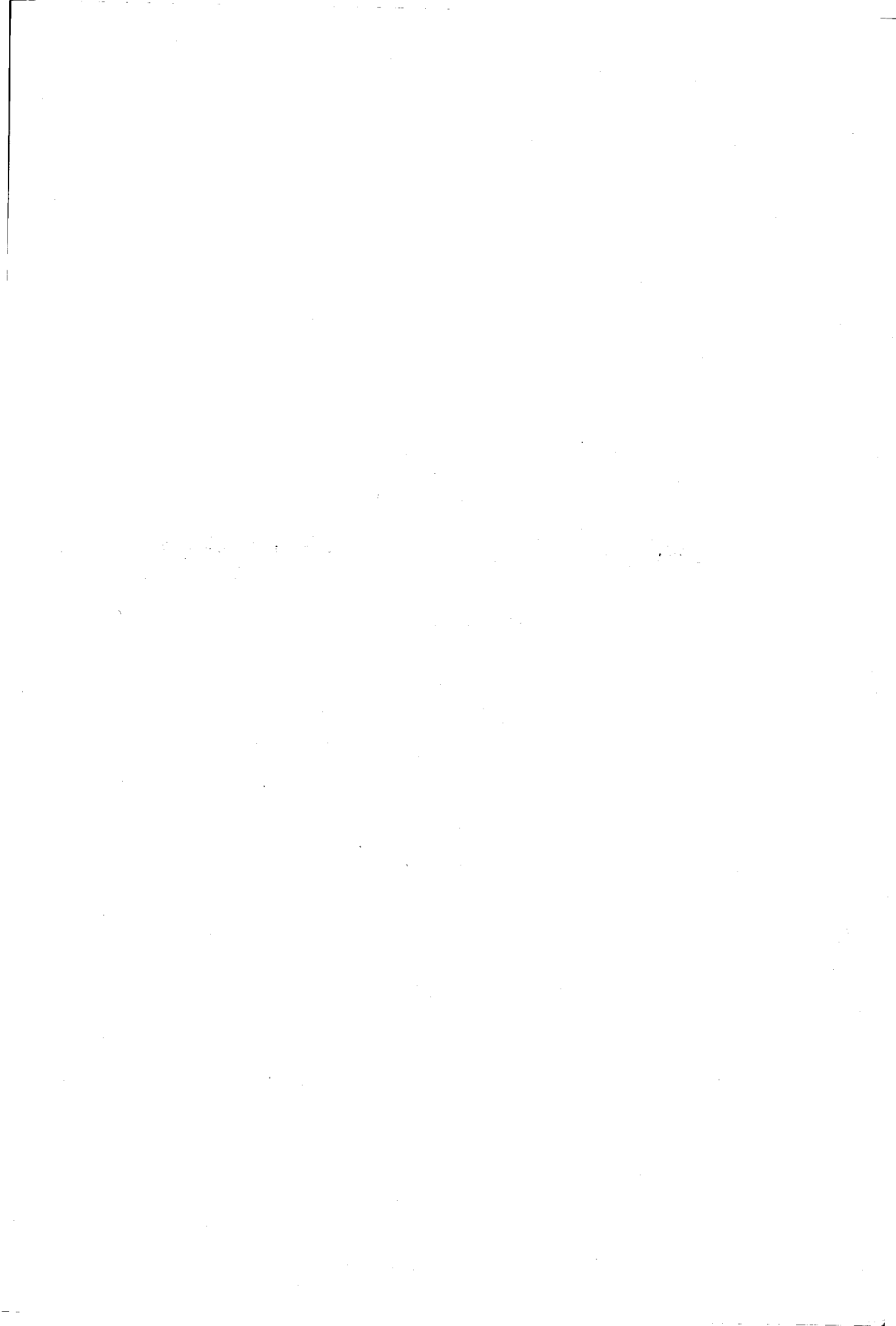
المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن

المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الإنسان ، متميزًا بما علمه من التبيين والبيان ، وصلى الله على أفضل من صدع بأمره وزجره ، داعيا وناهيا ، وعلى الطاهرين من آله وسلم .

وبعد فإنك جاريتني — أطال الله بقاءك في أشمل سعادة وأكمل سلامة ، لَمَّا رأيتني أقصر ما أستفضله من وقتي ، وأستخلصه من وكدي^(١) ، على عملٍ شرح للاختيار المنسوب إلى أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، المعروف بكتاب الحماسة أمر — الشعر وفنونه^(٢) ، وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها ، وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به ، إذ كان الله عز وجل قد أقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم ، فهو مستودع آدابها ، ومُستحفظ أنسابها ، ونظام فخارها يوم النفار ، وديوان حجاجها عند الخصاص .

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه ، وعمّا يتميز به النظم عن النثر ، وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد ، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها ، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن ، وأركانها محروسة من الوهي إذ كان لا يُحكّم للشاعر أو عليه^(٣) بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها ، وتأثر ما أخذه منها ، ومدى شأوه فيها ، وتمييز المصنوع مما يحوِّكه من المطبوع والأتي المستسهل من الأبي المستكره . وقضيت العجب كيف وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار

(١) الوكد بالضم : السعي والجهد ، وبالفتح ، : المراد ، والهم ، والقصد .

(٢) أمر ، هو المفعول الثاني لجاريتني في الكلام قبله . على أن المعروف أن يقال جراه في كذا وبكذا ، أي جى معه في المناظرة والجدال .

(٣) م : « وعليه » .

للقصّداً أوفى مما دونه المفضلُ ونقده (١) .

وقلت إن أبا تمام معروفُ المذهبُ فيما يقرضه ، مألوفُ المسلك لما ينظمه نازعٌ في الإبداع إلى كل غاية ، حاملٌ في الاستعارات كلَّ مشقّة ، متوصّلٌ إلى الظفرِ بمطلوبه من الصنعة أين اعتسّف وبماذا عثر ، متغلغلٌ إلى توغير اللفظ وتعميض المعنى أئى تأتى له وقدّر ؛ وهو عادلٌ فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطف مَيدانه ، ومُرْتَضٍ ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه ، فقد فليته فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوبَ إلا اليسير . ومعلومٌ أن طبع كل امرئٍ — إذا ملك زمام الاختيار — يجذبه إلى ما يستلذه ويهواه ، ويصرِّفه عما ينفّرُ منه ولا يرضاه . وزعمتَ بعد ذلك أنّك مع طول مجالستك لجهابذة الشعر والعلماء بمانيه ، والمبرزين في انتقاده ، لم تقف من جهتهم على حدٍ يؤدّيك إلى المعرفة بحجّده ومتوسّطه ورديته ، حتى تجرّد الشهادة في شيء منه ، وتبتّ الحكم (٢) عليه أوّله ، آمنّا من المجاذيب والمدافعين . بل تعتقد أنّ كثيراً مما يستجيدُهُ زيدٌ يجوز أن لا يطابقه عليه عمرو ، وأنه قد يُستحسنُ البيتُ ويثنى عليه ثم يستهجن نظيره في الشبّه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة ، فيعرض عنه ، إذ كان ذلك موقوفاً على استحلاء المستخلى واجتواء المجتوى ، وأنه كما يُرزق الواحدُ في مجالس الكبار من الإصغاء إليه والإقبال عليه ، ما يُحرّمُ صنوه وشبيهه ، مع أنه لا فضيلةَ لذلك ولا نقيصةَ لهذا إلا ما فاز به من الجدلِّ عند الاصطفاء والقسم .

وقلت أيضاً : إني أتمنى أن أعرف السببَ في تأخّر الشعراء عن رتبة الكتاب البُلغاء ، والمعدر في قلة المترسلين وكثرة المُفائقين (٣) ، والملة في نباهة

(١) يعني بذلك التصانيد المفضليات ، التي اختارها المفضل الضبي .

(٢) في الأصل : « لتحكم » وأثبتنا ما في م .

(٣) الملقب : الشاعر المحيد يحيى بالعجائب في شعره .

أولئك وُحُولُهُمْ هُوَ لَاءُ ، وما إذا كان أكثرُ المترسِّلين لا يُفْلِقُونَ في قَرَضِ الشَّعْرِ ،
وأكثرُ الشعراء لا يَبْرَعُونَ في إنشاءِ الكُتُبِ ، حتى خُصَّ بالذكرَ عَدَدٌ يسير
منهم ، مثل إبراهيم بن العباس الصولي ، وأبي عليّ البصير^(١) ، والعتّابي ، في
جمعهم بين الفنّين ، واغترازهم رِكابَ الظَّهْرَيْنِ^(٢) . هذا ونظامُ البلاغة يتساوى
في أكثره المنظومُ والمنثور .

وأنا إن شاء الله وبه الحولُ والقوّة ، أوردُ في^(٣) كلِّ فَصْلٍ من هذه
الفصولِ ما يحتمله هذا الموضع ، ويمكن الاكتفاء به ؛ إذ كان لتقصى المقال فيه
موضعٌ آخر ، من غير أن أنصِبَ لما تُصَوِّرُهُ النعوتُ الأمثلة ، تفادياً من
الإطالة ، ولأنه إذا وَضَحَ السَّبِيلُ وَقَعَتِ الهداية بأيسرِ دليل . والله عزّ وجلّ
الموفق للصواب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

اعلم أن مذاهبَ نُقَادِ الكلامِ في شرائطِ الاختيارِ مختلفة ، وطرائقُ
ذوى المعارف بأعظافها وأردافها مفترقة ، وذلك لتفاوتِ أقدارِ مفادِها على
اتساعها^(٤) وتنازعِ أقطارِ مظاهرها ومعالِمها^(٥) ، ولأنّ تصاريفَ المباني التي هي
كالأوعية ، وتضاعيفَ المعاني التي هي كالأمتعة في المنثور ، اتَّسَعَ بِجَالِ الطبعِ فيها
ومَسَّرَحَهُ ، وتَشَعَّبَ مَرَادُ الفِكرِ لها^(٦) وَمَطَّرَحَهُ . فَمِنَ الباغِءِ من يقول : فِقْرُ

(١) هو أبو عليّ الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي ، المهوف بالبصير ، كان
من أهل الكوفة وسكن بغداد ، ومدح المتوكل والفتح بن خاقان ، وكان يتشيع في غلو . وبقى
إلى أيام المعتز . نكت الهميان ٢٢٥ .

(٢) الاغتراز : أن يدخل قدمه في النرز ، وهو للجمل مثل الركاب للبعير . في الأصل
« اغترازهم » ، صوابه في م .

(٣) م : « من » .

(٤) المناح : المفاوز ، والمنتح : المكان الواسع .

(٥) عنى بالتنازع التباعد .

(٦) م : « فيها » .

الألغاز وَغَرَّرَهَا ، كجواهر العقود ودررها ، فإذا وَسِمَ أَغْفَلَهَا بتحسين نظومها^(١) وَحَلَّى أَعْطَلَهَا بتركيب شُدُورِهَا ، فراق مسموعها ومضبوطها ، وزان مفهومها ومحفوظها ، وجاء ما حُرِّرَ مِنْهَا مُصَنِّفِي من كَدَّرَ الْعَيَّْ وَالخَطْلَ ، مقومًا من أَوْدِ اللَّحْنِ وَالخَطَأَ ، سالما من جَنَفِ التَّأْلِيفِ^(٢) ، موزونًا بميزان الصواب ، يَمْوِجُ فِي حَوَاشِيهِ رَوْنِقُ الصَّفَاءِ لَفْظًا وَتَرْكِيبًا — قَبْلَهُ الْفَهْمُ وَالتَّدْبِيرُ بِه السَّمْعُ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَى ضِدِّ هَذِهِ الصِّفَةِ صَدِيقُ الْفَهْمِ مِنْهُ ، وَتَأَذَى السَّمْعُ بِه تَأَذَى الْحَوَاسِّ بِمَا يَخَالِفُهَا .

ومنهم من لم يَرْضَ بِالْوُقُوفِ عَلَى هَذَا الْحَدِّ فَتَجَاوَزَهُ ، وَالتَّزَمَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ تَتَمِيمَ الْقَطْعِ ، وَتَلطِيفَ الْمَطْلَعِ ، وَعَطْفَ الْآخِرِ عَلَى الْآوَائِلِ ، وَدَلَالََةَ الْمَوَارِدِ عَلَى الْمَوَادِرِ ، وَتَنَاسُبَ الْفُصُولِ وَالْوُصُولِ ، وَتَعَادُلَ الْأَقْسَامِ وَالْأَوْزَانِ ، وَالكَشْفَ عَنِ قِنَاعِ الْمَعْنَى بِلَفْظٍ هُوَ فِي الْاِخْتِيَارِ أَوْلَى ، حَتَّى يَطَابِقَ الْمَعْنَى اللَّفْظَ ، وَيَسَابِقَ فِيهِ الْفَهْمُ السَّمْعُ . قَالَ : وَلَا غَايَةَ وَرَاءَ هَذَا .

ومنهم من تَرَقَّى إِلَى مَا هُوَ أَشَقُّ وَأَصْعَبُ ، فَلَمْ تَقْنَعَهُ هَذِهِ التَّكْلِيفُ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى طَلَبَ الْبَدِيعَ : مِنَ التَّرْصِيعِ وَالتَّسْجِيعِ ، وَالتَّطْبِيقِ وَالتَّجْنِيسِ ، وَعَكْسِ الْبِنَاءِ فِي النَّظْمِ^(٣) ، وَتَوْشِيحِ الْعِبَارَةِ بِالْفَاطِئِ مُسْتَعَارَةً ، إِلَى وَجْهِ آخَرَ تَنْطِقُ بِهَا الْكُتُبُ الْمَوْلَّغَةُ فِي الْبَدِيعِ ، فَإِنِّي لَمْ أَذْكَرْ هَذَا الْقَدْرَ إِلَّا دَلَائِلَ عَلَى أَمْتَالِهَا . وَلَكِنَّ مَا ذَكَرْتُهُ وَمَا لَمْ أَذْكَرْ رَسْمٌ مِنَ النُّفُوزِ وَالِاعْتِلَاءِ ، بِإِزَائِهِ مَا يَضَاهُ فَيَسْلَمُ لِلشُّكُوصِ وَالِاسْتِقَالِ^(٤) . وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ لِأَصْحَابِ

(١) م : « بحسن نظومها » .

(٢) الجنف : الميل في الكلام وفي الأمور كلها .

(٣) يعني بذلك ما ورد في نحو قوله :

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

(٤) الاستفحال ، النزول إلى أسفل .

الألفاظ ، إذ كانت المعاني بمنزلة المعارض للجواري^(١) ، فأرادوا أن يلتذ السمعُ بما يُدرك منه ولا يُمَجِّه ، ويتلقاه بالإصغاء إليه والإذن له فلا يحجبُه^(٢) .

وقد قال أبو الحسن ابن طباطبَا^(٣) رحمه الله ، في الشعر : هو ما إن عرِيَ من معنى بديع لم يَعَرَ من حُسن الديباجة ؛ وما خالف هذا فليس بالشعر^(٤) .

ومن البُلغاء من قصد فيما جاشَ به خاطرُه إلى أن يكون استفادةُ التأمل له ، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله . وهم أصحابُ المعاني ، فطلبوا المعاني المُعْجِبَةَ من خواصِ أماكنها ، وانتزعوها جَزَلَةً عَذْبَةً حَكِيمَةً ظَرِيفَةً أو رَائِعَةً بَارِعَةً^(٥) ، فاضلةً كاملةً ، لطيفةً شريفةً ، زاهرةً فاخرةً ؛ وجعلوا رسومها^(٦) أن تكون قريبة التشبيه ، لائقة الاستعارة ، صادقة الأوصافِ ، لائحة الأوصاح ، خلاصةً في الاستعطاق ، عَظَافَةٌ لدى الاستنفار ، مستوفيةً لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض ، والإطناب والتقصير ، والجدِّ والهزل ، والخُشونة والليان^(٧) ، والإباء والإسماح ، من غير تفاوتٍ يظهر في خِلالِ أطباقها ، ولا قصورٍ ينبعُ من أثناء أعماقها ، مبتسمةً من مثنائ الألفاظ عند الاستشفاف ، محتجبة في غموض الصِّيَان ، لدى الامتهان^(٨) تعطيك مُرادك إن رَققت بها ، وتمنمك جانِبها إن

(١) المعارض جمع معرض كبير ، وهو الثوب تعرض فيه الجارية وتجلى .

(٢) م : « فلا يحجبه » .

(٣) ذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن محمد ابن طباطبا قال : « ولا أدري من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور » . وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب له يدعى « عيار الشعر » ذكر في صدره أنه لأبي الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبا العاوي . وذكر هذا الكتاب في كشف الظنون وذكر أنه لابن طباطبا .

(٤) م : « بشر » .

(٥) م : « حكيمة ظريفة ، أو رائعة بارعة » .

(٦) م : « وسومها » .

(٧) الليان ، بالفتح كسحاب : مصدر لان يابن لينا وليايا .

(٨) لدى الامتهان ، ساقطة من م .

عَنْتَ معها . فهذه مَناسِبُ المعاني لظُلَّابِها ، وتلك مَناسِبُ الألفاظ لأربابها . ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقول^(١) فَعانَقَا وتَلابَسَا ، متظهِرَيْنِ في الاشتراك^(٢) وتوافقًا ، فهناك يلتقي ثَرَيَا البلاغة^(٣) فيمطرُ رَوْضُها ، ويُنَشِرُ وشيْها ، ويتجَلَّى البيان فصيحَ اللسان ، نَجِيحَ البُرْهان ، وترى رائدَى الفهمِ والطَّيِّعِ متباشرين لهما من المسموعِ والمعقولِ بالمسرحِ الخِصْبِ والمسكَّرِ^(٤) العذب . فإذا كان الفترُ — بما له من تقاسيمِ اللفظ والمعنى والنظم — اتسع نطاقُ الاختيار فيه على ما بينناه بحسبِ اتساعِ جوانبها وموادها ، وتكاثرِ أسبابها ومَوَاتِئِها^(٥) ، وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه ، ثم تفرَّدَ عنه وتميَّزَ بأن كان حَدُّهُ « لفظ موزون مُتَقَيِّ بِدَلُّ عَلَى مَعْنَى » ، فازدادت صفاته التي أحاط الحدُّ بها بما انضمَّ من الوزن والتقفية إليها ، ازدادت الكَلْفُ في شرائطِ الاختيار فيه ، لأن للوزن والتقفية أحكامًا تماثلُ ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تُقَارِبُ ، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمتنقِّد ، مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح ، لثلا يَختلُّ لهما^(٦) أصلٌ من أصولهما ، أو يعتلُّ فرْعٌ من فروعهما .

مهمرد فإذا كان الأمر على هذا ، فالواجب أن يُقَيَّنَ ما هو عمودُ الشعرِ المعروف عند العرب ، لتميَّزَ تَلِيدُ الصنعة من الطريف ، وقديمُ نظامِ القريض من الحديث ، ولتُعرفَ مواطى أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسمُ إقدام

(١) تصوب به : تجود به ، من قولهم صاب المطر صوباً : نزل .

(٢) في الأصل : « الاعتراف » وأثبتنا ما م .

(٣) ضبظت في الأصل بضم التاء وفتح الراء وتشديد الياء ، وهذا خطأ . يقال التقي الثريان ، وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض . اللسان (ثرا) .

(٤) م : « المشرع » .

(٥) موات : جمع مائة بوزن فاعلة ، وهي الوسيلة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من م .

الزَّيْبِينِ عَلَى مَا زَيْفُوهُ ، وَيُعْلَمُ أَيْضًا فَرْقُ مَا بَيْنَ الْمَصْنُوعِ وَالْمَطْبُوعِ ، وَفَضِيلَةُ
الَّتِي السَّمْحِ عَلَى الْأَبِيِّ الصَّعْبِ ، فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ :

إِنَّهُمْ كَانُوا يَجَاوِلُونَ شَرَفَ الْمَعْنَى وَصَحَّتَهُ ، وَجَزَالَةَ اللَّفْظِ وَاسْتِقَامَتَهُ ،
وَالْإِصَابَةَ فِي الْوَصْفِ — وَمِنْ أَجْمَاعِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الثَّلَاثَةِ كَثُرَتْ سَوَائِرُ
الْأَمْثَالِ ، وَشَوَارِدُ الْأَبْيَاتِ — وَالْمُقَارَبَةُ فِي التَّشْبِيهِ ، وَالتَّحَامُّ أَجْزَاءَ النَّظْمِ
وَالثَّنَائِمَا عَلَى تَخْيِيرٍ مِنْ لَذِيذِ الْوِزْنِ ، وَمُنَاسَبَةُ الْمُسْتَعَارِ مِنْهُ الْمُسْتَعَارِ لَهُ ، وَمَشَاكَلَةُ
الْلفْظِ لِلْمَعْنَى وَشِدَّةُ اقْتِضَائِهِمَا لِلْقَافِيَةِ حَتَّى لَا مَفَاوِرَةَ بَيْنَهُمَا — فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
هِيَ عَمُودُ الشَّعْرِ ، وَلكلِّ بَابٍ مِنْهَا مِغْيَارٌ .

فَعِيَارُ الْمَعْنَى أَنْ يُعْرَضَ عَلَى الْعَقْلِ الصَّحِيحِ وَالْفَهْمِ الثَّاقِبِ ، فَإِذَا انْعَطَفَ
عَلَيْهِ جَنَّبْنَا الْقَبُولَ وَالْإِصْطِفَاءَ ، مُسْتَأْنِسًا بِقِرَائِنِهِ ، خَرَجَ وَافِيًا ، وَإِلَّا انْتَقَصَ
بِمَقْدَارِ شَوْبِهِ وَوَحْشَتِهِ .

وَعِيَارُ اللَّفْظِ الطَّبَعُ وَالرِّوَايَةُ وَالِاسْتِمْعَالُ ، فَمَا سَلِمَ مِمَّا يَهْجُنُهُ عِنْدَ الْعَرْضِ
عَلَيْهَا فَهُوَ الْمُخْتَارُ الْمُسْتَقِيمُ . وَهَذَا فِي مُفْرَدَاتِهِ وَجَمَلَتِهِ مُرَاعَى ، لِأَنَّ اللَّفْظَةَ تُسْتَكْرَمُ
بِانْفِرَادِهَا ، فَإِذَا ضَامَّتْهَا مَا لَا يُوَافِقُهَا عَادَتِ الْجَمْلَةُ هَجِينًا .

وَعِيَارُ الْإِصَابَةِ فِي الْوَصْفِ الذِّكَاؤُ وَحَسَنُ التَّمْيِيزِ ، فَمَا وَجَدَاهُ صَادِقًا فِي الْعُلُوقِ
مِمَّا زَجَا فِي اللَّصُوقِ ، يَتَعَسَّرُ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَرُّؤُ مِنْهُ ، فَذَلِكَ سِيَاءُ الْإِصَابَةِ فِيهِ .
وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي زَهِيرٍ : « كَانَ لَا يَمْدُحُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا
يَكُونُ لِلرِّجَالِ » . فَتَأَمَّلْ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّ تَفْسِيرَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ .

وَعِيَارُ الْمُقَارَبَةِ فِي التَّشْبِيهِ الْفِطْنَةُ وَحَسَنُ التَّقْدِيرِ ، فَأَصْدَقُهُ مَا لَا يَنْتَقِضُ عِنْدَ
الْعَكْسِ ، وَأَحْسَنُهُ مَا أَوْقَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ اشْتَرَاكُهُمَا فِي الصِّفَاتِ أَكْثَرَ مِنْ انْفِرَادِهِمَا
لِبَيِّنِ وَجْهِ التَّشْبِيهِ بِلا كَلْفَةٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَطْلُوبُ مِنَ التَّشْبِيهِ أَشْهَرَ صِفَاتِ
الْمُسَبَّبِ بِهِ وَأَمْلَكُهَا ، لِأَنَّهُ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ وَيَحْمِيهِ مِنَ الْعُمُوضِ وَالِاتِّبَاسِ .

وقد قيل : « أقسام الشعر ثلاثة : مَثَلٌ سائرٌ ، وتشبيهٌ نادر ، واستعارةٌ قريبة » .
وعيار التحام أجزاء النظم والتثامه على تحيُّرٍ من لذيذ الوزن ، الطبعُ واللسان ،
فما لم يتعثر الطبعُ بأبنيتِهِ وعقودِهِ (١) ، ولم يتحبس اللسانُ في فصوله ووصوله ،
بل استمرَّت فيه واستسهلاه ، بلا ملالٍ ولا كلالٍ ، فذاك يُوشِكُ أن يكون القصيدة
منه كالبيتِ ، والبيتُ كالكلمةِ تسالماً لأجزائه وتقارناً ، وآلاً يَكُونُ كما
قيل فيه :

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ (٢)
وكما قال خَلْفٌ :

وبعضُ قَرِيضِ الشَّعْرِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ يَكْدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ (٣)
وكما قال رُوْبَةُ لابنهِ عُقْبَةَ وقد عَرَضَ عليه شيئاً مما قاله ، فقال :
* قد قلت لو كان له قرآنٌ (٤) *

وإنما قلنا « على تحيُّرٍ من لذيذ الوزن » لأنَّ لذيذَهُ يَطْرَبُ الطَّبْعَ لإيقاعه ،
وَيُمَازِجُهُ بِصَفَاتِهِ ، كما يَطْرَبُ الفهمُ لصوابِ تركيبه ، واعتدالِ نظومِهِ . ولذلك
قال حَسَّانُ :

تَغَنَّ فِي كُلِّ شِعْرٍ أَنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارٌ (٥)
وعيار الاستعارة الذَّهْنِ والْفِطْنَةِ . وَمِلاَكُ الْأَمْرِ تَقْرِيْبُ التَّشْبِيهِ فِي الْأَصْلِ

(١) في الأصل : « بأبيه » ، صوابه في م .

(٢) البيت لأبي البيداء الرياحي ، كما في البيان (١ : ٦٦) .

(٣) أولاد علة : بنورجل واحد من أمهات شتى ، فهم مختلفون . انظر البيان (١) :

٦٦) والعمدة (١ : ١٧٢) .

(٤) في البيان (٢ : ٦٨) : « إنه يقول لو كان لقوله قرآن » ، وذلك حيث ورد
الخبر برواية أخرى .

(٥) المِضْمَارُ ، يطلق على الموضع الذي تضمَّر فيه الخليل ، وعلى زمانه أيضاً ، ويستعمل
كذلك بمعنى التضمير . عني أن الغناء وسيلة لتحسين الشعر واختباره . وهذا البيت مما لم يرد في
ديوان حسان . وأنشده في العمدة (٢ : ٢٤١) بدون نسبة .

حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم يكتب في الاسم المستعار لأنه المقول عما كان له في الوضع إلى الاستعار له .

٢ - وعيارُ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية ، طول الذرْبَة ودوامُ المدرسة ، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نُبوًّا ، ولا زيادة فيها ولا قُصورَ . وكان اللفظ مقسوماً على رُتَب المعاني : قد جُعِلَ الأَخْصُّ للأَخْصِّ ، والأَخْسُّ للأَخْسِّ ، فهو البريء من العيب . وأما القافيةُ فيجبُ أن تكون كالموعودِ [به ^(١)] المنتظر ، يتشوّفُها ^(٢) المعنى بحقّه واللفظ بِقِسْطِهِ ، وإلا كانت قَلَقَةً في مَقَرِّها ، مُجْتَلِبَةً لمستغنٍ عنها .

فهذه الخصال عمودُ الشعر عند العرب ، فمن لَزِمَها بحقّها وبَنَى شعره عليها ، فهو عندهم المُغْلِقُ المعظّم . والمُحَسِّنُ المُقَدِّم . ومن لم يجمعها كلّها فيقدر سُهْمَتَهُ منها يكون نصيبه من التقدّم والإحسان ، وهذا إجماعٌ مأخوذٌ به ومُتَّبَعٌ نَهْجُهُ حتى الآن .

واعلم أن لهذه الخِصَالَ وسائطَ وأطرافاً ، فيها ظَهَرَ صدقُ الوَاصِفِ ، وغُلُوُّ الغَالِي ؛ واقتصادُ المقتصد . وقد اُقتَفَرَهَا اختيارُ الناقدين ^(٣) ، فمنهم من قال : « أحسنُ الشعرِ أصدقُهُ » قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إسارِ الصدقِ يدلُّ على الاقتدارِ والحِذْقِ . ومنهم من اختار الغُلُوَّ حتى قيل « أحسن الشعرِ أكذبه » ؛ لأنَّ قائله إذا أسقط عن نفسه تقابِلَ الوصفِ والموصوفِ امتدَّ فيما يأتيه إلى أعلى الرُتْبَةِ ، وظهر قوَّته في الصياغة وتمهَّره في الصناعة ، وآسعت مَخارجُهُ وموارجُهُ ، فتصرَّف في الوصف كيف شاء ، لأنَّ العَمَلَ عنده على المبالغة والتَّمِيلِ ، لا المصادفة

(١) هذه من م ..

(٢) في الأصل : « يتشوفه » وأثبتنا ما في م .

(٣) الاقتفار : الاقتفاء والتتبع .

والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : « أحسن الشعر أقصده ^(١) » ؛ لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط ^(٢) ، فما استوفى ^(٣) أقسام البراعة والتجويد أو جملها ، من غير غاوة في القول ولا إحالة في المعنى ، ولم يُخْرِج الموصوف إلى أن لا يُؤْمَنَ لشيء ^(٤) من أوصافه ، لظهور السرف في آياته ، وشمول التزييد لأقواله ، كان بالإيثار والانتخاب أولى .

ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع . والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس ، وحرّكت القرائح ، أعلت القلوب . وإذا جاشت العقول بمكنون ودائنها ، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها ، نبت الممانى ودرّت أخلافها ، وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ ، فتمت رِفْض التكلف والتعمّل ، وحُلى ^(٥) الطبع المهذب بالرواية ، المدرّب في الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل ^(٦) غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل إليه ، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدرٍ ، وعفواً بلا جهدٍ ، وذلك هو الذى يسمّى « المطبوع » . ومتى جمل زمام الاختيار بيد التعمّل والتكلف ، عاد الطبع مستخدماً متمملاً ، وأقبلت الأفكار تستحمله ألقاها ، وتردده في قبول ما يؤدبه إليها ، مطالبة له بالإغراب ^(٧) في الصنعة ، وتجاوز المألوف إلى البدعة ، فجاء مؤداه وأثره التكلف يلوّح على صفحاته ، وذلك هو « المصنوع » .

(١) من القصد ، وهو الوسط في الأمور .

(٢) ورد في نسخة الأصل ، بتشديد الطاء مع ضمها ، وصوابها التشديد مع الكسر ، كما في اللسان والقاموس ، وهى لنة في « قط » ساكنة الطاء بمعنى حنطب .

(٣) في الأصل : « فاستوفى » ، والصواب من م .

(٤) م : « بشيء » .

(٥) وردت في الأصل بالحاء المهملة ، مع تقييدها بالإشارة ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٦) كذا في م . وفي الأصل : « واسترسل » .

(٧) مطالبة بفتح اللام في الأصل وم . وفي م « بالإعزاب » ، والإعزاب : الإبعاد .

وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم — من غير قصدٍ منهم إليه — اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قرَضُ الشعرِ إلى المُخَدَّثين، ورأوا استغرابَ الناسِ للبديعِ على افتنانهم فيه، أولعوا بتورُّدهِ إظهاراً للاقتدار، وذهاباً إلى الإغراب. فمن مُفْرِطٍ ومُقْتَصِدٍ، ومحمودٍ فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نهوضِ الطبعِ بما يُحْمَلُ، ومدى قوَاهُ فيما يطلب منه ويكلف. فمن مال إلى الأوَّلِ فلائتهُ أشبه بطرائق الإغراب، لسلامته في السَّبَكِ، واستوائه عند الفحص. ومن مال إلى الثاني فلدلالاته على كمال البراعة، والاتذاذ بالغرابة.

* * *

وأما تمجُّبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدانِ شعره، ومفارقة ما يهواه لنفسه؛ وإجماع نُقَادِ الشعرِ بَعْدَهُ على ما صحبه من التوفيق في قصده، فالقولُ فيه أن أبا تمامٍ كان يختار ما يختار لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعرِ بشهوته. والفرق بين ما يُشْتَهَى^(١) وبين ما يُسْتَجَاد ظاهرٌ، بدلالة أن العارف بالبرِّ قد يشتهي لُبْسَ ما لا يستجيده، ويستجيد ما لا يشتهي لُبْسَهُ. وعلى ذلك حالُ جميعِ أعراضِ الدُّنيا مع العقلاء^(٢) العارفين بها، في الاستجادة والاشتهاء. وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعرِ إلى المتردِّدِ في الأفواه، الحبيب لكلِّ داعٍ، فكان أمرُه أقرب، بل اعتسَفَ في دواوينِ الشعراءِ جاهليَّهم ومخضرميهم، وإسلاميَّهم ومولديهم، واختطف منها الأرواحَ دون الأشباح، واخترف الأعمارَ دون الأكام^(٣)، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه؛ لأن ضرورَةَ الاختيار لم تحفَ

(١) في الأصل: «يشتر» ، صوابه في م .

(٢) في الأصل: «من العقلاء» ، صوابه في م .

(٣) الاختراف: اجتناء الثمر. والأكام: جمع كم، بالكسر، وهو غطاء النور الذي

عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ، حتى [إنك^(١)] تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده . وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس . ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده . على ذلك كان البحتري ، لأنه فيما حكى عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ونظمه .

وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول : سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكى عنه أنه مرّ بشعر ابن أبي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : « وهذا كله مختار » . هذا وشعره أبعده الأشياء من شعره . وهذا واضح .

* * *

وأما ما غلب على ظنك^(٢) من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات ؛ إذ كان ما يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو ، وأن سبيلها سبيل الضور في العيون ، إلى غير ذلك مما ذكرته — فليس الأمر كذلك ؛ لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ، ومر فوض اللفظ ومألوفه ، وميز البديع الذي لم تقسمه المعارض ، ولم تمنسفه الخواطر ، ونظر وتبحر ، ودار في أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاح ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن الكثير ، واللفظ الدال على الضمير ، ودري تراتيب الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها ، إلى غير ذلك مما يكمل الآلة ، ويشخذ

(١) هذه من م .

(٢) م : « في ظنك » .

القريحة — تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ، ولا يسمع إلا بأذن النصفة^(١) ،
ولا ينتقد إلا بيد المعدلة^(٢) ، فحُكْمُهُ الحُكْمُ الذي لا يُبدل ، ونقدّه النقد
الذي لا يُغيّر .

واعلم أنه يعرف الجيد من يجهل الرديء . والواجب أن تعرف المقامح
المسخرطة كما عرفت المحاسن المرتضاه ، وجماعها إذا أُجْمِلت أنها أضداد ما بيننا
من عُمد البلاغة ، وخصال البراعة ، في النظم والنثر . وفي التفصيل كأن يكون اللفظ
وحشياً أو غير مستقيم ، أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب ، فقد قال عمر
رضي الله عنه في زهير : « لا يتتبع الوحش ولا يُعاظَلُ الكلام » . أو يكون فيه
زيادة تفسد المعنى أو نقصان ، أو لا يكون بين أجزاء البيت التثام ، أو تكون
القافية قلقة في مقررّها ، أو معيبة في نفسها ، أو يكون في القسم أو التقابل ، أو في
التفسير فساد ، أو في المعنى تناقض وخروج إلى ما ليس في العادة والطبع ، أو يكون
الوصف غير لائق بالوصوف ، أو يكون في البيت حشو لا طائل فيه ، إلى غير
ذلك مما يحصله لك تأملك بجمال المحاسن وتفصيلها ، وتتبعك ما يضادها^(٣)
ويناقها ، وهذا هين قريب .

وإنما قلت هذا لأن ما يختاره^(٤) الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سُئِلَ عن
سبب اختياره إياه ، وعن الدلالة عليه ، لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا
قضية طبعي ، أو ارجع إلى غيري ممن له الدربة والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل
حُكْمِي . وليس كذلك ما يستردله التقدر أو ينفيه الاختيار ، لأنه لا شيء من
ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه ، وإقامة البرهان على رداءته ، فاعلمه .

(١) النصفة والنصف ، بالتحريك فيما : الإنصاف .

(٢) نُعَدَلُهُ بكسر الدال وفتحها : العدل . وجاءت في الأصل بكسر الدال .

(٣) في الأصل : « ما لا يضادها » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٤) في الأصل : « ما لا يختاره » والوجه حذف « لا » كما في م .

وأما^(١) تَمَنِيكَ معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكُتَابِ البُلغَاءِ ،
والعذر في قِلَّةِ المترسِّلين وكثرة المُفلقين ، والعلَّة في نباهة أولئك وحوْلِ هؤلاء ،
ولماذا كان أكثر المُفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب ، وأكثر المترسِّلين
لا يُفلقون في قرَضِ الشعر ، فإنِّي أقول في كل فصلٍ من ذلك بما يحضُر^(٢) ،
والله وليُّ توفيقِي ، وهو حسبي وعليه توكلِي .

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء ، مُوجِبُهُ تأخُرُ المنظوم عن رتبة
المنثور عند العرب ، لأمرين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون^(٣) بالخطابة والافتنان
فيها ، ويعُدونها أكل أسباب الرياسة ، وأفضل آلات الزعامة . فإذا وقف
أحدهم بين السَّاطئين لحصولِ تَنافُرٍ أو تَضَاعُنٍ أو تَظالمٍ أو تشاجر ، فأحسنَ
الاقتضاب عند البُداهة^(٤) ، وأنجحَ في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذرْوَةِ
منبرٍ فتصرف في ضروب من تحشين القول وتليينه ، داعياً إلى طاعة ، أو مُستصلحاً
لرعيَّة ، أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، كان ذلك أبلغَ عندهم من إنفاق مالٍ
عظيم ، وتجهيز جيشٍ كبير . وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ، ويعُدُّه
ملوكهم ذنابة . وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجر بن عمرو ،
حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت ، وحالا بعد حال ، ما أخرجه
إلى أن أسر بقتله . وقصته مشهورة ، فهذا واحد .

والثاني أنهم اتخذوا الشعر مَكْسَبَةً وتجارة ، وتوصَّلوا به إلى الشوق كما

(١) في الأصل : « وإنما » ، والنصب اب في م .

(٢) م : « ما يحضر » .

(٣) التبجح : الفخر والتباعى .

(٤) اقتضاب الكلام : ارتجاله ، اقتضاب الحديث والشعر : تكلم به من غير تهينة

أو إعداد له .

توصلوا به إلى العلية، وتعرضوا لأعراض الناس، فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللثيم، حتى قيل: « الشعر أدنى سرورة السرى، وأسرى سرورة الدنى ». وهذا الباب أمره ظاهر. وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته، وكان النظم متأخراً عن رتبة الفن، وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ.

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم، أن الإيجاز من الله تعالى جدّه والتحدّي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء^(١) عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يؤلمون به في حينهم، ويغلب على طبائعهم، وبأشرف ذلك الجنس. على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام، لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه. وكذلك كان حال عيسى عليه السلام، لأن زمنه كان زمن الطب، فكانت معجزته وهي إحياء الموتى، من ذلك الجنس وبأشرفه. فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يؤلمون به وبأشرفه، فتحداهم بالقرآن كلاماً منشوراً، لا شعراً منظوماً.

وقد قال الله عز وجل في تنويه النبي عليه السلام^(٢): ﴿ مَا عَلَّمَ النَّبِيَّ الشُّعْرَ وَمَا يَنْتَبِي لَهٗ ﴾^(٣).

(١) في الأصل: « فيكشف ذلك أن معجز الأنبياء »، وأثبتنا ما في م.

(٢) يقال نوه فلاناً ونوه به إذا رفعه وطير به وقواه، ومنه قول أبي نوحيلة:

ونوهت لي ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنه من بعض

م: « في تنويه النبي عليه السلام ».

(٣) هذا وجه جائز في الاستشهاد بالقرآن مع ترك الواو أو الفاء ونحوها. انظر

الحيوان (٣: ٤/١٥، ٥٧، ٢٧٦) ورساله الشافعي الفقرات رقم ٦٤٣، ٩٧٤، ٩٧٥. بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

وقال أيضاً : (والشعراء يتبهمهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون) .

ولما كان الأمر على ما بيننا وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا ، وأعلى سمكًا وبناء من النظم ، وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها^(١) .

* * *

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المُفلقين وعزٌّ من جمع بين النوعين مبرزًا فيهما ، فهو أن مبنَى « الترشل » على أن يكون واضح النهج ، سهل المعنى ، متسع الباع ، واسع النطاق ، تدلُّ لوازمه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه ، إذ كان موردُه على أسماحٍ مفترقة : من خاصيةٍ وعامةٍ ، وأفهامٍ مختلفة : من ذكوةٍ وغيبَةٍ . فحتى كان متمسلاً متساوياً ، ومتسلسلاً متجاوباً ، تساوت الأذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيسمعُ شاردُه إذا استدعى ، ويتعجلُ وإفدُه إذا استدنى ، وإن تطاولَ أنفاسُ فصوله ، وتباعدَ أطرافُ حُرُونِه ومسهوله . ومبنى « الشعر » على العكس من جميع ذلك لأنه مبنَى^(٢) على أوزانٍ مقدرة ، وحدودٍ مقسمة ، وقوافٍ يساق ما قبلها إليها مهياً ، وعلى أن يقوم كلُّ بيت بنفسه غير مفتقرٍ إلى غيره إلا ما يكون مضمناً بأخيه ، وهو عيب فيه . فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثر من مقدار عمرٍ وضه وصره ، وكلاهما قليل ، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكلُّ بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى ، وأن يبلغ الشاعرُ في تاليفه ، والأخذ من حواشيه ، حتى يتسع اللفظ له ، فيؤدبه على غموضه وخفائه — حدًّا يصير

(١) م : « وبمزاوليها » .

(٢) م : « مبنَى » .

المدرِّكُ له والمشرِّفُ عليه ، كالفائزُ بذخيرةِ اغتمَّها ، والظافرُ بدفينةِ استخرجها .
وفي مثل ذلك يحسنُ انحاءاً^(١) الأثر ، وتباطؤُ المطلوبِ على المنتظرِ . فكلُّ
ما يُحمدُ في الترسلِ ويختارُ ، يُذمُّ في الشعرِ ويرُفَضُ .

فلما اختلفَ اللَّبْنِيَانِ كما بيَّنَّا ، وكان المتولَّى لكلِّ واحدٍ منهما يختارُ أبعداً
الغاياتِ لنفسه فيه ، اختلفتَ فيهما الإصابتانُ ، لتبايُنِ طرفيهما ، وتفاوتِ قطريهما ،
وبعد^(٢) على القرائحِ الجعِ بينهما . يكشفُ ذلكُ أن الرَّجَزَ وإنْ خالفَ القصيدَ
مخالفةً قريبةً ترجعُ إلى تقطيعِ شأو اللفظِ فيه ، وتزاحمِ السَّجْعِ عليه ، قلَّ عددُ
الجامعينِ بينهما ، لتناصرِ الطباعِ عن الإحاطةِ بهما . فإذا كان الرَّجَزُ والقصيدُ
مع أنَّهما من وادٍ واحدٍ ، أفضتِ الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلتُ على خلافِ يسيرِ
بينهما — فالنثرُ والنظمُ وهما في طرفينِ ضِدِّينِ ، وعلى حالتينِ متباينتينِ ،
أولى وأخصُّ .

* * *

وأما السببُ في قلةِ الباغاءِ وكثرةِ الشعراءِ ، ونباهةِ أولئكِ وخمولِ هؤلاءِ ،
فهو أنَّ المترسِّلَ محتاجٌ إلى مراعاةِ أمورٍ كثيرةٍ ، إنْ أهملها أو أهمل شيئاً منها
رجعتِ النقيصةُ إليه ، وتوجَّهتِ اللأئمةُ عليه .

منها تبينُ^(٣) مقاديرِ من يكتبُ عنه وإليه ، حتَّى لا يرفعَ وضعياً ، ولا
يضعَ ربيعاً .

ومنها وزنُ الألفاظِ التي يستعملها في تصاريقه ، حتَّى تجيءَ لائفةً بمن يُخاطَبُ
بها ، مُفخِّمةً لحضرةِ سلطانه^(٤) التي يصدرُ عنها .

(١) رسمت في الأصل وم : « انحاء » مع وضع شدة على النون .

(٢) م : « فبعد » .

(٣) في الأصل : « يبين » ، صوابه في م .

(٤) م : « سلطانه » .

ومنها أن يعرف أحوال الزمان ، وعوارض الحدَثان ، فيتصرف معها على مقاديرها في النقص والإبرام ، والبسط والانتقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار ، حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القوائد الطويلة ، ويتفق أيضا ما تغنى فيه الإشارة ، وما يجري مجرى الرُوحى في الدلالة .

ومنها أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سَوَاء السبيل ولا يشتط في الحكومة ، ولا يعدل فيما يخط عن المحجة . فهو إنما يرسل في عهد الولاة والقضاة ، وتأكيده البيعة والأيمان ، وعمارة البلدان ، وإصلاح فساد ، وتمريض على جهاد ، وسد ثغور ورثق فتوق ، واحتجاج على فنة ، أو مجادلة لئلة ، أو دعاء إلى ألفة ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بعمية ، أو تعزية برزية ، أو ماشا كل ذلك من جلائل الخطوب ، وعظام الشئون التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ، ومعرفة مفتنة .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المظلمين بجودة النثر أعز ، وعددُم أنزر . وقد ستمهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم منزلة رياستها ، فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ، ومعاقد رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم .

والشعراء إنما أغراضهم التي يسدون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون إليها ، وصف الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوطان ، والتشبيب بالنساء ، والتلطيف في الاجتداء ، والتفنن في المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والوصاف . فإذا كان كذلك لم يتدانوا في المضار ، ولا تقاربوا في الأقدار . وهذا القول كاف .

وإذ قد أتينا بما أردنا ، ووفينا بما وعدنا ، فإننا نشغل بما هو القصد من شرح الاختيار ، والله الموفق للصواب ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الأخيار .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الإصفهاني رحمه الله .
الحماسة : الشجاعة ، والفعل منه حَمَسَ ، ورجلٌ أحمَسُ . وكانت العرب
تسمي قريشا : مُحمَساً^(١) لتشدُّهم في أحوالهم ديناً ودُنْيَا . وتسمي بني عامر :
الأحماسَ ، وكأنتهم ذهبوا في واحد مُحمَس إلى أنه صِفةٌ ، فجموعه جمع الصفات ،
كما يقال أحمَرٌ وأحمَرٌ ، وأشقرٌ وشُقَرٌ ، وذهبوا في واحد الأحماس إلى أنه اسم ،
فجموعه جمع الأسماء كما يقال أحمدٌ وأحميد ، وأجدلٌ وأجدلٌ . وهم يُخرجون
الأسماء إلى باب الصفات كثيراً ، فيقولون : بنو فلان الذوائب لا الذنائب ،
والمرادهم الأعلى لا الأسافل ، كما يُخرجون الصفات إلى باب الأسماء كثيراً .
وعلى هذا الأسود : الحياتُ ، والأداهمُ : الثُمُود : قال :

* أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ^(٢) *

والأباطح : جمع الأبطح . وكلُّ ذلك صفات أخرجت إلى باب الأسماء .
وقال الثرَيدي^(٣) : حَمَسَ الشَّرُّ : اشتدَّ . والخمَسُ : قريش ، وكنانهُ
وخزاعةٌ ، تحمَّسوا في دينهم . وبنو حماسٍ : قبيلة من العرب ، وكذلك بنو
محميس^(٤) . وقوله :

(١) م : « الحمس » .

(٢) نسبة العيني (٤ : ١٩٠) للعديل بن الفرخ ، قاله حين هجا الحجاج فتوَّعه . وبعده :

* رجل فرجل شئنة المناسم *

(٣) يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن ديد .

(٤) انظر جمهرة ابن دريد (٢ : ١٥٦) .

١

قال بعض شعراء بلعنبر^(١) :

المراد به بنى العنبر، ولهذا وجب ألا يصحب الكسرة التي في الراء التنوين .
 وإنما حذف النون من « بنى » لاجتماعه مع اللام من العنبر، وتقاربهما في
 المخرج . وذلك لأنه لما تعذر الإدغام فيه جعل الحذف بدلاً من الإدغام .
 وإنما تعذر الإدغام لأن الأول متحرك والثاني ساكن سكوتاً لازماً، فلما كان
 من شرط المدغم تحريك الثاني إذا ادغم الأول فيه، وكان لام التعريف ساكناً
 سكوتاً لازماً، جعل الحذف لكونه مؤدياً إلى التخفيف المطلوب من الإدغام
 بدلاً لما تعذر هو . ولا يلزم على هذا أن يحذف النون من بنى النجار لأن
 اللام قد ادغم في النون التي بعده، فلا يمكن تقدير إدغام النون التي قبله فيه،
 حتى إذا تعذر جعل الحذف بدلاً من الإدغام، بدلالة أن ثلاثة أشباه^(٢)
 لا يصح إدغام بعضها في بعض، ومما يشبهه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين
 واستعمال الحذف في أحدهما بدلاً من الإدغام قولهم علماء بنو فلان^(٣)، والمعنى
 على الماء . ومما يشبهه لكنهما التقيا في كلمة واحدة، قولهم ظلت ومستت
 يقال منهما ظلت ومستت، وإن شئت ظلت ومستت . تلتقى حركة المحذوف
 على فاء الفعل . قال الله تعالى : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ . وإنما تعذر الإدغام هاهنا
 لأن لام الفعل في مثل هذا المكان إذا اتصل به ضمير الفاعل يسكن البتة، فلما

(١) في شرح التبريزي : « واسمه قريط بن أنيف » ، وفي التنبيه لابن جني : « وقد
 تروى لأبي الغول الطهري » .

(٢) في النسختين : « أشباه » ، وكذا النص عند التبريزي . والوجه ما أثبتنا .

(٣) شاهدة ما أنشده التبريزي وابن جني في المبهج من قول قطري :

غداة طقت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم

لزمه التسكون لم يصح إدغام العين فيه ، فلذلك حذف .
 والعَنْبَرِيُّ في اللغة : الثَّرْسُ والطَّيْبُ . وَعَنْبَرَةُ الشَّتَاءُ : شِدَّتُهُ . وعَنْبَرَةُ القَوْمِ :
 خلوص أنسابهم . ويقال : رأيتُه بهذا البلدِ عَنبَرِيًّا . يُضْرَبُ به مثلاً في الهداية .
 وبنو العنبر أهدي قوم . ويمكن تقدير النون زائدة فيه ، فيكون فنملاً من عَبْرَتْ ،
 كأنه بحسن تَأْتِيهِ للاهتداء يَفْبُرُ الطَّرُقَ . ومنه قيل في البعير : [هو ^(١)]
 عُبْرُ أسفار .

١- لو كُنتُ من مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِيَّايَ بَنُو اللَّقِيظَةِ مِنْ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ ^(٢)

مَازِنُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ ، هُمُ بَنُو أَخِي العَنْبَرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ ، وإذا
 كان كذلك فمدح هذا الشاعر لم يجرى تجرأ الافتخار بهم ، وفي بني مازن
 عصبية شديدة قد عرفوا بها وحمدوا من أجلها ، ولذلك قال بعض الشعراء ^(٣)
 موبخاً لغيرهم :

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى عَصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَايِي فِي الوَفَاءِ سَوَاءِ
 كَأَنَّ دَنَايِرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الوجوه لقاء

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بعث قومه على الانتقام له من
 أعدائه ومهتضميه ، وتهيبجهم وهزيم ، لاذمهم . وكيف يذمهم ووبال الذم راجع
 إليه ؟ ! لكنته في هذا المعنى سالك لطريقة كِبْشَةَ أخت عمرو بن معد يكرب
 في قولها :

(١) التكلة من م .

(٢) في شرح التبريزي : « وزعم أبو محمد الأعرابي أن الرواية :

. . . لم تستبح إيلي . بنه الشقيقة من ذهل بن شيبانا

قال : « الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان » ثم ذكر أن اللقيظة
 هي نضيرة بنت عصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة .

(٣) هو محرز بن مكعب النضبي ، كما في اللسان (قسم) ، وسترده هذه المقطوعة

في الحامسة برقم ٦١١ .

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقُلُوا لَهْمُ دَيْيِ
الْأَتْرَى أَهَهَا قَالَتْ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ :

وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِ غَيْرُ شَيْءٍ لَطْمٍ
فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهَا كَانَتْ تَهْجُو أَخَاهَا عَمْرًا أَوْ تَنْسُبُهُ إِلَى الْعَجْزِ وَالْتِقَاصِ
فِي طَلَبِ ثَارِ أَخِيهِ ، وَعَمْرُوهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُعَدُّ بِالْفِ فَارِسٍ ، وَلَكِنْ مَرَادُهَا
بَعْنُهُ وَتَهْيِيجُهُ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ وَالغلام لصاحبه وقد لحقتهما هَضِيمَةٌ
مِنْ أَجْنَبِيٍّ : لَوْ كُنَّا فِي خِدْمَةِ فُلَانٍ عَمَّكَ أَوْ أَخِيكَ لَمَا جَسَرَ هَذَا أَنْ يَنَالَنَا بِمَكْرُوهِهِ
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمَا هَجَّوَا سَيِّدِيهِمَا أَوْ فَضَّلَا غَيْرَهُمَا عَلَيْهِمَا ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ
تَحْرِيكُهُمَا لَهَا ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمِنْ الظَّاهِرِ بَطْلَانُ قَوْلٍ مِنْ يَذْهَبُ إِلَى
أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ هَجَا قَوْمَهُ وَمَدَحَ بَنِي مَازِنٍ يُوَكِّدُ مَا قَالْتَهُ قَوْلُهُ :

يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمَنْ إِسَاءَ أَهْلَ الشُّوءِ إِحْسَانًا
لأنه لا يقال لمن يُسِيكُ عَجْرًا عَنِ الْإِتِّصَارِ إِنَّهُ غَفَرَ ، وَلَا لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى
جِزَاءِ الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ اخْتَارَ الْإِحْسَانَ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ :

* لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا *

وَقَالَ أَيْضًا :

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَبُّوا الْإِغَارَةَ فَرَسَانًا وَرُكْبَانًا
قُلْتُ : لَيْسَ يَزِيدُ شَيْءٌ مِمَّا قَالَهُ عَلَى قَوْلِ كَبْشَةَ :

* وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ *

وَإِذَا كَانَتْ آيَاتُهَا بِاتِّفَاقٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعَانِي لَا تَكُونُ هَجْوًا ، فَكَذَلِكَ
آيَاتُ هَذَا الْعَنْبَرِيِّ . وَمَا يَشْهَدُ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكْنَاهَا وَيُؤَيِّدُهَا ، أَنَّ فِي جُمْلَةِ
آيَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا قَوْمَهُ :

يُحْبُونَ نِيرَانَهُمْ حَتَّى إِذَا خَدَّتْ شَبُّوا لِوَقْدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا^(١)

(١) هَذَا الْبَيْتُ مِمَّا لَمْ يَخْتَرَهُ أَبُو تَمَّامٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال :
 أفرئ من الشرِّ في رِخْوِهِ (١) فكيف الفرارُ إذا ما اقترب
 بل الذى ذكره العنبرى أزيد ، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن ،
 فإذا احتاجوا زادوا على كل هائج . ألا ترى أنه قال :

* شَبُّوا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نيرانا *

ومعنى البيت لو كنت مازنيا لم تُغرِّ بنو اللَّقِيْطَةِ على إبلى .
 وَلَقِيْطَةُ الْحَقِّ بها الهاء وإن كان فعِيلاً فى معنى مَفْعُولَةٍ ، لأنه أفرِدَ عن
 الموصوف به وجبل اسما . وهذا كما يقال الذَّشِيْطَةُ (٢) والذَّيْبِحَةُ ، والذَّيْبِيَّةُ
 فى الكعبة .

فأما الاستباحة ، فقد قيل هى فى معنى الإباحة ، وقد قيل : إن الإباحة هى
 التَّخْلِيَةُ بين الشئ وبين طَالِيهِ ، والاستباحة اتِّخَاذُ الشئ مباحاً للنفس . وكان
 الأصل فى الإباحة إظهار الشئ للمناظر ليقنأوله من شاء ومنه بآح بسرِّه بؤحاً
 وبؤوحاً . والملازِمُ فى اللغة : بيض النمل ، ويقال : هو يَتَمَزَّنُ على أصحابه ،
 كأنه يَتَفَضَّلُ عليهم . وذُهِلَ من ذَهَلَتْ عن الشئ .

٢- إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِيٍّ مَعْشَرٌ خُسْنٌ عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَأَنَا (٣)

(١) الرخو : ما فيه رخاوة وسهولة . وفى م : « رخوة » .
 (٢) الذشيطة من الإبل : التى تؤخذ فتستاق من غير أن يعمد لها . والأوفق كما ورد
 فى م « النسيكة » ، وهى الذبيحة التى تدبج بمكة .
 (٣) نص التبريزى على أن الرواية ضم اللام فى « لوثة » . قال : « ومن روى اللوثة
 بالفتح قال : إذا لان ذو اللثة ، وكان أبلغ فى المعنى » . يذهب التبريزى إلى أن هناك فرقا
 بين الضم والفتح ، وهو قول لبعض اللغويين ، وزعم أن معناها بالضم الضعف ، وبالفتح القوة
 والشدة . والأصح أنهما لفتان بمعنى واحد ، وهو الحق والاسترخاء والضعف ، وسيأتى للمرزوق
 كلام فى هذا .

اللام في «لقام» جواب يمين مضمرة، والتقدير إذا والله لقام [بنصرى^(١)].
 فإن قيل: فأين جواب لو كنت؟ قلت: هو لم تستبح إلهي. وفائدة «إذا»
 هو أن هذا أخرج البيت الثاني مُخْرَجَ جواب قائل قال له: ولو استباحوا ماذا
 كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذا لقام بنصرى مَعَشْرَ خُشْن. قال سيويه:
 «إذا جوابٌ وجزاء»، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السؤال وجزاء
 على فعل المستببح. ويجوز أن يكون أيضاً إذا لقام جواب «لو»، كأنه أجيب
 بجوابين. وهذا كما تقول: لو كنت حرّاً لاستبجحت ما يفعله العبيد، إذا
 لاستحسنت ما يفعله الأحرار^(٢). وقوله «إن ذو لوثة» يرتفع ذو عند خذاتي
 النحويين بفعل مُضَمَّرٍ، الفعل الذي بعده تفسيره، وهو لأن. والتقدير إن لأن
 ذو لوثة لانا. وإنما قالوا هذا لأن «إن» لما كان شرطاً كان بالفعل أولى،
 وعمله الجزم فيجب أن لا يفارق معموله في اللفظ والتقدير. وليس هذا موضع
 الكلام على من يجعل «ذو» بعد إن وما أشبهه مبتدأ. ومعنى البيت إذا والله
 لقام بنصرى، أي لتكفل به قوم أشدّاه عند الغضب، إذا الضعيف لأن.
 ويقال: قام بالأمر، أي تكفل به. وهو القائم والقيم. وقام بالتسيطر والمدل
 في الرعية، وقام عليه إذا ساسه ووليه، ومنه القيوم والقيام^(٣) في صفات الله
 تعالى، وقوله: «إلا ما دمت عليه قائماً» أي قاهراً. وأقت الرّمح فقام، بمعنى
 قوّته فتقوم. وقوله «إن ذو لوثة» تعريض منه بقومه ليغضبوا ويهتاجوا
 لنُصْرَتِهِ. وهو في البعث والتهيج أحسن من التصريح، كما أنه في الذمّ والهجو

(١) هذه من ل.

(٢) ما بعد هذه الكلمة إلى كلمة «والتقدير» تجده بلفظه عند التبريزي بدون تنبيه على مأخذه.

(٣) أصله «قيام» على فيعال كما ورد في اللسان: ومثله «صياخ» من الصوخ. وقد قرأ بها عمر بن الخطاب في صورة آل عمران: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم». انظر كتاب المصاحف للسجستاني ٥٢ بتحقيق المستشرق آرثر جفري.

كذلك . وهذا بعضُ الناس رواه « إن ذُو لَوْثَةٍ » وزعم أن ذُو لَوْثَةٍ ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مهينٌ ، والواجب أن يقول إن القوي لأن ، واللَوْثَةُ هي القوة . والرواية الصحيحة هي ضم اللام من اللَوْثَةُ^(١) . والفائدة ما ذكرت من التعريض بقومه . ولأنَّ يكون طرفاً البيت متناولين لمعنيين متقابلين ، أحسن من أن يكونا مفيدين لمعنى واحد . و « المَعْشَرُ » : اسم للجماعة ، لا واحده من لفظه . وقال الخليل : هو اسم لجماعة أمرهم واحد . ويقال جاءوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ ، أى عَشْرَةَ عَشْرَةَ . و « حُشْنٌ » : جمع حَشِنٍ وَأَخْشَنَ . و « الحَفِظَةُ » : الخصلة يُحْفَظُ لها ، أى يُفَضَّبُ . وقيل هي الحَمِيَّة ، وفي المثل : « الحفائظُ تحمِلُ الأحقادَ » وقيل أيضاً « أهل الحفائظُ أهل الحفاظ » . وذلك أن ذا الأنفِ يحترسُ من العارِ ، فلا يزال يتحفظ ويحافظ حتى يسلمَ منه . وكان الأصل في الكلِّ الحِفْظُ الذى هو نقيض النسيان . وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعةُ به ، وجاد البيتُ له ، كأنه^(٢) قال مَعْشَرٌ خَشِنُونَ عند الحفيظة إن كان ذُوو اللَوْثَةِ لِيَنِينَ عندها .

٣- قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أْبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا

أراد أن يصف بنى مازن بما يهتاج له قومه فينصرونه ، فقال : هم قوم إذا ظهر لهم الشرُّ واشتدَّ سارعوا إليه غير متوقعين^(٣) لتَجَمُّع ، ولا مَعْرَجِينَ على تَأْتِب ، لكتهم يتبادرون أفراداً وثباتٍ ، وأشتاتاً وجماعاتٍ . وإبداء التاجدِ - وهو ضرس الحِلْمِ - مَثَلٌ لاشتداد الشرِّ . ومثله قول الآخر :

فَمَنْ يَكُ مِعْزَالِ الْيَدِينِ ، مَكَانُهُ إِذَا كَشَرَتْ عَنْ نَاحِيَا الْحَرْبِ خَامِلُ

(١) انظر ما سبق من التعليق عند إنشاد البيت .

(٢) فى الأصل : « أنه » ، وأثبتنا ما فى م .

(٣) كلاً فى الأصل . وفى م : « متوقفين » .

فأما قول عنترة :

* إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنِّ وَضَحَ النِّمِّ ^(١) *

وقول الأعشى :

* سَعَةُ الشُّدُقِ عَنِ النَّابِ كَلْحِ ^(٢) *

وقول الآخر :

* وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَمَا *

فإنما هو صفة للمصطفى بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه . ومثله لبعض
البلغاء : « صارَ الأكسُّ كالأروق ، والمُحتال كالأحمق ؟ وذو البصيرة
كالأخرق ^(٣) » . ويقال : عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ ^(٤) ، إِذَا صَبَرَ عَلَى الْأَمْرِ . وَنَجَذَتْهُ
الْأُمُورُ : أَحْكَمْتَهُ . قال الشاعر ^(٥) :

* وَنَجَذَنِي مُدَاوِرَةُ الشُّوونِ *

ويقول الرجل إذا أراد أن يتشدد على صاحبه : لِأَرَبَيْتَكَ نَاجِذِي ! والمعنى
أنه يكسره له ويكسح في وجهه حتى يبدو نأجذه . ويقولون : « خَلَّتُهُ لِعُبُوسِهِ
يَيْتَسِم ^(٦) ، وَإِلْقَادِمِهِ يَهْجِم ^(٧) » . وقال بعضهم : النَوَاجِذُ : الصَّوَاخِكُ ، واحتج
بمحدث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » . قال :

(١) صدره : * ولقد حفظت وصاة عمي في الضحى *

(٢) صدره في الديوان ١٦١ : * وله المقدم في الحرب إذا *

(٣) الأكس : التصير الأسنان الصغیرها . والأروق : الطویل الأسنان .

(٤) م : « نأجذیه » .

(٥) هو سحيم بن وثيل الرياحي ، كما في اللسان (نجد) والأصمعيات . وصدر البيت :

* أخو خمسين مجتمع أسدى *

(٦) في النسختين : « ييتسم » ، والتصحيح بعده يقتضى ما أثبتنا ليصالح السجع .

(٧) كذا على الصواب في م . يقال انهجم الحياء : سقط . وفي الأصل : « يهجم » ،

ولا أصل له في اللغة . وعلى هذا فالوجه أن يكون الفعل قبله : « ييبسم » لكنه ورد كذا
في النسختين .

وأقصى الأسنان لا يديها الضحك . والصحيح الأول ، فأما الخبر فمحمول
على المبالغة وإن لم تبد النواجد .

وجواب « إذا » طاروا . و « وخذانا » هو جمع واحد ، وواحد صفة ،
كصاحب ومحبان ، وراع ورعيان . ويقال طرت إلى كذا ، إذا أسرعت
إليه ، و طرت بكذا ، أى سبقت به . والزرافات : الجماعات ، واشتقاقه من
من الزرف ، وهو الزيادة على الشيء . ويقال زرفت القوم قدأى ، أى
قدمتهم فرقا . وحكى في الزرافة تشديد الفاء ، يقال جاء القوم بزرافتهم ،
أى بجماعتهم ؛ وهو غريب . والمعنى أنهم لحرصهم على القتال وجراتهم ،
لا ينتظر بعضهم بعضا ، لكن كلاً منهم يعتقد أن الإجابة تعينت عليه إذا
تشدد الشر لهم . وفي طريقته قول بعض الشعراء (١) :

قومٌ إذا هتف الصريحُ رأيهم من بين منجمٍ مهره أو سافع (٢)

سافع : آخذ بناصره فرسه . ومنه قول الله تعالى : ﴿ لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ .
وقول الآخر (٣) :

و كنت إذا جرى دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مئزرى

ع - لا يسألون أحام حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

الأصل في الثدبة - وإن اشتهرت ببيكاء الأموات وقواهم عنده :
وأفلاناه : - الدعاء ، وتوسعوا فيه فقالوا : ندب فلان لكذا وكذا ، إذا
نصب له ورشح للقيام به . ويقولون : تكلم فلان فاندب له فلان ، إذا عارضه .
والشاعر يقول : هؤلاء القوم ، يعنى بنى مازن ، لحسن محافظتهم وقوة تناهيمهم

(١) هو عمرو بن معديكرب ، كما في تفسير أبي حيان (٨ : ٤٩١) .

(٢) رواية أبي حيان : « إذا كثر الصياح » .

(٣) « أبو جندب الهذلي ، كما في اللسان (نصف) وديوان الهذليين (٣ : ٩٢) .

فِي نُصْرَةِ الْمُنتَسِبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُعَلَّقِ^(١) حَبْلَهُ بِحَبْلِهِمْ ، لَا يَسْأَلُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ
إِذَا دَعَاهُمْ حُجَّةً عَلَى دَعْوَاهُ ، وَلَا يَرَاغِبُونَ فِي كَيْفِيَّةِ مَا أَلْجَاهُ إِلَيْهِمْ ، لَكِنَّمْهُمْ
يُعَجِّلُونَ الْإِغَاثَةَ لَهُ . وَهَذَا تَعْرِيفٌ مِنْهُ بِمَا لِحَقَّهُ مِنْ قَوْمِهِ أَوْ رَأَاهُ مِنْ عَادَتِهِمْ عِنْدَ
الاسْتِفَاةِ بِهِمْ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؛ وَالْمَعْنَى يَا وَاحِدًا مِنْهُمْ . وَمِثْلُهُ :
إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاؤِهِمْ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بَأْيِّ مَكَانٍ^(٢)
وَقَدْ وَصَفَ بَنِي مَازِنٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِمِثْلِ مَا وَصَفَهُمْ هَذَا الشَّاعِرُ ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

نَفْسِي فِدَا لِي بِنِي مَازِنٍ مِنْ شُمْسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالٍ
وَقَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى عَصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كَفَلَانِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاهٍ
هـ- لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنْ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

رَجَعَ إِلَى صِفَةِ قَوْمِهِ بِمَا يَأْتُونَ مِنْهُ عِنْدَهُ ؛ وَتَدْخُلُهُمُ الْحَمِيَّةُ لَدَى الْإِضْفَاءِ
إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ قَصْدُهُ ذَمُّهُمْ فَقَالَ : لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ كَثْرَةٌ عَدَدٍ وَعُدَّةٌ
لَيْسُوا مِنْ دَفْعِ الشَّرِّ وَإِنْكَارِهِ ، وَقَصْدُهُ وَارْتِكَابُهُ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ
خِيفَةٌ وَقَلَّةٌ . وَقَدْ قَابَلَ الشَّرْطَ بِالشَّرْطِ فِي الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ ، وَطَابَقَ الْعَدَدَ
وَالكثْرَةَ بِالهُوْنِ وَالخِيفَةَ فِي هَذَا الْكَلَامِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ
السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْجُنَاةِ مَا أَمَكَّنَ ، وَلَوْ أَرَادُوا الْإِنْتِقَامَ لَقَدَرُوا بِعَدَدِهِمْ
وَعُدَّتِهِمْ وَلَكِنَّ المَرَاقِبَةَ وَالتَّقْوَى تَدْعُوهُمْ إِلَى إِبْتَارِ الْحُسْنَى .

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ . وَفِي م : « المعلق » بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ ،
وَكَلاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ . اللسان (علق) .

(٢) لَوْدَاكُ بْنُ ثَمِيلِ الْمَازِنِيِّ ، سِيَأْتِي فِي الْمَقْطُوعَةِ ١٨ .

(٣) هُوَ مَحْرُزُ بْنُ مَكْبَرٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ص ٢٣ .

٦- يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
 روى بعضهم « من ظلم أهل الظلم » والظلم بالفتح المصدر وبالضم الاسم .
 وهذه الرواية عندي أحسن . وقد بينت ما في المغفرة والإحسان من الدلالة
 على أنهم كانوا يقدرون على إثارة ضدهما . والظلم : انتقاص الحظ والنصيب .
 وقيل هو وضع الشيء في غير موضعه ، ونقيضه العدل . وينتصب إحساناً
 بيجزون مضمراً ، كأنه قال : ويجزون من الأساءة إحساناً . وجاز حذفه
 لأن الفعل قبله يدل عليه .

٧- كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا^(١)
 الحشية والحشى والخشاة : مصدر حشى . ويقولون : هذا المكان أحشى
 من ذلك ، وهو نادر لأن المكان يُحشى فهو مفعول . ورجل حشيان وامرأة
 حشيانة . وقوله « سواهم من جميع الناس » هو استثناء مقدم ، ولو وقع
 موقعه لكان الكلام لم يخلق لحشيته إنساناً سواهم ، فكان يجوز في سواهم
 البديل والاستثناء والصفة ، فلما قدم بطل أن يكون بدلاً وصفة لأنهما
 لا يتقدمان على الموصوف والمبدل منه ، فبقي أن يكون استثناء . وقد نبه بهذا
 الكلام أن احتمالهم لاحتمال الأجر على زعمهم ، وإبقاءهم في الانتقام لحشية
 فوات الذخر في دعواهم ، فكان الله لم يخلق لخوفه غيرهم .

(١) بعده بيت ثامن لم يروه المرزوقي ، ورواه التبريزي ، وهو :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركبانا

قال التبريزي في تفسيره : « ويروى : شنو الإغارة ، أي فرقوها . يقال شن عليهم الغارة
 بالثنين معجمة . ومن عليه درعه بالسين ، إذا صهبا عليه . ومن روى : شدوا الإغارة ،
 فليس الإغارة مفعولاً به ولا انتصاها على ذلك . لكن انتصاها انتصاب المفعول له ، أي شدوا
 للإغارة كقولك حلوا للإغارة فرساناً وركبانا ، أي في هذه الحالة . وهو كقول الآخر :

• شدنا شدة فقتلت منهم •

أي حلنا حلة . وشدت هذه غير متعدية ، وإذا أريد تعديتها وصلت بعل . قال :

أشد على الكتيبة لا أبالي . أحتق كان فيها أم سواها .

٢

وقال شهلُ بن شيبانَ الزَّمَانِيُّ^(١) :

ويُلقَّبُ بِالْفَنْدِ . والفِنْدُ في اللغة : القطعة العظيمة من الجبل ، وجمعه أَفْنَادٌ .
قال الدَّرِيدِيُّ : لُقِّبَ به لعظم شخصه . قال : وهو أحد الفرسان . وقال غيره :
لُقِّبَ به لأنه قال لأصحابه في يومِ حَرَبٍ : « اسْتَنْدُوا إِلَيَّ فَإِنِّي لَكُمْ فِنْدٌ » .
١ - صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمَ إِخْوَانَ^(٢)

صَفَحْتُ عَنْهُ : عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِهِ . ويقال أَعْرَضْتُ عَنْ الْأَمْرِ صَفْحًا ،
إِذَا تَرَكْتَهُ . وقد يقال : أَصَفَحْتُ عَنْهُ ، كما يقال أَضْرَبْتُ [عَنْهُ]^(٣) . ويقال :
أَبْدَى لِي صَفْحَتَهُ ، إِذَا مَكَّنْتَكَ مِنْ نَفْسِهِ . يقول عَفَوْنَا عَنْ جَرْمِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ،
وَرَاعَيْنَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَوَاشِحَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مَا حَمَلْنَا عَلَى الْإِغْضَاءِ عَلَى قَبِيحٍ
يَتَّفِقُ مِنْهُمْ ، وَالتَّجَاوَزِ عَنْ هَفْوَةٍ تَحْضُلُ مِنْ جِهَتِهِمْ ، وَقُلْنَا : إِنَّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
مِنَ الْإِخْوَةِ يَقْتَضِي الْإِبْقَاءَ عَلَى الْحَالِ مَعَهُمْ ، وَانْتِظَارًا لِنَيْئَةٍ^(٤) تَكُونُ مِنْهُمْ .
وَحَقِيقَةُ صَفْحِنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ : أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ : وَلَيْسْنَا بِصَفْحَةٍ أَعْنَقْنَا
وَوُجُوهِنَا ، وَهِيَ جَانِبُهَا ، فَلَمْ نَتَوَاضَعْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ . وقال في هذا المعنى
ضَرَبْنَا عَنْهُمْ صَفْحًا ، وَفِي الْقُرْآنِ : (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) .

٢ - عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

إِنَّمَا نَكَّرَ قَوْمًا لِأَنَّ فَائِدَتَهُ مِثْلُ فَائِدَةِ الْمَعَارِفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَضْلَ بَيْنَ

(١) هو شاعر جاهل قديم ، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب
وقد قارب المائة . الخزانة (٢ : ٥٨ - ٥٩) والأغاني (٢٠ : ١٤٣ - ١٤٤) والكلد ٥٧٩ .

(٢) التبريزي : « ويروى : * صفحنا عن بني هند * وهي هند بنت مر بن أد أخت
تميم ، وهي أم بكر وتغلب ابني وائل . فيقول : « صفحنا عن بني تغلب لأنهم إخوتنا عطفتنا
عليهم الرحم » .

(٣) هذه من م . (٤) النفيثة : الرجعة .

أَنَّ تَقُولَ عَقَوْتُ عَنْ زَيْدٍ فَلَعَلَّ الْأَيَّامَ تَرُدُّ رَجُلًا مِثْلَ الَّذِي كَانَ ، وَبَيْنَ أَنْ
 تَقُولَ فَلَعَلَّ الْأَيَّامَ تَرُدُّ الرَّجُلَ مِثْلَ الَّذِي كَانَ ؛ لِأَنَّكَ تَرِيدُ فِي الْمَوْضِعِينَ بِهِ رَجُلًا
 أَوْ الرَّجُلَ . وَالْمَعْنَى فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ رَجَاءً أَنْ تَرُدَّهُمُ الْأَيَّامُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ
 مِنْ قَبْلُ . وَعَسَى مِنْ أَعْمَالِ الْمَقَارَبَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَنَّ فِي مَوْضِعِ خَيْرِ عَسَى ، وَلَوْ قَالَ
 عَسَى أَنْ يَرْجِعَ الْأَيَّامُ قَوْمًا لَكَانَ أَنْ يَرْجِعَ فِي مَوْضِعِ فَاعِلِ عَسَى وَكَانَ
 يَكْتَنِي [بِهِ ^(١)] ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَسَى لِمَقَارَبَةِ الْفِعْلِ ، وَالْفِعْلُ لَا يُبَدَّلُ مِنَ الْفَاعِلِ ،
 فَإِذَا تَقَدَّمَ الْفِعْلُ مَعَ أَنْ وَتَبِعَهُ الْفَاعِلُ فَقَدْ حَصَلَ مَا يَطْلُبُهُ ، فَإِذَا وَلِيَهُ الْاسْمُ بَقِيَ
 يَنْتَظِرُ الْفِعْلَ وَإِنْ ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْاسْمُ بِهِ ، فَيَجْرِي الْفِعْلُ مَعَ أَنْ بَعْدَهُ مَجْرَى خَيْرِ كَانَ
 بَعْدَ اسْمِ كَانَ . وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ : يَرُدُّنَّ ، وَهُوَ بَابُ فَعَلَ وَفَعَلْتُهُ . يُقَالُ رَجَعَ
 فُلَانٌ رَجوعًا وَرَجَعًا وَرُجْعًا وَرُجْعَانًا ، وَرَجَعْتُهُ رَجْعًا . وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ قَوْمًا
 يَرُدُّنَّ بِأَسْرِهِمْ أَمْرَ قَوْمٍ ، وَبِاتِّفَاقِهِمْ ائْتِلافِ قَوْمٍ . فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ
 إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَخَيْرِ كَانَ مَحذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ كَالَّذِي كَانُوا ، أَيْ كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلُ مِنْ
 ائْتِلافِ وَالتَّوَادُّ وَالتَّفَاقُ . وَالضَّمِيرُ الَّذِي أَظْهَرْنَا فِي « كَانُوا » هُوَ الَّذِي تَصَحُّ
 الصَّلَةُ بِهِ ، لِأَنَّ الْمَوْصُولَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي صَلْتِهِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ اسْمًا ،
 وَالَّذِي لَيْسَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ كَانُوا شَيْءٌ إِلَّا مَا أَبْرَزْنَا مِنْ الضَّمِيرِ . وَمَنْ جَوَّزَ حَذْفَ
 الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ مِنَ الصِّفَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
 نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ وَيَقْدَرُ فِيهِ أَنَّ الْكَلَامَ لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، لَا يَسُوعُ لَهُ
 أَنْ يَقْدَرَ فِي الصَّلَةِ أَيْضًا كَذَلِكَ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 « التَّقْدِيرُ يَرْجِعَنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ، لِأَنَّ مِثْلَ عَلَيْهِ لَا يَجُوزُ حَذْفُهُ مِنَ الصَّلَةِ ،
 لِأَنَّ قَوْلَ الَّذِي مَرَّرْتُ جَالِسٌ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ مَرَّرْتُ بِهِ ، وَالَّذِي دَخَلَتْ مُنْطَلِقٌ ، وَأَنْتَ

(١) حذوه من م .

تريد الذي دخلت عليه . وبمثل هذا توصل من زعم في الآية أن التقدير : واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً ، لأنه قال : الصفة كالصلة ، فكما لا يجوز حذف فيه وأشباهه من الصلة ، كذلك لا يجوز حذفها من الصفة ، فاعلمه . ويجوز أن يكون قوله كالذي كانوا ، أراد « كالذين » كانوا ، وحذف النون تخفيفاً ، كما قال (١) :

إِنَّ الَّذِي حانت بفلج دماؤهم مُمُّ القَوْمُ كلُّ القومِ - يَأْمُ خَالِدٍ (١)
فيكون المعنى يرجع بهم قوماً كالذين كانوا من قبل . وفي هذا الوجه يجوز أن يجعل « الذي » للجنس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ثم قال ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) ، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أنه أمّل في الوجه الأول أنهم إذا عَفَوْا عنهم أدبَهم الأيام وردت أحوالهم في التَّوَادُّ والتَّحَابُّ كأحوالهم فيما مضى ، وأزالت من فساد ذات البين ما اعترض بسوء عشرتهم . وفي الوجه الثاني أمّل أن ترجع الأيام أنفسهم إذا صفحوا عنهم كما عهدت : سلامة صدور ، وكرم اعتقاد وعهود .

٣ - فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ

فائدة أمسى وأصبح وظلّ وبات في مثل هذا المكان على حدّ الفائدة في « صار » لو وقع موقعها ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ، والبشارة بالأنثى تقع ليلاً ونهاراً . وكذلك تقول : أصبحوا خاسرين وأمسوا نادمين ، وإن كانوا في كل أوقاتهم على ذلك . « ولَمَّا » علم للظرف ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره ، ولهذا لا بد له من جواب . ويقال صرّح الشيء إذا كشف عنه وأظهره ، وصرّح هو إذا انكشف (٣) . ومثله بين .

(١) البيت المشبه بن ربيعة ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والخزانة (٢ : ٥٠٨) .

(٢) هم المتقون ، من م .

(٣) م : « بمعنى انكشف » .

الشيء ويَبِّن هو ، أى تَبَيَّن ، وفي المثل « قَد بَيَّنَّ الصُّبْحُ لَذَى عَيْنَيْنِ » . وَقَعَلَ بمعنى تفعل واسِعٌ ، يقال وَجَّهَ بمعنى تَوَجَّهَ ، وَقَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ ، وَنَبَّهَ بمعنى تنبه ، وَنَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ . فيقول : لَمَّا ظَهَرَ الشَّرُّ كُلَّ الظُّهُورِ وَصَارَ بِحَيْثُ لَا يَسْتُرُهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِوَى الصَّبْرِ عَلَى الظُّلْمِ الصَّرِيحِ . والمعنى أنهم لَمَّا تَجَاوَزُوا الْأَحْوَالَ لِلتَّشَابِكَةِ ، وَالْأَخْذَ بِالْإِنْصَافِ وَالْمَعْدِلَةِ ، إِلَى اسْتِعْمَالِ الظُّلْمِ وَرَفْعِ الْحِشْمَةِ ، حِينَئِذٍ جَازَيْنَاهُمْ بِمِثْلِ مَا ابْتَدَعُونَا . وَذَكَرَ الْعُرَيَّانِ مَثَلٌ لظُّهُورِ الشَّرِّ . وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْتِ الَّذِي يَتْلُوهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

٤ - وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا

الْعُدْوَانُ وَالْعَدَاءُ وَالْعُدُوٌّ^(١) : الظُّلْمُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا ، وَالْأَوَّلُ لَيْسَ بِجَزَاءٍ ، فَهَذَا لِمِيلِهِمْ إِلَى الْمِطَابَقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ ، وَإِخْرَاجِ اللَّفْظِ فِي مِعْرَاضِ صَاحِبِهِ^(٢) لِيُعْلَمَ أَنَّهُ جَزَاؤُهُ عَلَى حَدِّهِ وَقَدْرِهِ ، أَوْ ابْتِدَاؤُهُ . وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ وَ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(٣) وَمَا أَشْبَهَهُ . وَجَوَابٌ لَمَّا صَرَّحَ « دِنَانُهُمْ » . وَقَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ التَّالِيِ^(٤) هُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَهُ قَوْلُهُ دِنَانُهُمْ ، لِأَنَّهُ فَسَّرَ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْجَزَاءُ . وَالذِّينَ لَفْظَةٌ مُشْتَرَكَةٌ فِي عِدَّةٍ مَعَانَ : الْجَزَاءُ ، وَالْعَادَةُ ، وَالطَّاعَةَ ، وَالْحِسَابَ . وَهُوَ هَاهُنَا الْجَزَاءُ . وَيَقُولُونَ : « كَمَا تَدِينُ تُدَانُ » أَيْ كَمَا تَصْنَعُ يُصْنَعُ بِكَ .

٥ - مَشَيْنَا مِشِيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَالْأَيْثُ غَضْبَانٌ^(٥)

كَرَّرَ اللَّيْثَ وَلَمْ يَأْتِ بِضَمِيرِهِ تَفْخِيماً وَتَهْوِيلاً ، وَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي أَسْمَاءِ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَمِثْلُهُ الْعَدَدُ بِالْفَتْحِ أَيْضاً .

(٢) يَعْنِي مَا يَسْمِيهِ الْبَلَاغِيُونَ الْمِشَاكَلَةَ .

(٣) قَبْلَهَا : (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) .

(٤) م : « التَّالِيِ » .

(٥) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَيُرْوَى : شَدَدْنَا شِدَّةَ اللَّيْثِ » .

الأجناس والأعلام . قال عدى :

لا أرى الموت يسبق الموت شيءً نَعَصَ الموتُ ذا الغنى والفقيراً^(١)

فيقول : سَمِينَا إِلَيْهِمْ مَشِيَّةُ الْأَسَدِ ابْتَكَرَ وَهُوَ جَائِعٌ ، وَكُنِّيَ عَنِ الْجُوعِ بِالنَّضْبِ لِأَنَّهُ يَصْجِبُهُ . وَهَذَا التَّشْبِيهُ أَخْرَجَ مَا لَا قُوَّةَ لَهُ فِي التَّصَوُّرِ إِلَى مَا لَهُ قُوَّةٌ فِيهِ ، وَمَنْ رَوَى « عَدَا » عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدْوَانِ فَلَيْسَتْ رِوَايَتُهُ بِحَسَنَةٍ ، لِأَنَّ اللَّيْثَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ ظَالِمٌ عَادٍ . وَالْمَشِيَّةُ : اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْمَاشِي فِي مَشِيَّتِهِ ، وَالْمَشِيَّةُ اللَّوْرَةُ الْوَاحِدَةُ ، وَالْفِعْلُ يَتَعَدَّى إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَاللَّيْثُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ . وَيُقَالُ : اسْتَلَيْتَ الرَّجُلَ ، إِذْ اشْتَدَّ وَقَوَى .

٦ - بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِيَةٌ نٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانٌ^(٢)

تَعَلَّقَ الْبَاءُ مِنْهُ بِمَشِينَا ، أَيْ مَشِينَا بِضَرْبٍ فِي ذَلِكَ الضَّرْبِ تَضْعِيفٌ لِلْمَضْرُوبِ بِهِ ، وَتَدْلِيلٌ وَابْنٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِيهِ تَوْهِينٌ وَصَوْتٌ فِي الْقَطْعِ وَكَسْرُ الْعِظَامِ وَإِطَاقَةٌ وَقُوَّةٌ . وَيَكُونُ حِينَئِذٍ « تَخْضِيعٌ » مِنَ الْخَضْعَةِ وَالْخَضِيعَةِ وَهِيَ اخْتِلَاطُ الصَّوْتِ فِي الْحَرْبِ . وَمِنْهُ خَضِيعَةُ بَطْنِ الْفَرَسِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ « لِلسَّيَاطِ خَضْعَةٌ » لَا أُدْرِي أَمِنْ الصَّوْتِ هُوَ أَوْ مِنَ الْقَطْعِ^(٣) . وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ :

* وَالضَّارِبِ بَيْنَ الْهَامِّ تَحْتَ الْخَيْضَعَةِ^(٤) *

وقال : هي السيوف . و « إقْرَانٌ » من قولهم : أقرن فلان ، أي أطاق .

(١) انظر الخزانة (١ : ١٨٣ / ٢ : ٤ / ٥٣٤ : ٥٥٢) وسيبويه (١ : ٣٠) .

(٢) التبريزي : « ويروى : تخذيع ، وهو القطع . ويروى :

بضرب فيه تفجيع وتأيم ولإقران »

(٣) م : « أم من القطع » .

(٤) الرجز للبيد في ديوانه ٧ - ٨ وأمالى ثعلب ٤٥٠ والخزانة (٤ : ١١٧) . وهي

مع قصتها في الخزانة وأمالى المرتضى (١ : ١٣٤ - ١٣٧) والحيوان (٥ : ١٧٣)

والأغاني (١٤ - ٩١ - ٩٢) والعمدة (١ : ٢٧) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ . وفي الأول^(١) إقران من قولهم :
 أقرن الدمل ، إذا نصج ولان . ويقال استقرن الحبن أيضا . و « تخضيع »
 من الخضوع يكون ، وهو الذل . ويقال خضع الرجل وأخضع ، إذا لين
 كلامه للنساء . وفي الحديث : « نهى أن يخضع الرجل لعير امرأته » ، أى
 يلين كلامه .

٧ - وطفن كغم الزق غذا والزق ملان

كرر ذكر « الزق » كما كرر ذكر الليث فيما قبله . وهذا الوصف أبلغ
 من قول النابغة :

* وطفن كإيزاع المخاض الصوارب^(٢) *

وهذا التشبيه أبرز ما يقل في الاعتياد في صورة ما يكثر فيه : ومثله :

فجبهناهم بضرب كما يخز رُج من خربة المزاد الماء^(٣)

أى وطفن في اتساعه وخروج الدم منه كغم الزق إذا سال بما فيه وهو
 مملوء . وغذا يغذو غذوا^(٤) ، إذا سال . وغذاه يغذوه غذوا . والاسم
 الغداء . فأما قول الهدلي^(٥) :

* فالطفن شغسغة والضرب هيعة^(٦) *

فهو حكاية صوت الوقع ، وقوله « غذا » في موضع النصب على الحال ،
 والأجود أن يجعل « قد » مضمرة^(٧) .

(١) يريد في أصل استعماله .

(٢) ويروى : « كإيزاغ » بالعين المعجمة . وصدوره كما في ديوانه ٨ :

* بضرب يزال الهام عن سكناته *

(٣) البيت للحارث بن حلزة الشكري في معلقته . شرح القوائد العشر للتبريزي ٢٦٦ .

(٤) كذا ضبط في الأصل . وفي اللسان : « غذوا » بالفتح .

(٥) عبد مناف بن ربيع الهدلي .

(٦) عجزه . * ضرب المعول تحت الديمة العضدا *

(٧) ابن جني : « غذا حال من المضاف إليه ، وهو قليل . ويجب أن تكون قد

ها هنا مرادة ذوقه ، أى قد غذا ، من حيث كانت قد تقرب الماضي من الحال » .

٨ - وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلِ الذَّلَّةِ إِذْعَانٌ

يَعْتَدِرُ مَنْ تَرَكَهُمُ التَّحَلُّمَ مَعَ الْأَوْدَاءِ وَالْأَقْرَابِ ، لَمَّا كَانَ مُنْضِيًّا إِلَى اكْتِسَابِ ذَلِكَ ، وَاكْتِسَابِ خُضُوعٍ وَعَارٍ . وَالتَّقْدِيرُ : بَعْضُ الْحِلْمِ إِذْعَانٌ لِلذَّلَّةِ عِنْدَ جَهْلِ الْجَاهِلِ . وَهَذَا إِذَا تُؤَمَّمُ أَنْ الْمُحْتَمِلِ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَهُ خَوْفًا وَعَجْزًا ؛ لَا مَيْلًا مِنْهُ إِلَى التَّجَاوُزِ وَالْإِغْضَاءِ وَاسْتِبْقَاءِ الْأُخُوَّةِ وَالْوِدَادِ . وَيُقَالُ : أَدْعَنَ لِكَذَا : إِذَا اتَّقَادَ لَهُ . وَمِنْهُ نَاقَةٌ مِدْعَانٌ . وَأَدْعَنَ بِكَذَا : أَقْرَبَهُ .

٩ - وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِيْنَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانٌ

قَوْلُهُ « فِي الشَّرِّ نَجَاةٌ » أَرَادَ : وَفِي دَفْعِ الشَّرِّ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : وَفِي عَمَلِ الشَّرِّ نَجَاةٌ ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ فِي الْإِسَاءَةِ مَخْلَصٌ إِذَا لَمْ يُخَلِّصْكَ الْإِحْسَانُ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : « الطَّعْنُ يُظَارُّ » أَيْ يَعْطِفُ ، وَكَأَنَّ قَوْلَهُ زُهَيْرٌ :

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ (١)

وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الْإِعْتِدَارِ ، إِذَا أُجْرِيَ إِلَيْهِ مَعَ الْقَوْمِ ، فَاعْلَمَهُ وَيَقُولُونَ أَيْضًا : « مَنْ لَمْ تُقَوِّمِهِ الْكِرَامَةَ قَوِّمْتَهُ الْإِهَانَةَ » .

٣

وقال أبو الغول الظهوي (٢) :

الغول مأخوذٌ من غاله يُغولُهُ غَوْلًا ، إِذَا أَهْلَكَهُ . وَهُمُ يُسَمُّونَ كُلَّ دَاهِيَةٍ

(١) م : « يطيع العوالي » ، وهي الرواية المشهورة .

(٢) شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية . الخزانة ٣ : ١٠٩ واللائق ٥٧٩ .

غولاً . وبذلك سموا الشيطانَ والحَيَّةَ^(١) غولاً . والغيلانَ عندهم سَحْرَة الجن . قال :

* كَمَا تَلَوْنُ فِي أُنْوَابِهَا الْقَوْلُ^(٢) *

١- فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقُوا فِيهِمْ ظُنُونِي

لَنظُهُ لَفْظُ الْخَبْرِ . وَاللَّمْنِي مَعْنَى الدَّعَاءِ . يَقُولُ : تَفَدَى نَفْسِي مَالِي أَجْمَعُ فَوَارِسَ يَكُونُونَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدْ رُوِيَ آخِرُ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ تَتَقَارِبُ مَعَانِيهَا . رَوَى : « فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي » . وَيَكُونُ ظُنُونِي فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِصَدَّقَتْ وَبُرُوِي : صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي « بَفَتْحِ الصَّادِ . وَتَضْعِيفِ عَيْنِ الْفِعْلِ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ . وَظُنُونِي يَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ . وَتَخْصِيسِ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ : « وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي » لِفَضْلِهَا وَقُوَّةِ التَّنَصُّرِفِ بِهَا . وَهُمْ يَقِيمُونَ الْبَعْضَ مَقَامَ الْجَلَّةِ فَيَنْسُبُونَ إِلَيْهِ الْأَحْدَاثَ وَالْأَخْبَارَ كَثِيرًا ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُمْ : عُدْتُ بِحَقْوِ فُلَانٍ . وَهُوَ عَبْدُ الْمُقَدِّ^(٣) ، وَحُرُّ الْوَجْهِ ، وَلَيْسَ الْقَفَا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ . وَفَوَارِسَ شَاذٌّ فِي الْجُمُوعِ عِنْدَ سَيْبُوِيه ، لِأَنَّ فَوَاعِلَ إِنَّمَا تَكُونُ جَمْعَ فَاعِلَةٍ فِي صِفَاتٍ مَا يَعْقِلُ دُونَ فَاعِلٍ ، وَاسْتَدْرِكَ عَلَى سَيْبُوِيه هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ .

وبيت الفرزدق :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا زَيْدًا رَأَيْتَهُمْ خُضِعَ الرِّقَابُ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَيَّةُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) لَكَعْبُ بْنُ زَهْرٍ ، وَصَدْرُهُ :

* فَمَا تَدُومُ عَلَى وَصْلِ تَكُونُ بِهِ *

(٣) الْمُقَدِّ : مَتْنِيهِ مِنْبَتُ الشَّعْرِ مِنْ مَوْخِرِ الرَّأْسِ .

وبيت عتيبة بن الحارث :

* ومثلي في غوائبكم قليل *

وقال أبو العباس المبرد : هو الأضل في جميعه ، ويجوز في الشعر .

٢- فَوَارِسٌ لَا يَمَلُّونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزَّبُونِ

مَلَّتْ الشَّيْءَ أَمَلَهُ مَلَالًا وَمَلَالَةً وَمَلَلًا ، إِذَا سَمَّمْتُهُ . وَيُقَالُ : فَلَانَ ذُو مَلَةٍ طَرَفٌ ، إِذَا ضَجَرَ بِشَيْءٍ فَتَطَرَفَهُ . قَالَ :

* إِنَّكَ وَاللَّهِ لَذُو مَلَةٍ ^(١) *

ويجوز الرفع في فوارس على أن يكون خبر ابتداء مضمير ، كأنه قال : هم فوارس . ويجوز النصب فيه على أن يكون بدلاً من فوارس الأولى ، ولا يملون في موضع الصفة للفوارس . والمعنى قدت نفسى فوارس لا يضجرون بمكايده الحرب ^(٢) ومقاساة الشدائد فيها ، ولا يكرهون للقاتلة إذا دارت رحى الحرب بأهلها . والزَّبُونُ : الدفوع ، ومنه الزبانية . وإنما شبه الحرب بالناقية الزبون فوصف بصفتها ، وهى التى تزبن حالبها وتدفعه برجلها . قال :

تَزِينُ بِالْأَخْفَافِ وَالْمَنَاسِمِ عَنْ ذِرْوَةٍ تَخْضِبُ كَفَّ الْهَاشِمِ

ويقولون : ثبت فلان في مرعى الحرب ، أى حيث دارت رحاها . ومناية ومنايا ، كصحيفة وحنائف ، والأصل منأى فاستثقلت الضمة في الياء فخذت ثم فروا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفاً فصار منأء ، فأبدلوا من الهمزة لتوسطها ألفين ياء فصار منأيا .

٣- وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسْمِيٍّ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَاضِ بِلِينِ ^(٣)

(١) لعمر بن أبي ربيعة في اللسان (طرف) وإصلاح المنطق ٢٢٢ ، ٢٨٨ . وعجزه .

* يطرفك الأذى عن الأبعد *

(٢) م : « لمكايده » .

(٣) التبريزى : « ويروى : من حسن بسوء ، ومن حسن بسوأى ، على فعلى » .

هذا الكلام من صفة الفوارس . يريد أنهم يعرفون تجاري الأمور
ومقادير الأحوال فيوازنون الخشن بالخشين واللين باللين ، كما قال الآخر :

تَجَارِي الْوَأْفِي بَكَيْلِ وَافٍ مَلَانَ وَالطَّفَافُ بِالطَّفَافِ

وقوله « بَسِيءٌ » أراد بسِيءٍ نخفف ، كما قالوا في هَيْنٍ هَيْنٌ وفي لَيْنٍ
لَيْنٌ . وروى بعضهم : بسِيءٍ^(١) . والمعنى أنهم يزيدون في الخزاء على قدر
الابتداء . وليس ذلك بشيء لأن سِيءٌ في مقابلة حَسَنٍ ، كما أن اللين في
مقابلة الغلظ ، وفي المُدُول عنه إلى سِيءٍ إخلالٌ بالتقابل ، والبيت إنما حَسُنَ به .

٤ - وَلَا تَبْلَى بَسَا لَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

يقال : بَلَى الثَّوبُ يَبْلَى بِلَى وَبَلَاءٌ^(٢) ، ويستعار فيقال : لِبِسْتِ فَلَانًا
وَبَلَيْتُهُ ، إذا استمتعت به وتمكيتته . وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة
في مُرَاوَلَةِ الْحَرْبِ ، وأن شجاعتهُم لا تَنْقُصُ ولا تَبْلَى عند امتداد الشرِّ ،
واتصال البلاء . والبسالة تُوصَفُ بها الأَسَدُ والرِّجَالُ ، يقال أَسَدٌ بَاسِلٌ
وَبَسُولٌ . كما يقال رجل باسل وبسول . قال امرؤ القيس :

* مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(٣) *

و « صَلُّوا » هو من صَلَّيتُ بكذا أي مُنيتُ به ، وهو من الفعل فَعَلُوا
بكسر العين ، ولهذا انضم اللام من صَلُّوا ، ولو كان فَعَلُوا بفتح العين لقل صَلُّوا ،
كما قيل دَعَوْا ورَمَوْا . فإن قيل : فأين جواب الشرط في قوله « وَإِنْ هُمْ صَلُّوا
بِالْحَرْبِ » ؟ قيل : هو متقدم ، والتقدير إن صَلُّوا ومُنُوا بالحرب لم تَخْلُقْ
شجاعتهُم . وفصل بين الفعل وإن بـ « هُمْ » ، لأنه ماض لم يظهر فيه أثر إن

(١) السمي : المثل . وهما سيان أي مثلان .

(٢) التبريزي : « إذا فتحت الباء مددت ، وإذا كسرت قصرت » .

(٣) صدره كما في ديوانه ١٤٨ :

بالجزم . ولو كان الفعل مُسْتَقْبَلًا لظهر الجزم فيه ، ولنا حسن الفصل بينه وبين إن بالاسم . يُقْبَحُ أَنْ يُقَالُ إِنَّ زَيْدًا يَأْتِي أَكْرَمَهُ ، وَقَوْلُ إِنَّ اللَّهَ أَقْدَرَنِي عَلَى زَيْدٍ فَقَلْتُ بِهِ كَذَا . وهذا شيء يجوز في إن دون سائر حروف الجزاء ، لأنه الاصل في الجزاء والحرف الذي لا يزول عنه . وروى بعضهم : « وَلَا تُبَلَى بَسَاتِلُهُمْ » من بلوته إذا اختبرته ، ويكون المعنى لا يمكن اختبار شجاعته فيعرف غورها ومُنْتَهَاها على مر الأزمان ، واختلاف الأحوال .

٥- هُم مَنَعُوا حِمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ^(١)

قوله « بضرِبٍ يُؤَلَّفُ » وقد وقع المنع والضرب جميعاً حكايةً حال ، لولا ذلك لقال : بضرِبِ أَلْفٍ . ومثله في القرآن : ﴿ وَتُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . يقول^(٢) : هؤلاء القوم الذين أشرت إليهم بقولي : فوارس صدقوا فيهم ظنوني ، هم الذين منعوا حِمَى هذا المكان بضرِبٍ يجمع بين الناي المتفرقة . وهذا تقييدٌ بعد إطلاق ، وتخصيصٌ بعد تعميم : وَالْحِمَى : موضع الماء والكلا . ويقال : أَحْمَيْتُ الْمَكَانَ ، أى جعلته حِمَى . وَحِمَيْتُهُ : ذَبَبْتُ عَنْهُ . وقوله « يُؤَلَّفُ » من صفة الضرب ، ويحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى إن هؤلاء لو بقوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لوقعت موتاتهم متفرقة في أماكن متغايرة ، وأزمنة متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذى وصفه صار الضربُ جامعاً لتلك الناي ووجوهها . وحكى عن أبى سعيد الضير^(٣) أن المعنى إذا وقع بهم ألف بين أقدارهم التى قدرت عليهم . ويجوز

(١) الوقبى ضبط في الأصل و م بسكون القاف ، وضبطه ياقوت بفتحها . وانظر ليوم الوقبى شرح التبريزى ومعجم البلدان والخزانة (٣ : ١٠٧) والميدانى (٢ : ٣٥٧) .

(٢) م : « فيقول » .

(٣) هو أبو سعيد أحمد بن خالد الضير . لقي أبا عمرو الشيبانى وابن الأعرابى . وكان يلقى الأعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاه نيسابور فيأخذ عنهم ، مثل عرام ، وأبى

أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة، وكان هذا الضرب جمع بين الأسباب كلها. ويجوز أن يكون المراد ضرباً لا ينفس المضروب ولا يمهله، لأنه جمع فرّق الموت له. وقوله «أشباب المنون» واحداً شئت. والمنون: الموت، وهو من مننت أى قطعت.

٦- فَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

نَكَبَ قَدْ جَاءَ مُتَعَدِّياً إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، قَالَ أَوْسٌ :

نَكَبْتُمَا مَاءَهُمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ صُهَبَ السَّبَالِ بِأَيْدِيهِمْ بِيَازِيرُ
والأكثر نَكَبْتُ عَنْ كَذَا. يقول: حَرَفَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا
الضربُ اعوجاجُ الأعداءِ وخِلافَهُمْ، ودَاوُوا الشَّرَّ بِالشَّرِّ. وهذا كما يقال:
«الحديدُ بالحديدِ يُفْلَحُ». وكما قيل: «لَا يَقْلُ الحَدِيدَ إِلَّا الحَدِيدُ».
وأصلُ النَّكَبِ: اللَّيْلُ، ولذلك يقال نَكَبْتُ الإِنَاءَ، إِذَا أَمَلْتَهُ. وَنَكَبَ
الرَّجُلُ نَكَبَةً. وعلى هذا النَّكْبَاءُ فى صفةِ الرِّيحِ: والدَّرَّةُ، أصله الدَّفْعُ،
ثم اسْتَعْمِلَ فى الخِلافِ، لأنَّ المُخْتَلِفِينَ يَتَدَاوَمَانِ. ومثله:

* وَقَوَّمتُ عَنْهُ دَرَاهُ فَتَنَكَّبَا (١) *

٧- وَلَا يَرَعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ

يُروى: «وَلَا رَوْضَ الْهُدُونِ»، وهو أَفْصَحُ. وَالْهُدُونُ: الصُّلْحُ
وَالشُّكُونُ. وفى الحديث: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ»، أى صُلْحٌ عَلَى فِتْنَةٍ دَخِيلَةٍ.
يصفهم بالليل إلى الشر، والحرص على القتال والقتل، وأنهم يؤثرون جانب
الخصومة على الصلح، وناحية الذعر على السكون، فيقول: لَا يَرَعَى هَؤُلَاءِ

(١) لابن مفرغ الحميرى، كما فى البيان (٢: ٢٨١). وصدده:

* فَيَارِبْ خِصْمٍ قَدْ كَفَيْتَ دِفَاعَهُ *

القوم جوانب الخصال السهلة والأمور الهيئة ، ولا ينزلون منازل الأمن والراحة . والهويبي : تصغير الهوني ، والهوني : تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهوني فُعلَى اسماً مبيئاً من الهيئة ، وهي السكون . ولا تجعله تأنيث الأهون .

٤

وقال جعفر بن علبه الحارثي^(١) :

١- أَلْهَفِي بِقَرِيِّ سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبْتِ عَلَيْنَا الْوَالِيَا وَالْعَدُوَّ الْمُبَاسِلِ

التلّهُف يكون على الفاء بعد الإشراف عليه ، يقولون : وا لهفاه ، ووالهف أمّاه . واهف نفسه وأمّه إذا قال ذلك . وفي المثل : « إلى أمّه يلهف اللّهان » . وقوله « ألهفي » يجوز أن يكون مُنادَى مفرداً ، ويجوز أن يكون مضافاً . فإذا جعلته مضافاً فإن أصله ألهفي أو اهف . فإذا كان ألهفي فكأنه فرّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحه فانقلبت ألفاً . وعلى ذلك ياغلاماً أقبل . وقوله :

* وهل جزع أن قلتُ وا بأباها *

وإنما المعنى بأبيهما . وعلى ذلك طريقهم في مداري ومداري ، وعذاري وعذاري ، وصحاري وصحاري ، وفي بقي بقي ، وفي رضي رضي^(٢) . وإذا كان ألهف يكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ليكون أدل على التحشّر . وكذا إن جعلته ألهف مفرداً يكون الألف زيدت لذلك . ومعنى « أحلبت » : أعانت . وأصله الإعانة في الحلب خاصة ، ثم استمرت في الإعانات كلها . وقد

(١) في الأصل : « عليه » صوابه في م والتبريزي والمهجع وابن جني .

(٢) التبريزي : « ويروي : أجليت . والأصل الجلبة رفع الأصوات » .

(٣) بقى ورضى ، بفتح القاف والضاد لفه طيباً ، يجعلون كل ياء انكسر ما قبلها

ألفاً . اللسان (بقى) .

يكون الشيء مختصاً في الأصل ثم يصير بالعرف عامّاً ، كما قد يكون عاما في الأصل ثم يصير به مختصا . ورؤى : « الوَلَايَا » وهي جَمْعُ الوَلِيَّةِ ، وهي البرذعةُ ، وهي تكون كنايةً عن النساء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت . ويشبه هذا قول أم تأبط شراً تؤبته : « وا ابناه ليس بمُلفوف ، حُشِي من صوف ، تَلَفَهُ هُوف ^(١) » . وقولهم : « هو كالحلس الملقى » . ويُروى : « المَوَالِي » ومعنى البيت أنه يتلوهف لما نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعان الأعداء عليهم كَوْنُ الحُرَمِ مَعَهُمْ أَوْ مَنْ يجرى تجرّى الحُرَمِ من الضعفاء الذين لا دِفَاعَ بهم ؛ لِمَا وَجَبَ عليهم من الذبِّ عنهم ، والاشتغال بالحماية عليهم . ومن روى الموالى — وهم أبناء العم — فإنما خَصَّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشدَّ تأثيراً في النفس . ألا ترى أن من كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوِّتِلَ بسلاحِهِ ، ألا ترى إلى قول الآخر حيث يقول :

خِخَافَةٌ جَوْرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلِّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

والعدوِّ إشارة إلى الجنس . وللباسيل ، من البَسالة . وأجراه على لفظ العدو لا على معناه . وفي القرآن : (فَايُنْهَمُ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ^(٢)) .

٣- فقلوا لنا ثنتان لا بُدَّ منهما صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَسِلُ

التاء في « ثنتان » كالتاء في بنتان ، إلا أنه لم يُستعمل واحدهُ كما استعمل بنت . وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان إلا أنهم لم يقولوا اثنته كما قالوا ابنته . والشاعر حكى ما دار بينهم عند الالتقاء فيقول : أَدَارَنَا ^(٣) أَعْدَاؤُنَا عَلَى

(١) العلفوف : الحافي الكثير اللحم والشعر . والهوف : الريح الحارة . وفي اللسان

(هوف) : « وقيل لم يسمع هذا إلا في كلام أم تأبط شرا » .

(٢) إلا رب العالمين ، من م فقط » .

(٣) كذا في الأصل و م بتقديم الدال ، وهي هنا أليق من « أَرَادَنَا » .

خَصَلْتَيْنِ حَكَمُوا عَلَيْنَا بِهِمَا ، وَخَيَّرُونَا فِيهِمَا ، وَهُوَ ^(١) الْاسْتِسْلَامُ الَّذِي آخَرَهُ
الْأَسْرُ ، أَوْ الْقَتْلُ الَّذِي أَوَّلُهُ الْامْتِنَاعُ وَالِدَّفْعُ . وَقَوْلُهُ « ثِنْتَانِ » أَرَادَ خَصَلْتَانِ .
اِثْنَتَانِ ، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ « صُدُورُ رِمَاحٍ [أَشْرَعَتْ ^(٢)] » وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ
الْمُقَاتَلَةَ بِهَا تَقَعُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ الصُّدُورَ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْكُلَّ كَمَا قَالَ :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ *

وَإِنْ كَانَ الْوَطْءُ لِلصُّدُورِ وَالْأَمْجَازِ . وَكُنِيَ عَنِ الْأَمْرِ بِالسَّلَاسِلِ . وَقَوْلُهُ
« لَا بَدَّ مِنْهُمَا » أَرَادَ لَا بَدَّ مِنْهُمَا عَلَى طَرِيقِ التَّعَاقُبِ لَا عَلَى طَرِيقِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ،
وَإِلَّا سَقَطَ التَّخْيِيرُ الَّذِي أَفَادَهُ « أَوْ » مِنْ قَوْلِهِ « أَوْ سَلَّاسِلِ ^(٣) » . أَلَا تَرَى
أَنَّهُ إِذَا قَالَ خُذْ الدِّينَارَ أَوْ الثُّوبَ ، وَكُلِّ السَّمَكِ أَوْ اشْرَبِ اللَّبْنَ ، فَلَيْسَ فِيهِ
الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْمَعْنَى لَا بَدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا ^(٤) .
وَ « أَشْرَعَتْ » : هَيَّئَتْ لِلطَّعْنِ . وَكَذَلِكَ شُرِعَتْ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ
أَيْضًا وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ مَشَارِعُ الْمِيَاهِ . وَفِي الْمَثَلِ : « أَهْوَنُ الْوَرْدِ التَّشْرِيعُ » ،
أَيْ إِيرَادِ الشَّرِيعَةِ .

٣- فُقَلْنَا لَهُمْ تِلْكَ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُعَادِرُ صَرَغِي نَوْهَا مَتَخَاذِلٌ
يَقُولُ : أَجْبَنَاهُمْ وَقَلْنَا تِلْكَ ، [أَي تِلْكَ ^(٥)] التَّخْيِيرَةَ وَذَلِكَ التَّحَكُّمَ . وَلَا يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ بِتِلْكَ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْخَصَلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَقْدَمُ ذِكْرُهُمَا ،
لِأَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ فِيهِمَا لِخِتَارِ حَكْمِهِ هَوْلَاءِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ

(١) الْوَجْهَ « وَهُمَا » .

(٢) هَذِهِ مِنْ م .

(٣) كَلِمَةٌ « أَوْ » هُنَا مِنْ م فَقَطْ .

(٤) قَالَ ابْنُ جَنِّي : « لِكَ فِي مِنْهُمَا وَجْهَانِ : إِنْ شِئْتَ كَانَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ ، أَيْ
لَا بَدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا . أَلَا تَرَاهُ قَالَ أَوْ سَلَّاسِلِ . أَوْ إِنَّمَا تَوْجِبُ أَحَدَ الشَّيْئَيْنِ . وَإِنْ شِئْتَ كَانَ عَلَى
ظَاهِرِهِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا . فَصُدُورُ الرِّمَاحِ لِمَنْ يَقْتُلُ ، وَالسَّلَاسِلُ لِمَنْ يُؤَمِّرُ ، أَيْ يَكُونُ بَعْضُهُمَا
كَذَا وَبَعْضُهُمَا كَذَا » .

(٥) هَذِهِ مِنْ م .

التهمك والسخرية . والمعنى إنما يكون ذلك بعد عطفة وجولة تترك بيننا قوماً مصروعين يخذلهم النهوض ولا يطيقون الحراك . وإذا ، هو جوابٌ وجزءٌ ، وهو مُلغى هاهنا . وكُم من تَلَكُم للخطاب لا للضمير ، فلا موضع له من الإعراب . واختار أن يقول « متخاذلٌ » لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء . على ذلك قولهم تداعى البناء^(١) كأن أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضاً فلا يكمل ، وكأنه أنكروا عليهم الاشتراط والتحكم والإجاء منهم إلى ذلك ، فقال : يسوغ ما ابتدأتم فيه لكم بعد جولة يتعقبا هذا الأمر . ويجوز أن يكون الحكم والتخيير بقوله « ثنتان لا بد منها » وقع بين الحرب والاستئثار ، لا القتل والاستئصال ، فاختاروا المحاربة . والإشارة^(٢) بقوله تلكم حينئذ يجوز أن تكون على ما قدمته ، ويجوز أن تكون إلى ما دلَّ عليه قوله أو سلاسل ، من الأسر فكأنه قال : الخصلة الثانية تؤخرها ونظر في الأولى ماذا ينتج منها . وقوله « تغادرُ » صفة للكثرة ، وقوله « نودها » الضمير يعود^(٣) إلى صرعى ، والجمع مآله إلى التأنيث ، ولو قال نودهم لكان أحسن . والنوء : النهوض ، وهو أصل المناوأة ، وإن اشتهرت في المعادة ويكون النوء : السقوط أيضا . وبُشبه هذا قول الآخر :

* نوءٌ بصدرة والرمح فيه *

٤- ولم ندر أن جضنا من الموت جيضة كَمُ الممرُّ باقٍ والمدى مُتطاوِلٌ^(٤)

(١) م : « البيان » .

(٢) م : « ويكون الإشارة » .

(٣) م : « يرجع » .

(٤) التبريزي : « كلهم روى هذا البيت إن جضنا من الموت جيضة ، بكسر الهمزة على ما مر تفسيره ، غير أبي العلاء المعري فإنه أخذ على أن جضنا بفتح الهمزة . وكأنه ذهب في هذا إلى أن إن بكسر الهمزة لما يستقبل ، وأن بفتح الهمزة لما مضى . والشاعر في ذكر قصته قد مضت فيحمل قوله أن جضنا بفتح الهمزة ، على تقدير لما جضنا » .

جَازٍ عَنْ قِرْنِهِ وَحَاصٍ بِمَعْنَى، أَيْ عَدَلَ وَانْحَرَفَ. وَالتَّعْمُرُ وَالتَّعْمِيرُ لِقَتَانٍ :
 الْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لَعْمَرُ اللَّهِ ، وَتَعْمَرُكَ اللَّهُ . إِلَّا أَنَّهُ فِي الْبَيْنِ لَا يَسْتَعْمَلُ
 إِلَّا بِفَتْحِ الْعَيْنِ . وَقَوْلُهُ « كَمِ الْعُمَرُ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى كَمِ يَوْمًا أَوْ وَقْتًا
 الْعُمَرُ بَاقٍ . وَارْتَفَعَ الْعُمَرُ بِالْإِبْتِدَاءِ . وَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ « وَالْمَدَى مُتَطَاوِلٌ » وَאו الْحَالِ ،
 أَيْ كَمِ الْعُمَرُ بَاقٍ وَمُدَاهُ مُتَطَاوِلٌ . وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ لِأَنَّ الْوَاوَ أَغْنَى عَنْهُ ، وَالْمَعْنَى
 لَمْ نَعْلَمْ إِنْ عَدَلْنَا عَنِ الْحَرْبِ عَدَلَةً كَمْ يَبْقَى مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَغَايَاتِ الْعُمَرِ مَمْتَدَّةٌ
 مَبْهَمَةٌ حَتَّى لَا يَنْتَهِيَ أَحَدٌ مِنْهَا إِلَى حَدٍّ إِلَّا وَكَأَيُّهَا أَنْ يَتَّصِلَ بَعْدَهُ أَيْضًا
 لَا يَأْمَنُ أَنْ يَنْقَطِعَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْحَالُ فِي الْأَعْمَارِ عَلَى هَذَا أَبَدًا
 فَلَا مَعْنَى لِلْمُدُولِ عَنِ الْحَرْبِ ، إِذْ لَا يَمْتَنِعُ مَعَ تَطَاوُلِ الْمَدَى فِي رَجَاءِ الْعُمَرِ أَنْ
 يَقْصُرَ فِي نَفْسِهِ وَيَنْقَطِعَ عَنِ الْمَأْمُولِ فِيهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْحَالُ الَّذِي دَلَّ
 عَلَيْهِ « وَالْمَدَى مُتَطَاوِلٌ » بِإِنْ جِزْنًا . وَالتَّقْدِيرُ لَمْ نَذَرِ إِنْ جِزْنًا وَمَدَانًا
 مُتَطَاوِلٌ كَمِ الْعُمَرُ بَاقٍ أَيْ مَدَى رَجَائِنَا . وَهَذَا حَسَنٌ عِنْدِي . وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ الْوَاوُ عَاطِفَةً كَأَنَّهُ قَالَ : لَمْ نَعْلَمْ كَمِ الْعُمَرُ بَاقٍ وَكَمِ الْمَدَى مُتَطَاوِلٌ إِنْ
 جِزْنًا . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ فَسَّرَ الْعُمَرَ عَلَى أَنَّهُ الْحَيُّ ، قَالَ وَمِنْهُ
 قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ وَهَذَا إِذَا حُقِّقَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ (١) .

٥- إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَا زَقَا فَرَجَتْ لَنَا بَأَيْمَانِنَا بِيضُ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ

يقول: إِذَا مَا اسْتَبَقْنَا إِلَى مَضِيْقٍ فِي الْحَرْبِ وَسَعَتَهُ لَنَا سِيُوفٌ مَصْقُوقَةٌ بِأَيْمَانِنَا

(١) ابن جني : « لك في كم وجهان إن شئت جعلتها زماناً فنصبها حينئذ على الظرف
 بباق ، أي يبقى عشرين أو ثلاثين . وإن شئت جعلتها أفعالا فنصبها حينئذ على المصدر ، أي
 بقية تبقى أم ألف بقية أم أقل أم أكثر ، وهي منصوبة أيضا بباق » .

والفائدة في قوله « جعلتها الصياقل » اهتمامهم بإصلاح آلات الحرب ، لدوام
مزاولتهم لها^(١) . وجعل للفيل للشيوف على المجاز والسعة .

٣٦- لَهُمْ صَدْرٌ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءَ سَحْبَلٍ وَوَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ^(٢)
هذا مثل قوله :

مِنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادُهُنَّ رَمُوسُ الْمُلُوكِ
وإن كان في هذا تقسيمٌ خلافاً منه المشبهة . وَلَكَّ أَنْ تَرَوِي « مَا ضَمَّتْ
عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ » و« ضَمَّتْ » ، فإذا قلت ضَمَّتْ فالمعنى قُبِضَتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ^(٣) .
وإذا قلت ضَمَّتْ فالمعنى قُبِضَتْهُ الْأَنَامِلُ . وَالْبَطْحَاءُ وَالْأَبْطَاحُ : مَسِيلٌ فِيهِ دُقَاقُ
الْحَصَى وَاسِعٌ . وَهِيَ صِفَتَانِ أُخْرِجَتَا إِلَى بَابِ الْأَسْمَاءِ . وَبَطْحَاءُ مَكَّةَ وَأَبْطَاحُهَا
مَعْرُوفَانِ ، وَالتَّأْنِيثُ وَالتَّذْكِيرُ فِيهِمَا يُحْمَلَانِ عَلَى الْبَلَدَةِ وَالبُقْعَةِ ، وَالبَلَدِ
وَالْمَكَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقَالُ مَكَانٌ أَبْطَاحٌ وَلَا بُقْعَةٌ بَطْحَاءُ . وَيُقَالُ : تَبَطَّحَ
« السَّيْلُ » ، إِذَا سَالَ عَرِيضًا . فَأَمَّا « سَحْبَلٌ » فَاسْمٌ مَوْضِعٌ أُضِيفَ الْبَطْحَاءُ إِلَيْهِ ،
كَمَا يُقَالُ سَحْرَاءُ سَحْبَلٍ . وَيُقَالُ ضَبَّ سَحْبَلٌ ، إِذَا كَانَ عَرِيضَ الْبَطْنِ .
وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْمَكَانُ سُمِّيَ بِهِ لِاتِّسَاعِهِ .

٥

وقال أيضاً :

٣٧- لَا يَكْشِفُ النِّعْمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرَّةٍ يَرَى نَعْمَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا
معنى « يرى نعمات الموت » أن يتحققها بالممارسة حتى يصير كأنه أدركها

(١) التبريزي : « وقوله جعلتها الصياقل ، ضرورة ، لأن السيوف لا تجلوها إلا
الصياقل ، ولو كان يجلوها غيرهم وكان جلاهم إيها فنيل على جلاء غيرهم لكان لذكرهم هاهنا
معنى . . . ولو قال اجتهد في صدها الصياقل وما أشبه كان حسنا » .

(٢) م : « ولي فيه » . (٣) انظر الحماسة ٨٢ .

(٤) م : « قبض عليه بالأنامل » .

بحاسة العين وشاهدتها، فيقول: لا يكشف الخصلة الشديدة إلا رجل كريم يرى قحم الموت ثم يتوسطها ويصبر فيها ولا يعيدل عنها. وإنما قال «ابن حرة» ليلته على زوال الهجنة منه، وخلوص مولده مما يشوبه، وليصبر كرمه مهيجاً لأنفته، ومصبراً له على كل ما يدفع إليه من الشر إلا أن يزيد له. ولأن ما يستنكف منه العرب هو الهجنة إذ كان من ليس أبوه من العرب خارجاً من أن يكون عربياً. والعماء والعم والعممة والعمم مرجع جميعها إلى التغطية.. فإن قيل: لم عطف الزيارة على رؤية العمرات بحرف المهلة، وهلا جعلها عقيب الرؤية؟ قالت: إن «مهم» وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على التراخي فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك. ألا ترى قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾. فك رقية. أو إطعام في يوم ذي مسغبة - يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة. ثم كان من الذين آمنوا. ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عدده وذكره^(١).

٢- تُقَاسِمُهُمْ أَسِيْفَانَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا

وَضَعَ «قِسْمَةٍ» موضع مقاسمة، أراد شرَّ مقاسمة. وانتصاب «شَرَّ» على المصدر. والغواشي: القوائم، وتكون الأغناد أيضاً. والصُدور، أراد بها المضارب، وإنما قال: شرَّ قِسْمَةٍ، لأنَّ مَنْ جُمِلَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ فَيُقَامَمُ عَلَيْهِ كَانَ الشَّرُّ لَهُ. وهذا أيضاً مثلُ قوله:

* لَهُمْ صَدْرٌ سَيَفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَخْبَلٍ^(٢) *

(١) زاد التبريزي: «وأصل الزيارة الميل، وهو من الزور، والميل في أحد الشقين.

فقوله يزورها، أي يجمل إليها فيأتها».

(٢) من الحاسية السابقة.

والمعنى قاسمناهم سيوفنا ففينا مقابضها وفيهم مضاربها^(١).

٦

وقال أيضا:

١- هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصِيدُهُ جَنِيْبُهُ وَجُثْمَانِي بِعَكَّةَ مُوْتِقُهُ

هذه الأبيات ضمنها هذا الباب لما اشتملت عليه من حُسن صَبْرِهِ على البَلَاءِ، وقلة ذُعْرِهِ من الموت والفناء^(٢)، واستهانت به بوعيد التوعّد وحَذْقِهِ بِرِسْقَانِ الْمُقَيَّدِ. و«هَوَايَ» ياء الإضافة فَتَحَّتْ منه على الأصل، وذلك أن هذه الياء لما كان ضمير اسمٍ على حَرْفٍ واحدٍ متطَرِّفٍ كَرِهُوا أَنْ تُسَكَّنَ فَتَخْتَلِ^(٣) فجعَلُوا من أصله التحريك، فإذا كان ما قبله متحركاً كقِلاَمِي وداري: كان لك فيه وجوه: تحريك الياء وهو الأصل، وتسكينه تخفيفاً، وحَذْفُهُ من النداء إذا قُلْتَ ياغِلاَمِ، وإبدال الألف منها مع انفتاح ما قبلها كقولك وإياها وياغِلاَمًا أَقْبِلْ. وإذا سَكَّنَ ما قبله فتى كان واوًا أو ياءً أَدْغَمَ فيه ولم يكن بُدْءً من تحريكه لثلاثاً يلتقى ساكفان، تقول مُسَلِمِي فِي الْجَمِيعِ^(٤) ومسلمي في الثانية. وإذا كان ما قبله أَلْفًا كَمَصَايَ وَقَمَايَ وَهَوَايَ، لم يكن بُدْءً من الإتيان به على الأصل، وهو تحريكه، لثلاثاً يلتقى ساكفان أيضاً، ولا يجوز الإدغام هَاهُنَا كما جاز مع الواو والياء، لأن الألف لا تُدْغَمُ في شيء ولا يُدْغَمُ فيها غيرُها، لكونها هَوَاتِيَّةً

(١) ابن جني: «في هذا البيت دلالة على قوة شبه الظرف بالفعل، وذلك أنه عطف قوله: ففيناغواشها على قوله: فقامهم، ومن شرط المعطوف أن يكون وفق المعطوف عليه».

(٢) هذا ما في م. وفي الأصل: «من الموت والقتل».

(٣) م: «أن يسكن فيختل».

(٤) م: «في الجميع».

لا مُعْتَمِدَ لَهَا فِي الْحَرَجِ ، إِلَّا فِي لَفَّةٍ هُدَيْلٍ ، لَأَنَّهُمْ يُبَدِّلُونَ مِنَ الْأَلْفِ الْيَاءَ وَيُدْغِمُونَ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

سَبُّوا هَوَىٰ وَأَعْتَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَخَرَّجُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ^(١)

وَالْيَمَانُونَ : جَمْعُ يَمَانٍ ، وَالنِّسْبَةُ إِلَى يَمَنِ يَمْنَى ، لَكِنَّهُ حُذِفَ إِحْدَى يَاءِ النَّسْبِ وَأُنِيَ بِالْأَلْفِ عَوَضًا مِنْهُ . وَمِثْلُهُ شَامٌ وَتِهَامٌ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ هَوَايَ رَاحِلٌ وَمُبْعَدٌ مَعَ رُكْبَانِ الْإِبِلِ^(٢) الْقَاصِدِينَ نَحْوَ الْيَمَنِ ، مُنْضَمًّا إِلَيْهِمْ ، مَقْوَدٌ مَعَهُمْ ، وَبَدَنِي مَأْسُورٌ مُقَيَّدٌ بِمَكَّةَ . وَرَاكِبٌ وَرَكْبٌ مِثْلُ تَاجِرٍ وَتَجْرٍ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْجُمَانِ إِنَّهُ الشَّخْصُ وَالْجُمَانُ الْجَسْمُ ، هَكَذَا قَالَ الْأَصْمَعِيُّ . وَالشَّخْصُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ قَائِمًا . وَالْحَلِيلُ ذَكَرَ فِي الْعَيْنِ أَنَّ الْجُمَانَ وَالْجُسْمَانَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَأَصْعَدَ فِي الْأَرْضِ : أَبْعَدَ ، وَحُكِيَ أَنَّ صَعْدَةَ أُمُّهُ عِلْمٌ لِلْأَرْضِ ، وَأَنَّ الصَّعِيدَ مِنْهُ . وَلِهَذَا قِيلَ لِحُمْرِ الْوَحْشِ : بَنَاتُ صَعْدَةَ ، وَأَوْلَادُ صَعْدَةَ . وَهَذَا إِنْ ثَبَّتَ فَهُوَ كَمَا يُقَالُ بَنَاتُ الْبَرِّ . وَقَوْلُهُ « جَنْبٌ » أَيْ جَنْبُوبٌ مُسْتَتَبِعٌ . وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَرَوِيهِ « حَنْثٌ »^(٣) ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لِقَطًا وَمَعْنَى .

٢- عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ إِلَىٰ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ

يَقُولُ : تَعَجَّبْتُ مِنْ سَيْرِ هَذِهِ^(٤) الْخَيْالِ إِلَى ، وَمِنْ حُسْنِ تَوْضِيحِهَا مَعَ هَذِهِ الْحَالِ ، وَهُوَ أَنَّ بَابَ السَّجْنِ مَرْتَجٌ^(٥) دُونِي . فَأَمَّا تَعَجُّبُهُ مِنْ سَيْرِهَا فَقَلِي غَاذَةُ الْعَرَبِ وَالشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ الْخَيْالِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُجْرُونَهَا بِجَرَى الْمَرَاةِ نَفْسِهَا ،

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي ذُوَيْبِ الْهَذَلِيِّ ، مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي رَفَى بِهَا بَنِيهِ . وَهِيَ أَوَّلُ دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

(٣) لَمْ يَذْكَرِ التَّبْرِيْزِيُّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ .

(٤) كَذَا وَرَدَّتْ ، كَأَنَّهُ جَعَلَ الْخَيْالَ ، وَنَاثًا لِأَنَّهُ خَيْالٌ أَنْثَى .

(٥) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « مَرْتَدٌ » .

فيستطرفون منها ما يُسْتَطَرَفُ من تلك لو وَقَعَ الفعل منها على الحقيقة مع نَعْمَتِهَا . وهذا كما قال غيره :

طَرَقَ الخيالُ ولا كَمَيْلَةَ مُدْجٍ سَدِ كَأَ بَارِحِلِنَا ولم يَتَعَرَّجْ (١)
وكما قال الآخر (٢) :

وَأَنِّي اهْتَدَتُ والدَّوُّ بيني وبينها وما خِبتُ سَارِي الليل بالدَّوِّ يَهْتَدِي
وَأَمَّا تَعَجُّبُهُ من تَوَضُّلِهَا فهو تَعَجُّبٌ من لُطْفِهَا في ذَلِكَ ، وَحُسْنِ تَأْتِيهَا ،
مع العوارض والموانع . وَالسَّرَى يصلح في اللُغَةِ أن يكون مصدرًا ومكانًا
ووقتًا والبيت لا يمتنع من وُجُوهِهِ . وَأَنِّي معناه كيف ، أو مِن أين ، كذا
قال سيبويه . وقد تَجَرَّدَ لأن يكون بمعنى كيف في قول الكميت :

* أَنِّي وَمِنَ أَيْنَ آبَكَ الطَّرْبُ *

٣- أَتَنَفَّحْتِ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

التَّحِيَّةُ : السَّلَامُ والمُلْكُ والبقاء . والمُحَيَّا : الوجهُ من الإنسان ، لأنه يُحْصَى
عند التسليم بالدُّكْرِ فيقال حَيًّا اللهُ وَجْهَكَ ، وإن كَانَتْ الجملَةُ متلقاةً به . وقيل
التَّحِيَّةُ مشتقة من الحَيَاةِ أو الحَيَاءِ . والمُحَايَاةُ : تَحِيَّةُ القومِ بعضهم بعضًا . والمُحَيَّا
من الفرس : حيث انفَرَقَ اللَّحْمُ تحت النَّاصِيَةِ . فيقول حَاكِيًا لِحَالِ الخيالِ : جَاءَنَا
فَسَلَّمَتْ عَلَيْنَا ، ثم لم تلبث إِلا قَلِيلًا حَتَّى قَامَتْ وَأَعْرَضَتْ ، فلما تَوَلَّتْ كَادَتِ
النَّفْسُ تَخْرُجُ في أَثْرَهَا . وَيُرْوَى : « أَلَمْتُ فَحَيْتِ » . والإلَامُ : الزيارة الخفيفةُ .
وقوله « لَمَّا تَوَلَّتْ » جوابُهُ « كَادَتِ النَّفْسُ » وهو عَلِمَ للظرف . ومتى كان عَلِمًا
للظرف لم يكن له بُدٌّ من جَوَابٍ ، لأنَّهُ يكون لوقوع الشيء لوقوع غيره . وتَزْهَقُ

(١) مطلع قصيدة للحارث بن حلزة البشكري ، في المفضليات (٢ : ٥٥) .

(٢) هو الخطيئة من قصيدة في ديوانه ٢١ - ٢٥ .

خير كادت ، لأن كاد^(١) كان وأخواته ها هنا إذا وقع بعده الاسم ، وهو موضوع لمشاركة الفعل ومشافهته ، ولهذا وجب ألا يكون معه « أن » .
تقول : كاد يفعل ، ولا يجوز أن يفعل إلا في الشعر . ومعنى تزهق : تهلك ،
ومنه قيل للبئر البعيدة القعر والمتلفة البعيدة : زاهقة وزهوق . وفي القرآن :
﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ . ويجوز أن يريد به في البيت تخرج في إثرها سريعة لما
تولت . ومنه زهقت الرحلة : تقدمت . وزهق السهم : أسرع .

٤- فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بِعَدَّكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ

ترك الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها ، جرياً على عاداتهم في التنقل
والافتنان في التصرف . ومعنى تخشعت : تكلفت الخشوع . والخشوع في
البصر كالحضوع في البدن . ويقال : اختشع فلان ، إذا طأطأ رأسه رامياً
ببصره إلى الأرض وهو خاشع الطرف خاضع العنق . يقول مستهيناً بما
اجتمع عليه من الحبس والتقييد ، ومتبجحاً عندها بالصبر على الهوى والتهالك
فيه - وبهذا دخلت الأبيات في الحماسة - لا تظني أني تكلفت الخشوع
بعدكم لشيء عارض ، ولا أني أخاف من الموت . والفرق : الخوف ، وهو
فرق وفروق وفروقة . وقال :

* أنوراً سرع ماذا يا فروق^(٢) *

فإن قيل : فأين مفعول تحسبي ؟ قلت : قد نابت الجملة ، وهي قوله « أني
تخشعت بعدكم » عن المفعولين . ألا ترى أن تقديره لا تحسبيني خاشعاً ، فكما
أن المفعولين يحصلان من دون « أن » كذلك إذا دخل « أن » في الكلام

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « لأنه كادت » .

(٢) صدر بيت لزغبة الباهلي ، أو مالك بن زغبة الباهلي ، أو أبي شفيق الباهلي .

اللسان (نور ، حذق) ، وعجزه :

* وحبل الوصل منتكث حذيق *

يبوب مع ما بعدهُ عنهما ، لأن اللفظ بالمفعولين قد حصل وإن كانا في صلة أن .
وأن وما بعده في تقدير اسم ، وهذا كما تقول : لو أنك جئتني لأكرمك ،
إذ كنت قد لفظت بالفعل في صلة أن ، وإن كنت لا تقول لو مجيئك .

٥- وَلَا أَنْ نَفْسِي يَزِدْهِمْ وَأَعِيدُكُمْ وَلَا أَنِّي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(١)

الوَعِيدُ وَالْوَعْدُ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا ضَمَانًا فِي الْخَيْرِ وَالْآخِرِ
ضَمَانًا فِي الشَّرِّ ، لَكِنَّهُ فُرِقَ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ بِتَغْيِيرِ الْبِنَاءِ ، كَمَا فَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ
فِي الْعَدْلِ وَالْعَدِيلِ ، فَجَعَلُوا أَحَدَهُمَا فِي الْإِنْسِي وَالْآخَرَ فِي غَيْرِهِمْ . يَقُولُ :
وَلَا تَقُلِّي أَنْ نَفْسِي يَسْتَخْفِيهَا تَهْدُدُكُمْ ، وَلَا أَنِّي نَجَرْتُ بِالرَّسْفَانِ ، وَهُوَ الْمَشْيُ
فِي الْقَيْدِ . وَيُقَالُ زَهَاهُ زَهْوًا وَازْدَاهَا ، إِذَا اسْتَخْفَى . وَيُسْتَعْمَلُ الزَّهْوُ فِي الْبَاطِلِ
وَالزَّيْدُ فِي الْقَوْلِ . يُقَالُ : قَالَ زَهْوًا ، وَفِي الْكِبَرِ يُقَالُ زَهِيَ لَا غَيْرَ ، وَهُوَ
مَزْهُوٌّ ، وَالْأَصْلُ الْخَفَةُ . وَالْأَخْرَقُ : الْقَلِيلُ الرَّفْقُ بِالْمَشْيِ . وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ :
الْخْرَقُ : ضِدُّ الرَّفْقِ . وَفُلَانٌ رَقِيقٌ وَفُلَانٌ أَخْرَقٌ . وَرَبَّمَا قَالُوا : فُلَانٌ صَنَعَ
مَوْفُلَانٌ أَخْرَقٌ . قَالَ :

* وَهِيَ صَنَاعُ الرَّجُلِ خَرَقَاءَ الْيَدِ *

وَيُرْوَى «أَخْرَقُ» بِضِمِّ الرَّاءِ فَيَكُونُ فِعْلًا ، وَ«أَخْرَقُ» بِفَتْحِ الرَّاءِ فَيَكُونُ صِفَةً .

٦- وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صِبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقِي مِنْكَ إِذَا نَامَ مُطْلَقٌ^(٢)

قوله « كما كنت ألقى منك » ، الأجود أن يكون « ما » موصوفة غير

(١) أشار التبريزي إلى أنه يروى : «وعيدهم» ، وابن جني إلى رواية : «ولا أنا

عمن يزدديه وعيديم» .

(٢) أشار ابن جني إلى رواية : «إمانة» بدل «صباية» .

موصولة ، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تقدير الذي ، والقصد إلى تشبيه صباية مجهولة بمثلها ، والتقدير عرّت صباية تشبه صباية كنت أكبدها فيك في ذلك الوقت . كأنه شبه حاله فيها بعد ما مئى به (١) بحاله من قبل . ومفعول ألقى محذوف تخفيفاً له ، [أراد (٢)] كما كنت ألقاه منك . ويقال عراه وأعراه بمعنى واحد . ومنه عراه الدار وعروتها بفتح العين ، أى حيث تُعرى منه أى تُؤتى . يقول : ولكنى تعرونى فى الهوى رقة شوقٍ وجهد صباية ، كما كنت أفايه منك وفيك حين كنت مُطلقاً ومُحلى . والفعل من الصباية صببت بكسر الباء ، والصفة صبب . وقوله « إذ أنا مطلق » الجملة فى موضع جرّ بالإضافة ، وقد شرح بها « إذ » كأنه قال : وقت إطلاق (٣) .

٧

وقال أبو عطاء السندي (٤) :

إذ كرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهات منّا المثقفة السمر

يعنى بالخطى رُمح نفسه ، أى يتردد بالطعن . كأنه يُصور حاله وما يكابده فى مجاهدة أعدائه . والخط : سيف البحرين وعمان (٥) وإليه يُنسب القنا .

(١) به ، باتفاق النسختين ، فالضمير للحال . وفى التبريزى : « بها » .

(٢) هذه من م والتبريزى .

(٣) أورد التبريزى عقب شرح هذه المقطوعة « حديث جعفر بن علبه الحارثى وسبب حبسه وقتله » ، وهو حديث طويل .

(٤) التبريزى : « واسمه أفلح مولى عنبر بن سهاك بن حصين ، وكان به عمجة شديدة يجعل الجيم زايا والشين سيناً ، وهو من شعراء بنى أمية » . وانظر ترجمته أيضاً فى الشعر والشعراء ٧٤٢ والأغاني ١٦ : ٧٨ - ٨٤ والخزافة ٤ : ١٦٧ .

(٥) وردت فى النسختين بتشديد الميم ، وهو ضبط لا تقرأه المعاجم ولا كتب البلدان . وهذه هى المجاورة للبحرين . وأما المشددة الميم المفتوحة العين فهو التى بالشام .

وكان قولهم : الخطيئة ، وهي أرض لم تُمطرَ بين أرضين ممطورتين ، منه .
والخطرُ أصله التحرك ، يقال مرَّ يَخْطُرُ خطراً ، وخطر البعير بذنبه خطراً
وخطرَ أنا . فرتبه بهذا الكلام على قلة مبالاته بالحرب ، وأن نفسه تآقت والرمح
يختلف بالطعن بينهم^(١) إليها حتى كانت تلك همّه وشغلّه ، فقال : ذَكَرْتُكَ
بقلبي ورماح الخطّ تضطرب في الحرب بيننا ، وقد رَوَيْتُ مَثَا أَى من
دَمَائِنَا^(٢) . وروى بعضهم : « وقد نُهِكْتُ^(٣) مَنَا المُنْقَعَةَ » من نَهَكَ
المرض ، وليس بشيء : ومصدر ذَكَرْتُكَ ذُكْرٌ بضم الذال ، لأنّ الذُّكْرُ
بالقلب والذُّكْرُ باللسان . والاسمُ من نَهَلْتُ النَّهْلُ . والمؤرِدُ : النَّهْلُ : وقد
عُدَّ النَّاهِلُ في الأضداد ، لوقوعه على الرِّبَانِ والعَطْشَانِ ، وكان حقيقة النَّهْلِ
أول السقي ، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع^(٤) . فلذلك استعمل النَّاهِلُ
في الرّى والعطش .

٢ - فَوَاللّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ أَدَاءِ عَرَائِي مِنْ حِبَابِكَ أَمْ سِحْرٌ

أقسَمَ بالله على استواءِ عليه^(٥) بالحالتين اللتين ذكرهما . ويسمى الألف التي
في قوله « أداء عرائي » ألف التّسوية ، لهذا الذي ذكرناه . وكذلك لو قال :
ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو ، لكان الألفُ ألف التّسوية أيضاً ، لأنّه
بتمّنيه العلم بما ذكره من الأمرين ، دلّ على استواءِ درايته بهما : « وعرائي »
معناه أصابني . يقال عراه يعرّوه ، واعتراه يعتريه ، وعرّه يعرّه بمعنى واحد .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « بينهما » .

(٢) أشار ابن جنى أن جملة « وقد نهكت » بدل من الحال الأولى ، أو هي حال من

الضمير في « بيتنا » .

(٣) كذا في النسختين بالبناء للمفعول .

(٤) بعض النحويين لا يبيح هذا التعبير ، وهو إيلاء الناقى للفظ « قد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من م .

هو « الحَبَابُ » بمعنى الحُبِّ ، كأنه مصدر حَبَبْتُهُ . وقد يكون مصدر حَابَبْتُهُ ويكون من اثنين . ويكون أيضا جَمَعَ الحُبَّ ، وكأنه جَمَعَهُ على اختلاف أحواله فيه ، كما تُجْمَعُ الشَّمْسُ على مَوَاقِعِهَا . وَيُرْوَى « جَنَابِكِ^(١) » والمعنى من ناحيتك . وقوله « إني لصادقٌ » يجوز أن يريد به صِدْقَهُ في الخبر ، ويجوز أن يُريدَ بَرَّهُ في الخلفِ ، ومرجع الوجهين إلى معنى واحدٍ .

٣- فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاغْذِرْ نَبِيَّ عَلَى الْهَوَىٰ وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَاكِ الْعُذْرُ

السَّحْرُ والتمويه يرجعان إلى معنى واحد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ ، أى أخرجوه على وَجْهِهِ في مَرَأَى العَيْنِ وحقيقته على خِلافِهِ . وَالسَّحَارَةُ^(٢) : لُغَبَةٌ ذلك صِفَتُهَا . ويقال عَنَرٌ مَسْحُورَةٌ ، إِذَا عَظُمَ ضَرُّهَا وَقَلَّ لَبَنُهَا . وَأَرْضٌ مَسْحُورَةٌ ، إِذَا لَمْ تُنْبِتْ شَيْئًا : فيقول : إِنْ كَانَ مَا بِي سِحْرًا فَلِي عُذْرٌ فِي هَوَاكِ ، لِأَنَّ مِنْ يُسْحَرُ مُحِبٌّ ، وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَ السِّحْرِ فَالْعُذْرُ لَكَ ، لِأَنِّي وَقَعْتُ فِيهِ بِتَعَرُّضِي لَكَ ، وَفِكْرِي فِي مُحَاسِنِكَ ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ « فَاغْذِرْ نَبِيَّ » فِي مَوْضِعِ قَلِي عُذْرٌ ، مَا قَابَلَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ « فَلَاكِ الْعُذْرُ » . وَفِي هَذَا إِسْقَاطُ سُؤَالِ السَّائِلِ : لَمْ قَالَ اعْذِرْ نَبِيَّ وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ الْعُذْرِ مَنْ لَهُ ذَنْبٌ أَوْ يُتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ ، وَانْتِصَابِ « دَاءً » عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبْرَ كَانَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَإِنْ كَانَ مَا بِي دَاءً . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَوْهَمٌ أَنْ تَلْكَ تَصَوَّرْتَهُ^(٣) بِصُورَةِ الْمَذْنَبِ^(٤) فَمَا أَظْهَرَهُ مِنْ عَشِقِهِ فَقَالَ لَهَا : إِنْ أَنْتِ فَتَنْتَنِي

(١) زاد التبريزي : « من جنابك » بالكسر ، أى مجانبتك .

(٢) ضبط في م بتخفيف الحاء ، والصواب تشديدها كما في اللسان . قال : « شئ يلعب به الصبيان إذا مد من جانب خرج على لون ، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف واكل ما أشبه ذلك سحارة » .

(٣) م : « صورته » .

(٤) في الأصل : « الذنب » صوابه في م والتبريزي .

وأوقعتني في حِبَالَتِكَ لِمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ مِنْ مَحَاسِنِكَ فِى عُدْرٍ حِينَ افْتَقَدْتُ ،
لأن مثل محاسنك تزلُّ العفيف ، وتنفلُ عن طبعه الحليم . وإن كنتُ
المتعرضَ لك والجالب على نفسى ما شقيتُ به ، فالعذرُ لك .

٨

وقال آخر^(١) :

١- وفارسٍ في غمارِ الموتِ مُنغمِسٍ إذا تَأَلَّى على مَكْرُوهِهِ صَدَقًا^(٢)

جَلَّ الموتُ غَمَارًا على التَّشْبِيهِ بالماء ، ثم جَعَلَهُ مُنغمِسًا فِيهَا فَحَسَنَتْ
الاستعارة جِدًّا : وَتَأَلَّى وَاتَّلى وَآلى مِنَ الأَلِيَّةِ . وَلَا حَلْفَ ثَمِّ ، إِنَّمَا يَرِيدُ
الْحَتْمَ وَالإِجْبَابَ ، فيقول : رَبُّ فَارِسٍ دَاخِلٌ فِي شِدَائِدِ المَوْتِ إِذَا حَلَفَ
عَلَى مَا يُبْكَرُهُ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ كَرِيهَاً فِي نَفْسِهِ بَرًّا وَلَمْ يَحْتِثْ أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا .
وَيُرْوَى « مَكْرُوهِةً » وَالْمَعْنَى خِصْلَةٌ تُكْرَهُ وَتُسْقَى . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صِفَةً
مُفْرَدَةً عَنِ المَوْصُوفِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا كَالْمِصْدُوقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ
المَصَادِرِ الجَائِيَةِ عَلَى زِنَةِ المَفْعُولِ . وَأَضَافَ المَكْرُوهُ إِذَا رَوَيْتَ « مَكْرُوهِهِ »
إِلَى الفَارِسِ لَوُقُوعِهِ مِنْهُ . وَالمُنغمِسُ : الدَاخِلُ فِي الشَّيْءِ ، يَقَالُ غَمَسْتُهُ
فِي المَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَرَجُلٌ مُنغمِسٌ لِذِي يَغْشَى الحَرْبَ وَيَتَرَدَّدُ فِيهَا . وَالفِغْمَارُ
وَالغَمَرَاتُ جَمْعُ غَمْرَةٍ ، وَهِيَ فِي المَاءِ وَالحَرْبِ وَالشَّرِّ تَرْجِعُ إِلَى السَّتْرِ .
وَيَقَالُ رَجُلٌ مُغَامِرٌ ، إِذَا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الغَمَرَاتِ وَالمِهَالِكِ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ
« فِي غُمَارِ المَوْتِ » بضم الغين ، وَكسرها أَجُودٌ مَعَ ذِكْرِ المُنغمِسِ .

(١) م : « آخر » فقط . وعند التبريزي وابن جني : « وقال بلعاء بن قيس الكنتاني .
وكان بلعاء هذا رأس بني كنانة في حروبهم ، وهو شاعر محسن . المؤلف ١٠٦ . ومات قبل
يوم الحريرة ، وهو اليه م الخامس من أيام الفجار . العقد الفريد .

(٢) يروى « مكرهه » بالإضافة إلى الهاء ، و« مكرهه » بابتداء في آخره .

٢ - غَشِيْتَهُ وَهُوَ فِي جَأْوَاءٍ بِأَسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَاثْفَلَقَا

العَضْبُ : القَطْعُ ، وَتوسَعُوا فِيهِ قَالُوا : عَضَبَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، أَيْ حَبَسَهُ ، وَامْرَأَةٌ مَعْضُوبَةٌ أَيْ مَعْضُولَةٌ (١) ، وَسَيْفٌ عَضْبٌ أَيْ قَاطِعٌ ، كَأَنَّهُ وَصِفَ بِالمصدر . وَالتغشَّى أصله الإتيان والملابسة ، ومنه الغشاوة : العِظَاءُ . وَتوسَعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ تَغَشَّاهُم بِالْعَدْلِ أَوْ الجَوْرِ . وَفِي القرآن : ﴿ إِذْ يُعْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ . فَقَوْلُهُ غَشِيْتَهُ ، هُوَ كَمَا يُقَالُ قَنَعْتُهُ ، وَهُوَ جَوَابُ رَبِّ فَارِسٍ هَكَذَا . أَنَا ضَرَبْتُهُ وَهُوَ فِي جَيْشٍ تَأَمَّ السَّلَاحَ كَرِيهَ اللِّقَاءِ ، بِسَيْفٍ قَاطِعِ أَصَابِ وَسَطِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ . وَالسَّوَاءُ : الوَسْطُ هَاهُنَا ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ . وَيَوْضَعُ مَوْضِعَ المصدرِ ثُمَّ يَوْضَعُ بِهِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ . وَأَصَابَ ، بِمَعْنَى طَلَبَ وَبِمَعْنَى نَالَ ، وَيُقَالُ أَصَبْتُ الصَّوَابَ فَأَخْطَأْتُهُ . وَالجَأْوَاءُ : الخَضِرَّةُ ، وَهُوَ مِنَ الجُؤْزَةِ ، يَعْنِي اخْضِرَارَ السَّلَاحِ . وَالبَسَالَةُ تَسْتَعْمَلُ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ . وَيُقَالُ رَجُلٌ بَاسِلٌ وَأَسَدٌ بَاسِلٌ وَبَسُولٌ . قَالَ :

* مَا غَرَّكُمْ بِالأَسَدِ البَاسِلِ (٢) *

وَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ البَسَلِ ، وَهُوَ الحَرَامُ ، كَأَنَّهُ لَمْتَعَهُ مُحَرَّمٌ .

٣ - بَضْرَبَةٌ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ مِثْلِ مُخَالَسَةٍ وَلَا تَعَجَّلَتْهَا جُبْنًا وَلَا فِرْقًا

يُقَالُ تَعَجَّلْتُ الشَّيْءَ ، أَيْ تَكَلَّفْتُهُ عَلَى عَجَلَةٍ . وَيُقَالُ أَيْضًا أَعْجَلْتُهُ وَاسْتَعْجَلْتُهُ وَتَعَجَّلْتُهُ بِمَعْنَى . وَانْخَلَسَ : أَخَذَ الشَّيْءَ مَخَاتَلَةً ، وَقِيلَ الاخْتِلاَسُ أَوْحَى مِنْ مِنَ انْخَلَسَ . وَيُقَالُ هُوَ لَكَ خُاسَةٌ ، كَمَا يُقَالُ نُهْزَةٌ وَفِرْصَةٌ . يَقُولُ : غَشِيْتَهُ

(١) أ معضولة ، ساقط من م .

(٢) لامرئ القيس . وصدوره :

* قَوْلَا لِدُودَانَ عِيدِ العِصَا *

سَيِّمًا بَانَ ضَرْبَتُهُ ضَرْبَةً هَكَذَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُ مُحَالَسَةً ، فَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْآخِرِ (١) :

وَقَدْ أَخْتَلِسُ الضَّرْبَةَ لَا يَدْمَى لَهَا نَضْلِي
وقول الهدلي (٢) :

* وَطَعْنَةَ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتُ مَرِشَةَ (٣) *

لأنَّ قَصْدَ الشَّاعِرِ هَاهُنَا إِلَى أَنَّهُ تَنَاوَلَ مِنْ خَصْمِهِ مَا تَنَاوَلَ بِتَثْبُتٍ وَقُوَّةٍ قَلْبٌ لَا كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَبَانُ . وَتَمَّ يَذْكَرُ تَمَكُّنَهُ مِنْ خَصْمِهِ عَلَى شِدَّةِ احْتِرَازٍ مِنْهُ حَتَّى تَنَاوَلَ مَا تَنَاوَلَهُ خَلْسًا . وَقَدْ وُصِفَ الشُّجَاعُ بِالْمُحَالِسِ وَالْخَلِيسِ ، وَكَذَلِكَ لِلصَّارِعِ . وَمِنْ مَدْحِ خَصْمِهِ ثُمَّ ذَكَرَ غَلْبَتَهُ لَهُ كَمَا أَبْلَغَ فِي الْإِفْتِخَارِ بِهِ ، فَأَعْرَفَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ . وَقَوْلُهُ : « وَلَا تَعْجَلْتُمَا جُبْنًا وَلَا فَرْقًا » يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَاتْتِصَابُ « جُبْنًا » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى مَصْدَرًا لِعَلَّةٍ . وَالْمَعْنَى : وَلَمْ أَتَكَلَّفْ تَعْجَلْتُمَا لَضَعْفِ قَلْبِي وَلَا لَخَوْفِي مِنْ صَاحِبِي . وَضَرْبَةُ الْجَبَانِ أَعْجَلُ وَأَسْرَعُ .

٩

وقال ربيعة بن مقروم الضبي (٤)

١- وَقَدْ شَهَدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ
أَطْرَادِ الْمَاءِ وَالسَّرَابِ (٥) وَالْكَلَامِ : اتَّسَقَتْ عَلَى حَدِّ الاستقامة والمراد .

(١) هو الفند الزماني ، أو امرؤ القيس بن عابس الكندي . انظر اللسان (دفس) .

(٢) هو ربيعة بن الجحدر الهدلي . اللسان (محج) وهرج أشعار الهدليين للسكري ٢٨٥

(٣) عجزه : * يمج بها عرق من الجوف قالس *

(٤) شاعر مخضرم ، ترجم له في الشعر والشعراء ٢٧٩ والأغاني ١٩ : ٩٠ - ٩٣

والإصابة . وفي المبهج : « الربيعة : بيضة الحديد ، والربيعة أيضا : الحجر الذي يرتفع ، أي يشال : وأما مقروم فمفعول من قواك قرمت الشيء بأسناني فهو مقروم ، أي مقطوع » .

(٥) في الأصل : « والشاب » ، والوجه ما أثبتنا من م .

ويقال : جَدُولٌ مطرَدٌ، وَبَلَدٌ طَرَّادٌ، أى وَسِعَ يُطْرِدُ فِيهِ السَّرَابُ . وَأَرَادَ بِالخَيْلِ الْفُرْسَانَ لَا الْأَفْرَاسَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « يَوْمَ طَرَّادِهَا » . وَالطَّرَّادُ مِنَ الْفُرْسَانِ : حَمَلٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَعَلَى هَذَا مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ « يَا خَيْبَلُ اللَّهُ أَرْكَبِي » . وَالْمَعْنَى حَضَرْتُهُمْ يَوْمَ تَطَارُدِهِمْ بِالرَّمَاحِ وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ ضَخْمٍ سَلِيمٍ الْأَوْطَقَةَ مِنَ الْعُيُوبِ . وَ« شَهَدْتُ » مَوْضِعَانِ : الْحُضُورُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ . وَالْعِلْمُ وَالتَّبَيُّنُ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ . وَقَدْ يُقَسَّمُ بِهِ كَمَا يُقَسَّمُ بِالْعِلْمِ ، فَيُقَالُ يَشْهَدُ اللَّهُ كَمَا يُقَالُ يَعْلَمُ اللَّهُ . فَأَمَّا شَهَادَةُ الشَّاهِدِ فَلَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ فِيهَا . وَالتَّهَيُّكَلُ أَصْلُهُ فِي الْبِنَاءِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ وُصِفَ بِهِ الْفَرَسُ .

٢- فَدَعَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ
قوله « دَعَا نَزَالَ » أى صَاحُوا : نَزَالَ نَزَالًا . وَمِنْهُ قِيلَ لِتَطْرِبِ النَّامِطَةِ فِي نِيَاحَتِهَا : التَّدَعَّى . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْأَعَشَى :

* قَالُوا الطَّرَّادَ قَقَلْنَا تَلَكَّ عَادَتْنَا ^(١) *

وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَخِرُّ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا جَعَلُوا نَزَالَ عَلَى التَّوَشُّعِ هِيَ الْمَدْعُوعَةُ وَإِنْ كَانَتْ دُعَى إِلَيْهَا ؛ وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُمْ ^(٢) :

* دُعِيَتْ نَزَالَ وَلُحَّ فِي الدُّعْرِ ^(٣) *

(١) عجزه : * أو تنزلون فإننا معشر نزل

(٢) كذا في النسختين .

(٣) لزهير بن أبي سلمى ، في ديوانه ٨٩ . وصدوره :

* ولنم حشو الدرع أنت إذا *

وفي القرآن : ﴿ دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا
وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ . ونزال : اسمٌ لا نزل ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْكسْرِ ، مَعْرُوفَةٌ
مؤنث معدول . والدلالة على تأنيثه قول زهير :

* دُعَيْتُ نَزَالَ وَأُجِّجَ فِي الدُّعْرِ *

والمعنى تنادوا وقالوا نزال فكنتم أول النازلين . ثم قال مظهرًا انترك
التحمُّد بذلك ، وأنه فيما فعله كمن أدى واجباً عايه : « وعلام أركبه » .
المعنى لأى شىء أركب فرسى إذا لم أنزل إذا دُعيتُ إلى النَّزَالِ . و « ما » من
« عَلَامٌ » حُذِفَ أَلِفُهُ لِأَنَّهُ فِي الْاسْتِفْهَامِ إِذَا اتَّصَلَ بِحَرْفِ الْجَرِّ يَخْفَفُ
بِالْحَذْفِ ^(١) ، عَلَى ذَلِكَ بِحَمْ وَوَيْمٍ وَعَمِّ وَمَمِّ ، إِذَا اتَّصَلَ بِذَا فَيُقَالُ بِمَاذَا
ولماذا ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَاذَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فَلَا يَغْيَرُ « مَا » ، وَقَوْلُهُ « وَعِلَامٌ أَرْكَبُهُ
إِذَا لَمْ أَنْزِلْ » يَجْرِي بِجَرَى الْإِنْفَاتِ وَيُقَارَبُهُ ، وَقَائِدَتُهُ أَنَّهُ أَسْقَطَ التَّحْمُّدَ بِمَا فَعَلَهُ
به . وفي طريقته من جهة المعنى قول الآخر :

وَلَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكِرَامُ أَهْمُ إِلَّا مَتِيدَ السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا

ومثل الأول قوله :

عِلَامٌ تَقُولُ الرَّمْحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أُطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ ^(٢)
٣ - وَالَّذِي حَقَّقَ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَعَلِّي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِي
أَخْرَجَ التَّشْبِيهَ مَا لَا يُدْرِكُ مِنَ الْعِدَاوَةِ بِالْحَسَنِ إِلَى مَا يُدْرِكُ مِنْ غَلِيَانِ

(١) وأحيانا لا يحذف ، وقرئ : « عما يتسألون » . وأنشدوا لحسان :

عل ما قام يشتمنى لئيم كخنزير تمرغ في رماد

انظر حواشى البيان (٣ : ١٢٥) .

(٢) لعمرو بن معديكرب . الحماسية ٣٠ .

الْقَدْرِ ، حَتَّى تَجَلَّى ، فَصَارَ كَالْمَشَاهِدِ^(١) . وَالْأَلَدُ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةَ . كَأَنَّهُ لَدَّ بِالْخُصُومَةِ ، أَيْ أُوجِرَ فَلَدَّ بِهِ . وَلِذَلِكَ كَانَ اللَّدُّ مُصَدَّرًا لَدَّ . وَيُقَالُ فِي مَعْنَاهُ الْأَنْدَدُ^(٢) . وَالْحَنَقُ : شِدَّةُ الْغَيْظِ ، يُقَالُ أَخَذَهُ فَحَنَقَهُ ، يَقُولُ رَبُّ حَضَمٍ شَدِيدِ الْخُصُومَةِ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ عَلَيَّ تَغَلَّى عِدَاوَتُهُ لِي فِي صَدْرِهِ غَلِيَانٌ الْمِرْجَلُ بِمَا فِيهِ إِذَا كَانَ عَلَى النَّارِ ، أَنَا دَفَعْتُهُ عَنِ نَفْسِي . وَجَوَابُ رَبُّ هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَالْحَنَقِيُّ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّزُوقِ ، كَأَنَّ الْحَقْدَ لَزِقَ بِصَدْرِهِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ أَخْنَقْتُ الدَّابَّةَ ، إِذَا صَمَّرْتَهُ .

ع - أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النُّوَاطِرِ مِنْ عَمَلٍ^(٣)

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَرْجَيْتُهُ ، أَنَّ الرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ « أَوْجَيْتُهُ » وَمَاعِدَاهُ تَصْحِيفٌ . قَالَ . وَهُوَ أَفْعَلْتَهُ مِنَ الْوَجَى ، وَإِنَّمَا أُوجِبَ ذَلِكَ لِيَكُونَ لِنَفْقِ قَوْلِهِ بَزُوعِهِ : « وَكَوَيْتُهُ » . وَالْمَعْنَى أَذَلَّتُهُ وَرَدَدْتُهُ رَايَحًا كُرُزُوحَ الْقَرَسِ الْوَجِي . ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ طَرْفَةَ مُؤَنِّسًا بِهِ :

وَقَوْمٌ تَنَاهَوْا عَنِ أَذَانِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ^(٤)

قَالَ الشَّيْخُ : وَلَقَدْ قَضَيْتُ الْعَجَبَ مِنْ هَذَا الْأُسْتَدْرِكِ ، وَمِنْ ضَلَالِهِ عَنِ طَرِيقِ الرَّشَادِ فِيمَا قَصَدَهُ مِنَ الْمَعْنَى ، وَرَوَاهُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَ طَرْفَةَ إِنَّمَا هُوَ :

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « كالمشاهدة » .

(٢) ويقال يلندد أيضا .

(٣) ابن جني : « أكثر من ترى يروى هذا البيت أرجيته بالراء ، فإذا تعالي شيئا برواه أوجأته ، وكلاهما تصحيف ، وإنما هو أوجيته بالواو ، أي ذلته وقهرته . كذلك رويناها وكذلك وجدته أيضا في شعر القبيلة » .

(٤) ديوان طرفة ٥٦ بهذه الرواية عينها في نهاية القصيدة . قال صانع ديوانه : « ولم يرو الشنمر هذا البيت » .

وما زال شُرْبِي الرَّاحِ حَتَّى أَشْرَنْيَ صَدِيقِي وَحَتَّى سَاءَنِي بَعْضُ ذَلِكَ (١)
 وَحَتَّى يَقُولَ الْأَقْرَبُونَ نَصَاحَةً دَعِ الْغَيَّ وَاصْرِمِ حَبْلَهُ مِنْ حَبَالِكَ (٢)
 وَحَتَّى تَنَاهَوْا عَنْ أَذَانِي بَعْدَ مَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ
 فقوله : « حتى تناهوا » ليس مما فسره واستشهد له بسبيل ، إنما يريد
 طرفه أنه أبعد غايته في الخسارة ، وتمادى في تعاطي الصبا والجهالة ، فلم يصح
 للناصح ، ولم يرعوا لعاذل ، حتى نفضوا أيديهم من إنايته ، ويتسوا من قبوله
 وإعتابه ، فألقوا حبله على غاربه : وصاروا من بين ناسب له إلى الشر ،
 ومسىء إليه في القول ، وقاذف إياه بالغي ، فأفضت بهم الحال إلى أن تناهوا
 بعد أن بلغ منهم العناء كل مبلغ ، وأثر فيهم الإعياء والإخفاء أشد تأثير . ألا
 ترى أنه جعل الوجى في المشاش من السنابك منهم . فهذا ما عليه في الرواية ،
 والذهاب عن طريقة الشاعر . وبعد فإنه لا يقال أوجيت الدابة عني ويراد
 الإخفاء ، ولم يسمع في التذليل ذكر الحفي والوجى مستعارا كما يسمع الكي
 والوسم فيه . وبعد القوص (٣) لا يدري على ماذا يهجم بصاحبه . والرواية
 الصحيحة « أَرْجَانُهُ » و « أَرْجِيَّتُهُ » وهما لعتان ، والهمز أفصح .
 وقد قرئ : ﴿ تَرْجِيٌّ مِنْ تَشَاءٍ مِنْهُنَّ ﴾ و ﴿ تَرْجِيٌّ ﴾ . ويروى :
 « أَوْحِيَّتُهُ » ، ويروى : « أَرْجِيَّتُهُ » والمعاني تتقارب (٤) في الكل .
 يقول : رَبِّ خَصْمٍ هَكَذَا أَنَا وَحِيَّتُهُ (٥) عن نفسى وصرفته ، وقد أبصر
 رُشدَهُ ، وعرف مقدار نفسه ، فعاد إليه بعد أن كان يشتط فيما له ،
 ويتعابى عما عليه . والقصد : ما لا سرف فيه ، ولذلك قيل اقتصد في

(١) ديوان طرفه ٥٥ واللسان (شرر) مع تحريف . أشره : نسبه إلى الشر .

(٢) الديوان : « ذر الجهل واصرم حبلها »

(٣) م : « الغرض » .

(٤) م : « والمعنى يتقارب » .

(٥) وحاه توحية : عجله .

كذا. وطريقُ قاصِدٌ، إذا كان على حَدِّ الاستواء. ومن كلامهم: ضَلَّ
عن قَصْدِ الطريق، كما قيل: ضَلَّ عن سواء السَّبِيل. قال الراجز^(١):

إِنِّي إِذَا حَارَ الْجَبَانُ الْهُدْرَةَ^(٢) رَكِبْتُ مِنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ مَنْجَرَةً^(٣)
وقوله: «وكويته فوق النواظر»، يشبهه قول الآخر^(٤):

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينِ مِيسَمًا
أى كويته من عل فوق ناظره، أى وَسَمْتُهُ بِسَمَةِ مِنَ الذَّلِّ اشتهر بها، ولم
يمكنه إخفاؤها. ويقال لمن يُتَوَعَّدُ بِالْإِذْلَالِ وَالنَّشْوِيهِ: لَأَسْمَنَّكَ وَسَمًا
لا يفارقك. ولذلك قال جرير:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِي
وكما يجعلون هذه السِّمَةَ فِي الْجَبِينِ يجعلونها في الأنف، ولذلك قال الأعشى:

* أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَأَسِمِ^(٥) *

وفي القرآن: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾. فإن قيل: لم أتى بقوله من عل،
وقد قال فوق النواظر ويُعلم منه أنه أعلى؟ قيل: إن التقدير كويته من عل فوق
النواظر، أى من أعلاه فوق ناظره، وفيه التقديم والتأخير، ولو سكت على من
عل لكان يجوز أن يكون فوق النواظر ودون النواظر، لكنه بيّن أن قَصْدَهُ
إلى الجبين بميسمه. والمعنى شهرةً ياذلالي، ووسمته بكبي حيث يظهر للناظرين
ولا يخفى. وانتصاب «فوق» يجوز أن يكون على البدل من الضمير في كويته،

(١) هو الحصين بن بكير الربيعي. اللسان (هدر).
(٢) الهدرة كهمة: السائط. ويروى: «الهدرة» بالذال المعجمة، وهو بالهمزة أجود.
(٣) المنجر: الطريق المستقيم. اللسان (هدر، نجر). م: «منجر».
(٤) هو المتلمس. ديوانه نسخة الشنقيط.
(٥) قطعة من بيت له يروى كاملاً في ديوانه ٥٧، يل روى على هذه الصورة الناقصة:
..... يفتيك وأحمد لغيرها بشرك وأغلب أنف من أنت وأمم

لأن «فوق» من الظروف المتكئة . ويجوز أن تجعله ظرفاً تريد كويته في هذا المكان مما علامته . وإنما لم يبين من على لأنه جعله نكرة ، كما تقول أتيتته قبلاً أى أولاً ، وأنت لا تقصد إلى أنه مضاف إلى معرفة مخصوصة ، فاعلمه . ومنه (١) :

* كَجَلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (٢)

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب ، وإن شئت جعلته معتلاً الآخر لا منقوصاً كشج وقاضٍ ، وجعلته في النية مضافاً ، فيكون معرفة وتنوي ضمة البناء في موضع لامة ، كما تنويها في الياء من قاضٍ وغازٍ إذا ناديت بهما واحداً بعينه . وفي على لغات كثيرة ، وله نحو في البناء والإعراب ليس لأخواته من الغايات ، وليس هذا موضع شرحه .

١٠

وقال سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم (٣) :

١ - مَأْغَسِلُ عَنَى الْعَارِبِ السَّيْفِ جَالِبَا عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا

القضاء ، أصله الحتم والإيجاب ، ثم يستعمل في إكمال الضنح والقراع من الشيء . ولهذا قيل قضى قضاؤك ، أى فرغ من أمرك . وفي القرآن : ﴿ فقضاهن سبعم سموات ﴾ . ويروى : « قضاء الله » بالرفع والنصب ، فإذا رفعت فإنه يكون

(١) م : « ومثله » . والبيت التالى لا يرى النقيض في معانيه .

(٢) صدره : * مكر مفر مقبل مدب : مما *

(٣) شاعر إسلامى ، كان من شياطين العرب ، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام .

بين تميم وبكر بن وائل . الشعر والشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٤ - ٤٤٦) واللالى ٧٩٢ - ٧٩٤ . وفي شرح التبريزى : أنه كان أصاب دما فهدم بلال داره .. واشتقاقه

ناشب ، من قولهم رجل ناشب ، أى ذو نشب .

فاعلا لِحَالِبًا عَلَيَّ ، وما كان جَالِبًا في موضع مَفْعُولِهِ (١) ، ويكون القضاء بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السيف في الأعداء ، في حال جَلَبِ حَكَمِ اللَّهِ عَلَيَّ الشَّيْءِ الَّذِي يَجْلِبُهُ . وإذا نَصَبَ القضاء فإنه يكون مفعولاً لِحَالِبًا وفاعله ما كان جَالِبًا ، ويكون القضاء الموت المحتوم والقدر المقدور ، كما يقال لِلْمَصِيدِ الصَّيْدُ ، وَلِلْمَخْلُوقِ الْخَلْقُ . وَالْمَعْنَى جَالِبًا الْمَوْتَ عَلَيَّ جَالِبُهُ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ « كَان » مِنْ قَوْلِهِ مَا كَان جَالِبًا فِي مَعْنَى صَار . قَالَ : وَمِثْلُهُ :
بِتَيْهَاءٍ قَفِيرٍ وَالْمَطِيئُ كَأَنَّهُ قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فِرَاحًا بِيَوْضِهَا (٢)
لأن المعنى قد صارت .

٢ - وَأَذْهَلَ عَن ذَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِي مِّنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا (٣)
الذُّهول : تَرَكَ الشَّيْءَ مِتْنَاسِيًا لَهُ وَمِتْسَلِيًا عَنْهُ ، وَمِنْهُ اسْتِقْطَاقُ ذُهْلٍ ، يَقُولُ : إِذَا ضَاقَ الْمَنْزِلُ بِي حَتَّى يَصِيرَ دَارَ الْهُوَانِ انْتَقَلْتُ عَنْهُ ، وَأَجْعَلُ خَرَابَهُ وَقَايَةَ لِلنَّفْسِ (٤) مِنَ الْعَارِ الْبَاقِي ، وَالذَّمُّ الْلاحِقُ . وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ :

* وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحْوَلِ (٥)

وهو ضد المعنى الذي يقصدونه بالثبات فيه والصبر عليه ، من الإقامة في دار الحفاظ والافتخار به ، لأن الانتقال ثم هو الجالب للعار ، كما أن الإقامة هنا هو الجالب . فمن ذلك قوله :

(١) م : « مفعولة » .

(٢) البيت لابن أحرر في اللسان (كون) . ونسبه ابن يديش في شرح المفصل إلى ابن كنزة . ويروى : « كأنها » .

(٣) انظر الإشارة إلى هدم بيته في ترجمته السابقة .

(٤) م : « لنفسى » .

(٥) لعبد قيس بن خفاف التميمي ، كما في حماسة البحتري ١٧٩ . وصدوره :

* احذر محل السوء لا تحلل به *

وَتَقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بِيُوتُنَا زَمَنًا وَيَطْعَنُ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِعِ (١)

ومنه قوله :

يُقَالُ مَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرَّتِهَا وَإِنْ تَعَادَى بَيْكَ كُلُّ مَحْلُوبٍ (٢)

وفي ضده قوله :

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارُهُ أَفْرَاحٌ عَنْهَا كَنْ لَمْ يَرَحْلِ

وقول الآخر :

وَأَسْنَا بِمُحْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ خَافَةَ مَوْتِ إِنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ

وانتصب « حاجبا » على أنه مفعول ثانٍ لأَجَلٌ ، لأنه بمعنى أَصِيرٌ .

والتقدير : أجعل هدمها حاجبا لِعِرْضِي ، وما نأمنُ بباقي الدَّم . ولـ « جعلت »

غير هذا مواضع ، يكون بمعنى خَلَقْتُ وأنشأت فيتعدي إلى مفعول واحد ،

كقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ؛ ويكون بمعنى سَمَّيْتُ ، كقوله

تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الملائكةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا ﴾ ؛ ويكون بمعنى

ظَنَنْتُ ، تقولُ : جَعَلْتُهُ عَبْدًا وَشَتَمْتُهُ ، أى ظَنَنْتُهُ ؛ ويكون بمعنى طَفِقَ

فلا يتعدي . تقول : جَعَلْتُ بِكَلْمِهِ ، أى أَقْبَلُ . وعلى هذا قوله :

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلٍّ (٣) أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

٣- وَيَصْفُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَهَتْ يَمِينِي يَا ذَرَاكَ الَّذِي كُنْتَ طَالِبًا

أراد بقوله « يصفر » صَفَرَ القدر وخَفَّتَهُ ونَزَارَتَهُ فِي الهمم والفِكر .

(١) للحادرة الذبياني في المفضليات (١ : ٤٣) . و « للأمرع » ضبطت في الأصل بضم

الراء وفي م بفتحها ، وهما روايتان .

(٢) لسلامة بن جندل في المفضليات (١ : ١٢٢) .

(٣) في الأصل : « عن جفاء » ، والوجه ما أثبتنا من م .

وخص « التلاد » وهو المال القديم ، لأنَّ النفس بمثله أضنُّ ، وبه أنفس ، وله أضبُّط . تبه بهذا الكلام على أنه يخفُّ على قلبه ترك الدار والوطن خوفاً من التزام العار ، كذلك يقلُّ في عينه إنفاق المال عند انصراف اليد حائزة للطلب ، جامعة له . وجواب « إذا » قدَّم عليه وهو قوله « يصغرُ » ، فأما قوله « كنت طالباً » ، فقد حُذِف منه الضمير العائد إلى الذي ، والتقدير كنت طالبه .

٤- فَإِنْ تَهْدَمُوا بِالْعَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تَرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا

الهدمُ : القلْع والتخريبُ ، ويسمى المهدم هدمًا . قال :

* كَأَنَّهُ هَدَمَ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضٌ ^(١) *

وتوسعوا فيه فقيل للثوب اخلتقِ هدمٌ ، وجمعه أهْدَامٌ . وقيل مجوزٌ متهدمة أى هَرَمَةٌ فإنيّة . وتهدمٌ عليه من الغضب ، كما يقال تهجّم . والعدْرُ : تركُ الوفاء ، ومنه غادرتهُ ، والعدير . وكانَ هذا الرجل كان أخلَّ بداره لنائيّة نابتة ^(٢) فصار يحاطبُ أعداءه ويريهم قلةَ فكره فيما تجرى عليه أحواله من جهتهم ، وفيما تُقضى عواقبُ أمره إليه معهم ، فيقول : إن تخربوا داري غدرا منكم فإنها ميراث رجل هكذا ، ويعنى به نفسه ، وسمى ملكه ميراثا وهو حَيٌّ ، والمعنى أنه سيورثُ ، وهذا تسمية الشيء المنتقل في أيدي ملاك والمتصرفين فيه على التشبيه : ميراثا ، وإن لم ينتقل بالأسباب والأنساب . على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ . وتراث ، أصله وراثٌ ، والتناء فيه كالثناء في تكأة وتخمّة . وقوله : « تراث كريم » أراد بالكرم التثرة عن

(١) في الأصل : « منقاض » ، صوابه في م واللسان (هدم) . وصدده :

* تمضى إذا زجرت عن سؤة قلما *

(٢) انظر ما سبق في ترجمته من هدم بلال داره .

الأفذار ، والتباعد من جوالب العار : على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِالْمَلْعُونِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وقوله : « لا يبالي العواقبا » يقال : ما باليتته بالة وباليتة ومبالاة وبلاء ، وما باليت به . وكأنه أخذ من البلاء ، واستعمل في المفاخرة وتعداد الخصال الحسنة عند المناقرة ، ثم كثر استعماله حتى صار يُقال في الاستهانة بالشيء . ويشهد لهذا الذي قلناه قول الآخر :

مَالِي أَرَاكَ فَأَنَا تُبَالِي وَأَنْتَ قَدِمْتَ مِنَ الْهَزَالِ ^(١)

أى تفاخر .

٥ - أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبًا

يقال : ماله عزمٌ وماله عزيمة ، أى تثبت وصبرٌ فيما يهزم عليه . وحقيقة للزم : توطين النفس وعقد القلب على ما يرى فعله ، ولذلك لم يجز على الله عز وجل . والاعتزام : لزوم القصد وترك الانثناء ، ولذلك قيل اعتزم الفرس على الجرى . يصف نفسه بأنه صاحب همٍّ وأخو عزماتٍ ، مستبدٌ برأيه فيها غير متخذٍ رفيقاً ، ولا مستنصرٍ أجا وصديقاً . و « مقطع الأمر » أراد فضله والخروج منه . وبرؤى : « أخى عزماتٍ » وهى الشدائد . وبرؤى : « من مُقْطِعِ الْأَمْرِ » وهو من فطع الأمر وأفطع ، فظاعة وإفطاعاً ، وهو فطيعٌ ومُفْطِعٌ . أو من أفطعنى الأمر ففطعتُ به ، أى أعيانى فضقتُ به ذرعاً . وقوله : « صاحباً » صيغةٌ فى الأصل استعملت استعمال الأسماء ، فلم يجز تجرى أسماء الفاعلين ، ويجرى على طريقته قولهم والدٌ .

٦ - إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةٌ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا

الهمُّ : ما تُجِيلُ لفعله وإيقاعه فكرك . والهممة : اسم الحالة التى تكون

(١) أنشد الرجز فى اللسان (بلا) .

عليها في ذلك . ويقال في المثل لن يُعَيَّرَ^(١) بطول الأمل : « تَهْمٌ وَيُهْمُّ بِكَ » ،
ومنه المَهْمَاتُ ، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول . وهذا طريقة
الفتاك لأن الرجوع عن الرأي إلى غيره طريقة من يتدبر العواقب فيترك^(٢)
الشيء إلى الشيء لما يرجوه من حُسن المآب . فقال : إذا همَّ هذا الرجل بشيء
أنفذ عزمته ولم يردعها ، ولم يفعل ما يفعله خائفاً . ومثله قول الآخر :

جسورٌ لا يروغ عند همٍّ ولا يثني عزمته اتقاء

ويقال : رَدَعْتُهُ فَارْتَدَعَ ، أى كَفَفْتُهُ ورددته رَدَعًا . ومنه الرُدَاعُ في
العلة وهو التُّكْسُ ، يقال رُدِعَ رُدْعًا ورُدَاعًا . والمهْيَةُ تكون من الذعرِ
ومن الإجلال جميعاً ، ويقال للجان هَيُوبٌ وهَيُوبَةٌ ، والماء للبالغة ،
وللحشَمَ مَهْيَبٌ . وفي الحديث : « الإيمانُ هَيُوبٌ » . ويقال : تَهَيَّبْتُ الشيءَ
وتَهَيَّبَنِي بمعنى ، لما كان لا يلتبس ، ومثله من الملقوب كثير .

٧ - فيالَ رِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكُتَابَا^(٣)

ويروى : « الكراثبا » . الفاء من قوله « فيالَ رِزَامٍ » النية بها استئناف
ما بعدها وإن نسق بها جملة على جملة . واللام من يالَ رِزَامٍ ، هو لام الاستغاثة ،
ورِزَامٍ ينجرُّ به وهم المدعوون . وأصل حركة لام الإضافة إذا دخل على ظاهر
الكسر ، ولهذا إذا عطف على هذه اللام بلام أخرى كسرت الثانية ، تقولُ :
يا زَيْدُ العِمرُ ، ولكن هذه فُتِحَتْ لكون ما بعدها مُنَادَى ، ووقوع المنادى
على هذا الحد موقع المضمرات ، فكما قيل لك وله ، قيل يا زَيْدُ . وقوله « رَشَّحُوا بِي
مُقَدِّمًا » بكسر الدال بمعنى متقدِّمًا ، فهذا كما يقال وَجَّهَ بمعنى توجَّهَ ، وتَبَّهَ بمعنى تنبَّهَ .

(١) كذا في النسختين . وليست « يفتَر » .

(٢) في الأصل : « فينزل » ، ووجهه من م .

(٣) ابن جنى : « هذا البيت شاهد على إعمال فعال إعمال اسم الفاعل » .

وَنَكَّبَ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ مُقَدِّمَةُ الْجَيْشِ ، وَمَنْ فَتَحَ الدَّالَ
فَالْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ يُقَدِّمُ لِيَقْبَهُمْ بِنَفْسِهِ . « خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكِتَابُ » ، انْتَصَبَ
الْكِتَابُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ خَوَاضٍ . وَيُرْوَى « الْكَرَائِبُ » وَهِيَ الشَّدَائِدُ جَمْعُ
كَرَيْبَةٍ ، وَالْأَصْلُ فِي الْكَرْبِ : النَّعْمُ الَّذِي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ . وَالتَّرْشِيحُ أَصْلُهُ
التَّنْهِيَةُ وَالتَّرْبِيَةُ ، وَمِنْهُ قِيلَ رَشَّحَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا إِذَا دَرَجَتْهُ فِي اللَّبَنِ ، ثُمَّ
قِيلَ رُشِّحَ فُلَانٌ لِكَذَا ، تَوْشَعًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : يَا بَنِي رِزَامِ هَيِّئُوا لِي رَجُلًا
يَتَقَدَّمُ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ ، مُقْتَضِيًا الْجِيُوشَ وَالشَّدَائِدَ غَيْرَ مَتَنَكَّبٍ
وَلَا حَائِدٍ . وَيُرْوَى : « رَشَّحُوا لِي مُقَدِّمًا » ، وَتَأْخِيصُهُ : رَشَّحُوا بِتَرْشِيحِكُمْ
رَجُلًا هَذِهِ صِفَتُهُ ، فَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ .

٨- إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا^(١)

قوله : « ألقى بين عينيه عزمه » ، أى جعله بمرأى منه لا يفغل عنه ، وقد
طابق في المعنى كما قابل قوله ألقى بين عينيه عزمه ، بقوله : نكَّبَ عن ذكر
العواقب جانباً . ومثله قول الآخر :

* وَلَا نَاطِرٌ عِنْدَ الْوَعَى فِي الْعَوَاقِبِ *

وانتصب « جانباً » على أنه ظرفٌ . وَنَكَّبَ يَكُونُ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . وَالْمَعْنَى
أَنَّهُ إِذَا هُمْ بِالْشَيْءِ جَعَلَهُ نَصْبَ عَيْنَيْهِ^(٢) إِلَى أَنْ يَنْفُذَ فِيهِ وَيَخْرُجَ مِنْهُ ، وَيَصِيرُ فِي
جَانِبٍ مِنَ الْفِكْرِ فِي الْعَوَاقِبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ جَانِبًا عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَيَكُونُ
نَكَّبَ بِمَعْنَى حَرَّفَ . وَالْمُرَادُ انْحِرَافَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ وَطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ .
وَسُمِّيَ الْمَعْرُومُ عَلَيْهِ عَزْمًا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي وَصْفِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِالْمَصَادِرِ .

(١) مثله ما أنشده له البكرى في اللالى ٧٩٣ :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وصمم تصميم السريحي ذى الأثر

(٢) كذا ورد في النسختين ، بفتح النون ، وهو من أخطائهم ، والصواب ضم النون .

وفي اللسان : « القتيبي : جعلته نصب عيني بالضم ، ولا تقل نصب عيني » ، يعنى بالفتح .

٩- ولم يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

مِثْلُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلُ ابْنِ هَرَمَةَ :

* وَلَا يَنْتَجِي الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يُجَاوِلُ *

وَيُقَارِبُ الثَّانِي قَوْلَ الْآخَرِ :

* فَنَفِي السَّيْفِ مَوْلَى نَضْرُهُ لَا يُجَارِدُ *

والشاعر يصف استبداده وتفردَه عند ما يذمه بما يأتيه^(١) فغلاً ورأياً .
وإنما نبه على الرأي بقوله : « لم يَسْتَشِرْ » ، وعلى الفعل بقوله : « ولم يَرْضَ
إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا » . وانتصب قائم على أنه استثناء مقدم . ألا ترى أن
الأصل ولم يَرْضَ صَاحِبًا إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ . ولو أتى على هذا لكان الوجه أن
يكون بدلاً ، فقدم المستثنى كما ترى .

١١

وقال تَأَبَّطُ شَرًّا^(٢) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُذْبِرٌ

قوله « لَمْ يَحْتَلْ » ذهب بعضهم إلى أن الحيلة مأخوذة من قولم حال الشيء ،
أى انقلب عن جهته^(٣) ، كأن صاحبها يريد أن يستنبط ما يحول^(٤) عند غيره

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وما يأتيه » .

(٢) هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي ، وسمى تأبط شراً لأنه تأبط سيفاً وخرج
فقتل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شراً وخرج ، وهذا أشهر ما قيل في سبب تلقبیه . وكان
أحد لصووس العرب المغيرين ؛ قرينا للشنفرى وعم و بن براق . الشعراء ٢٧١ وشرح
الأنباري للمفضليات ١ - ٢ ، ١٩٥ - ١٩٦ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ - ٢١٨ والاشقاق

١٦٢ - ١٦٣ - والخزانة ١ : ٦٦ - ٦٧ واللال ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) م : « عن وجهة » . (٤) يحول بالحاء كما في النسختين ، ولعلها « يحول » .

ولذلك قيل : فلان حوال قَلَبٌ . وقوله « جَدَّ جِدُّهُ » أى ازداد جِدَّهُ جِدًّا .
ويكونُ مثلَ قوله :

* حتى أَسْتَدَقَّ نُحُولُهَا *

المعنى ازداد دَقِيقُهَا دِقَّةً ، ويجوز أن يكونَ المعنى صارَ غَيْرُ الجِدِّ جِدًّا
بِمآله (١) ، وهذا كما يُقال رِبْعٌ رَوْعُهُ ، وَخَرَجَتْ خَوَارِجُهُ ، وَجُنَّ جُنُونُهُ ،
وقال الهذلي :

* يَدْعَوْنَ مُحْسَاً وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ فَزَعٌ *

وإنما هو رِبْعٌ أَمْنُهُ ، وَخَرَجَتْ دَوَاخِلُهُ ، وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ أَمْنٌ . فَسَمِيَ الشَّيْءُ
بِمآلٍ إِلَيْهِ . وقوله « أَضَاعَ » يجوز أن يكونَ معناه وَجَدَ أَمْرَهُ ضَائِعًا ، ويجوز
أن يكونَ بمعنى ضَيَّعَ . ويقال : ضَاعَ الشَّيْءُ ضَيْعَةً وَضِياعًا ، وَتَرَكَهُمْ بَضَيْعَةً
وَمَضِيعَةً . وإذا أَخَذَ الرَّجُلُ فِيمَا لَا يَعْنيهِ ، قيل : فَشَتَّ عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ .
ويقاربه قولهم :

* اتَّسَعَ الخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ (٢) *

وقوله : « وهو مُدْبِرٌ » يجوز أن يكونَ الضميرُ للأمرِ ، والمعنى قاسى أمره ،
أى شقَّ به وهو مُؤَلِّ فائتٌ . ويجوز أن يكونَ الضميرُ للمرءِ ، والمعنى عالَجَ أمره
وكابَذَه مُدْبِرًا فِيهِ غَيْرَ مُقْبِلٍ وَلَا مَنْصُورٍ ، ومعنى البيت إذا الرَّجُلُ لَمْ يَطْلُبْ
رَشْدَهُ وَلَمْ يُنْفِذِ الحِيلَةَ فِي إِصْلاحِ أَمْرِهِ ، فِي الوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ ،

(١) م : « بما آل إليه »

(٢) عجز بيت لشقران السلامي في المحبتي لابن ذرید ٧٨ ، أو لابن حمام الأزدی فی

المؤتلف ٩٢ . وصدده :

* كنا نداريها فتقد مزقت *

ونحوه قول أبي عامر جد العباس بن مرداس ، في العيني (٢ : ٣٥١) :
لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراقع

وقد صار الأمر جدًّا لا شبهة فيه ، عالجه وهو هكذا ، أو عالجه والأمر هكذا . ومثله :

ولكنَّ مَنْ لا يَلِقُ أَمْراً يَنْوِبُهُ بَعْدَتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعَزَلُ

٢- ولكنَّ أَخُو الحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلقَصْدِ مُبْصِرٌ

السائرُ عنهم في مَثَلِ قولهم : « رَوَيْتُ حَزْمُ ، فإذا رَوَّاتُ فاعزِمُ » ، فيقول : صاحبُ الحَزْمِ هو الَّذِي يَسْتَمِدُّ للأمرِ قَبْلَ نزوله ، ويدبِّره قَبْلَ فَوْتِهِ ، حتى إذا نَزَلَ بِهِ يكونُ عارفاً بالقِصَّةِ فيه ، سالكا للوَجْهِ الَّذِي يَفْصِلُهُ مِنْهُ . وهذا كما قيل في المَثَلِ : « قَبِلَ الرِّمَاءُ تَمَلُّا الكِنَانِ ^(١) » . والحَزْمُ في اللغة : الشَّدُّ والضَبْطُ ، ومنه الحِزَامُ ، والحِزْمَةُ ، والحِزْمُومُ ، والمَحْزِمُ ، والخَطْبُ : الأمرُ المطلوبُ ، ويقال : خَطَبْتُ الأمرُ فَأَخَطَبَ ، كما تقول طَلَبْتُه فَأَطَابَ .

٣- فَذَلِكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَ إِذَا سَدَّ مِنْهُ مَنخَرُهُ جَاشَ مَنخَرُهُ

« ذاك » أشار به إلى أخى الحَزْمِ . و « قَرِيعُ الدَّهْرِ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى مَخْتَارِ الدَّهْرِ ، وَيَكُونُ مِنْ قَرَعْتُ الشَّيْءَ أَيِ اخْتَرْتُهُ وَخَصَّصْتُهُ بِقَرَعَتِي ، وَيَقَالُ هُوَ قَرِيعُهُمْ وَقَرِيعَتُهُمْ وَقَرِيعُهُمْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مَنْ قَرَعَهُ الدَّهْرُ بِنَوَائِبِهِ حَتَّى جَرَّبَ وَتَبَصَّرَ . وَيَكُونُ قَرِيعٌ فِي الْوَجْهِينِ فَعِيلاً فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَرِيعِ الدَّهْرِ فَعْلُ الدَّهْرِ ، وَيَكُونُ فِي هَذَا الْوَجْهِ قَرِيعٌ فِي مَعْنَى فَاعِلٍ ، لِأَنَّهُ يَقْرَعُ النَّاقَةَ أَيِ يَضْرِبُهَا . وَمَا تَقَدَّمَ أَحْسَنُ . وَقَوْلُهُ « مَا عَاشَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى مُدَّةَ عَيْشِهِ . وَقَوْلُهُ « إِذَا سَدَّ مِنْهُ مَنخَرُهُ » مَثَلٌ لِلْمَسْكَوْبِ الْمُصَيِّقِ عَلَيْهِ ، وَهَذَا كَمَا اسْتَعْمَلَ

(١) الكِنَانُ : جَمْعُ كِنَانَةٍ ، وَهِيَ جَعْبَةُ السَّهَامِ .

فيه الخَنْقُ والخِنَاقُ . وأصل المنخر في الأنف من النخير ؛ ويسمى الثُّخْرَةُ أيضاً . والجميع الثُّخَرُ . والنخير : مدّ النَّفْسِ ، ومنه نَخِيرُ الحمار . وقيل نُخْرَتَا الأنفِ : حَرَفَاهُ . وجاشتِ القِدْرُ : غَلَّتْ . وجاشَ البحرُ : احتاجَ ، وأصلُهُ التَّحَرُّكُ في الموضعين والاضطراب ؛ ومنه الجيشُ واحدُ الجيوش . والمعنى : لافتنانه في الحِيلِ لا يُوَخِّدُ عليه طريقٌ إلا نَفَّذَ في آخَرٍ . و « الحَوْلُ » : الكثير التحوُّل في الأمور . ويقال هو قُلُوبٌ وَحَوْلٌ ، وفي معناه رَجُلٌ حَوْلٌ وَحَوَالِيٌّ . قال ابن أحر (١) :

أَوْ يُنْسِنُ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَنِّي حَوَالِيٌّ وَأَنِّي حَذِرٌ
ويقال : هو ذو حَوْلٍ وَحَوِيلٍ ، وفي المثل : « لو كان ذا حيلة تموّل » .
فأما قولهم : هو ذو مَحَلَّةٍ (٢) ، فهو في معنى مَحَالَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنْ بَنَائِهِ ، لأن الميم في مَحَلَّةٍ أصلية ، وفي مَحَالَّةٍ زائدة .

ع- أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيْقُ الْحَجَرِ مُعَوَّرٌ (٣)

من كلامهم : « نعوذ بالله من صَفَرِ الإِنَاءِ ، وَقَرَعِ الفِنَاءِ » . وهذه الاستعارة من سُموْلِ التَّحْطُّطِ وَهَلَاكِ المَالِ . ولِحَيَّانٍ : بَطْنٌ من هُدَيْلٍ كان تَأَبَّطَ شَرًّا رَاعِمَهُمْ وَوَتَّرَهُمْ ، فكانوا يطلبون غَمَلَتَهُ ، حتى انفق منه الصُّعُودُ إلى الجبل الذي وصفه ليشتار العسل ، ولم يكن له إلا طريقٌ واحدٌ ، فجاءوا وأخذوا عليه ذلك الطريق ، فقال : أقول لهم ، يعني عند مخاطبته إِيَّاهُمْ وهو على الجبل . وقوله

(١) في اللسان (حول) : « ويقال للمرار بن منتهى العدوى » . وروايته عند التبريز : « أو ينسان » .

(٢) ضبط في م بضم الميم ،

(٣) الحجر ، كذا وردت في النسختين بتقديم الحاء وفتحها وهو الناحية . وتفسير المرزوقي يحتم هذه الرواية عنده . وفي مطبوعات الحامسة : « الحجر » بتقديم الجيم المضمومة . وفي شرح التبريزي : « وذلك أن الحشرة إذا لجأت إلى جحر ضيق لا تنفذ له وصل إليها الطالب » . فتفسيره يبين روايته كذلك .

« وقد صَفِرَتْ لَمْ وَطَابِي » يحتمل وجوهاً: يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من ودِّهم . وبعضهم يستضعف هذا ويقول: ومتى كان يودُّهم؟ وهذا اللفظ كيف يفيد هذا المعنى . ويمكن أن يُقال في ذلك إنّما أراد وِطَابَ ودِّي . وهذا كما قال بشر:

وَإِذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكْ يَنْتِنَا فِيهَا ذِمَامٌ^(١)
 كأنه تَبَيَّنَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْتَقُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَعُونَ ذِمَامَاتَهُ ، فَلَا رِيعَةَ
 وَلَا رِيقَةَ لَدَيْهِمْ ، وَلَا بُقْيَا وَلَا مَحَافِظَةَ عِنْدَهُمْ ، فَصَارَ اعْتِقَادُهُ فِيهِمْ كَمَا بَانَ لَهُ
 اعْتِقَادُهُمْ . فِيهِ . فَهَذَا قَالَ مَا قَالَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَشْرَفَتْ نَفْسِي ،
 بِسَبَبِهِمْ وَلْتَعَرَّضْهُمْ وَتَهْمَهُمْ بِاتِّهَازِ الْفُرْصَةِ لِمَا أَمَكَّهُمْ ، عَلَى الْهَلَاكِ . وَيَكُونُ
 هَذَا مِنْ قَوْلِهِ :

* وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ^(٢)

وفي طريقته قول الآخر^(٣) :

هَرَقْنَا بِسَاحِقٍ جِفَانًا كَثِيرَةً وَأَدَّيْنِ أُخْرَى مِنْ حَقِينٍ وَحَازِرٍ
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

يَا جَفْنَةَ كَنْصِيحِ الْحَوْضِ قَدْ كُفِّتُ بِثَنِي صَفِينٍ بَعَلُو فَوْقَهَا الْقَتْرَ^(٤)
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِالْوِطَابِ إِلَى الْجِسْمِ ، أَيْ كَادَ تَفَارَقَهُ الرُّوحُ .
 وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : الْإِنْسَانُ^(٥) : زِقٌ مَنفُوحٌ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ إِلَى

(١) في المفضليات (٢ : ١٣٥) : « فإذ صفرت » .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٦٠ ، وصدرة :

* وَأَقْلَتْنِ عَلِيَاءَ جَرِيضًا *

(٣) هو سلمة بن الحرشب الأتماري ، كما في المفضليات (١ : ٢٦) وانظر مسجهم
 قبلدان (ساحق) .

(٤) عجز هذا البيت من م ، وهو ساقط من الأصل .

(٥) في الأصل : « للإنسان » وأثبتنا ما في م .

ظروف العسل التي اشتارها^(١) لأنه لما تيقن قصدهم لِقْتَلِهِ وتركهم مساحتته صبَّ العسلَ على الجبل من الجانب الآخر وركبهُ منزلاً عليه ، حتى لحق بالسَّهْل . قوله : « وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْحَجَرِ مُعَوِرٌ » ، أى ضَيْقُ النَّاحِيَةِ مُمَكِّنٌ . ويقال فى الْحَجَرِ الْحَجْرَةُ أَيْضاً . وفى الْمَثَلِ : « يَرْبِضُ حَجْرَةٌ وَيَرْتَمِي وَسَطًا » . وَمُعَوِرٌ ، من أَعْوَرَ لَكَ الشَّيْءُ ، إِذَا بَدَتْ لَكَ عَوْرَتُهُ ، وهى موضعُ الْحَافَةِ . قال الله تعالى فى الحكاية عن المنافقين لما قَعَدُوا عن نُصْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أى واهيةٌ يجب سَتْرُهَا وَتَحْصِينُهَا بِالرِّجَالِ ، وكما قيل يومٌ مُعَوِرٌ قِيلَ مَكَانَ مُعَوِرٌ ، أى مُخَوِّفٌ . ويقال : عَوَرَ الْمَكَانُ إِذَا صَارَ كَذَلِكَ ، وقرئ : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾^(٢) . وقال بعضهم : كلُّ ما طَلَبْتَهُ فَأَمَكَّنَكَ فَقَدْ أَعْوَرَكَ وَأَعْوَرَ لَكَ . ومعنى البيت : أقول لهؤلاء القوم والحالُ هذا ، وهو أُنَى قد جعلتُ لنفسى طريقاً إلى الْخِلَاصِ مِنْهُمْ أَوْ أُنَى أَشْرَفْتُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْيَوْمِ يَوْمَ شَدِيدِ عَسِيرٍ .

٥ - هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَجَرِ أَجْدَرُ

الْخُطَّةُ مأخوذةٌ من الْخَطِّ ، وهى تجرى مجرى القِصَّةِ ، وإن كان لها مواضعٌ تُفَرِّدُهَا ، وَحَذَفَ النُّونَ من « خُطَّتَا » إِذَا رَفَعْتَ « إِمَّا إِسَارٌ » اسْتَطَالَتْ لِلْإِسْمِ ، كأنه اسْتَطَالَ خُطَّتَا بِيَدِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ إِمَّا إِسَارٌ ، كما اسْتَطَالَ الشَّاعِرُ الْآخِرُ الْمُوصُولُ [بِصَلَاتِهِ ، وَالْمُوصُوفُ^(٣)] بِصَفْتِهِ فَقَالَ :

أَبْنِي كَلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ الَّذِي قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ^(٤)

(١) كذا فى م . وفى الأصل ؛ « الذى اشتاره » . والعسل يذكر وية نث .

(٢) هذه قراءة ابن عباس ، وابن يعمر ، وقتادة ، وأبي رجاه ، وأبي حيوة ، وابن أبي عمير ، وأبي طالوت ، وابن مقسم ، وإسماعيل بن سليمان عن ابن كثير . وقرأ الجمهور بإسكان الواو . تفسير أبي حيان فى (سورة الأحزاب) .

(٣) التكملة من م .

(٤) البيت للأخطل فى ديوانه ٤٤ . ونسب فى الضرائر للأولوى ٦٨ إلى الفرزدق وهو خطأ . وهو كليب هم قوم جري . وعما الأخطل هما : عصم بن النعمان ، ودوكس بن الفدوكس .

حَذَفَ النون من اللذا . ومثله في الحذف قول الآخر^(١) :

لَهَا مَثْنَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّيِّرِ

حذف النون من خطاتا . وقول الآخر :

لَنَا أَعَزُّ لُبْنٌ ثَلَاثٌ قَبَعُهَا لِأَوْلَادِهَا ثِنْتَا وَمَا بَيْنَنَا عَزُّ^(٢)

ويموز أن يكون الحذف على وجه الحكاية ، كأنه قال : هُمَا خَطَّاتَا قَوْلِكُمْ إِمَّا كَذَا وَإِمَّا كَذَا ، فلما تَوَى ذلك حَذَفَ النون للإضافة . وكانهم كانوا يُدِيرُونَهُ عَلَى الْخِصْلَتَيْنِ^(٣) ، فأخذ يتهكم عليهن ويحكي مقاتلتهن ، ونحوه قول الخليل في قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمَّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا^(٤) ﴾ ، قال معناه أَنْزَعَنَّ مِنَ الْمُتَشَابِعِينَ الَّذِي يُقَالُ لِعُتُوِّهِمْ أَشَدُّ أَشَدُّ ؛ فَحَكِي . وقوله :

* فَأَبَيْتُ لَا حَرَجٌ وَلَا مَحْرُومٌ^(٥) *

وإذا جَرَزْتَ « إِمَّا إِسَارٍ » يكون حذف النون لنتية الإضافة ، والتقدير : هُمَا خَطَّاتَا إِسَارٍ وَمِنَّةٍ . والمعنى ليس [لى^(٦)] إلا واحدة من خِصْلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ عَلَى زُعْمِكُمْ^(٧) : إِمَّا اسْتِئْصَارٌ وَالتَّزَامُ مِنْتِكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ الْعَفْوَ ، وَإِمَّا قَتْلٌ وَهُوَ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ مِنَ التَّعْرِضِ لِمَا يُنْزِرُهُ وَيُكْسِبُهُ الذَّلَّ . فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما

(١) هو امرؤ القيس . ديوانه ١٤ .

(٢) أشد هذا البيت التبريزي وابن جني كذلك ، ولم ينسباه .

(٣) انظر مثيل هذا التعمير فيما مضى ، ص ٤٥ س ١٨ .

(٤) كذا وردت الآية بهذا الضبط في النسختين ، وهي قراءة الجمهور ، وانفرد حجة والكسائي وحفص بالقراءة بكسر العين والجيم والصاد في «عتيا» و«جثيا» وصليا .

انظر تفسير أبي حيان (٦ : ٢٠٨) . والكلام بعد هذه الكلمة إلى «أشد» ساقط من م .

(٥) للأخطل في ديوانه ٨٤ وسيبويه (١ : ٢٥٩) . وأنشده في المخصص (٨ : ٦٩ ،

١٦ : ١١٠) . وصدوره :

* ولقد أبيت من الفتاة بمنزل *

(٦) هذه من م .

(٧) الزعم : مثلث الزاي ، كما في القاموس . وتكاد النسختان تجمعان على ضم الزاي في

كل موضع ترد فيه هذه الكلمة ، كما هنا .

بقوله ها خُطَّتَان ؛ وقد ثلَّثتُهما مَخْطَةً أُخْرَى ذَكَرَهَا فِيمَا بَعْدَ . وفي هَذَا الْكَلَامِ تَهَكُّمٌ وَهُزْءٌ . وقوله : « وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ » يَسْمَى اعْتِرَاضًا لَوْقُوعِهِ بَيْنَ مَا عَدَّدَهُ مِنَ الْخِصَالِ .

٦- وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ

المصاداة : إدارة الرأى فى تدبير الشىء والإتيان به على أتقنه ، ومنه يقال : إمانه لصدى مال ، إذا كان حسن القيام به . يقول : وهاهنا خصلة أخرى أدارى نفسى فيها ، وأداورها عليها ، وإِنِّهَا لَمَوْضِعُ الَّذِي يَرِدُهُ الْحَزْمُ وَيَصْدُرُ عَنْهُ إِنْ فَعَلْتُ . وهذا إِنَّمَا قَسَمَ الْكَلَامَ هَذِهِ الْأَقْسَامَ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ يَبْنُونَ أَمْرَهُ عَلَيْهَا ، ولأنه نظر إلى جهتي الجبل فعلم أنه إن رضى الطريق التي عليها بنو الحيات لنفسه طريقاً كان فيها إحدى الخالتين : من الأسر أو القتل ، على ما كانوا يزعمون ويقولون . وإن احتال للجهة الأخرى والحزم فيها ، لأن خلاصه منها ، كان أسراً ثالثاً . ثم اقتص ما فعله (١) . وقوله « وإِنِّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ » اعتراض أيضاً ، لوقوعه بين قوله وأخرى أصادى النفس عنها ، وبين تبين كيفية مزاولته لها وشرحها .

٧- فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا بِهِ جُوجُوجٌ عَيْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرٌ

الفرش : البسط ، ثم توسعوا فيه فقالوا : فرشته أمرى ، وافترش لسانه فتكلم كيف شاء . وقوله « لها » الضمير للخصلة التي عبر عنها بقوله « وأخرى » . يقول : فرشت من أجل هذه الخطئة صدرى على الصفا . وهذا حين صب العسل فزلق [به] عن الصفا . أى بصدري صدره ضخم ومتن دقيق ، والصدر والمتن صدره ومتنه ، ولكن أخرجه مخرج قولهم : لقيت بزيد الأسد (٢) ، وزيد هو

(١) م : « على ما فعله » .

(٢) هذا ما يسميه البلاغيون « التجريد » ، ويسمون الباء فى مثل هذا بآء التجريد .

الأستد عندهم . وَوَضَعَ فَرَشْتَهُ مَوْضِعَ أَلْقَيْتَ وَوَضَعْتَ . ويقال : فَرَشْتَهُ سَاحَتِي بِالْأَجْرِ ، وَافْتَرَشْتَ الشَّاةَ لِلذَّبْحِ إِذَا أَضَجَّعْتَهَا . وذكر بعضهم أنه يجوز أن يكون الضمير من « لها » للصفاة ، والكلمة مقلوبة ، والمعنى فَرَشْتَهَا لصدري . وفي هذا إضمارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ وَالْقَلْبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَا فَلِأَوَّلِهِ هُوَ الْوَجْهَ .

٨- فَنَخَالَطُ مَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَجِ الصِّفَا بِهِ كِدْحَةَ وَالْمَوْتُ خَزِيَانٌ يَنْظُرُ

أَخْلَطَ أَصْلُهُ تَدَاخَلَ أَجْزَاءُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِيهِ حَتَّى قِيلَ : رَجُلٌ خَاطٌ^(١) ، إِذَا اخْتَلَطَ بِالنَّاسِ كَثِيرًا . وجاء في الحديث : « لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ » ، وَفِي الْمَثَلِ : « ائِيسَ أَوْانَ يُكْرَهُ الْخِلَاطُ » . يقول : إِنَّمَهَلْتُ وَلَمْ يُوَثِّرِ الصِّفَا فِي صَدْرِي أَثْرًا ، لَا خَدَشًا وَلَا خَمَشًا ، وَالْمَوْتُ كَانَ طَمِيعَ فِي ، فَمَا رَأَى وَقَدْ تَخَلَّصْتُ بَقِي مُسْتَحْيِيًا يَنْظُرُ وَيَتَحَيَّرُ . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَالْمَوْتُ » وَأَوُّ الْحَالِ . وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَمِنْ الْاسْتِمَارَاتِ اللَّيِّحَةِ . وَقَدْ مُجِلَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى^(٢) تَتَحَيَّرُونَ . وَقَدْ سَلَكَ أَبُو تَمَّامٍ مَسْلَكَ هَذِهِ الْاسْتِمَارَةِ فَقَالَ :

* إِنْ تَنَفَّلْتِ وَأُنُوفُ الْمَوْتِ رَاعِمَةٌ^(٣) *

ويقال إنَّ الموضع الذي يقع عليه كان بينه وبين الطَّرْقِ الذي عليه بنو لحيان أميالٌ عِدَّةٌ . وقوله « يَنْظُرُ » يجوز أن يكون في موضع الحال ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر ، ويكون معناه في مقابَلَتِي . ويقال : بِيُوتُهُمْ تَنْنَاطِرُ ، إِذَا تَقَابَلَتْ ، لِأَنَّ النَّظَرَ تَقَابِيلُ الدِّينِ نَحْوِ الْمَرْتِيِّ وَفِي مَقَابَلَتِهِ . لِذَلِكَ صَحَّ أَنْ

(١) كذا ضبط في الأصل ، وضبط في م بضم الخاء واللام ، وهما لغتان صحيحتان .
رلغة ثالثة « خلط » بكسر الخاء . وشاهد الأخير في اللسان قوله :

وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت يمينك شيئاً أمسكته شمالكما

(٢) م : « بمعنى » . (٣) م : « إن تنقلب » . وعجزه في الديوان ٩٨ :

* فاذهب فأنت طليق الركض يا لبد *

يقال للأعمى : نَظَرَ إِلَى ، ويجوز أن يكون معنى يَنْظُرُ يَعْلَمُ حُسْنَ حِيلَتِي وَغَنَائِي فَيَا يَدَهْنِي . وَفَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، أى يعلمون ذلك ويتبينون . وقوله « لَمْ يَكْدَحِ الصَّمَا » قيل الكدح بالأسنان والحجر دون الكدم ، ومنه قيل المكدح المكدم في حمار الوحش ، لتمضيض بعضها بعضاً . وقوله « خَزَيَانُ » يجوز أن يكون من الخزي : الهوان ، ويجوز أن يكون مِنَ الْخَزَايَةِ : الاستحياء .

٩ - فَأَبْتُ إِلَى فَهَمٍ وَلَمْ أَكُ آيِيَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَأَرَقْتَهَا وَهِيَ تَصْفِرُ^(١)

يقول : رجعتُ إلى قبيلتي فهَمٍ ، وَكِدْتُ لَا أُؤُوبُ ، لِأَنِّي شَافَهْتُ التَّلْفَ . ويجوز أن يُرِيدَ : وَلَمْ أَكُ آيِيَا فِي تَقْدِيرِهِمْ وَظَنَّهُمْ . واختار بعضهم^(٢) أن يُرْوَى : « فَأَبْتُ إِلَى فَهَمٍ وَمَا كِدْتُ آيِيَا » وقال : كذا وجدته في أصل شعره . قال : ومثله في أَنَّهُ رَدَّ إِلَى الْأَصْلِ وَوَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ^(٣) مَوْضِعَ الْفِعْلِ قَوْلُ الْآخِرِ :

أَكْثَرَتْ فِي الْعَدْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنِ إِنِّي عَسَيْتُ صَاثِمًا^(٤)

والمثل السائر : « عَسَى الْغَوِيرُ أَبُو سَا » . ولا أدري لم اختار هذه الرواية ؟ لأنَّ فيها ما هو مرفوض في الاستعمال شاذٌ ، أم لأنه غلب في نفسه أن الشاعر كذا قاله في الأصل ؟ وكلاهما لا يُوجِبُ الاختيار . حَلَى أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُ

(١) مثلها ، ضبطت في الأصل بالجر ، وفي م بالرفع . وفي الخزانة (٣ : ٥٤١) أنه يروى بالجر والرفع والنصب . فالجر على أن كم خبرية ، والنصب على أنها استفهامية ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديره كم مرة مثلها ، والرفع على معنى كم مرة وقع مثلها .

(٢) هو ابن جني في التنبيه على الجماسة . قال التبريزي : « وتكلم الموزوق على اختيار

أى الفتح هذه الرواية رادا عليه ولم ينصفه » .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « اسم الفعل » . والذي في التنبيه : « فاستعمل

الاسم الذي هو الأصل : المرفوض الاستعمال موضع الفعل الذي هو فرع » .

(٤) في الخزانة (٤ : ٧٩) : « نسب إلى روبة بن العجاج ولم أجده في ديوان رجزه »

أباً تَمَامٍ قد غَيَّرَ كثيراً من ألفاظ البيوت التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، ولعلهُ لو أنشَرَ اللهُ الشعراء الذين قالوها لتبعوه وسَلَّموا له . ويُرَوَّى : « ولم آلُ آيياً » والمعنى لم أدغ جَهْدِي آيياً وفي الإياب . والأوَّلُ أَحْسَنُ . وكَمِ مِثْلَهَا ، أَى كَمِ مِثْلِ هَذِهِ الْخَطَّةِ (١) فَارْتُقَتْهَا بِالخُرُوجِ مِنْهَا ، وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ تَصْفُو (٢) وَأَنَا الْغَالِبُ . وَصَفِيرُ الطَّائِرِ مَعْرُوفٌ ، وَمِنْهُ مَا فِي الدَّارِ صَافِرٌ ، أَى ذُو صَفِيرٍ .

١٢

وَقَالَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ (٣) :

١٥- وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلِدٍ مِنَ الْفِثْيَانِ غَيْرِ مُثَقَّلٍ (٤)

يُقَالُ سَرَى يَسْرِي سُرًى ، وَأَسْرَى إِسْرَاءً بِمَعْنَى ، وَهُوَ سَيْرٌ اللَّيْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ . وَعَلَى الظَّلَامِ ، أَى فِي الظَّلَامِ مَوْضِعُهُ نَضْبٌ عَلَى الظَّرْفِ . وَيُقَالُ فَعَلْتُهُ ظَلَامًا وَلَيْلًا فِي مُقَابَلَةِ فَعَلْتُهُ نَهَارًا . وَيَقُولُونَ : عِمَّ ظَلَامًا وَعِمَّ صَبَاحًا ، وَهَذَا كَمَا جَعَلُوا فِي مُقَابَلَةِ الْيَوْمِ اللَّيْلَةَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الظَّلَامِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَى وَأَنَا عَلَى الظَّلَامِ ، أَى رَاكِبٌ لَهُ . يَقُولُ : وَلَقَدْ سَرَيْتُ لَيْلًا بِرَجُلٍ غَشُومٍ قَوِيٍّ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلَى الثَّقَلِ وَالْكَسَلِ فِي الْأُمُورِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِذَا كَانَ الشَّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا

(١) وفي التنبيه : فأنت المثل حملا على المعنى ، لما كان المراد به الحال والصورة التي ذكرها .

(٢) الضفاء : صوت الذليل المتهور . م : « تصفر » . وانظر بيت جرير في ص ٦٦ .
(٣) اسمه عامر (أو عويمر) بن الحليس ، وهو مخضرم ذكره بعضهم في الصحابة .
للشعراء والشعراء بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ٦٥٢ والإصابة والخزانة (٣ : ٤٦٦ - ٤٧٣ / ٤ : ١٦٥ - ١٦٧) والمعنى (٣ : ٥٤ - ٥٧) واللائل ٣٨٧ . قال التبريزي : « أحد بني سعد بن هذيل » .

(٤) قصيدة هذه المقطوعة في ديوان الهذليين (٢ : ٨٨ - ١٠٠) .

فلم قال على الظلام ، ولم جاء في القرآن : ﴿ أُسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ و : ﴿ فَأَسْرَى بِعَبَادِي لَيْلًا ﴾ ؟ قلت : المرادُ تَوَسُّطُ الليل والدخولُ في معظمه ، تقول : جاء فلانُ البارحةَ ليليلٍ ، أى في معظمِ ظلمتهِ وتمسُّكِن ذلك الوقتِ من ليلتهِ .
والجلدُ : الضلب القويُّ ؛ ومنهُ الجلدُ من الأرضِ . وإنما قال « مَغْشَمٌ » لأنه جعله كالآلةِ في العَشمِ ، ومِفْعَلٌ ببناء لهذا المعنى ، ويريد به تَأْبِطُ شراً .
وكان لأبي كبيرٍ مَعَهُ قِصَّةٌ معروفةٌ^(١) ، والأبياتُ مَقْصُورَةٌ عليها ، وناطقةٌ بها أو بأكثرها . والعَشمُ والاعتِشافُ يتقاربان . ويقالُ غَشِمَ الوالى رَعِيَّتَهُ غَشْمًا . وفي كلام بعضهم : « أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ من سلطانِ غُشُومٍ » . ويجوز أن يكون معنى « غَيْرِ مُثْقَلٍ » أى كان حَسَنَ القَبُولِ ، مُجَبِّبًا إلى القلوبِ .

٢ - مِمَّنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهَنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ

قوله : وهَنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ « حكايةُ الحال وإن كان ذلك فيما مضى . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . ويُرْوَى : « مِمَّا حَمَلَنَ بِهِ » أى هو من الحَمَلِ الذى حَمَلَنَ بِهِ . والضميرُ فى حَمَلَنَ للنساء ولم يَجْرُ لَهُنَّ ذِكْرٌ ، ولكن لما كان المرادُ مفهومًا جازًا إضمارها . ويُرْوَى : « مِمَّنْ حَمَلَنَ بِهِ » ، والمعنى : هذا الفتى من الفتيان الذين حَمَلَتْ أمهاتهم بهم وهَنَّ غير مستعدَّاتٍ للفراشِ ولا واضعاتٍ ثِيَابَ الحِفْلَةِ^(٢) فَنَشَأَ مَحْمُودًا مَرْضِيًّا ، لم يُدْعَ عَلَيْهِ بِالْمُهَبَّلِ

(١) كان أبو كبير قد تزوج أم تَابِطُ شراً ، وكان تَابِطُ شراً يهدى الكراهة لأبي كبير ويرتاب به وهو صغير ، فلما كبر و تَ عَرِجَ خَشِيَ أبو كبير بأسه فاحتال ليقتله وخرج به في غزوة ودفع به إلى بعض الأعداء ولكنه تمكن من الفتك بهم ، ثم حاول أبو كبير أن يقتاله في نومه فكان يحتبره بأن يرمى بحصاة إليه فيهب من نومه سريعاً ، فعل ذلك مراراً إلى أن عرف أنه لا يمكن اغتراره في نومه ، وكف عن عزمه ، وقال في ذلك ما قال . انتهى ملخصاً من التبريزي .

(٢) الحفلة : الاحتفال والجد ، يقال رجل ذو حفلة إذا كان مبالغاً فيما أخذ فيه ، وأخذ للأمر حفلة إذا جد فيه . يقول : غير متبدلات ملقيات ثيابهن .

وَالشَّكْلُ^(١) . وَإِنَّمَا قِيلَ : بِمَنْ حَمَلْنَ بِهِ ، لِأَنَّهُ رَدَّ الصَّمِيرَ عَلَى لَفْظِ مَنْ ، وَلَوْ رَدَّ عَلَى الْمَعْنَى لَقَالَ بِهِمْ . وَفِي الْقُرْآنِ فِي مَوْضِعٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ، وَفِي آخَرَ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُنَجِّبَ الْمَرْأَةَ فَأَغْضِبِهَا عِنْدَ الْجَمَاعِ . وَأَنْشُدَ :

تَسَنَّمْتَهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهَّدًا وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْمُسَهَّدُ

وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي وَلَدِ الْمَذْعُورَةِ : إِنَّهُ لَا يُطَاقُ . وَالْحُبْكُ : الطَّرَاقُ . وَالنَّطَاقُ : مَا تَشُدُّ^(٢) الْمَرْأَةُ فِي حَقْوِهَا . وَالرَّوَايَةُ : « حُبْكُ الشِّيَابِ » ، لِأَنَّ النَّطَاقَ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدُ فِي صِفَةِ أُمِّ الْمَغْشَمِ فَتَكَرَّرَ ، وَلِأَنَّ النَّطَاقَ لَا يَكُونُ لَهُ حُبْكٌ وَطَرَاقٌ . وَوَاحِدُ الْحُبْكِ حَبِيكٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ . وَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : الْحُبْكَةُ وَالْحَبَاكُ : الْإِزَارُ أَيْضًا . وَقَدْ احْتَبَكْتَ الْمَرْأَةَ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُهَيْلَ : الْمَعْتَوَهُ الَّذِي لَا يَتِمَّاسُكُ^(٣) فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْإِسْرَاعِ ، يُقَالُ جَمَلٌ هَبِيلٌ^(٤) .

٣ - وَمِبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُفْصِلٍ^(٥)

غُبْرُ الْحَيْضِ وَغُبْرُهُ : بَاقِيهِ قَبْلَ الطَّهْرِ . وَكَذَلِكَ غُبْرُ اللَّبَنِ : بَاقِيهِ فِي الضَّرْعِ . وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ^(٦) مُسْنِيَةً فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « لَعَلِّي أَتَغَيَّرُ مِنْهَا وَوَلَدٌ » . وَالْحَيْضَةُ وَالْحَيْضُ وَاحِدٌ . وَالغُبْرُ يُكُونُ جَمْعَ غَابِرٍ أَيْضًا . وَلَمْ يَرْضَ بِلَفْظِ التَّبْرِثَةِ حَتَّى أَتَى بِلَفْظِ الْكَلِّ مَعَهُ تَأْكِيدًا ، كَأَنَّهُ تَنَقَّى قَلِيلَ ذَلِكَ

(١) كذا ضبط في م . وضبط في الأصل بالضم ، وهما لغتان .

(٢) م : « ما تشده » . (٣) م : « يتمسك » .

(٤) كذا ضبط في الأصلين . ويقال أيضاً : هبيل بكسر الهاء وفتح الباء .

(٥) حَيْضَةٌ ، بكسر الحاء في النسختين في متن البيت وشرحه ، وفي اللسان أنه الاسم

من الحيض ، وأما الحيضة بالفتح فاسم المرة منه .

(٦) م : « امرأة » .

وكثيرة . وأضاف الفساد إلى المرُضمة لأنه أراد الفساد الذي يكون من قبلها .
 وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة . ويروى « مبراً » بالنصب والجر ،
 فإذا نصبته فإنه ينمطف على « غير مُهَبَّل » ، كأنه قال : شبَّ في هاتين الحالتين .
 وإذا جرَّزته ينمطف على قوله « جَلِدٍ من الفتيان » كأنه بمقتسم جَلِدٍ ومبراً .
 والمعنى أن الأم حملت به وهي طاهرٌ ليس بها بَقِيَّةٌ حَيْضٍ ، ووضعتُه ولا داءً به
 استصحبه من بطنها فلا يقبلُ علاجاً ، لأنَّ داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرَضِّفه
 أمُّه غَيْلاً ، وهي أن تسميه وهي حُبْلَى بعد ذلك . ويروى عن أمِّ تَابِطَ شَرًّا
 قالت : « ما وضعتُه يَدْنًا ، ولا أرضعته غَيْلاً ، ولا أبنتُه مَثِقًا ، ولا رأيتُ
 بنفسى دَمًا . ولقد حملتُ به في لَيْلَةٍ مظلمة ونحت رأسي سَرَجٌ ، وعلى أبيه
 دِرْعٌ » . وإنما تريد بهذا الكلام الآخر (١) ما تقول العربُ من أن المرأة إذا
 أُكْرِهت على الوطء ، أو وُضِتْ وهي مدعورة ، أنجبت وأذْكَرت . الداء
 المعضل : الذي لا دواء له كأنه أعضل الأطباء وأعيامهم ، وأصل العضل المنع ،
 ومنه عَضَّت المرأة إذا نَشِبَ ولدها في بطنها فلم يخرج . وعَضَّتْها : منعها
 التزويج ظلماً .

ع - حملت به في لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ كَرَهَا وَعَقَدُ نِطَاقَهَا لَمْ يُحَلَّلِ

الرَّأْدُ (٢) : الدَّعْرُ ، وقد زُودَ فهو مَزُودٌ . والمعنى حملت الأمُّ بهذا المغسَم . ويروى
 « مَزُودَةٌ » بالنصب على الحال للمرأة ؛ ويروى « مَزُودَةٌ » بالجر ، ويجوز فيه
 وجهان : أحدهما أن تجعله صفةً لِللَّيْلَةِ ، كأنه لما وقع الزُّودُ والدَّعْرُ فيها جعله
 لها ، والأكثر في المجاز والانتساع أن يُنسب الفعل إلى الوقت فيؤتى به على أنه
 مفاعل ، كما قيل : نهاره صائمٌ ، وليله قائمٌ . وحسن هذا لأنَّ الظرف قد يقدر

(١) م : « الأخير » .

(٢) يقال زاد بالفتح والتحرك ، وزود بالضم ، وزود كسرور .

تقدير المفعول الصحيح ، بأن يُنزع منه مَعْنَى فِي ، كما قال الشاعر :

* وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا ^(١) *

فعلى ذلك تقول شُهِدْتَ اللَّيْلَةَ ، وَزُنِدْتَ اللَّيْلَةَ ، وليلة مشهودة ومنزودة . ويجوز أن يكون انجراره على الجوار ، وهو في الحقيقة للمرأة ، كما قيل : هذا جُحْرُ ضَبِّ خَرِبٍ . وهذا الميهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأمتهم الالتباس . وانتصاب « كَرِهًا » على أنه مَصْدَرٌ في موضع الحال ، والتقدير كارهةً . ومعنى البيت بما تقدم ظاهر . وقوله : « عَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحَلَّلْ » ، ابتداء وخبرٌ ، والواو للحال . وأظهر التضعيف في قوله لَمْ يُحَلَّلْ ، وهو لغة تميم ، ووجه الكلام لَمْ يُحَلَّلْ . والنطاق : ما تَنَطَّقَ به المرأة : تشدُّ به وسطها للعمل . قال الأصمعي : كن في القديم ينتظن بخيطةٍ أو تِكَّةٍ . وذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه . والمنطقة أخذت من هذا . والمعنى أُكْرِهَتْ ولم تحلَّ نِطَاقِهَا . وحكى عنها في وصف ابنها قالت فيه : « إِيَّاهُ وَاللَّهِ شَيْطَانٌ ، مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ مُسْتَقْبَلًا وَلَا فَحِيكًا وَلَا هَمَّ بِشَيْءٍ مِنْذُ كَانَ صَبِيًّا إِلَّا فَعَلَهُ ، وَلَقَدْ حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ وَإِنْ نِطَاقِي لَشَدُودٌ ^(٢) » .

٥ - فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُوَادِ مُبَطَّنًا سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ

حُوشُ الْفُوَادِ وَحُوشِيُّ الْفُوَادِ : وَحْشِيَّةٌ ، لِحِدَاتِهِ وَتَوَقُّدِهِ . وَرَجُلٌ حُوشِيٌّ : لَا يُخَالِطُ النَّاسَ . وَلَيْلٌ حُوشِيٌّ : مُظْلِمٌ هَائِلٌ ، وَكَذَلِكَ إِبِلٌ حُوشٌ وَحُوشِيَّةٌ أَيْ وَحْشِيَّةٌ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : لَيْلٌ سَحَامٌ وَسُحَايٌ : أَسْوَدٌ . وَقِيلَ : الْحُوشُ :

(١) كلمة « سليمان » ليست في م . والبيت بتمامه كما في سيبويه (١ : ٩٠) والكامل

٢١ لبيك :

ويوم شهدناه سليمان وعامراً . قليل سوى الطعن النبال نوافله

ورواية المبرد وابن جني : « ويوما » .

(٢) كذا في م والتبريز . وفي الأصل : « مشدود » .

بلاد الجن . مبطناً : خميص البطن^(١) . وقوله « نام ليل الهوجل » ، جعل الفعل لليل ، لوقوعه فيه . والمعنى نام الهوجل في ليله . والهوجل : الثقيل الكسلان ذو الففلة . يقول : أتت الأم بهذا الولد متيقظاً حذراً ، حديد الفؤاد ذكياً ، يسهر إذا نام الثقيل البليد . والشهاد والسهد^(٢) : السهر . ورجل سهد ومسهد . ويقولون للملدوغ : سهدوه لا يسر فيه السم . وقيل الهوجل : الأحق لا مسكة به . قالوا : وبه سمي الفلاة لأعلام بها ولا يهتدى فيها : الهوجل .

٦- وإذا نبذت له الحصاة رأيتها فزعا لوقعتها طمورا الأخيلى^(٣)

يقال : نبذت الشيء من يدي ، إذا طرحته ، وتوسعوا فيه فقيل صبي منبوذ ، ونابذت فلاناً ، إذا فارقتَه عن قلى . والحصى : صغار الحجارة^(٤) . والشاعر إنما يحكى ما رآه منه ؛ وذلك أن أبا كبير ذكر أنه كان أراد أن يفتاله ، وكان يطلب منه فرصة ينتهزها في نومه أو غفلته مع أنه كان لا يجترئ عليه ، فكان يروز أحواله ليتمكن من مراده فيه . والمعنى إذا رميته بحصاة وهو نائم وجدته ينتبه انتباه من سمع بوقعتها هدّة عظيمة ، فيطمر طمورا الأخيلى ، وهو الشقراق . وانتصاب « طمور » بما دل عليه قوله « فزعا لوقعتها » ، كأنه [رأيته^(٥)] يطمر طموره ؛ لأن الخائف المتيقظ يفعل ذلك . والطمور : الوثب ؛ ومنه قيل فرس طمر ، أى وثاب . وذكر أبو العباس أن الطمر في وصف الفرس

(١) ابن جنى : « قوله مبطناً من ألفاظ السلب لا الإثبات . وأصل هذه الأحرف وهي بطن أن تجي لإثبات البطن ، كالبطن والبطين والميطان ونحو ذلك . ومبطن هنا أى خميص للبطن ، فهو من سلب ذلك المعنى لا إثباته » .

(٢) ويقال سهد بالضم ، وسهاد كذلك .

(٣) رواه التبريزي : « ينزو لوقعتها » ، ثم نبه في الشرح على رواية : « فزعا .

لوقعتها » .

(٤) م : « ضفاف الحجارة » . (٥) هذه من م .

هو المُشْرِفُ ، ومنه قيل الموضع العالى : طَمَارٍ . وفزيرًا انتصابه على الحال ،
وجواب إذا قوله رأيتُهُ . وقال بعضهم : الأَحِيلُ : الشاهينُ . ومنه قيل
تَخَيَّلَ الرَّجُلُ ، إذا جَبُنَ عند القتال فلم يَتَثَبَت . والتَّحْيِيلُ : المُنْيُ
والشَّرْعَةُ والتَّلَوْنُ .

٧ - وإذا يَهَبُ من المَنَامِ رأيتُهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلٍ

أصلُ هَبَّ تَحَرَّكَ واضطرب ، ثم قيل هَبَّ من تَوَمَّه هَبًّا^(١) ، وهَبَّتِ
الريحُ هُبُوبًا ، وهَبَّتِ النَّاقَةُ فى سيرها هَبَابًا ، وهَبَّ التَّيْسُ هَبِيْبًا . وأهْبَيْتُ
السَّيْفَ : هَزَزْتُهُ . يقول : إذا استيقظَ هذا الرَّجُلُ من منامه انتصب فى
مضعفه سريعًا كالتصاب كعب السَّاقِ فى الساق ، وهو ليس بضعيفٍ .
وإنما يعنى شهامتَهُ وتشمُّرَهُ فى تلك الحالة . وكَعَبُ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبَدًا فى
موضعه ، لذلك شَبَّهَهُ به . والرَّائِبُ : القائمُ ، ومنه المراتب . وتحقيق الكلام :
وإذا يَهَبُ رأيت رُتُوبَهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ ، لكنَّهُ حذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه . وهذا التشبيه يجرى مجرى التصوير . والزَّمَلُ والزَّمَالُ
والزَّمِيلَةُ ، كلُّه الضَّعِيفُ ، واشتقاقه من التَّلْفِيفِ كأنه متساقطٌ لا مُشَمَّرٌ مُتَجَرِّدٌ .

٨ - ما إن يَمَسُّ الأَرْضَ إلا جَانِبٌ منه وحرَفُ السَّاقِ طَى المِحْمَلِ

إن ، زيد لتوكيد النفي ، ويبطل عمل « ما » بانضمامه إليه فى لفة من يُعْمَلُهُ .
وانتصب طَى على المصدر مما دلَّ عليه ما قبله ، لأنه لما قال ، ما يمسُّ الأَرْضَ منه
إذا نام إلا جانبُهُ وحرَفُ السَّاقِ ، عَلِمَ منه أن الرَّجُلَ مَطْوِيٌّ غير سَمِينٍ ، وهَضِيمٌ
الكشْحُ غير ثقيل . والمعنى أنه إذا نام لا يتبسَّط^(٢) على الأَرْضِ ولا يتمكن
منها بأعضائه كلها ، ففعل من يُرْخِيهِ نَوْمُهُ ويَتِمَكَّنُ منه ، حتى لا يكاد يجتمع

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) م : « يتبسَّط » .

ويتشتر عند الانتباه إلا بعد مناولته وتهيئته يُعْمَلُهُ في كلِّ عضو . وهذا من
آياتِ كتابِ سيبويه^(١) . واحتجَّ به بقوله « طيَّ المحملِ » . وأراد
بالمحمل حائل السيف ، وهذا كما يُقال : هو كالجديل ، وكالزمام . والمحملُ
والحِمالَةُ بمعنى .

٩ - وإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي غَوَارِبَهَا هَوِيَّ الْأَجْدَلِ

قال الخليل : الفججُ : الطَّرِيقُ الواسعُ في قَبْلِ^(٢) جَبَلٍ وَنَحْوِهِ ، والجميعُ
الْفِجَاجُ . وغاربُ كلِّ شيءٍ : أعلاه ، ومنه غاربُ البعير . والشاعرُ يحكي في
هذا أيضاً عنه ما رآه منه عند استصحابه له ، فيقول : إِذَا وَجَّهْتَهُ فِي طُرُقِ
الجبلِ^(٣) رَأَيْتَهُ يَقْصِدُ عَالِيَهَا قَصْدَ الصَّغْرِ . والهويُّ بضم الهاء ، هو القصدُ
إلى أَعْلَى ، وبفتح الهاء القصدُ إلى أسفل . على ذلك قوله :

* هَوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهُ الرَّشَاءُ^(٤) *

ولا تَخْتَرُ في رواية البيت على الضَّمِّ . وأنشد فيه قوله^(٥) :

كَانَ هَوِيَّهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالِ^(٦)

ويروى : « مَخَارِمَهَا » . والمخارمُ : جمع المَخْرِمِ ؛ وهو منقطعُ أنفِ الجبلِ .
والمخرمُ : أنفُ الجبلِ ، وجمعه خُرُومٌ . ومن فصيح كلامهم : « هذه يمينٌ طلعتْ

(١) كتاب سيبويه (١ : ١٨٠) .

(٢) ضبط في الأصل واللسان بضمين ، وليس بشيء . وقد ضبط في م بالتحريك .
والقبيل ، بالتحريك : سفح الجبل . وفي اللسان : « يقال أنزل بقبل هذا الجبل ، أي بسفحه » .

(٣) م : « الجبال » .

(٤) الدلو ، تذكر وتؤنث . ويروى : « أسلها » . والبيت لزهير في ديوانه

٦٧ . وصدرة :

* فشج بها الأماعر وهي تهوى *

(٥) هذا ما في م . وفي الأصل : « وأنشد قوله فية » .

(٦) للأعلم الهذلي . اللسان (خرق) .

في المحارمِ » ، وهي التي تجعل لصاحبها منها مخرجا . والأجدلُ ، من جدل الخلق .

١٠- وإذا نظرتَ إلى أسيرةٍ وجهه برقت كبرقِ العارضِ المنهلِّ

الخطوط التي في الجبهة الأغلب عليها سرازٌ ويجمع على الأسيرة ، والتي في الكف الأغلبُ عليها سِررٌ وسِرٌّ ويجمع على الأسرار . قال :

أنظر إلى كَفِّ وأسرارِها هل أنت إن أوعدتني ضائري^(١)

وقد قيل : الأسيرة : الطرائق . يقول : إذا نظرتَ في وجه هذا الرجل رأيت أساريرَ وجهه تبرق وتشرق إشراقَ السحابِ المشققِ بالبرقِ . يصفه بحسن البشر وتطلق الوجه في^(٢) كلِّ حال . والعارضُ : ما يعرض في جانب من السماء من السحاب . وعلى ذلك العارضُ في الأسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها . ويقال : تهلَّل الرجلُ فرحًا ، واهتلَّ ، إذا افتَرَّ عن أسنانه في التبسم .

١٣

قال آخر ، ويقال إنها لتأبط شرا^(٣) :

١- إني لهمدٍ من ثنائِي فقاصدٌ به لابن عمِّ الصَّدقِ شمسِ بنِ مالكِ^(٤)

لا يُقال في الهدية إلا أهديت . ويقال في العروس : هدَّيتها وأهديتها

(١) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧ ، واللسان (سرور) . وعجزه لم يرو في م . وهو في الأصل : « ضائر » بالروى المرفوع ، وهو خطأ .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية شرح هذا البيت ساقط من م .

(٣) عند التبريزي : « وقال تأبط شرا » . وقد سبقت ترجمة تأبط شرا في المقطوعة

١١ . وعبارة الإنشاد هذه وما بعدها من البيتين الأولين وشرحهما ساقط من م .

(٤) شمس ، بفتح الشين هي الرواية التي اعتمدها المرزوقي . وسيأتي تنبيهه على رواية

جميعاً . والأصل واحد ، لأنَّ المعنى على القصدِ والدلالة ، فيقول : إني أمدح ابنَ عمِّي الكريمِ الصادقِ في الودِّ شمس بن مالك ، بما أقصدُ به راغبًا ، وأنفذهُ إليه مُتَّحِفًا . والمعنى : إني في غيبتى منه وحضورى له ، مولعٌ بالثناء عليه ، فلا أخليه من المدحِ في الحالتين جميعاً . واللامُ في قوله : « لابن عمِّ الصدق » يجوز أن يتعلق بِمُهْدٍ ، يقال : أهديتُ له كذا ، وعلى هذا تكونُ أَعْمَلَتَ الفِعْلَ الأوَّلَ ، وما أهداهُ يكونُ محذوفًا لِعِلْمِ السامعِ بأنه يُريدُ شِعْرَهُ وتقريظَهُ . وكان الأجوَدُ أن يقال قفاصِدُّ إِيَّاهُ به ، ويجوز أن يكونَ على قولٍ من يزيد « مِنْ » في الواجب^(١) أن يكونَ قوله ثنائى مفعولٌ مُهْدٍ ، فيكونُ أهداهُ المذكورًا . ويجوز أن يتعلق اللامُ بقوله قفاصِدُّ ، يقال قَصَدْتُهُ بكذا وقَصَدْتُ له به . وعلى هذا تكونُ قد أَعْمَلَتَ الفِعْلَ الثَّانِي ، وهو المختار إذا جَمَعْتَ بين فعلين عند أصحابنا البصريين ، ويُقال هذا ثوبٌ صِدْقٍ وأخو صِدْقٍ ، وُضِعَ الصِّدْقُ موضعَ الفِضْلِ والصَّلَاحِ . والتَّسْمِيَةُ بِالشَّمْسِ كالتَّسْمِيَةِ بِالْبَدْرِ وَالهِلَالِ . وذكُرَ بعضُ المتأخِرينَ^(٢) أنه يروى « شمسِ بن مالك » بضمِّ الشين ، قال : ويكونُ هذا في أنه عَلِمَ لهذا الرجلِ قِطْعًا ، كَحَجَرٍ في أنه عَلِمَ أبى أوسٍ الشاعِرَ ، وأبى سلمى في أنه عَلِمَ أبى زهيرِ الشاعِرَ . والأعلامُ لا مضايقة فيها .

(١) الأكثرُ في « من » أن تكونَ زيادتها بعد النونِ ، كما في قوله تعالى : « ما جئنا من بشرٍ » . وفي التنبيه لابن جني : « وسبويه لا يرى زيادة من في الواجب وأبو الحسن يراه ريجكي عن العرب في تصحيحه قولها : قد كان من مطر ، وقد كان من حديث فحل عنى ، أى كان مطر وكان حديث » .

(٢) يرمى بذلك ابن جني . ونفسه في التنبيه : « ومن رواه شمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شمس سمى به ، منه قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحرابا إذا قدروا

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تفسير الأعلام نحو معديكرب ... وغير ذلك ما غير عن حان نظائره لأجل اللمية الحادثة فيه . وليس في كلام العرب شمس علماء إلا هذا الموضع ، جولا في كلامهم حجر علماء إلا أبو أوس الشاعر ، ولا في كلامهم سلمى بضم السين إلا أبو زهير طين أبي سلمى .

٢ - أَهْزُبُهُ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ

عِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ . وَيُقَالُ تَنَّى عِطْفُهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجْهًا . وَكَانَ الْقَوْمَ وَالرِّدَاءَ مُنْمِيًا عِطْفَانًا لِاشْتِمَالِهَا عِنْدَ التَّوَشُّحِ بِهِمَا عَلَى الْعِطْفِ . يَقُولُ : أَحْرَكَ بِالنَّهْاءِ جَانِبَهُ كَمَا حَرَّكَ جَانِبِي بِمِطْيَتِهِ ، أَيْ أَمْرُهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرْتَاحَ وَيَطْرِبُ كَمَا سَرَّتْنِي حَتَّى اهْتَزَزْتُ . وَالْهَجَانُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ الْكِرَامُ .. وَالْأَوَارِكُ : الَّتِي رَعَتِ الْأَرَكَ ، يُقَالُ أَرَكْتَ الْإِبِلَ فَهِيَ أَرَكَةٌ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الْأَوَارِكُ الَّتِي تَرَعَى الْأَرَكَ ^(١) ، وَهُوَ نَبْتُ . وَالنَّدْوَةُ أَصْلُهُ الْجَمْعُ ، وَيُقَالُ نَدَّاهُمْ النَّادِي ، أَيْ جَمَعَهُمْ . وَانْتَدَى الْقَوْمُ وَتَنَادَوْا ، إِذَا تَجَمَّعُوا . وَمِنْهُ دَارُ النَّدْوَةِ . وَالنَّدْيُ : الْجُلُوسُ ، وَالْجَمْعُ أَنْدِيَةٌ . وَيَقَعُ لَفْظُ هَجَانٍ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يُقَالُ نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ ، وَمِثْلُهُ دِرْعٌ دِلَاصٌ ، وَدِرْعٌ دِلَاصٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعَالًا وَقَعِيلًا يَتَشَارِكَانِ كَثِيرًا ، وَكَمَا يُجْمَعُ فَعِيلٌ فِعَالًا كَذَلِكَ يُجْمَعُ فِعَالٌ فِعَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْعِدَدَ وَالْوِزْنَ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَحَرْفُ الْمَدِّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِإِزَاءِ مَا فِي الْآخِرِ ؟ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ مُجْمَلٌ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ فِعَالًا إِذَا كَانَ جَمْعًا يُنَوَى بِحَرَكَاتِهِ وَأَلْفُهُ أَنَّهَا حَرَكَاتُ بِنَائِهِ . وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ ، كَأَنَّ الْكِسْرَةَ فِي أَوَّلِ الْكِسْرَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِ ظُرَافٍ وَكِرَامٍ ، لَا الْكِسْرَةَ الَّتِي فِي أَوَّلِ حِمَارٍ وَإِزَارٍ ، وَكَذَلِكَ أَلْفُهُ فَاعَلَمَهُ .

٣ - قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى التَّوَى وَالْمَسَالِكِ

الْمُهْمُّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْمِّ الَّذِي هُوَ الْحَزَنُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْمِّ الَّذِي هُوَ الْقَضْدُ . يَقُولُ : هُوَ صُبُورٌ عَلَى النَّوَائِبِ وَالْعَلَّاتِ ، لَا يَكَادُ يَتَأَلَّمُ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ بِالْفَتْحِ ، وَضَبِطَ فِي التَّامُوسِ بِالْكَسْرِ .

مما يعرفوه من الهمات . واستعمل لفظ القليل والقصْدُ إلى نفي الكل ، وهذا كما يقالُ فلانٌ قليلُ الاكتراثِ بوعيدِ فلانٍ ، والمعنى لا يكثرث . وعلى ذلك قولهم : قلَّ رجلٌ يقولُ كذا ، وأقلَّ رجلٌ يقولُ كذا . والمعنى معنى النفي ، وليس يرادُ به إثباتُ قليلٍ من كثير . فإن قيل : من أين سألح أن يُستعمل لفظ القليل وهو للإثبات في النفي ؟ قلت^(١) : إن القليل من الشيء في الأكثر يكون في حكم ما لا يُعتدُّ به ولا يُمرَّجُ عليه ، لدخوله بحفّة قدره في ملكة الفناء ، والذُّروس والأتحاء ، فلما كان كذلك استعمل لفظه في النفي على ما في ظاهره من الإثباتِ محترزِينَ من الرد ، ومُجملين في القول ، وليكون كالتعريض الذي أثره أبلغ وأنكى من التصريح . وقوله : « كثيرُ الهوى » طابَقَ القليل بقوله كثيرٌ ، من حيث اللفظ لأنه أثبت بالأول شيئاً نزرًا فقابله بكثير . والمعنى أنه كثيرُ الهَمِّ مختلفُ الوجه والطريق ، لا يوقف منه على مدى غوره في الأمور ، ولا يقف به أملة على فن لا يتجاوزه^(٢) إلى القنون . ويريدُ بالهوى الجنس وكذلك النوى ، وهي وجهته التي ينويها . ومثله قول الآخر :

..... باقٍ على الحدائِنِ مختلفِ الشؤون^(٣)

٤ - يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ
 المَوْمَاةُ : المَفَاةُ ، ووزنه فَعَلَّاةٌ ، ووجهها موامٍ . وإنما قال « يُمْسِي بِغَيْرِهَا » ولم يقل يبيت ، لأن قصده إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياض نهاره مفازةً ، ولو قال يبيت لم يتبين منه ذلك . فيقول : يقطع المفاوزَ لا كتساب المكارم ، فتراه

(١) كذا ضبط بفتح التاء في النسختين في أشباه هذا الموضع .

(٢) م : « فلا يتجاوز » .

(٣) صدره عن التبريزي : * شديد مجامع الكتفين باقٍ *

يكون نهاره بمفازة فإذا^(١) أنى عليه المساء تجده في أخرى فريداً وحيداً -
ويقال: حلَّ فلانٌ جحيشاً، أى منفرداً - ويركبُ ظهور الممالك والمعاطب
غير مستصحب رفيقاً، ولا مستجمع سلاحاً. وهذا كما يقال: أمروريتُ
للفرس، إذا ركبته عُرَبياً. وكانت طباعهم أن من كدَّ نفسه وابتذلها،
وتوحَّشَ في الممالك ولزِمها، وتعرض للمعاطب ولم يتوقَّها، كان ذلك أذعَى
إلى ما يُنَوِّه به ويميّزه عن رجالِ جنسِهِ. وانتصب « جحيشاً » على الحال،
وقولها بغيرها لا يجوز أن يكون مستقراً فاعله.

٥- وَسَبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحَى بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شِدَّةِ الْمَتَارِكِ

قوله « من حيث ينتحى » يجوز أن يكون للمدوح، ويجوز أن يكون
لوفد الرِّيح، لأن المراد أنه يسبقه وإن أعطاه مهلةً. ومعنى ينتحى: يقصد.
والشاعر إنما يصف خفته وتشرُّه وجدَّه وتيقُّظه، فيقول: من حيث اعتمد
في السير جاء سابقاً للريح بقدوله واسع من عدوه. المتدارك: المتتابع. وجعل
العدو منخرقاً^(٢) لا لتأخُّره. والمتدارك: المتلاحق. ويقال: أدرك فلانٌ عدوَّ
من أصحابه، أى لحقهم وشاهد أيامهم. وأخذ أبو تمام هذا فزاد عليه وإن كان
في لفظة ركافة، فقال:

فمرَّ ولو يجارى الريح خيلتُ لديهِ الرِّيحُ ترهُفُ في القيودِ^(٣)

٦- إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْخَانِ فَاتِكِ^(٤)

الكرى: النوم الخفيف، وكأنه مأخوذ من كربتُ، إذا عدوت عدواً

(١) هذا ما في م. وفي الأصل: « فإن ».

(٢) م: « متحركا »، والصواب ما في الأصل.

(٣) يمدح أباسميد محمد بن يوسف الطائي. وقيل:

رأه اللطخ مفتحماً عليه كما اقتحم الفناء على الخلود

(٤) رواه التبريزي: « إذا حاص »، وهى بمعنى خاط، ثم فيه على رواية « خاط ».

شديداً . فقولهُ : « خاَطَ عَينِيه » يريد مرّ فيه ، وليس يريد التمكن منه حتى يجعل أجفانه كالمخيطه . ومنه قولهُ :

* حَتَّى تُخَيِّطَ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي ^(١) *

وأضَافَ الكَرَى إلى النّوم كما يُضَافُ البِعضُ إلى الجِنس ، كَأَنَّ النّومَ لِجِنسِ الفِعلِ ، وَالكَرَى لِمَا كَانَ عَلَى جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ . يَقولُ : إِذَا نَامَ النّوْمَةَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا لَمْ يَزَلْ لَهُ رَقِيبٌ وَحَافِظٌ مِنْ قَلْبِ رَجُلٍ جَادٍّ فِي الْأُمُورِ ، مَفْاجِيءٌ عَرِيضٌ ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ هُوَ . كَأَنَّهُ يَريدُ إِذَا نَامَ عَينُهُ لَا يَنَامُ قَلْبُهُ . وَالشَّيْحَانُ وَالشَّائِخُ وَالشَّيْخُ : الحَذِرُ الحَازِمُ . قالَ الهذليُّ :

* وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّكَ شَيْخٌ ^(٢) *

وَالفَاتِكُ : الَّذِي يَفْاجِيءُ غَيْرَهُ بِمَكْرُوهٍ أَوْ قَتْلٍ . وَفِي الحَدِيثِ : « الْإِيمَانُ قَيْدُ الفَتَكِ » ^(٣) . وَقَالَ الدَّرِيدِيُّ : هُوَ الَّذِي إِذَا هَمَّ بِالشَّيْءِ فَعَلَّ .

٧ - وَيَجْعَلُ عَينِيهِ رَبيدَةً قَلْبِيهِ إِلَى سَلَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقِ بَاتِكِ ^(٤)

يُرْوَى :

إِذَا طَلَعْتُ أَوَّلِي العَدِيَّ فَنَفَرُهُ إِلَى سَلَةٍ ^(٥)

(١) ويروى : « تخييط » . والبيت لبدر بن عامر الهذلي ، في اللسان والمقاييس (خييط) . وصدوره :

* تالله لا أنسى منيحة واحد *

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ١١٦ واللسان والمقاييس (شيخ) . وصدوره :

* بدرت إلى أولام فسبقتم *

(٣) ويروى : « قيد الفتك » على المصدرية . وفي اللسان : « ومنه الحديث : أن رجلاً أتى الزبير فقال له : ألا أقتل لك علياً ؟ فقال : فكيف تقتله ؟ فقال : أفتك به . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قيد الإيمان الفتك ، لا يفتك مؤمن » .

(٤) رَوَاهُ التَّبْرِيْزِيُّ : « أَخْلَقَ صَائِكَ » وَلَمْ يَفْضَرْ الصَّائِكَ ، وَهُوَ الْمَتَغَيِّرُ الرِّيحِ . ثُمَّ يَرَوَى رِوَايَةً أُخْرَى قَالَتْ فِيهَا « وَهِيَ أَسْلَمُ الرِّوَايَتَيْنِ » . وَهِيَ كَمَا رَوَاهَا :

إِذَا طَلَعْتُ أَوَّلِي العَدِيَّ فَنَفَرُهُ إِلَى سَلَةٍ مِنْ صَارِمِ اللَّرْبِ بَاتِكِ

(٥) انظر الحاشية السابقة .

وهي أسلم الروايتين . والعديئ : الرجالة الذين يعدون قدام الخيل . وهو اسم صيغ للجمع ، كالكليب والضئين . وعلى الرواية الأولى يقول : لا يغفل قلبه عن التحفظ ، وعينه ديدبانهُ إلى سل سيفه . فإن قيل : كيف يكون العين ديدبان القلب ، وهذا يقول إذا نام بعينه لم يتم قلبه ، أم كيف تصح هذه الرواية وفيها يتكرر معنى واحد في مصراعى البيتين ، وهل الواجب في هذا إلا أن يقال إن القلب هو ديدبان العين ، لأن العين نائمة والقلب منديه ؟ قلت : إنه وصف حالتين ، بالمتقدم صفة حال النوم ، والثاني هو صفة حال اليقظة . والمعنى أن العين رقيب القلب ، والمنتظر لإظهار ما يكرهه وتغييره ، فإذا كره القلب شيئاً كان العين صاحبه الذي يظهره ، فهو ربيبتته إلى ترع السيف وتجريده ، وإنكاره ما أنكره وتغييره . والأخلق : الأملس . والبانك : القاطع . وقوله « إلى سلة » يجوز أن يكون إلى بمعنى مع ، كما تقول هذا إلى ذاك ، أى مع ذاك ، ويجوز أن يكون المعنى أنها ربيبتته إلى أن يستل سيفه ، وبعد ذلك فالعمل للقلب ، ويكون إلى للاتهاء . وقوله : « من حدّ أخلق » فيه توسع ، لأن السيف يستل من العمد فيصير مسلولاً . ألا ترى قوله : إذا سلّ من جفن تأكل أزره على مثل مصحاة اللجين تأكل^(١) وهذا جعل الجفن مسلولاً والسيف مسلولاً منه . ألا ترى قوله : « إلى سلة من حدّ أخلق » ، فهو في ذلك كقولهم : أدخلت الخف في رجلى ، والقانسوة في رأسى .

٨ - إذا هزه في عظم قرن تهلت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
مثله قول الآخر :

سقاء الردى سيف إذا سل أو مضت إليه تنايا الموت من كل مرقيب

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٢٠ واللذان (صحاح) .

وإن كان هذا وصفَ السيفِ وقوَّةَ صاحبه في الضرب . والمعنى أنه متى حرَّكَه في الضريبة ضحك الموتِ علماً بظفره بالضروب . وذِكْرُ التهلُّلِ والناجذِ مَثَلٌ وتصويرٌ للمراد . وقوله « المنايا الضواحك » . أى التى من شأنها أن تضحك عند اللظفر بمطوبها ، وإنما قال « فى عظمِ قرن » إيداناً بأنَّه لا يتعرَّض له إلا من يقارنه بأساً وشدةً ، وكذلك هو لا يعمل هذا السيفَ إلا فى عظم من يقارنه حزمًا ونجدةً . ونسبُهُ التهلُّلِ إلى النواجد مجاز وسعةٌ ، وهذا كما يقال سُرَّ فلانٌ بكذا حتى صار لكلِّ سنٍّ له ضحكٌ . وقد سُمِّيت ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك .

٩- يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْسِ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

قوله : « يرى الوحشة الأنس » أى ذلك مذهبه . وهذا كما يقال هو يرى رأى أبى حنيفة ، أى يذهب مذهبه . فيقول : أنسُ هذا الرَّجُلُ التامُّ فى التفرُّدِ الذى يُعدُّه غيره وحشةً . وإتباعه الأنسِ الأنيسُ تأكيدٌ وإظهارٌ للمبالغة . وهذا كما قيل : ظلُّ ظليلٌ ، وداهيةٌ دهياءٌ . وهم يبنون من لفظ الشيء ما يتبعونه به طريق التأكيد . وقوله : « يهتدى بحيث اهتدت » يصفُ علمه بالطَّرُقِ واستغناءه عن الدليل . وقد قيل فى « أمِّ النجومِ » إنه الشمسُ ، وقيل هو المجرَّة . والمعنى أنه يهتدى بحيث تهتدى الشمسُ . ويُسمَّى مُعْظَمُ الشَّيْءِ أُمَّه . والشمسُ أعظمُ الكواكب . ويسمَّى جامعُ الأشياءِ أُمَّها ، يُعْنَى (١) أنها تأوى إليه . والشَّوَابِكُ : المشبَّكة . وإذا جعلت أمُّ النجومِ المجرَّةَ فيجوز أن يكون المعنى أنه يهتدى بالكواكب التى تجمعها ، فجعل الفعل لها لاجتماعها فيها . ويجوز أن يكون المعنى أنه يستغنى عن الدليل كما تستغنى تلك .

(١) م : « بمعنى » .

١٤

قال بعض بنى قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء^(١) النهشلي :
 ١ - إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقين
 يقول : إنا مسلمون عليك أيها المرأة فقابلينا بمثله ، وإن خدمت الكرام
 وسقيتهم فأجرينا مجرامهم فإننا منهم . والأصل في التحية أن يقال حيّاك الله ،
 ثم استعمل في غيره من الدعاء عند اللقاء . وأما قوله :

ولكل ما نال الفتى قد نلتُهُ إلا التحية^(٢)

فالمراد به تحية الملوك خاصة ، وهو قولهم : أبيت اللعن ! وقيل في سقيت إن
 معناه : إن دعوت لأماثل الناس بالشقيا فادعي لنا أيضا . والأشهر في
 الدعاء أن يقال فيه سقيت فلانا فيثقل ، [والحجة في التخفيف قول أبي ذؤيب :
 سقيت به دارها إذ نأت وصدقت الخال فيه الأنوحا^(٣)]

وعلى هذا يكون في الكلام إضمار ، كأنه قال : وإن سقيت بظهر الغيب
 الكرام بالدعاء عند ذكركم فافعل بنا مثله ، وقولي سقاكم الله . وقد فصل
 بعضهم بين سقيت وأسقيت بأن قال : أسقيته : جعلت له سقيا يفعل بها ما شاء ،
 وسقيته : أعطيته ماء لفيه . ومثله كسوته وأكسيتته ، لأن معنى كسوته

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي والمبرد ٦٥ والبغدادى (٣ : ٥١٥) :
 « حزن » . وكذلك عند ابن جني في المبهج . قال : « والحزن : الموضع الغليظ » . قال
 البغدادى : « والظاهر أنه إسلامي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته » . أي لينبيه على أنه
 أخذ بعض معانيه من شعراء إسلاميين . انظر الكامل ٦٥ - ٦٧ ليبسك . ونسب ابن قتيبة
 للأبيات في الشعر والشعراء ٦٢٠ إلى نهشل بن حري ، وفي عيون الأخبار (١ : ١٩٠)
 إلى بشامة .

(٢) لزهير بن جناب الكلبي في اللسان (حيا) والمعمرين ٢٦ .

(٣) انتكلة من م . والبيت لم يرو في قصيدة أبي ذؤيب التي على هذا الوزن والرو .
 انظر ديوانه ١٢٩ - ١٣٦ لكنه نسب إليه في اللسان (أنح) ، وفسر الخال فيه بأنه المتكبر .

أَلْبَسْتُهُ ، وَأَكْسَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً (١) ، وبعضهم يجعلهما سواءً ، ويحتجُّ
ببيت لبيد :

سَقَى قَوْمِي بِنِي نَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ (٢)
وإذا فُصِّلَ بينهما في البيت لم يختلَّ به لفظاً ولا معنى ، كما أنه إذا سُوِيَ
بينهما لم يختلَّ معنى ولا لفظاً ، فكأنه لا حُجَّةَ فيه لواحدٍ من القولين . والقصدُ
في الدعاء بالسُّقْيَا إلى أن يُمدَّ اللهُ المدعُوَّ له بما يزيد في نمائه ونضارته . ألا ترى
الآخرَ قال لما دعا على ما تَسَخَّطَهُ (٣) :

إذا سَقَى اللهُ أرضاً صَوَّبَ غَدِيَّةً فلا سَقَاهُنَّ إلا النارَ تَضَطَّرِمُ
فذكر ما يُحْرِقُ وَيَسْتَأْصِلُ .

٢- وإن دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةً كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
جُلِّيٌّ فُجَلِيٌّ ، أجراها مجرى الأسماء ويُرادُ بها جليمةٌ . كما يُرادُ بأفْعَلٍ
فَاعِلٌ وفِعِيلٌ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ، أي هَيِّنْ ؛ وكما قال :
* فتلک سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ (٤) *

أي بواحدٍ ؛ وكقولك : اللهُ أَكْبَرُ ، تريدُ كبير . يقول : إن أشدَّتِ
بذكر خيار الناس بجليمة (٥) نَابَتْ ، أو مَكْرُمَةٍ عَمَّرَتْ وَسَنَحَتْ ، فأشيدى
بذكرنا أيضاً . وهذا الكلام ظاهره استعطفُها ، والقصدُ به التوصلُ إلى بيانِ

(١) ضبط في النسختين بكسر الكاف ، ويقال كسوة أيضا بالضم .

(٢) وكذا روايته في اللسان والتبريزي والديوان ١٢٧ . قال الطوسي : « مجد ابنة

قيم بن غالب بن فهر بن مالك ، وهي أم كلاب وكليب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة » .
وفي م فقط : « بن بدر » .

(٣) م : « ما يسخطه » .

(٤) صدره كما في أمالي القائل (٣ : ٢١٨) :

* تمنى أناس أن أموت وإن أمت *

(٥) م : « جليمة » .

شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأفاضل الأشراف ، والأماثل الكرام . ولا سنيّ
 نمّ ولا تحية ولا دعاء ولا مفاضة . ألا ترى كيف اشتغل بمقصوده من الافتخار
 فيما يتلو هذا البيت . وهم كما يتخلصون من التشبيبات وغيرها إلى أغراضهم على
 اختلافها^(١) فإنهم قد يتوصلون بمبادئ كلامهم إلى أمثالها ، فنقل المؤونة ،
 وتخفت الكلفة . ولهذا نظرنا وأشباهه تجيء فيما بعد . والسراة في الناس ،
 والسراة بالشين معجمة في المال والخيل . وفي حديث أم زرع^(٢) : « فَتَكَحَّتْ
 بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ سَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيًّا ، وَأَزَاحَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا » .
 والجلي بالألف واللام : تأنيث الأجل ، كما يقال الأكبر والكبرى ، وكما
 قيل السبع الطول جمع الطولي . ولا يُحذف الألف واللام منه حينئذ ، لأن
 أصله يكون أقول الذي يتم بمن . ويقال لكل ما علا شيئًا : جالده ،
 ومنه الجلالة .

٣- إنا بني نهشل لا ندعي لأبٍ عنه ولا هو بالأبناء يشرينا^(٣)

ندعي : نفتعل من الدعوة . وقوله « عنه » تعلق به . ويقال ادعى فلان
 في بني هاشم ، إذا انتسب إليهم ؛ وادعى عنهم ، إذا عدل بنسبه عنهم . وهذا
 كما يقال : رغبت في كذا ورغبت عن كذا . وقوله : « لأب » أي من أجل
 أب ولمكان أب . وانتصاب « بني » على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكر بني
 نهشل . وهذا على الاختصاص والمدح . وخبر إن « لا ندعي » . ولو رفع فقال :
 بنو نهشل ، على أن يكون خبر إن لكان لا ندعي في موضع الحال . والفصل
 بين أن يكون اختصاصًا وبين أن يكون خبرًا صراحة : هو أنه لو جعله خبرًا
 لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فعله لذلك من

(١) في الأصل : « على اختلافهم » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) انظر حديث أم زرع في أوفى رواياته عند السيوطي في المزهري (٢ : ٥٣٢) .

(٣) التبريزي : « إن كان الشعر للقيسي فالرواية : إنا بني مالك » .

خَوَلٍ فِيهِمْ ، أَوْ جَهْلٍ مِنَ الْمُخَاطَبِ بِشَأْنِهِمْ . فَإِذَا جُعِلَ اخْتِصَاصًا فَقَدْ أَمِنَ هُوَ
الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا . فَقَالَ مُفْتَخِرًا : إِنَّا نَذْكُرُكَ مِنْ لَيْحِي شَأْنُهُ ، لَا نَفْعَلُ كَذَا
وَكَذَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ خَبْرًا صُرَاحًا ، لِأَنَّ لَفْظَ الْخَبْرِ قَدْ يُسْتَعَارُ لِمَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ ،
لَكِنَّهُ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ بِقِرَائِنِهِ ؛ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي ^(١) *

وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا لَا نَرْغَبُ عَنْ أَيْبِنَا فَنَنْتَسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَهُوَ
لَا يَرْغَبُ عَنَّا فَيَتَبَنَّى غَيْرَنَا وَيُبَيِّنُنَا بِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ كُلُّ مَنْا بِصَاحِبِهِ ، عَلمًا
بِأَنَّ الْاِخْتِيَارَ لَا يَعْدُوهُ لَوْ خَيْرٌ فَاخْتَارَ . وَيُقَالُ : شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى بَيْعْتُهُ
وَأَشْتَرَيْتُهُ جَمِيعًا ، وَمِنْهُ الشَّرْوَى ، وَهُوَ الْمِثْلُ .

٤- إِنْ تَبَدَّرَ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
يُقَالُ : بَادَرْتُهُ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ^(٢) ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا . قَالَ :

* فَبَادَرَهَا وَجَلَّتِ الْخَمْرُ *

وَكَذَلِكَ يُقَالُ : ابْتَدَرْنَا الْغَايَةَ إِلَى الْغَايَةِ . وَقَوْلُهُ : « لِمَكْرُمَةٍ » أَيْ
لَا كِتْسَابٍ مَكْرُمَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ مُضِيْفَةً لِلْغَايَةِ إِلَى الْمَكْرُمَةِ ، كَأَنَّهُ
يُرِيدُ تَسَابُقَهُمْ إِلَى أَقْصَاهَا . يَقُولُ : إِنْ تَسْتَبِقْ نِهَآيَةَ مُجْدٍ أَوْ غَايَةَ مَكْرُمَةٍ
تَرَّ السَّابِقِينَ مِنَّا وَالتَّالِيْنَ أَيْضًا مِنَّا . وَإِنَّمَا قَالَ « الْمُصَلِّينَ وَلَمْ يَقُلِ الْمُصَلِّياتِ
مَعَ السَّوَابِقِ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ إِلَى الْآدَمِيِّينَ ، وَإِنْ كَانَ اسْتِعَارَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْخَمَلِ .
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَجَ السَّابِقَ لِانْقِطَاعِهِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ،

(١) الرَّجَزُ يَنْطِقُ بِنِسْبَتِهِ إِلَى قَائِلِهِ ، وَهُوَ أَبُو النَّجْمِ الْعَجَلِ .

(٢) وَكَذَا الثَّانِيَةَ ، لَيْسَتْ فِي م .

ولغيايته عن المَجَلِّي وهو اسم الأول منها^(١) إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ، كما يقال كاهلٌ وكواهلٌ ، وغاربٌ وغواربٌ . والمصلَّى هو الذي يتلو السابق فيكون رأسه عند صلاه . والصلَّوان : العظمان الناثان من جانبي العَجُز . وقال الذرَّيدى : هو العظم الذي فيه مَفْرَزٌ مَجَّبِ الذَّنَب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرْقَانِ فِي مَوْضِعِ الرَّدْفِ .

٥ - لَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا

نَبّه بهذا الكلام على أن من يستحق السيادة فيهم بكثير ولا يقل ، فتى دَرَجَ منهم رئيسٌ تُرَشِّحُ^(٢) لسدِّ مكانه واحد . وهذا مثلُ قوله :

وإني من القوم الذين همُّهم إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبه^(٣)

والافتلاء : الافتطام والأخذُ عن الأمر ، ومنه التَّلَوُّ . والمعنى هنا الترشيح والتهيئة والصرفُ عما عليه إلى الرِّياسة . و«أبدأ» في المستقبل بمنزلة قطُّ في الماضي . والقصدُ أنهم كلُّ وقتٍ على ذلك ، فلا يحتاجون إلى الاستعانة بالأجانب دون الأقارب . والأبْدُ : الدهر ، وقيل سُميت الوَحْشُ أوابد لأنها تُعمر على الدهر ، حتى لا تموتُ إلا بأفة . وأن يكون من التأبُد التوحُّش أحسن ، وإن أمكن ردُّ الكلِّ إلى أصلٍ واحد .

٦ - إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نَسَّامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا^(٤)

(١) م : « منها » .

(٢) م : « رشح » .

(٣) البيت للقيط بن زرارَةَ كما في الحيوان (٣ : ٩٣) . ونسب إلى أبي الطحان القيني . في الكامل ٣٠ والوساطة ١٥٩ . وذكر التبريزي أن البيت أيضا نظير قول أوس بن حجر :

إذا مقرر من ذرا حدنا به تخمط منا ناب آخر مقرر

(٤) في الكامل ٦٧ أنه أخذه من قول الأجدع الهمداني :

« أُغْلِينَا » الألف للإطلاق، والنون ضمير الأنفس، ومعنى أُغْلِينَا وَجِدَتْ غَالِيَةً أَوْ جُعِلَتْ غَالِيَةً. وهو هكذا أَجْوَد، وليس يُريد أنهم مع الغلاء يَمَكُون منها، بل المرادُ قَطْعُ المَقْدَرَةِ عنها. ومثل هذا:

نُعْرَضُ للشِيفِ بِكُلِّ تَفْرِيرٍ خُدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلسَّبَابِ (١)

فيقول: نَبْتَذِلْ أَنفُسَنَا فِي الحُرُوبِ وَلَا نَصُوبُهَا، وَلَوْ عُرِضَ عَلَيْنَا إِذَا تَهَأَأَ فِي غَيْرِهَا لَا مَتَنَعْنَا. وهذا الحِرْصُ عَلَيْهِمْ عَلَى تَحْلِيدِ الذِّكْرِ الجَمِيلِ، وَالْأَبَانَةِ عَنِ مَحَلِّ النَّفْسِ فِي الشَّجَاعَةِ. وَالرُّخْصُ فِي السَّمْرِ: مُهْوَلُهُ وَلَيْتُهُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فِيمَا أَظُنَّ امْرَأَةً رَخْصَةً، إِذَا كَانَتْ نَاعِمَةً. وَقَوْلُهُ: «لَوْ نَسَامُ بِهَا» أَي تُحْمَلُ عَلَى أَنْ نَسُومَ بِهَا. وَيُقَالُ سَامَ بِسَلْعَتِهِ كَذَا وَكَذَا، وَاسْتَامَ أَيضًا، وَأَعْلَى السَّوْمِ وَالسَّيْمَةُ. وَأَسَمْتُهُ أَنَا، أَي حَمَلْتُهُ عَلَى أَنْ سَامَ. وَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ: سُمْتُهُ خَسْفًا، أَصْلُهُ مِنْ ذَاكَ وَإِنْ اسْتُعْمِلَ فِي الْمَكْرُوهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾. وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقٌ بِذِكْرِ الْإِرْخَاصِ وَالْإِغْلَاءِ، وَالرُّوْعِ وَالْأَمْنِ، فِي مَوْضِعَيْنِ، وَهُوَ حَسَنٌ جَيِّدٌ.

٧ - بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

يُرْوَى: «بِيضٌ مَعَارِفُنَا»، وَهِيَ الْوَجُوهُ. وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ نَقَاءَ الْعَرِضِ وَاتِّفَاقَ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ. وَيُقَالُ: امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ لِمَعَارِفِ، أَي الْوَجْهِ بِمَا يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ. وَقِيلَ الْأَنْفُ وَمَا وَالَاهُ. وَقِيلَ: الْحُسْنُ فِي الْأَنْفِ، وَالْمَلَاحَةُ فِي

لقد علمت نسوان همدان أني
وأبذل في الهيجاء وجهي وإني
ومن القتال الكلابي حيث يقول:

أنا ابن الأكرمين بنى قشير
فعرض للطعان إذا التقينا
وأخوالى الكرام بنو كلاب
وجوها لا تعرض للسباب

(١) عند التبريزي: «إذا التقينا نفوسا».

الأسنان . وواحد المعارفِ مَعْرِفٌ وَمَعْرِفٌ^(١) ، وكانَّ الوجهَ سُمِّيَ بها لأنَّ معرفةَ الأجسامِ وتمييزها تقعُ^(٢) بها . والأشهر والأحسن « بيضُ مفارقنا » . ويجوز أن يكون أراد ابيضت مفارقنا من كثرة ما تقاسى الشدائد . وهذا كما يقال أمرتُ يُشيبُ الذَّوَابُ . وفي القرآن : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ . و « تغلي مراحلنا » أي حروبنا ، كقول الآخر^(٣) :

تَقُورُ عَلَيْنَا قَدْرُهُمْ فَتُنْدِيهِمَا وَنَفْثُوهَا عَنَّا إِذَا حَمِيهَا غَلَا

ويجوز أن يكون المراد : ابيضت مفارقنا لانحسار الشعر عنها ، باعتبارنا لبس المغافر والبييض ، وإدماننا إيتاه ، ويكون هذا كما قال :

قَدَحَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهَجَّاجٍ^(٤)

وتكون المراحِلُ على هذا كنايةً عن الحروب أيضا . ويجوز أن يكون المراد : ابيضت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطيب ، ويكون كقول الآخر :

* جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَةٌ^(٥) *

ويكون على هذا معنى « تغلي مراحلنا » أي قدورنا للضيافة ، ويجوز أن يُرِيدَ : مَشِيْبُنَا مَشِيْبُ الْكِرَامِ ، لامشيب اللثام . وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

وَسِبَتْ مَشِيْبَ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا وَشَيْبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ
وعلى هذا يُحْمَلُ الْمَرَا جِلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا قَدُورَ الضِّيَافَةِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ : « نَاسُو

(١) ذكر في اللسان والقاموس « المعرف » مفتوح الراء فقط .

(٢) هذه الكلمة من م ، وفي أصلها « يقوم » وكتب تحتها « تقع صح » إشارة

إلى الصواب .

(٣) هو النابغة الجعدي ، كما في اللسان (فتا) ومقاييس اللغة (دوم) .

(٤) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري ، كما في المفضليات (٢ : ٨٤) .

(٥) روى في الكامل ١٠٣ ليسك والبيان (٣ : ٣٠٥) :

جلا المسك والجمام والبيض كالدمى وقرق الممداري رأسه فهو أنزع

وانظر للخلاف في نسبة الشعر الخزانة (٢ : ٥٣٢) .

بأموالنا آثارَ أيدينا « فإنما يريد ترفعهم عن التوددِ ودفع أطماع الناس عن مقاصبتهم ، فيداوون جراحاتهم ببذل الأروشِ والدَّيَّاتِ . والأَسْوُ : مداواة الجرح وإن استعمل في موضع الإصلاح . قال :

والأساةُ الشُّفَاةُ للدَّاءِ ذى الرِّيْبَةِ والمُدْرِكُونُ الأَوْغَامُ^(١)
ويقال للضارِّ النَّافعُ : يَشْجُجُ وبأسو . ومنه اشتقاق الإِسْوَةِ ، ويقال الأِسْوَةُ أيضا . ويروى أن مَضْعَبَ بن الزُّبَيْرِ لما انهزمَ الناسُ عنه يومَ مَسْكَنَ جمل يُقاتِلِ ويتمثل :

وإنَّ الأَوْلَى بِالطَّفِّ من آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا^(٢)
وفي البيت مع حُسنِ المعاني التي بيَّنتها توازنٌ في اللفظ مستقيم ، وسلامةٌ مما يجلب عليه التهجين .

٨ - إني لمن معشر أفنى أوائلهم قول الكمأة الأأين المحامونا^(٣)
يقاربه قول الخنساء :

* أَقَلَّتْ مُسَامَاةُ الرَّجَالِ عَدِيدَنَا *

فيقول مفتخراً إني لمن قومٍ أهلك أسلافهم قول الأبطال لهم الأأين الذابون والمحامون ؟ فكانوا يتقدمون ويفنون . والكمأة : جمع الكمي ، وهو من قولهم كمي شهادته ، إذا كتمها ؛ لأنَّ الشُّجَاعَ يستغنى بالفعال ، عن الدَّعْوَى والمقال ، فكانه يستر أمره وشأنه لوقت الحاجة ، ولأنه إذا سكت دلَّ على صِفَاتِهِ بلاؤه .

٩ - لو كان في الألفِ منّا واحدٌ فدعوا من فارسٍ خالهم إياه يعنونا

(١) في الأصل : « للأرغام » بالراء ، صوابه بالواو كما في م . والأوغام : الترات ، واحدها وغم .

(٢) كذا ورد إنشاده في النسختين . وفي اللسان والكمال ١٠ :

* تأسوا فسنوا للكرام التأسيا *

(٣) رواية التبريزي : « قيل الكمأة » .

يعنى بقوله « فدعوا » أعلنوا الاستغاثة بيال فلان ، ومن قتي ، ومه أشبهه . ويقال خلتُهُ أخالهُ خَيْلاً وَخَيْلَةً وَخَيْلاناً^(١) . وهذا مثل قول طرفة :
 إذا القومُ قالوا من قتي خلتُ أنني عُنيتُ فلم أكسلُ ولم أتبدلِ
 وقد زاد هذا عليه بقوله « لو كان في الألف مناً واحداً » . لأن ذلك قال :
 إذا القومُ قالوا من قتي ، فنصب نفسه مع قومه ؛ وهذا جملة مُنصّماً مع
 الكثرة إلى الغباء . وإنما قال : « من فارس » فنكر ، كما قال طرفة : « من قتي » فنكر . ولم يُعرف واحداً ، لأنها ، لأن السؤال بالمنكر لشدة إبهامه يكون أشكل لتناوله واحداً واحداً لاسيماً وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين ، ولا إلى الجنس فيقال : من القتي ، ومن الفارس . وفي هذه الطريقة قول الآخر :
 إذا القومُ قالوا من قتي لعظيمة فَمَا كُلُّهُمْ يُدعى ولكنه القتي
 وبيت بشامة أجود الثلاثة . وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لما أشار
 إلى هذا المعنى فقال :

إذا ما قيل يا لَحْمَةَ قَوْمٍ فَنَحْنُ بِدَعْوَةِ الداعِي عُنِينَا
 ١٠- إِذَا الكُفْمَةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَّاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا^(٢)

إنما قال حدّ الطُّبَّاتِ - وَظُبَةُ : السيف حدّه - لأنه أراد المضارب بأسرها . وكما صلح أن يُقال أصابته ظُبَةُ السيفِ صلح أن يُقال حدّ الظبَةِ . وقيل الظبَةُ : طرفُ السيف ، والشبَةُ حدّ طرفه . يقول : إذا الأبطالُ تباعدوا عن المصادمة والمكافحة ، مخافة أن ينالهم حدّ السيوف مددنا أئواعنا إليهم بها^(٣) أو وصلناها ، وفي هذا المعنى قوله :

(١) ضبط في النسخين بكسر الخاء . وفي اللسان والقاموس « الخيلان » بالتحريك .

(٢) رواية التبريزي : « أن يصيبهم » .

(٣) في الأصل : « بنا » ، والكلمة ساقطة من م .

إِذَا قَصَرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارِبِ (١)
 وقوله « تنحوا أن يناولهم » أي تنحوا أن يناولهم ، ومخافة أن يناولهم ؛ فلما
 حُدِفَ مِنْ وَصَلِ الْفِعْلِ قَعْمِل . وعلى هذا قولهم : تَحَصَّنَ فُلَانٌ أَنْ يُطَلَّبَ ،
 وقول الله تعالى : ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ . وقوله : « وصلناها بأيدينا »
 أي إذا عجزت جعلنا وصلها أيدينا . وهذه الأبيات إذا تَوَمَّلت فكل منها
 غاية يدعو إلى نفسه لفظاً ومعنى .

١١- وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ
 مع البسكة على من مات يبيكونا
 يصف تمؤدهم للشكل ، وإلفهم للمصائب والقتل ، وأن قلوبهم قد مرتت
 عليها حتى قست ، فلا يبيكون مع البسكة على من قتل منهم . ومثله قول
 عمرو بن كلثوم :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَصِيحَ مِنَ الْقَتْلِ
 ١٣- وَنَزَكِبَ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا

يجوز أن يكون هذا كما قال الآخر :

* خَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ *

ويجوز أن يكون أراد بالسيوف رجالاً كأنهم السيوف مضاءً ونفاذاً . والأول
 أولى . وإنما يصف خطارهم بجهمهم ، وركوبهم الممالك ، ورميهم بأنفسهم
 المرامي المعطية . فيقول : إذا فعلنا ذلك في الوقت بعد الوقت ، وسعت المضايق عنا
 محافظتنا على الكرم وصبرنا على الشدائد ، واستعمالنا سيوفنا المطاوعة لنا . ومعنى

(١) كذا جاءت الرواية في النسختين . والمعروف في رواية بيت قيس بن الخطيم :

إِذَا قَصَرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ

ولالأخمس بن شهاب التتليبي في المفضليات (٢ : ٧) :

وإن قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين تضارب

يفرُّجُه : يكشِفُه ويوسِّمُه . ويقال : فرَّجَ اللهُ غَمَّهُ وفرَّجَه ، بالتخفيف والتشديد .
ومنه سُمِّيَ ما بين القوَّام : الفروج . وإطلاق لفظ الفرج على العورَةِ يجرى
مجرى الكنايات . وعلى هذا قيل : رجلٌ فُرِّجَةٌ ، إذا كان كشافًا لأسراره .

١٥

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ويقالُ إِنَّهُ لِلسَّمَوِئِلِ

ابن عاديا اليهودي :

١- إذا المرء لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضَهُ فكلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

يقال : دَنَسَ دَنَسًا ، وَتَدَنَسَ تَدَنُّسًا ، إذا تكلّفه . فيقول : إذا لم يتدنس
الرجلُ باكتساب اللؤم واعتياده فأئى مَلْبَسٍ لَبِسَهُ بعد ذلك كان حَسَنًا جميلًا .
وذكر الرِّداء هاهنا مُستعار ، وقد قيل : رَدَّاهُ اللهُ رِداءَ عَمَلِهِ ، فجعل كنايةً
عن مكافأة العبد بما يعمله ، أو تشهيره به ، كما جعل هذا الشاعر كنايةً عن
الفعلِ نَفْسِهِ . وتحقيقه : فأئى عملٍ عَمِلَهُ بعد تَجَنُّبِ اللُّؤْمِ كان حَسَنًا . واللؤم :
اسمٌ لخصالٍ تجتمع ، وهى البُخلُ واختيار ما تَتَّقِيهِ المروءة^(٢) ، والصَّبْرُ على
الدنيَّة ، ودناءة النفسِ والآباء . وإذا يَتَضَمَّنُ معنى الجزاء ، والفاء مع ما بعده
جوابه . وليس هنا من قول عمرو بن معديكرب :

ليس الجــــــــــــــــالُ بمُنزِرٍ فاعلمْ وإن رُدِّيتَ يُرُدِّا

(١) لم يذكر التبريزي النسبة الأولى في صدر الإنشاد ، ولكنه ذكرها قبل تفسير البيت
الأول . قال : « ويقال إنها لعبد الملك بن عبد ارحم الحارثي ، ودو إسلامي » . وهو السموعل
ابن غريص بن عاديا ، المضروب به المثل في الوفاء ، لأنه أسلم ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في
أدراع أودعها عنده امرؤ القيس . انظر الأغاني (١٩ : ٩٨ - ١٠٠) وابن سلام ١٠٩ .
وهذا الإنشاد وما بعده من الكلام إلى البيت الثالث - ما عدا سطرًا قبله - ساقط من م
(٢) في الأصل : « يتقيه » وعند التبريزي : « ما تنفبه » ؛ والمؤدى متقارب .

فَيُتَمَتَّقُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِالرَّدَاءِ الثِّيَابَ بِسَبِيلٍ ، فَاعْلَمْ .

٢ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ^(١)

يقول : إذا المرء لم يحمل ظلم نفسه عليها ، ولم يصبرها على مكارهاها ، فليس له طريق إلى الثناء الحسن . وهذا يشير إلى كظم الغيظ ، واستعمال الحلم ، وترك الظلم والبغى مع ذويه ، والصبر على المشاق ، وإهانة النفس في طلب الحقوق ؛ لأن من تعود هذه الأشياء علا ذكره ، وحسن ثناؤه . ويقال : ضامه ضيماً ، وهو مضيمٌ ، إذا عدل به عن طريق النصفة واهتممه . ومنه قيل : قعد في ضيم الجبل ، أى في ناحية تنعدل إليه^(٢) . وكما استعمل الضيم من ضام ، كذلك استعمل المضيم واحد أفضام الوادى من هضم . ويبعد من طريق المعنى أن يريد بقوله « ضيمها » ضيم الغير لها فأضاف المصدر إلى المفعول ، لأن احتمال ضيم الغير لم يأنفون منه ، ويعدونه تذلاً .

٣ - تُعَيِّرُنَا إِنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

يقال عيَّرتُه كذا ، وهو المختار الحسن ، وقد جاء عيَّرتُه بكذا . قال عدى :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِاللَّهِ رِ أَأَنْتَ الْمُبْرَأُ الْمَوْفُورُ

والمعنى أنكرت مناً قلة عددنا فعدته عاراً ، فأجبتها وقلت إن الكرام يقولون . والكرم : اسم لحصال تضاد خصال اللؤم ، وقد ذكرناها^(٣) . وهذا الاعتراف الذى حصل منه إنما هو اعتراف بقلة العدد لا بقلة القدر والقناء .

(١) التبريزي : « وإن دو لم يحمل » .

(٢) فى الأصل : « فى ناحية يتعدك إليه » تحريف . وفى الجملة : « فى ناحية تعدل إليه » .

(٣) فى تفسير البيت الأول ص ١١٠ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَجَعَ عَلَيْهِ بِالنَّفِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :

* وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا *

على أن قوله « إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلٌ » يشتمل على معانٍ كثيرة : وهي وَلَوْعُ الدَّهْرِ بِهِمْ ، واعتماد الموت إِيَّاهُمْ ، وقلة النَّسْلِ فِيهِمْ ، واستقتالهم في الدَّفَاعِ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ، وإِهَاتِهِمْ كِرَائِمَ نَفْسِهِمْ مَخَافَةَ لَزُومِ الْعَارِ لَهُمْ ، ومحافظةهُمْ على عِمَارَةِ مَا ابْتَنَاهُ أَسْلَافُهُمْ . وكلُّ ذلك يَقَلُّ الْعَدَدَ ، ويقصر الْمَدَدَ . وقليلٌ وكثيرٌ يوصف بهما الواحد والجمع .

٤ - وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكَهُولٌ

الماء من قوله « بقاياها » راجعة إلى لفظ « مَنْ » لأنَّ معناه الكثرة . ولورد عليه ^(١) لقال بقاياهم . يقول : وما حصلت القلة في القدر والغناء ، ولا لحقت الذلة في اللقاء والدفاع لأسلافٍ أخلافهم نحنُ ، شبانٌ وكهولٌ يتسامون في اكتساب المعالي ، ويترقون في درجات الفضل . و « شبابٌ » مصدرٌ في الأصل . ووُصِفَ به ، ولذلك لا يثنى ولا يُجمع . يقال شَبَّ الصَّبِيُّ يَشِبُّ شَبَابًا . وقوله « تَسَامَى » أراد تَسَامَى ، فحذف إحدى التاءين استتمتالاً للجمع بينهما . فإن قلت : هَلَّا أُدْعِمَتْ كَمَا أُدْعِمَتْ فِي أَدْرَاكٍ - وَالْأَصْلُ تَدَارِكٌ ؟ قلت : ليس هذا موضع إدغام ، لأنه فعل مضارع . ألا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أُدْعِمَ لاحتيج إلى جَلْبِ أَلْفِ الْوَصْلِ لَكُونَ أَوْلَهُ ، وَأَلْفُ الْوَصْلِ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضْرَعِ . وَالْكَهْلُ : الَّذِي قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، وَمِنْهُ اكْتَهَلَ النَّبْتُ ، إِذَا شَمِلَهُ النُّورُ .

٥ - وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْإِلَّا كَثِيرِينَ ذَلِيلٌ

في هذا الكلام تعريض بعشيرة من جاذبه الكلام ^(٢) . يقول : وما يضرنا

(١) أي على المعنى . وفي م : « عليهم » .

(٢) م : « بالكلام » .

قَلَّةٌ عددنا وجارُنَا في عِزٍّ ، وجار من لهم العَدَدُ والكثرة في ذَلِّ . وقوله : « وماضِرَّنَا » يجوز أن يكون ما حَرَفَ نَفِي ، والمعنى لم يَضُرَّنَا ؛ ويجوز أن يكون اسمًا مستفهما به على طريق التَّقْرِيرِ ، والمعنى أى شَيْءٌ يَضُرُّنَا . والواو من قوله : « وجارُنَا عَزِيزٌ » واو الحال ، أى لا يَضُرُّنَا ذلك والحال هذا . وكذلك الواو من قوله : « وجار الأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ » واو الحال . وإنما صَلَحَ الجَمْعُ بين الحالين لأنهما لذاتين مختلفتين ، ولو كانا لذات واحدة لم يَصْلُح . والعِزُّ والعِزَاةُ استعمل في القُدْرَةِ والمَنَعِ ، وفي الصَّلَابَةِ والشَّدَّةِ . ويقال : تَعَزَّزَ اللَّحْمُ ، لأنَّ الكُلَّ يرجع إلى أصل واحد ، كما أن الذَّلَّ والذَّلَّ الذى هو ضِدُّهُ استعمل في الانقياد والسهولة واللِّينِ والوَطْأَةِ ، إذ جميعه يدعو إلى شَيْءٍ واحد . وفي طريقتة :

فجارك عند بيتك لحمٌ ظبِّيٌّ وجارى عند بيتي لا يرَامُ

وقول الآخر^(١) :

* وهم يَمْنَعُونَ جارهم أن يُقَرِّدَا^(٢) *

٦ - لنا جبلٌ يَحْتَلُّهُ من نُجَيْرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَلِيلٌ^(٣)

ومثله :

لنا هَضْبَةٌ لا يَدْخُلُ الذَّلُّ وَسَطَهَا ويأوى إليها المستجيرُ لِيُعَصَمَا

وأراد بذكر الجبل العِزَّ والسَمَوَ . فيقول : لنا جبلٌ عِزٌّ يَدْخُلُهُ من نُدْخِلُهُ نَفِي جوارِنَا ، ممتنعٌ على طالِبِهِ ، يَرُدُّ لِإِشْرَافِهِ وَسُوقِهِ طَرْفَ الناظرِ إليه وهو حَسِيرٌ .

(١) هو الحصين بن القعناع ، كما في اللسان (سنت ، ألس) .

(٢) صدره : * هم السمن بالسنوت لا ألس بينهم *

(٣) في الأصل : « برد الطف » ، صوابه في م والتبريزي .

ومنيحٌ: اسم الفاعل من مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا^(١)، ومنه المنعَةُ. ويجوز أن يكون فمياً في معنى مفعول، أي ممنوع منه، وكما استُفْعِلَ المنيع في العزِّ استُفْعِلَ أيضاً في العِفَّةِ، فقيل امرأة منيعةٌ وممنعةٌ^(٢) أي عفيفةٌ. وحلٌّ واحتلٌّ بمعنى.. والظرف: النَّظْرُ والعين جميعاً. وقال الدرِّيْدِيُّ: ظَرَفَ العين امتداداً لِحَظَّهَا^(٣).

٧ - رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَّاهُ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ

رَسَا الْجَبَلُ: ثبت أصله في الأرض. ومنه رَسَتِ السُّفُنُ، إذا اتهمت إلى قَرَارِ الْبَحْرِ^(٤). والرُّسُوُّ والرُّسُوخُ يتقاربان. والثَّرَى: التُّدَى. وما تحت الأرض ثَرَى. ويقال: ثَرَى ثَرَىً، على المبالغة. يقول: ثبت أصلُ هذا الجبل - وهو يريد العزَّ على ما بينت - تحت الأرض وارتفع به أدنى طویلٌ لَا يُنَالُ إلى محلِّ النَّجْمِ. والمراد: عِزُّنا أصله تحت الأرض السابعة، وفرعُه عند النجم. ومعنى لَا يُنَالُ: لَا يُوصَلُ إليه وَلَا يُحَصَّلُ مثله. وكما كان يقال في الرَّفِيعِ الشَّانِ العالی القدر: هو في النجم وهو في الشَّكَاكِ، وكان قصده في الفَرَعِ أنه مديدٌ حَتَّى اتَّصَلَ بالنجم، زاده صِقَّةً فقال طویل. وقد طابَقَ الرُّسُوُّ بِالرُّسُوِّ، كما قابل الأصل بالفَرَعِ. ونقله أبو تمامٍ فقال:

لَنَا نَبِيَّةٌ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَفِي هَامَةِ الْحَوْتِ أَعْرَافُهَا

٨ - وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَارَاتُهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

كان وجه الكلام أن يقول: مَا يَرَوْنَ الْقَتْلَ سُبَّةً، حتى يرجع الضمير من

(١) هذا المصدر لما يردد في المعاجم المتداولة.

(٢) م: «ممنعة».

(٣) نبه التبريزي إلى أنه روى بيت آخر بعد هذا البيت في بعض الروايات، وهو:

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رآه ويطول

(٤) م: «إلى قرار الأرض»، والمؤدَّى واحد. وفي اللسان: «ورست السفينة

قرمورسوا: بلغ أسفها القعر وانتهى إلى قعر الماء، فثبتت وبقيت لا تسير».

صفة القوم إليه ولا تعرّى منه ، لكنّه لما عَلِمَ أَنَّ المُرَادَ بالقَوْمِ هُمُ قال :
ما نرى . وقد جاء في الصلّة مثلُ هذا ، وهو فيه أفضع ، قال :

* أنا الذي سَمَّيْنِ أُمِّي حَيْدَرَةَ^(١) *

والوجه « سَمَّته » حتّى لا يعرّى الصلّة من ضمير الموصول . قال أبو عثمان
للزّينى : لولا صحّة مورِدِهِ وتكرّره لردّدته . فضّلّ عشيرته في الصّبر على الموت ،
والثبات في الحرب على عامر وسأول ، وهما قبيلتان^(٢) . فيقول : إِذَا حَسِبَ
هؤلاء القتل والقتال عارًا ومنقصةً عدّها عشيرتي نخرًا ومكرمةً . والسبّية :
ما يُسبّ به ، كما أن الخدعة ما يُخدع به . وأصل السبّ : القَطْع ، ثم استُعْمِلَ
في الشتم . وهذا كما يقال : فلانٌ يُقَطِّعُ أعراضَ الناسِ . وقوله : « ما نرى »
أى لا نجعل ذلك مذهبًا .

٩- يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجَالَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(٣)

قوله : « يقرب حبُّ الموت » أى حبُّنا للموت . وجعل في مقابلته :
« وتكرُّه آجالهم » لأنّه يشتمل على ما يوقِّها حقّها من اللفظ . وإن كانت^(٤)
من حيث المعنى قد حصّلت : ويبعدُ بضمُّهم إِيّاه آجالهم . ويكون الشاعر مُدِّئًا
في المصراع الأوّل بقول الآخر :

* رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له حُمْرُ *

لأنّه يشير إلى أنهم يُعْتَبَطُونَ لاقتحامهم المفايا ، وحِرْصهم على ملابسة

(١) اعلى بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) .

(٢) التبريزى : « يعنى عامر بن صعصعة . وبنو سله هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية

ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان » .

(٣) وي و : « يقصر حب الموت » ، كما سيأتى ، وكما عند التبريزى .

(٤) الضمير في « كانت » للمقابلة . في الأصل : « وهو وإن كانت » . م : « وهو وإن كان »

الحروب ، وأن أولئك يعمرّون لمجانبتهم الشرور ، وزهدهم في مجاذبة العدو^(١) .
ويجوز أن يكون أضاف الحُبّ من قوله « حُبُّ الموت » إلى الفاعل ، فيكون
المعنى : يقربُ حُبُّ الموت لنا آجالنا ، ويكون هذا كقول طرفة :

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطنى عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدّدِ
ويكون على هذا قوله « وتكرهه آجالهم » محمولا على أنه إذا كرهت
آجالهم الموتَ فقد كره الموتَ آجالهم أيضا . ألا ترى قول دُرَيْد :

أبى القتلُ إلا آلَ صِمةٍ إنهم أبوا غيرهُ والقدرُ يجرى إلى القدرِ
وقول مُتَمِّم :

* أرى الموتَ طلائعاً على من ترَفَعاً^(٢) *

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصلٌ أيضاً . وبعضهم روى :
« يُقصرُ حُبُّ الموت » واختاره ، ليكون القصرُ بإزاء الطول . وهم لا يُراعون
مثل هذا إذا تفاسبت المعاني وتقابلت ، ويكون ذلك منهم كالتبرى^(٣) من
التكاف . ألا ترى أبا ذؤيب الهذلي قال :

وشيكُ الفصولِ بعيدُ القُفولِ إلا مُشاحاً به أو مُشيحاً

وقد كان يمكنه أن يقول بطيء القفول فلم يُراع ذلك . وقد أحسنَ عنتره
كلَّ الإحسان في سلوكِ هذه الطريقة ، حين قال :

* ليسَ الكريمُ على القنأِ مُحَرَّم^(٤) *

(١) م : « محاربة العدو » .

(٢) م : « توقعا » . وفي المفضليات (٢ : ٧٠) :

فلا تفرحن يوماً بنفسك إننى أرى الموتَ وقاعاً على من تشجما

(٣) م « كالبرأ » .

(٤) صدره :

* فشككت بالريح الأصم ثيابه *

١٠- وَمَامَاتٍ مَنَامَيْدُ حَتْفِ أَنْفِهِ وَلَا طُلٌّ مَنَا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ^(١)

« حتف » انتصب على الحال ، ولم يُستعمل منه حُتِفَ ولا هو محتوف .
 وليس هذا مثل تَبَسَّمَتْ وَمِيضَ الْبَرْقِ^(٢) ، فاعلمه . يقول : لم يَمُتْ رَيْسٌ مَنَا
 على فراشه ، بل مات ميتةً كريمةً في الحرب تحت ظلالِ الشيوف والرماح ،
 ولا أَبْطَلَ دَمٌ قَتِيلٍ مَنَا حَيْثُ كَانَ ، وعلى يدِ مَنْ اتَّفَقَ . وهذا غاية ما يَتَحَمَّدُ به
 القُتْلُكُ وأبناء الحروب ، حتَّى إنَّ بعضهم اعتذَرَ عن مات على فراشه فقال :
 بِمَحْمَدٍ مِنْ سَفَانِكَ لَا بِدَمِّ أَبَا قُرَّانٍ مِتَّ عَلَى مِثَالِ^(٣)
 وفي هذه الطريقة قوله :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ^(٤)

وقوله : « مات حتف أنه » يقال إنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ به النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وتحقيقه : كان حتفه بأنفه ، أى بالأنفاس التي خرجت من أنفه
 عند نزوع الرُّوح ، لا دَفْعَةً واحدة . ويقال خُصَّ الأنفُ بذلك لأنه من جهته
 ينفضى الرَّمَقُ . ويقال : طُلَّ دَمُهُ يُطْلُ طَلًّا ، إذا أَهْدِرَ .

١١- تَسِيلٌ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الشِّيُوفِ تَسِيلٌ

يُروى : « تسيل على حدِّ الشيوف نفوسنا » . ولم يقل وليست على
 غيرها تسيلٌ في الروايتين ، لأنهم يكررون أسماء الأجناس والاعلام كثيرًا ،

(١) التبريزي : « ويروى :

* وما مات منا سيد في فراشه *

وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية .

(٢) أى ليس من المنصوب على أنه مصدر مرادف .

(٣) المثال : الفرائش . وفي قول الأعشى :

بكل طوال الساعدين كأنما يرى بسرى الليل المثال المهدا

(٤) لعمر بن أبي ربيعة . الأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون

الأخبار (٢ : ٤٩) .

ولا سيما إذا قَصَدُوا التَّفْخِيمَ بِهَا . كما قال عَدِيٌّ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يُسَبِّقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَفَّصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وفي الرواية الثانية - وهي المشهورة - أضافَ الحَدَّ إلى الظُّبَاتِ . وهذا فيه وجهان : أحدهما أن يكون أراد بالظُّبَاتِ السُّيُوفَ كُلَّهَا ثم أضافَ الحَدَّ إليها ، والمعنى : تسيل على حَدِّ السُّيُوفِ دَمَاؤُنَا وليست تسيل على غيرها . وهذا كما يُسَمَّى السُّيُوفُ كما هُوَ نَضْلًا ، وكما يُسَمَّى السُّهْمُ نَضْلًا كما هو . والثاني أن إضافة الحَدِّ إلى الظُّبَاتِ كإضافة البعض إلى الكل ، ويكون التقدير : تسيل على الحَدِّ من الظُّبَاتِ ، وتكون الظُّبَاتُ مَضَارِبَ السُّيُوفِ . فإن قيل : كيف تبجَّح بأن تكون دَمَاؤُنَا تسيل على حَدِّ السُّيُوفِ لا على غيره ؟ قلت : إنَّ الدَّمَاءَ قد تُسَالُ بالعِصَى وبغيرها مما لا يكون شَرَفًا ، فقد القِتْلَةُ التي تكون بالسُّيُوفِ أَكْرَمَ . ألا تَرَى أَنَّ بَنِي أَسَدٍ يُسَمَّوْنَ « عبيدَ المَصَا » لما كان حُجْرُهُ أبو امرئ القيس حين أوقع بهم قتلهم بها ، لتكون قتلهم ذميمة . وقد قُتِلَ كثيرٌ منهم بالجلاميد والضُّخُور ، ولذلك قال بعضهم :

جلاميدُ أملاء الأُكْفِ كأنها رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ في المِوَاسِمِ^(١)
وقال آخر^(٢) :

وَلَا تُنْقَاتُلُ بالعِصَى وَلَا تَرَامِي بالحِجَارَةِ
إِلَّا عُلَّةً أَوْ بُدَا هَةَ سَاحِحٍ نَهْدِ الْجِزَارَةِ

وإذا كان الأمر على هذا فمعنى التبجَّح أن تكون منيتهم بالسُّيُوفِ ظاهرة .
وأما قوله :

لَوْ بِأَبَانِينَ جَاءَ يَخْطُبُهَا رُمْلٌ مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ^(٣)

(١) انظر البيان (٣ : ١٥) والكامل ٣٣٣ ليسك .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٤٤ - ١١٥ .

(٣) لمهلل بن ربيعة ، كما في معجم البلدان (أبانان) .

فَإِنَّ الفَحْلَ المَهِجِينَ إِذَا تَعَرَّضَ لِلنَّاقَةِ الكَرِيمَةِ قُرِعَ أَنفُهُ بِالعَصَا وَضُرِبَ
وَجْهُهُ بِهَا ، فَهُوَ مِنْ ذَاكَ مَا خُوذَ .

١٢- صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنَّا تُ أَطَابَتْ سَمَلْنَا وَفُحُولٌ^(١)

أشار بهذا الكلام إلى كرم المناصب والمناسب ، وطيب النبت والمغرس .
فيقول : صَفَتْ أَنسَابُنَا فَلَمْ يَشْبَهَا كُدُورَةٌ . وَخَلَّصَ نِكَاحَنَا أُمَّهَاتُ طَيِّبَاتٍ
سَمَلْنَا ، وَأَبَاءُ كَرَمَتٍ عُرُوفُنَا . ويقال : كَدِرَ المَاءُ يَكْدُرُ كَدْرًا وَكُدُورًا
وَكَدُورَةً ، وَهُوَ أَكْدَرُ وَكَدِرٌ . وَفِي ضِدِّهِ صَفَا المَاءُ يَصْفُو صُفُوءًا ؛ وَالصَّفَاءُ
الاسم . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدِرَ » . وَالسَّرُّ : النِّكَاحُ .
وَسِرُّ الشَّيْءِ : خَالِصُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ سُرِّيَّةً فِعْلِيَّةً مِنْ هَذَا .

١٣- عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا لَوْقَتٍ إِلَى خَيْرِ البَطُونِ نُزُولٌ

يصف ترددهم في شرف المصعد والمنحدر ، وكرم العنصر والمتحول ، كما
ذكر طهارة النكح والمولد ، وجلالة المعتلى والمستقر ، فيقول : عَلَوْنَا فِي خَيْرِ
الظُّهُورِ ، أَيْ حَصَلْنَا فِي أَعْلَى المَرَاتِبِ مِنْ ظُهُورِ أَكْرَمِ الآبَاءِ ، وَحَدَرْنَا مِنْهَا لَوْقَتٍ
مَعْلُومٍ - يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الأَطْهَارِ - نُزُولٌ إِلَى خَيْرِ البَطُونِ مِنْ أَشْرَفِ الأُمَّهَاتِ^(٢) .
والمعنى أَنَّا كَرَامِ الأَطْرَافِ . وَهَذِهِ الأَبْيَاتُ إِذَا تَوَمَّلْتَ أَدْمَى النَّائِلِ مِنْهَا إِلَى
سَلَامَةِ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى مِنْ كُلِّ مَعَابٍ^(٣) ، وَحُصُولِ الفَخَامَةِ وَالجَلَالَةِ لَهَا فِي كُلِّ
جَانِبٍ وَبَابٍ .

(١) نكدر ، ورد بفتح الدال في النسختين ، ويجوز ضمها ، فإن ماضيها مثلث الدال كما
في القاموس .

(٢) أي نزول من ظهور آبائهم إلى خير بطون من أشرف أمهات .

(٣) معاب ، أي عيب ، وفي الاصل : « مصاب » صوابه في م .

١٤- فنحنُ كماءِ المِزْنِ مافي نِصابِنَا كَهَامٌ ولا فينا يَمِئِدُ بِنخيلٍ

ماء المطر أصفى المياه عندهم ، فشبهه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر . والمِزْنُ : السحابُ . وقوله : « مافي نصابنا كهامٌ » ، أى ليس فينا كليل الحدِّ ، ولكن كلُّ منا ماضٍ نافذٌ ، ولا فينا بنخيل فيئعدٌ . وهو تنفُّى للبخيل رأساً ، وليس يريد أن فيهم بنخيلاً ومع ذلك لا يئعدُ^(١) . ومثله :

* ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجِجِرُ^(٢) *

أى ليس بها ضبُّ رأساً فينججر ، ومثل هذا كثير . ويقال كَهَمَ وكَهَمَ يَكْهَمُ وَيَكْهَمُ كَهَامَةً ، فهو كَهَامٌ وكَهِيمٌ . يقال ذلك للرجل إذا ضَمِعَ ، وللسيف إذا كَلَّ .

١٥- نُنْكَرُ إِنْ شِينَا على الناسِ قَوْلَهُمْ ولا يُنْكَرُونَ القَوْلَ حينَ نَقُولُ

هذا مثل قول الآخر :

وما يستطيعُ الناسُ عقداً نَشَدَهُ ونَنْقُضُهُ منهمْ وإن كان مُبرِّمًا^(٣)

يصف رياستهم وعلو كلامهم ونفاذ حُكْمِهِمْ ، ورجوع الناس في المهمات إلى رأيهم ، والاعتماد على تدبيرهم^(٤) ومشورتهم . فيقول : نُغَيِّرُ ما نُريدُ تَغْيِيرَهُ من قول غيرنا ، وأحدُّ لا يَجْسُرُ على الاعتراض علينا ، والإنكار لقولنا ، انقياداً لهوانا ، واقتداءً بحزمننا . وهذا كما قال الأعشى :

(١) لا يعد ، ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) البيت لابن أحر ، ، كما في الخزانة (٤ : ٢٧٣) . صدره :

* لا تفزع الأرنب أهوالها *

(٣) عند التبريزى : « نشده » و « وينقضه » .

(٤) في الأصل : « في تدبيرهم » ، وأثبتنا ما في م .

* كَلَّ سَيْرَضَى بَأَن يُبَلِّغَى لَهُ تَبَعًا (١) *

١٦- إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُهُ قَوْلُهُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعَوْلُ

يشبهه قول حاتم :

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ نَظِيرُهُ لَهُ يُعْنَى غَنَاهُ وَيُخْلَفُ

وقولُ عمرِوة :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى مَجْدِهِ عَمْرُ الْمُرُوءَةِ سَيِّدٌ (٢)

١٧- وَمَا أَتَّخَذَتْ نَارُ لِنَادُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلٌ

أراد بقوله « نَارُ لِنَا » نار الضيافة . يقول : نُدِيمُ إِيقَادَهَا فَلَا تُطْفَأُ دُونَ طَارِقٍ لَيْلٍ . وَالضَيْفُ إِذَا فَارَقْنَا حَمِدْنَا وَلَمْ يَدْمُنَّا ، لِحُسْنِ تَوْفُرِ نَاعِلِيهِ ، وَاحْتِفَالِنَا عِنْدَ سَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ . وَالنَّزِيلُ ، كَالرَّفِيقِ وَالْجَلِيسِ وَالْأَكِيلِ . وَالطَّرُوقُ يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ . وَسُمِّيَ النَجْمُ طَارِقًا لِذَلِكَ .

١٨- وَأَيَّامَنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا لَهَا عُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُوجٌ

يقول : وَقَعَاتُنَا مَشْهُورَةٌ فِي أَعْدَائِنَا مَعْلُومَةٌ ، فَهِيَ بَيْنَ الْأَيَّامِ كَالْأَفْرَاسِ الْعُرْرِ الْمُحَجَّلَةِ بَيْنَ الْخَيْلِ ، يُعْرَفُ بِلَاؤِنَا فِيهَا ، وَحُسْنُ آثَارِنَا عِنْدَ النَّهْوضِ لَهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ :

* وَأَمَّا يَكُنْ يَوْمَ أَعْرُ حُجَّجٌ *

والتحجيل : أن يبيض من الأوظفة مواضع الحجل ، وهو التئيد والخلخال .

(١) كذا في الأصل ، وفي م : « يلقى لها » ، وفي الديوان ٨٦ : « بأن يرعى له » .

وصدر البيت :

* تلقى له سادة الأقسام تابعة *

(٢) عجز هذا البيت من م . والبيت لم يرو في ديوان عمرو .

فإذا ارتفع التّعجيل حتى يبلغ الفخذين فما فوق فهو التجويف . قال طُفَيْلُ :
* شَمِيطُ الذَّنَابِي جُرُوتٌ فَهِيَ جَوْنَةٌ ^(١) *

١٩- وَأَسِيافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُوكُ
مثله قولُ النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرُ أَنْ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُوكٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
يقول : قد تَفَلَّكْتُ سَيُوفُنَا بِمَا نضاربُ بها الأعداء ، في مشارق الأرض
ومغارِها . وقال : « من قِرَاعِ الدَّارِعِينَ » ، لأن الغرض أن يكون عدوهم
على غاية الاحتراز منهم ؛ وفي أكل الاستعداد لهم . وقوله : « في كل غَرْبٍ
وَمَشْرِقٍ » ظَرَفُ لِقِرَاعِ الدَّارِعِينَ . أي بأسِيفَانَا فُلُوكُ مِنْ القِرَاعِ فِي كُلِّ
غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ .

٢٠- مَعْوَدَةٌ أَلَّا نَسَلَّ نِصَالُهَا فَتَغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلٌ ^(٢)
مثله قولُ الآخر ^(٣) :

بَأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ وَأَمْ تَكْثُرُ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَلَّتْ

(١) عجزه كما في الديوان ٦٠ واللسان (شط ، جوف)

* بنتبة ديباج وريط مقطع *

(٢) في الأصل : « قبيل » ، وصواب الرواية من م والتبريزي ، وهو ما يقتضيه
التفسير بعده .

(٣) هو سليمان بن قنسة ، أو الفرزدق . ديوانه ١٣٩ واللسان (شيم) والكمال
١٧٤ لبيسك والعمدة (٢: ١٥١) . وقال المبرد « وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله
لم يشيموا : لم يغمدوا . ولم تكثر القتلى ، أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين
سَلَّتْ . وقال ابن رشيقي : « أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتلى ، كما
تقول : لم أضربك و [أنت] لم تجن على إلا بعد أن جنيت على . وقال آخرون : أراد لم
يسلوا سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتلى . كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك إلا وقد أحسنت
إليك . والقولان جميعا صحيحان ، لأنه من الأضداد » .

وانتصب «معوذة» على الحال . ويجوز أن ترفع على أن تكون خبر ابتداء مضمرة ، والعامل فيه إذا كان حالا ما يدل عليه قوله : « بها من قراع الدارين فلول » . فيقول : عودت سيوفنا ألا تجرد من أغمادها فترد فيها إلا بعد أن يستباح بها قبائل . ويقال : عودته كذا فتموذه واعتاده . والعادة من العود وهو الرجوع ، ولذلك قالوا للمواظب على الشيء : هو معاود له . وقوله « فتعمد » ، يقال عمدت السيف وأعمدته ، وأضله الستر ، ومنه تعمده الله برحمته .

٢١- سَلِيَ إِنْ جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْكُمْ^(١) وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلٌ

يُرْوَى: «عَنَّا فُتْخِرِي» . كأنه استدلت على تصحيح ما ادعاها من الخصال التي عددها بشهادة الناس له وتصديقهم مقالته . يقول : سَلِيَ النَّاسَ عَنَّا إِنْ جَهَلَتِ مَا حَكَيْتُهُ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى تُتْخِرِي فِتْوَمِنِي بِهِ وَتَسْكُنِي إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ الْعَالَمُ بِالشَّيْءِ كَالْحَمْنِ أَوِ الْمَجُورِ أَوِ الشَّاكِّ أَوِ الْخَادِسِ أَوِ الْمَقْدَّرِ^(٢) . وَالْعِلْمُ قَدْ يَحْصُلُ بِإِخْبَارِ الْخَبْرِينَ كَمَا يَحْصُلُ بِالشَّاهِدَةِ ، فَلِذَلِكَ دَعَاهَا إِلَى مَا دَعَا مِنَ السُّؤَالِ وَالْكَشْفِ . وَقَوْلُهُ: «فُتْخِرِي» يَنْتَسِبُ بِأَنْ مَضْمَرَةٌ وَهُوَ جَوَابُ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ . وَالسُّوَاءُ يَكُونُ مَصْدَرًا وَوَضْعًا فِي مَعْنَى مُسْتَوٍ . يُقَالُ: هَذَا دَرَجَةٌ سَوَاءٌ ، أَيْ مُسْتَوٍ ؛ وَهَذَا دَرَجَةٌ سَوَاءٌ أَيْ اسْتَوَاءٌ ، كَمَا تَقُولُ هَذَا دَرَجَةٌ تَمَامًا ، أَيْ تَمَّ تَمَامًا . وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ أَي مُسْتَوِيَاتٍ ، وَقُرِئَ ﴿ سَوَاءٌ ﴾^(٣) عَلَى الْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قَالَ: اسْتَوَاءً . حَكَى أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ: هُمَا سَوَاءٌ وَهِيَ سَوَاءٌ إِنْ .

(١) التبريزي : «عنا وعنهم» .

(٢) م : «أو المقلد» .

(٣) قراءة النصب على الحال هي قراءة الجمهور . وقرأها بالجر على النعت زيد بن علي ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، وعمرو بن عبيد ، وعيسى وبقوب . وقرأها أبو جعفر بالرفع ، أي هو سواء . تفسير أبي حيان (سورة فصلت) .

٢٢- فَإِنَّ بَنِي الدِّيَّانِ قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحْمُهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

القُطْبُ: الحديدة في الطَّبَقِ الأَسْفَلِ من الرَحَى يدور عليها الطَّبَقُ الأَعْلَى .
وَسُمِّيَ قُطْبُ السَّمَاءِ لما يَدُورُ عَلَيْهِ الفَلَكَ . وعلى التشبيه قالوا: فُلَانٌ قُطْبُ بَنِي
فُلَانٍ ، أَى سَيِّدُهُمُ الذى يَلُودُونَ بِهِ ، وهو قُطْبُ الحَرْبِ .

١٦

الشمندر الحارثي :

قال الدرردي: شمندر: دابة زعموا، ولا أحسبها عربية صحيحة.

قال البرقي: هذا الشعر لسويد بن صميع المرثدي، من بني الحارث،
وكان قتل أخوه غيلة فقتل قاتل أخيه نهاراً في بعض الأسواق من الحضر.

١- بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغمير القوافيا

الصحراء: اسم للمكان الواسع، وجمعه صحار وصحر. قال:

* أَنِي مَدَّةُ صَحْرَةٍ وَوُوبٌ (١) *

وأصح القوم: يرزوا إليها، ومنه قيل لقيته صحرة بحرة، أي عياناً ومبارزة.
يقول: دعوا التفاحر في الشعر وبالشعر، فإنكم قصرتم بصحراء الغمير ولم
تبلوا فيها فتنتطلق ألسنتكم لدى الساجلة، وتستجيب قوافي الشعر لكم، إذا
أردتم نظمها وإنشادها، عند المنافرة والمحاكمة، لأنكم أمتم قوافي الشعر
ودفنتموها. فكما أن الميت لا يجيب إذا دُعِيَ، كذلك لا يجيبكم الشعر إذا
أردتموه، مع سوء بلائكم، وقبح آثاركم. والقافية: آخر البيت للمشتمل على

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ٩٢ واللسان والمقاييس (صح). وصدده:

* سبى من يراعتة نفاه *

ما بُنِيَ عَلَيْهِ الْقصيدَة . وقد يُسَمَّى البيت كما هو قافيةٌ . قال :

وقافيةٌ مِثْلِ حَدِّ السِّنَانِ تَبَقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالِهَا (١)

قال الأخفش : وتسمى القصيدة بأسرها قافيةً . قال :

* فَمَنْ لِلتَّوَأَى بَعْدَ كَعْبٍ يَحُوكُهَا (٢) *

٣- فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيْبُونَ سَلَةً فَتَقْبَلُ ضَيْمًا أَوْ نُحَكِّمُ قَاضِيًا

في هذا الكلام تعريضٌ بقومٍ أشار إليهم بقوله : « كمن كنتم » ، وتصريحٌ بالمخاطبين ، ومُجَاهَرَةٌ (٣) بالقول ، فهو يرميهم بالضعف وأنهم إذا نالوا من العدو شيئًا نالوه سرقةً . فية قول : لسنا كالذين كنتم تنالونهم سرقةً ، فنلتزم لكم الضيم ، أو نُنْصِبَ حَاكِمًا يَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وأشار بالضيم إلى التغميض على ما يكون من سرقتهم . وكان القوم الذين أشار إليهم وانتفى من أن يكون حاله كحالهم ، كانوا يقاتلون سرقتهم وتجاسرهم عليهم إثمًا بالتغميض ، وهو التزام الضيم عندة ، وإثمًا بالرافعة إلى الحاكم ونصب التوسط ، والعجز في حكمه . وانتصاب « تقبل » على أنه جواب التثني بالفاء . ويقولون : في بني فلان سلةٌ ، أي سرقةٌ . وانتصاب سلةً على أنه مصدرٌ في موضع الحال ، والتقدير : تصيبونهم سائلين وساقين .

٣- وَلَكِنْ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ فَتَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًا

يقول : متى عدوكم طورككم ، أو خرجتم من حدكم ، فإننا تسلط السيف

(١) البيت للخنساء ، كما في اللسان .

(٢) البيت لكعب بن زهير في الشعر والشعراء ١٠٣ ، ١٠٧ . وعجزه :

* إذا ما مضى كعب وفوز جرول *

(٣) م : « ومجاهدة » .

عليكم، ولا نَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ فِيكُمْ. فَتَى رَضِيَ رَضِينَا^(١)، وفي طريقته قوله :
* وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمْ *

٤- وَقَدْ سَاءَ فِي مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بِنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا

دَلَّ بِقَوْلِهِ : « لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا » عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسُوهُ مَا جَنَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ،
لأنه وقع بالاستحقاق . ألا ترى أنه قال ساءني ذلك لو كان الأمر المؤدّي إليه
أمرًا مُدَانِيًا ، وكنا نعرفُ للاختِمالِ فيه موضعًا ، وللاصِّبَرِ عَلَيْهِ تَجَالًا وَمَذْهَبًا .
فأما والشَّانُ مُسْتَفْجِلٌ ، وتعدِّبكم متفاقمٌ ، فإنه لا يسوءني . وقوله : « لَوْ كَانَ
أَمْرًا مُدَانِيًا » ، أراد لو كان الأمرُ أمرًا أَمَّا لساءني . وإذا كان كذلك
فجواب لو متقدّم ، وتلخيصه : لو كان ما تردّدنا فيه قريبًا لساءني ما جنته
الحرب بيننا ، ولكن الآن لم يسؤ . وهذا تعظيم لما كان منهم إليهم ،
وكالاعتذار عن الأخذ بالفضل عليهم ، وترك الصّفح عنهم .

٥- فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

رواه بعضهم : « فَإِنْ تَزَعُّمُوا أَنَا ظَلَمْنَا » . والزُّعْمُ فِي دَفْعِ الدَّعْوَى أَبْلَغُ ،
وإنما نَبّه بهذا الكلام على أنه لا يعلّم ما عوملوا به ظلماً ، مع كونه ابتداءه
منهم ، وإن كان فيه سرف . فيقول : إِنْ ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا أَنَا ظَلَمْنَا كَمَا فَإِنَّا لَمْ
نظلمكم ، مع عدوانكم ، وسبقكم إلى الشرّ وتهيبجه ، ولكننا أسأنا في تقاضيك
الحقّ ، وإيفائكم الجزاء ، حين استخرجنا بالعنفِ والتهرّب ، ومجاوزة الأذنى من
الأمرين إلى الأقصى . فكأنه سمى ما عدّه أولئك ظلماً سوء تقاضٍ . والظلمُ
قيل فيه : إنه وضعُ الشيء في غير موضعه ، ولذلك قيل للأرضِ الضلْبَةُ إِذَا
حُفِرَتْ : مظلومةٌ ، وللسقاء إِذَا تَنَوَّوْا مَا فِيهِ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ : ظَلِيمٌ . وقيل : الظلمُ :

(١) في الأصل : « فن رضي رضينا » ، وأثبتنا ما في م .

انتقاص الحق . قوله « فلم نكن ظلمنا » إذا كان من حكم الجواب أن يكون طبقاً للابتداء ومينياً عليه ، فمن الواجب عليه كان أن يقول : فإن قلتم إنا كنا ظلمنا . ألا ترى أننا نقول في قول الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ ﴾ إنه كان جواب قائل قال كان الله سيعذِّبُهُمْ . فنحن على حدِّ الابتداء وطريقته ، لكنَّ الشاعر حدَّف من الابتداء كُنَّا ، لأن ما في الجواب يدل عليه .

١٧

وَدَاكُ بْنُ نُمَيْلٍ الْمَازِنِيُّ

قال البرقي هو وداك بن سنان بن نميل^(١) :

١- رُوِيَ دَبْنِي شَيْبَانُ بِمَضْرُوعٍ وَعِيدِكُمْ تَلَّاقُوا غَدًا خَبَلِي عَلَى سَفَوَانِ

رويذاً : تصغيرُ إرؤادٍ ، وهو مصدرُ أرودتُ فلاناً ، على طريق الترخيم ، وانتصابه بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه لفظه . وأكثَر ما يحىء تصغير الترخيم يحىء في الأعلام ، وقد يُجعلُ رويذاً انما لارفق ، فيُنبنى حينئذ كما يُبنى أخواته من أسماء الأفعال . على ذلك ما جاء في المثل من قولهم : « رويذ يعلون الجدد » . وقد تُزادُ كافُ الخطاب عليه فيقال : « رويذك » ، على ذلك قولهم : « رويذك الشَّعْرَ يَغِبَّ » . وقوله : « بعض وعيدكم » انتصب بفعلٍ مُضمرٍ دلَّ عليه رويذ ، لأنَّ مع استعمال الرِّفق كُنَّا عن بعض الوعيد ، فكأنه لما قال

(١) نميل ، وردت هكذا بالنون في الأصل في هذا الموضع وسابقه ، وهي رواية نصد عليها التبريزي فيما يلي . ويبدو أن « وداكا » شاعر جاهلي ، ولم نثر له على ترجمة التبريزي : « وداك فعال من الودك والدةكة ، وأصله الضفة ، ألا ترى أن فعلا باب بالصفة ، وقلما توجد في الأسماء : وفي الكتاب من ذلك الكلاء والجبان . قال أبو الفتح : وزادنا أبو علي الفياض : ذكر اليوم . ووجدت أنا الحيار ، وهو السعال أو نخوه ، والصاروخ أيضاً . ونمائل : تصغير ثمل أو ثامل على الترخيم . ويقال فيه أيضاً نميل بالنون . »

أزودوا يا بني شيبان قال : كُفُّوا بَعْضَ الوَعِيدِ . وهذا تهكُّمٌ وسُخْرِيَةٌ^(١) .
 وقوله : «تلاقوا» ، الجُزْمُ على أنه جوابٌ للأمر الذي دلَّ عليه رُويْدًا . وإنما
 جُيِلَ للأمرِ الجوابُ لأنه ضَمَّنَ معنى الجزاء والشَّرْطِ . وسَقَوَانُ : اسمُ ماءٍ قالوا
 هو من البَصْرَةِ على أميالٍ . ومعنى البيت مفهوم . وقوله «عَدَا» لم يُشِرْ به
 إلى اليوم الذي يلي يومه ، وإنما دلَّ على تقريب الأمر ، فكأنه قال : تلاقوا
 خَيْلِي قَرِيبًا على هذا الماء^(٢) .

٣- تلاقوا جيادًا لا تحيد عن الوعى إذا ما عدت في المازق المتداني

الوعى ، أصله ، الجلبَّة والصوت ، وكذلك الوعى بالعين غير معجمة . قال :

* كَان وَعَى الخُمُوشِ بِجَانِبِهَا^(٣) *

وجياد هاهنا : جمع جَوَادٍ ، يقال فرَسٌ جَوَادٌ : عتيقٌ ، وخيلٌ جيادٌ :
 عتاقٌ . وفي غير هذا المكان يكون جمع جيِّدٍ . وتلاقوا بدل من تلاقوا الأول .
 نَبَّةٌ بهذا على أن المراد بالخليل الفرسانُ ، على عادتهم في قولهم الخليلُ والرَّجُلُ .
 قال الله تعالى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ ، ولهذا قال فيما بعده :

(١) السخرية ، وردت في النسختين بتشديد الياء ، وهو مصدر سخر به ، كما في اللسان ،
 ولم ترد في التماموس . والسخرية بتخفيف الياء اسم منه .

(٢) ابن جني : « وبني شيبان منصوب على نداء المضاف البتة في التوليين جميعا ، كقولك
 جمع التوليين رفقا بابني شيبان ، وكذلك حاله إذا بناه وجعله اسما للفعل في الأمر كأنه قال : رويدكم
 يابني شيبان ، أي انتظروا الأمر يابني شيبان . فإن قلت : فهل تجيز أن تكون بني شيبان مع
 كون رويد اسما للفعل مجرورا بإضافة رويد هذه إليه ، كما تقول في الكاف والميم ، من رويدكم
 إنما مجرور بإضافة هذا الاسم المبني عليه ويستدل على أنها اسم لا حرف خطاب بما حكاه سيبويه
 عنهم من قولهم رويدكم أجمعين وأجمعون ، فأجيبين توكيد للكاف والميم ، وأجمعون توكيد الضمير
 المرفوع فيه . فالجواب أن ذلك لا يجوز هنا ، من قبل أن هذه الأسماء المسمى بها الأفعال
 لا يؤمر بها الغائب ، وإنما هي موضوعة لأمر الحاضر . »

(٣) للمتخيل الهدل ، كما في اللسان (خش ، وعى ، وعى) وديوان الهذليين (٤ : ٤ =

٢٥٥) . وصواب الرواية «بجانبيه» لأنه في صفة ماء . وعجزه :

* وعى ركب أميم ذوى زياط *

« تَلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ ». ويجوز أن يكون أراد بالخيل الدواب، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوغى، لِدَوَامِ مُمَارَسَتِهَا لَهُ، وَتَعَوُّدِهَا لِإِيَّاهُ. ثم حَبَّرَ فِي قَوْلِهِ: « تَلَاقُوهُمْ » عَنْ أَرْبَابِهَا، فَيَقُولُ: أَرْزُقُوا تَلَاقُوا فِرْسَانَنَا كِرَامًا لَا تَمَلُّ الْحُرُوبَ وَلَا تَعْدِلُ عَنْهَا إِذَا ابْتَكُرَتْ فِي مَضِيقِ مَنَّا، تَتَلَاحَمُ فِيهِ الْفُرْسَانُ وَتَتَدَانَى فِيهِ الْأَبْطَالُ وَالشُّجْعَانُ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعَ الدَّنَانِي لَا يَكُونُ إِلَّا التَّجَالُدُ، وَعِنْدَهُ تَشَكُّلُ الْأُمَمَاتِ. وَالْمَأْزِقُ: الْمَضِيقُ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْأَرْزُقِ فِي الْحَرْبِ، فَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْهُ.

٣٣- تَلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْخَدَائِكِ

قوله « على ما جنت » يريد على جنابة. وموضعه نصبٌ على الحال، والعاقل فيه تعرفوا. أو تلاقوا. يقول: تلاقوا من بلائهم ما يستدلُّ به على حُسن صبرهم وثباتهم في جِلاذهم، هذا مع تحامل الزمان عليهم، وسوء تأثير الدهر فيهم. وأصل الصبر: الحبس، ومنه قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا. وَحَدَّثُ الدَّهْرِ وَأَحْدَاثُهُ وَحَدَّثَاتُهُ وَحَوَادِثُهُ: نَوَازِلُهُ.

٤- مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ: جَمْعُ مِقْدَامٍ. وَبَشَبَهُ هَذَا الْبَيْتُ قَوْلَهُ:

إِذَا قَصَّرْتَ أَسْيَافَنَا كَانَ وَصْلَانَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارُبِ^(١)

وَقَدْ مَرَّ مِثْلُهُ، لَكِنَّ فِي هَذَا قَلْبًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: وَصَّالُونَ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ: كُلُّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَخْطُوهُنَّ. الْأَتْرَى أَنَّهُ قَالَ: إِذَا قَصَّرْتَ أَسْيَافَنَا وَصَلْنَا بِخُطَانَا؟ وَقَالَ الْآخَرُ:

(١) سبق البيت في ص ١٠٩.

* نَصِلُ السِّيفَ إِذَا قَصْرُنَ بَخَطُونَا ^(١) *

ومثل هذا البيت في القلب بل في تبين جواز القلب ، وقول حميد بن ثور :-
نَصِلُ اُخْطَى بِالسِّيفِ وَالسِّيفَ بِالْخَطَى إِذَا ظَنُّ أَنْ السِّيفَ ذَا الْأَثْرِ قَاصِرُ
٥- إِذَا اسْتَنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ ^(٢)

هذا مثل قوله :

لا يسألون أخاه حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا ^(٣)
والمعنى : إنا لا نطلب العلل على الاستنجيد توذلا إلى دفعه أو مطله ،
ولكننا نعجل غوثه على كل حال . والاستنجاد : الاستعراخ . ورجل
مفجأد : معوان ، وقد أنجدني ، ويقال هو نجد من قوم أنجاد . ومثله
قول الآخر :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِخٌ كَانَ الصَّرِاخُ لَهُ قَرَعٌ الظَّنَّابِيبِ ^(٤)

١٨

سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِيِّ ^(٥) :

من سعد بن تميم . وقال البرقي : من سعد بن كلاب .

١- فَلَوْ سَأَلْتُ سَرَّاءَ الْحَيِّ سَلَمَى عَلَيَّ أَنْ قَدْ تَلَوْنَ بِي زَمَانِي

(١) لكعب بن مالك الأنصاري كما في الخزانة ٣ : ٢٢ والسيرة ٧٠٥ - ٧٠٦ وشرح
شواهد المعنى ١٢٢ . ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم . وعجزه :
* قدما وناحقها إذا لم تلحق *

(٢) م : « أم لأى مكان » .

(٣) البيت ٤ من الحماسة الأولى .

(٤) لسلامة بن جندل في المفصليات (١ : ١٢٣) .

(٥) المضرب بتشديد الراء المفتوحة ، ذكر النهر يزي أنه سمي بذلك لأنه شيب بامرأة
فحلف أخوها ليضربه بالسيف مائة ضربة ، فضربه ففتش عليه ، فسوى مضربا لذلك . وهو شاعر
إسلامي ، ذكر المبرد في الكامل ٢٨٩ ، ٦٦٦ أنه هرب من الحجاج ، وتلى :
أقاتل الحجاج إن لم أزر له دراب واترك عند هند نؤاديا
وذكره الأدمي في المؤتافذ ١٨٣ .

سَرَاةِ النَّاسِ : خِيَارُهُمْ . وَسَرَاةُ الْإِبِلِ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ : كَرَامُهَا . وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ (١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّرْوُ : سَخَالٌ فِي مَرُوءَةٍ . وَسَرَاةٌ يَسْرُو وَهُوَ سَرِيٌّ وَقَوْمٌ سَرَاةٌ ، وَلَمْ يَجِءْ عَلَى فَعْلَةٍ غَيْرِهَا . يَعْنِي أَنَّ فَعْلَةً يُخْتَصُّ بِهَا الصَّحِيحُ فِي الْجَمْعِ دُونَ الْمَعْتَلِّ ، وَذَلِكَ كَالْفَجْرَةِ وَالْفَسَقَةِ . وَتَلَوْنُ الزَّمَانِ يُشِيرُ بِهِ إِلَى تَصَارُفِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ . فَيَقُولُ : لَوْ بَحِثْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِهَا عَلَى تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ ، وَتَغْيِيرِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ بِي فِيمَا مَضَى ، وَتَنَقُّلِ الْأَحْدَاثِ عَلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَجَوَابُ « لَوْ » يَجِيءُ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ : « أَنْ تَلَوْنَ » ، وَأَنْ إِذَا وُصِّلَ بِالْمَاضِي أَفَادَ حَدَثًا مَاضِيًّا ، وَإِذَا وُصِّلَ بِالْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَ حَدَثًا مُسْتَقْبَلًا .

٢ - لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَحْسَابِ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكَلَّ قَدْ بَلَانِي

قَوْلُهُ : « لَخَبَّرَهَا » جَوَابُ لَوْ . وَأَحْسَابٌ : جَمْعُ حَسَبٍ ، وَهُوَ مَا يُحْسَبُ وَيُعَدُّ عِنْدَ التَّفَاخُرِ . يَقُولُ : لَوْ سَأَلْتُ لِأَنْبِيَائِهَا بِمُخَيَّرِي أَشْرَافِ قَوْمِي ، وَأَمَانِلِ أَعْدَائِي ، فَكَلَّ مِنْهُمْ قَدْ خَبَّرَنِي . يُشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ زَعَمَاءَ قَبِيلَتِهِ وَذَوِي الشَّرَفِ مِنْ رَهْطِهِ ، يَتَرَفُونَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِمَا يَكْسِبُهُ جَمِيلَ الذِّكْرِ ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ عَلَى مَا قَاسَوْا مِنْ وَقَعَاتِهِ بِهِمْ ، وَكَابَدُوا مِنْ بَدْرَاتِهِ فِيهِمْ ، لَا يَجْحَدُونَ تَبْرِيزَهُ ، وَلَا يُنْكِرُونَ تَقْدِيمَهُ . وَمَنْ اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ مُوَالِيَهُ وَمُعَادِيَهُ ، وَصَدَّقَهُ فِي دَعْوَاهِ أَقَارِبُهُ وَأَجَانِبُهُ ، فَهُوَ النَّهَائِيُّ فِي الْكَمَالِ ، وَالغَايَةُ عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْقَعَالِ . وَقَوْلُهُ : « فَكَلَّ قَدْ بَلَانِي » اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ خَبَرٍ وَمَفْعُولِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « بَدَّبْتِي الذَّمَّ » ، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ مَعْلَقَةً لْجَوَابِ الْجُمْلَةِ بِهَا .

٣ - بَدَّبْتِي الذَّمَّ عَنْ حَسْبِي بِمَالِي وَزُبُونَاتِ أَشْوَسَ تَيْحَانِ

الباء من قوله « بدبتي » تتعلق بقوله لخبَّرَهَا . وكان الإخبار بحسن دفاعه

عن حَسَبِهِ بِمَالِهِ ، وَكَرَّمَ مُحَافِظَتَهُ عَلَى شَرَفِهِ وَحَالِهِ ، مِنْ تَرْكِيَةِ ذَوِي الْأَحْسَابِ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِ ، وَالْإِنْبَاءِ بِدَفْعِهِ مَعْرَةَ الْأَشْوَسِ التَّيَّحَانَ ، مِنْ إِخْبَارِ أَعْدَائِهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ . فَكَمَا أَجَلَ فِي الْأَوَّلِ أَجَلَ فِي الثَّانِي ، ثَقَّةٌ بَأَنْ مَسَامِعَ عِنْدِ التَّفْصِيلِ يَرُدُّ كَلًّا إِلَى مَوْضِعِهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ ذَوِي الْأَحْسَابِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ شَهَادَتَهُمْ أَوْجَهُ ، وَالتَّحَاكُمُ أَمْثَلُ ، وَالقَرِينُ بِمُقَارَنَةِ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ : « زَبُونَاتٍ » فَعُولَاتٌ مِنَ الزَّبْنِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَالتَّيَّحَانَ : العَرِيضُ المَقْدَامُ ، وَهُوَ فَيَعْلَانُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَوَى بِكسرها ، لِأَنَّ فَيَعْلَانَ لَمْ يَجِئْ فِي الصَّحِيحِ فَيُبْنَى المَعْتَلُّ عَلَيْهِ قِيَاسًا . وَفِيْعِلُّ كَسِيْدٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ المَخْتَصَّةِ بِالمَعْتَلِّ . وَمِثْلُ تَيَّحَانَ هَيَّيَانُ ، وَهِيَ صَفْتَانِ حَكَمَا سَيَبُويهِ بِالفَتْحِ ، وَمِثَالُهُمَا مِنَ الصَّحِيحِ قَيَّعَانُ وَسَيَّسَبَانُ . وَتَيَّحَانُ ، مَنْ تَاحَ لَهُ يَتُوحُ وَيَتَيَّحُ ائْتَانَ ، إِذَا أَشْرَفَ وَتَهَيَّأَ . وَرَجُلٌ مَتَيَّحٌ ، وَيُقَالُ قَلْبٌ مَتَيَّحٌ أَيْضًا . وَأَتَيَّحَ لَهُ كَذَا . وَمِثْلُ الزَّبُونِ البَيُّوتِ ، وَهُوَ السَّقِيْطُ^(١) ، وَالهَمُّ المَبَايِتُ لِصَاحِبِهِ . يُقَالُ زَبَنَتْهُمْ المَحْرَبُ ، وَحَرَبُ زَبُونٌ وَطَحُونٌ . وَالزَّبْنِيَّةُ وَاحِدُ الزَّبَانِيِّ مِنْ هَذَا . وَفِعْلِيَّةٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَلْزَمُهَا المَاءُ . وَالأَشْوَسُ : الَّذِي يُعْرَفُ فِي نَظَرِهِ الغَضْبُ وَالحِطْدُ ، ثُمَّ اسْتَمْعَلَ فِي التَّكْبُرِ وَالمُهَيْبِ .

٤ - وَأَيْ لا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَّ جَانٍ

فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَّهٖ فَاسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى^(٢)

وَيُرَوَى : « وَأَيْ لا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ » فَيَعْطَفُ عَلَى بَدْيِ الذَّمِّ ، وَيَكُونُ مَوْضِعُهُ جَرًّا ، وَيَكُونُ هَذَا مِمَّا شَهِدَ بِهِ الأَعْدَاءُ لَهُ أَيْضًا . فَإِنْ كَسَرْتَ إِتَى

(١) السقيط ما سقط من الندى على الأرض .

(٢) آذاه : حاوذه . وهذه راية م . وفي الأصل : « وآذاه » بالذات معجمة .

فهو على الاستئناف والانتطاق عما قبله . والمعنى : إني ألبسُ الحروبَ وأمارسُها دائماً ، فإذا لم يكن لي من أحوالي وزماني ما يبعثني على مجاذبة الأعداء ومدافعتهم ، طلبت من قد شقني بمثل ذلك ، فداقتُ دونه وحاميتُ عليه ، لأنني لا أصبر على حال السلامة والسلم . ومثله قول الآخر :

وما إن تراه الدهر إلا مُفرراً بنفسٍ أبت إلا صعب المراكب

١٩

آخر^(١) :

١- ولقد شهدت الخليل يوم طرادها فطعننت تحت كنفانة المتمطر^(٢)

يقال : تمطر الرجل ، إذا أسرع . ويقال مطر به ، وقطر به ، إذا بادر^(٣) . وأراد بالخليل الفرسان ، كأنه يخاطب بهذا الكلام من شهد معه المعركة ، يخبره بمعاملته المتمطر الذي عهدته ، وقوله : « تحت كنفانة » أشار به إلى المقتل . وهذا المتمطر كأنه كان بارزه ، أو أراد أن يبادر إلى أمر ، فحال بينه وبينه . والكنفانة من الكنن : الستر ، لأنه يصران بها النبل .

٢- ولقد رأيت غداة شلن عليكم شول المخاض أبت على المتعبر^(٤)

يُروى : « ولقد رأيت الخليل شلن عليكم » ، أي شائلة . والتقدير : وقد شلن . وأراد بالخليل هاهنا الدواب ، وهي شول بأذنابها إذا اشتد عدوها ؛

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : هذه الأبيات لبعض بني تيم الله بن ثعلبة ، يوم أواره . وأواره : موضع ، وهو الموضع الذي أحرق به عمرو بن هند بني دارم » .

(٢) أشار التبريزي إلى رواية : « لبابة المتمطر » ، وقال : اللبابة : ثوب يتلبب به الرجل على ثيابه ، إذا تحزم لحرب » .

(٣) التبريزي : « والمتمطر : اسم رجل من لحم ، وهو من قولهم : تمطر الرجل ، إذا أسرع » .

(٤) ترتيب هذا البيت عند التبريزي ثالث الأبيات ، وثالثها هنا ثانياً عنده .

وَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ مِنْهَا عَلَى قُوَّةِ ظَهْرِهَا . فيقول : لقد رأيتكم منهزمين والخيل
تعدو عليكم رافعةً أذنانها ، رفَعَ النَّوْقِ الحَوَامِلِ لها إذا طَلَبَ حَلَبُ غُبْرِ لَبْنِهَا .
والغُبْرُ : البقية تَبَقِيَ مِنَ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ . وَيُقَالُ : تَغَبَّرْتُ الغُبْرَ ، كما يُقَالُ
تَحَلَّبْتُ الحلوب . والحاضُ لا واحدَ لها من لفظها ، وهى اسم مفردٌ موضوع
للنَّوْقِ الحوامل ، والواحد من غير لفظها : خَلْفَةٌ . وقوله : « أَبَتْ عَلَى المتغَبِّرِ »
قَدْ مَعَهُ مَضْمَرَةٌ ، وهو واقعٌ موقع الحال . أراد : رأيتُ الخيلَ شائِلَةً أذنانها
عليكم شَوْلَ الحاضِ آبيَّةً عَلَى المتغَبِّرِ . ومن روى : « ولقد رأيتُ غَدَاةً » فقد
أضمر مفعول رأيت ، وهو الخيل . وساغ ذلك ، لأنَّ قوله ولقد شهدتُ الخيلَ
— وإن أريد به الفُرسان — يدلُّ عليه .

٣- ونطاعينُ الأبطالِ عن أبنائنا وَعَلَى بَصَائِرِنَا وَإِن لَمْ نُبْصِرِ

ذَكَرَ الأبناءَ كِتَابَةً عَنِ الحَرَمِ ، كما قال الآخر :

* نَقَاتِلُ الأبطالِ عَنِ بَنِينَا *

والبصائرُ : جمع بَصِيرَةٍ ، وهو ما يَسْتَدِلُّ بِهِ الرَّجُلُ مِنْ رَأْيِهِ وَعَقْلِهِ عَلَى
ما يَغِيبُ مِنْهُ . وَعَلَى ذَا سُمِّيَتِ الطَّرِيقَةُ مِنَ الدَّمِ بَصِيرَةً ، لأنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى
الجرحِ ، وفسر قوله :

رَأَوْا بَصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَيُّ (١)

على الوجهين جميعاً . فإذا جعلتها بصائر الرأى يكون المعنى خَلَفُوا آراءهم
وطرحوها ، كما يقال تركتُ الرأى بموضع كذا وكذا ، وجعلتُ غَدَاً مَنِيَّ كَلَى
ظَهْرِي (٢) . ومعنى « وبصيرتي يعدو بها عتد وأى » أن رأيه معه نافذٌ مستمرٌّ ،

(١) للأصغر الجعفي من قصيدة في أول الأسمعيات طبع ليبيك. وأثدده في اللسان (وأى) .

(٢) م : « يظهر » .

وإذا جَمَلَتْهَا بِصَائِرِ الدَّمِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ مَسْكَوْمُونَ^(١) فِي ظُهُورِهِمْ وَأَقْفَانِهِمْ ، فِدْمَاؤُهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ . وَمَعْنَى « وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدٌ وَأَى » فِي هَذَا الْوَجْهِ أَنَّ دَمِي سَالَمٌ فِي نَفْسِي وَفَرَسِي يَعْدُو بِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا نَدَافِعُ عَنْ حُرْمَتِنَا وَحَرِيمِنَا ، وَعَلَى مَا يَمْتَرِضُ فِي الْوَقْتِ ، نَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ ، وَلَمْ نَتَتَبَعْهَا بِالْفِكْرِ فِيهَا ، وَتَأْمَلُ نَتَائِجَهَا ، فَتَنْغَلَمَ مَوَادَّهَا . وَهَذَا شَأْنُ الْفُتَاكِ فِيمَا يُمَشُّونَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْحَرْبِ وَيَنْفِذُونَهُ ، وَيَقْتُلُونَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْجِدَابِ وَالنِّزَاعِ وَيُيْرَمُونَهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِنَّهُ كَمَا حُكِيَ عَنْ مُسَيِّمَةَ حِينَ قَالَ لِبَنِي حَنِيْفَةَ : « قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، فَأَمَّا الدِّينُ فَلَادِينٍ » . وَكَأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا : وَعَلَى بِصَائِرِنَا فِي الْحَرْبِ عِنْدَ الْحِفَاظَةِ عَلَى الشَّرَفِ وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ أَمْرَ الدِّينِ . وَهَذَا بَعِيدٌ مَتَعَسِّفٌ ، وَإِذَا تَأْمَلْتَهُ ظَهَرَ لَكَ . وَفِي الطَّرِيقَةِ الْأُولَى قَوْلُ التُّطَائِمِيِّ :

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبَعُهُ اتِّبَاعًا

وَسَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ الْمَعَانِي يَقُولُ : الْمَعْنَى إِنَّا نُقَاتِلُ الْأَبْطَالَ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ النَّاسِ عِنْدَ نَظَرِهِمْ لِدُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ ، فِي الدَّبِّ عَنِ الْحَرَمِ وَالْمَشِيرَةِ وَالشَّرَفِ ، وَعَلَى الْأَدْيَانِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ وَالْبَصَائِرِ ، وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ وَجْهًا وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ نُقَاتِلُ أَيْضًا ، لِأَنَّ هَمَمْنَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ . قَالَ : فَحُذِفَ مَفْعُولٌ وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ . وَكَذَلِكَ حُذِفَ جَوَابُ إِنْ ، لِأَنَّ فِيمَا تَقَدَّمَ دَلِيلًا عَلَيْهِ .

٢٠

القطريُّ بن الفُجاءةِ المازنيِّ (١)

١- لا يَرَكُنُّ أَحَدٌ إِلَى الْأَحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِهِ

قصدُهُ إلى البعثِ والتَّحْضِيضِ ، على التفريرِ بالنفسِ والتعريضِ . ألا تَرَى أنه يَبحثُ بهذا الكلامِ على تركِ الفِكرِ في العواقبِ ، ورَفْضِ التَّحَرُّزِ خَوْفًا مِنَ المَاطِبِ . وَيُنَبِّهُ على أن الحذرَ لا يُنجي مِنَ القَدَرِ ، وأن الأجلَ إذا جاء لم تُغنِ معه قُوَّةُ الأملِ ، فيقولُ : لا يَمِيلَنَّ أَحَدٌ إِلَى هَجْرِ الإقْدَامِ ، والسكونِ إِلَى الإحْجَامِ فِي الحربِ مُتَخَشِّعًا مِنَ الموتِ . وَالإحْجَامُ : مطاوعَةٌ حَجَمْتُ أَي كَفَفْتُ ودَفَعْتُ . فهو كالأكبَابِ فِي أنه لمطاوعَةٌ كَبَبْتُ . ويقالُ حَجَمْتُ البعيرَ ، إِذَا حَطَمْتُهُ بما يمنعُه مِنَ العَضِّ ، وَيُسَمَّى ذلك الشيءَ الحِجَامَ .

٢- فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةٌ مِنْ عَنِّ بِمِثْلِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّرِيئَةُ تُهَمَزُ وَلَا تُهَمَزُ ، فُتَجْعَلُ مِنَ الدَّرِّ وهو الدَّفْعُ ، وَمِنَ الدَّرِيِّ وهو الخِثْلُ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتِ الدَّابَّةُ الَّتِي يَحْتَلُّ بِهَا الصَّيْدُ لِيُمْكِنَ فَيْرَمِي : دَرِيئَةً ، وَالْحَلَقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنَ دَرِيئَةً . وَيُمْكِنُ سَحْلُ البَيْتِ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا . فَإِذَا جَعَلَتِ الدَّرِيئَةُ الحَلَقَةَ يَقُولُ : لا يَفْعَانُ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلِيَعْتَبِرَ بِحَالِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَحَالٍ ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الحَلَقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنَ ، فَتَأْتِيَنِي الرَّمَاكُ مِنْ جَوَانِبِي كُلِّهَا ثُمَّ سَلَمْتُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ

(١) قطري أحد زعماء الخوارج ، خرج زمان مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله . وكانت ولاية مصعب في سنة ٦٦ للهجرة ، فبقى قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش فيهمزه ، ولم يزل كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبى فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ . وقطري : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وليس قطري اسما له ، بل اسمه جمونة بن مازن . وفيات الأعيان .

اليمن والقُدَامُ لأنه يَعْلَمُ أن اليسار في ذلك كاليمين . فأما الظُّهْرُ فإن الفارس لا يُمكنُ منه أحداً . وإذا جَلَمَتِ الدَّرِيَّةُ الدَابَّةَ الموصوفة بكون المعنى : فلقد أراني وقد اتَّقَى بي فِصْرَتُ سُتْرَةٍ لغيري من الطَّعن ، كما تكون تلك الدَابَّةُ سُتْرَةً للصائد^(١) والطَّعنُ يتناولني . وعلى هذا يكون معنى « للرمَّاح » من أجل الرَّمَّاح . والأوَّلُ أحسن . وقوله : « مِنْ عن يميني » مِنْ تَعَلَّقَ بِفِعْلٍ دَلَّ عليه قوله أراني دَرِيثَةً للرمَّاح ، وهو تأتيني وما يجرى مجراه . وعن من قوله « عن يميني » اسمٌ هاهنا ، وايس بحرفٍ . والمعنى من جانب يميني ، ومثله قول الأعشى^(٢) :

* مِنْ عن يمين الحَبِيَّاءِ نَظْرَةٌ قَبْلُ^(٣) *

وقول الآخر :

ه مِنْ عن يمين الدَّارِ والحائِطِ *

٣- حَتَّى خَضَبْتُ بما تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرَجِي أَوْ عِنَانَ لِحَامِي

وقوله « أَوْ عِنَانَ لِحَامِي » ، أو هاهنا ليست للشك ، وإنما هي التي يُراد بها أحدُ الأمرين على طريق التماقُب ، أي إمَّا ذا وإمَّا ذا . ولك أن تريد الجمع ، لأن أصل « أَوْ » الإباحة . وهذا كما يُسأل الرجل فيقال له : ما كان طعامك في بَلَدِكَ ؟ فيقول : الحِنْطَةُ ، أو الأرز . والمعنى أحد هذين ، على أن يكون كلُّ واحد منهما بدلاً من صاحبه أو الجميع . ومعنى البيت : انتصبتُ للرمَّاح حتى خَضَبْتُ بما سال من دمي إمَّا عِنَانَ لِحَامِي وإمَّا جوانبَ سَرَجِي ، أي على

(١) في الأصل : « للصيد » وأثبتنا ما في م .

(٢) كذا . والصواب أنه القطاعي ، كما في اللسان (عن) وديوان القطاعي ه .

(٣) صدره : * فقلت للركب لما أن علا بهم

حَسَبَ مَا اتَّفَقَ مِنَ الطَّعْنِ . فَالْعِنَانُ لِمَا سَالَ مِنْ أَعَالِيهِ ، وَجَوَانِبِ السَّرْحِ لِمَا سَالَ مِنْ أَسَافِهِ .

٤- ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جَذَعُ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ الجُدُوْعَةُ قَبْلَ الإِنْفَاءِ بَسَنَةٍ ، وَالدَّهْرُ لَجِدَّتِهِ يُسَمَّى جَذَعًا ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ يُرَى فِي أَمْرٍ مَا عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ : هُوَ جَذَعٌ فِيهِ . وَاتْتَصَابُ « جَذَعُ البَصِيرَةِ » عَلَى أَنَّهُ حَالٌ وَهُوَ نَكْرَةٌ . وَالْمَعْنَى ثُمَّ انصرفت مع ما وصفتُ من حَالِي وَاتَّفَقَ مَعَ ضَيْقِ المَجَالِ عَلَيَّ ، وَقد نِلْتُ مَا أَرَدْتُ مِنَ الأَعْدَاءِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنِّي مَا أَرَادُوا ، وَأَنَا عَلَى بَصِيرَتِي الأُولَى لَمْ يَبْدُ لِي فِي الإِقْتِعَامِ ، وَلا غَلَبَ فِي اخْتِيَارِي التَّطَرُّفِ وَالأَنْحِرَافِ ، بَلْ صَارَ إِقْدَامِي فِي الحَرْبِ قَارِحًا لِطُولِ مِمَارَسَتِي ، وَتَكَرَّرَ (١) مِمَارَسَتِي ، وَإِنْ كَانَ بَقِيَ رَأْيِي فِيهِ جَذَعًا . وَهَذَا يَرِيدُ بِهِ مَا يَتَرَقَّى فِيهِ الإِنْسَانُ مِنَ التَّدْرِبِ وَالتَّمَرُّنِ عِنْدَ مِرَاوَلَةِ الأَعْمَالِ ، وَمِنْ بَقَاءِ وَوُجُوعِهَا ، وَحِرْصِهِ عَلَيْهَا عَلَى حَدِّهِ فِي أَوَّلِ الشَّأْنِ . وَكَمَا جَعَلَ هَذَا القُرُوحَ وَالجُدُوْعَةَ : البَصِيرَةَ وَالإِقْدَامَ ، قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

* كَهْلُ الأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ (٢) *

فَنَقَلَهُ كَمَا تَرَى . وَاقْتَدَى بِهِ البَحْتَرِيُّ فَقَالَ :

* إِقْدَامُ غَيْرٍ وَاعْتِزَامُ مُجْرَبٍ (٣) *

وَقد أَشَارَ الأَعْمَشِيُّ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :

(١) فِي الأَصْلِ : « وَتَكَتَهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٢) هُوَ بَيَّامُهُ كَمَا فِي الدِّيْوَانِ ٢٠٧ :

كَهْلُ الأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ إِذَا عَدَا الحَرْبَ كَانَ التَّشْعَمُ الفُطْرِيْفَا

(٣) فِي دِيْوَانِ البَحْتَرِيِّ ٢٠ :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيْمَةٌ إِقْدَامُ لَيْثٍ وَاعْتِزَامُ مُجْرَبٍ

* تَمَهَّلَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى امْتَهَنَ ^(١) *

وفي طريقته قولُ أبي النُّوَلِ :

وَلَا تَبَلَى بِسَأَلِهِمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا لِلْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ ^(٢)

٢

الحريش ، ويُرْوَى للعَبَّاسِ بنِ مِرْدَاسٍ ^(٣) :

١ - شَهِدْنَا مَعَ النَّبِيِّ مُسَوِّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْحَوَامِي

الْحَوَامِي مِنَ الْحِمَايَةِ ، وَهِيَ الْمَنَعُ . وَكَمَا جَعَلُوا لِلْحَوَافِرِ حَوَامِي سَمَّوَا مَا يُطَوَّى بِهِ الْبَيْتُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا لِيَحْمِيَ جَوَانِبَهَا مِنَ التَّشَعُّثِ وَالتَّهْدُمِ : حَوَامِي . يَصِفُ خَيْلًا فَيَقُولُ : حَضَرْتُ حُنَيْنًا مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، مُعَلَّمَاتٍ وَقَدْ دَمِيَتْ جَوَانِبُ حَوَافِرِهَا لِكثْرَةِ الْعَدُوِّ ، وَلِمَا لَحِقَهَا مِنَ التَّعَبِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا هَوَازِنَ بَوَادِي حُنَيْنٍ ، وَرَثِيْسُ هَوَازِنَ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّصْرِيِّ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دُرَيْدُ ابْنِ الصَّمَّةِ الْجَشَمِيُّ . وَإِنَّمَا قَالَ « مُسَوِّمَاتٍ » لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ لِيَبَيِّنَ بِهَا فَضْلَ كُلِّ مِنْهُمْ وَبِلَاؤِهِ . وَالسِّيَامَةُ : الْعَلَامَةُ ، وَقَدْ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْخَلِ السَّوْمَةَ ﴾ عَلَى ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ سِيَامُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ﴾ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي م : « امْتَحَنَ » . وَفِي الْدِيْوَانِ ٢١ : « حَتَّى امْتَحَنَ » . وَاللِّسَانُ (نَحْنُ) : « حَتَّى امْتَحَنَ » . وَصَدْرُهُ :

* عَلَيْهِ سِلَاحٌ أَمْرِي مَا جَدُ *

(٢) انظُرِ الْحَاسِيَةَ ٣ : ٤ .

(٣) النَّبْرِيْزِيُّ : « وَقَالَ الْحَرِيْشُ بِنِ هَلَالِ الْقُرَيْنِيِّ ، وَيُرْوَى لِلجِجْحَافِ بِنِ حَكِيمِ بِنِ عَاصِمٍ » . وَالْحَرِيْشُ هَذَا مُخْتَلَفٌ فِي صَحْبَتِهِ . انظُرِ الْإِصَابَةَ ٢٠٨٣ . وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بِنِ مِرْدَاسٍ فَهُوَ صَحَابِيٌّ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ . انظُرِ تَرْجُمَتَهُ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٢٥٩ وَالْأَغَانِي (١٣ : ٦٢ - ٧٠) وَالخُرَافَةَ (١ - ٧١ - ٧٤) وَالْمَرْزُبَانِيَّ ٢٦٢ - ٣٦٣ . عَلَى أَنَّ الْأَبْيَاتَ رَوَاهَا الْأَعْلَمُ فِي شَرْحِ الْحَاسِيَةِ لِحَفَافِ بِنِ نَدْبَةَ . انظُرِ الْإِصَابَةَ ٢٠٨٣ .

٢ - وَوَقَعَةَ خَالِدٍ شَهَدَتْ وَحَكَّتْ سَنَا بِكَهَا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أصلُ الحَكِّ صَدْمُ جِسْمٍ بِآخَرَ وَتَرْدِيدُهُ عَلَيْهِ لِيُؤَثِّرَ فِيهِ . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ
فَقَالُوا : حَكَّ هَذَا الْأَمْرُ فِي صَدْرِي ، لِمَا يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِكَ . وَهُوَ يَتَحَكَّكُ
بِفُلَانٍ أَيْ يَتَعَرَّضُ لَهُ ، حَتَّى إِذَا يَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الْخَفِيِّ : هُوَ حَكِيكَ نَحَيْتَ ^(١) .
وَيَعْنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ . وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ ، وَإِنَّمَا نَسَبَهَا إِلَى
خَالِدٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ خَالِدًا يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى الْخَيْلِ فَلَقِيَ
قُرَيْشًا بِالْخُنْدَمَةِ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ . فَيَقُولُ : وَحَضَرَتْ أَيْضًا وَقَعَةَ خَالِدٍ يَوْمَ
الْفَتْحِ ، وَحَكَّتْ أَطْرَافَ حَوَافِرِهَا بِأَرْضِ الْحَرَمِ . وَالْمُرَادُ بَيَانُ طَوْلِ مُمَارَسَتِهَا
لِلْحُرُوبِ وَالْوَقَعَاتِ ، وَتَرَدُّدِهَا فِي تَحْمُلِ أَعْيَابِ الشَّرِّ وَالشَّقَاتِ .

٣ - نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ بِكُلِّ ثَرٍّ خُدُودًا مَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
مثله :

نُهَيْنُ النَّفُوسَ وَهُنُ النَّفُوسِ سِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَوْقَى لَهَا ^(٣)
يقول : نبتذل في الحروب أنفسنا طلباً لصياتها ، وَنَسْتَقْتَلُ فَنَتَعَرَّضُ
وَلَا نَتَّقِبُضُ ^(٤) عنها ، بل نبذل لها وجوهنا التي هي حَرَمُ النَّفُوسِ ، وَلَوْ عُرِضَ
علينا في السُّلْمِ وَالسَّلَامَةِ بِذُلِّهَا لِلطَّامِ ، لِأَنفِنَا مِنْهُ وَامْتَنَعْنَا . وَالْمَعْنَى : تَتَاقَى السُّيُوفُ
بِخُدُودِنَا إِذَا كَسَبْنَا ذِكْرًا ، وَإِنْ صُنَّاهَا عَنِ الْأَذَى الْيَسِيرِ . وَأَكْشَفُ مِنْ
هَذَا وَأَشْرَفُ قَوْلُ الْآخِرِ :

(١) في الأصل : « نجبت » ، صوابه في م .

(٢) الخندمة : جبل بمكة .

(٣) للخنساء ، كما في الحيوان (٦ : ٤٢٧) . على أن أقرب تمثيل له هو قول القتال

الكلابي ، في الكامل ٦٧ :

نعرض للطعان إذا التفينا وجوها لا تعرض للسياب

(٤) م : « ننتقبض » .

وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمَوْنَةَ نَفْسَهُ إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَاهَا^(١)
 ٤- وَأَسْتُ بِجَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكِمَاءُ وَلَا أَرَامِي^(٢)

الثَّيَابُ يَعْنِي بِهَا السَّلَاحَ ، وَهَذَا كَمَا يُسَمَّى بَزًّا . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ :

* بَزٌّ اسْمِي مُسْتَسَلِمٌ حَازِمٌ^(٣) *

وقول الهدلي :

* قَوْوَرٌ بَزٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٤) *

يعنى السيف . وهذا محتمل وجهين : يجوز أن يكون المعنى لا أنزعُ ثيابي وقت هريير الأبطال تشمراً وتخفقاً ثم لا أبلي ولا أجتهد ، ولكن إذا وطنتُ نفسي على الشرِّ تقصيتُ أبلغ ما يكون منه بأبلغ ما يكون من بلائي . وموضع « ولا أرامي » نصبٌ على الحال ، أى لا أفعل ذلك غير مرامٍ . ويعنى بالمرامة مدافعة الخضم ومجاهدته بكلِّ ممكن ومعرض . وليس يريد الرمي بالنبال . وقد توسعوا في الرمي والمرامة حتى استعمل في الافتخار ، واستعير لتأثير الدهر والثيب ولنظر المحبوب المفتين . ويجوز أن يكون نفي الأمرين جميعاً فقال : لا ألعُ ثيابي تخفيفاً عن نفسي في التوكل والانهزام عند هريير الشجعان ، ولا أرامي أيضاً ، يعنى الرمي بالنبال ، ولكن أتلقى الشرِّ وأضدُّه بوجهي . ويشهد لهذا أول البيت التالي له ، وإنما قال ذلك لأن المرامة تكون من بعيد فتخطى وتصيب ، وعند المكافئة^(٤) تشكُّلُ الأزمات .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « نفسها » .

(٢) لأبي قيس بن الأسات الأنصاري في المفضليات (٢ : ٨٥) برواية : « حاذر » .

وعجزه : * للدهر جلد غير مجزاع *

(٣) لقيس بن عيزارة الهدلي في ديوان الهدليين (٣ : ٧٨) . وصدده :

* فويل أم بز جر شعل على الحصى *

(٤) م : « المفاتحة » .

٥- وَلِكِنِّي يَجُولُ أَلْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْفَارَاتِ بِالْمَضْبِ الْحُسَامِ
 الْعَضْبُ : الْقَطْعُ وَالْمَنْعُ ، ثُمَّ قِيلَ سَيْفٌ عَضْبٌ ، أَيْ قَاطِعٌ ، كَمَا قِيلَ
 ضَيْفٌ فِي الضَّائِفِ (١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : سُمِّيَ السَّيْفُ حُسَامًا لِأَنَّهُ يَحْسِمُ الْعَدُوَّ عَمَّا
 يُرِيدُ مِنْ بُلُوغِ عَدَاوَتِهِ . وَقَوْلُهُ : « بِالْمَضْبِ » ، أَيْ وَمَعِيَ الْعَضْبُ ، وَهُوَ فِي
 مَوْضِعِ الْحَالِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ ظَاهِرٌ .

٢٢

ابن زبابة التيمي: (٢)

مأخوذ من رَبَّ الرَّجُلِ (٣)

١- نُبَيْتٌ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ فِي مِئَةِ يَوْعِدُ أَخْوَالَهُ

جَعَلَ غَرَزَ الرَّأْسِ كِنَايَةً عَنِ الْجَهْلِ وَالذَّهَابِ عَمَّا عَلَيْهِ وَلَهُ مِنَ التَّحَفُّظِ .
 وَنَبِيٌّ وَأَنْبِيٌّ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلٍ . فَعَمْرًا انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ .
 وَغَارِزًا ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَالِثٌ ، وَرَأْسَهُ انْتَصَبَ مِنْ غَارِزًا . وَأَرَادَ
 بِالسَّنَةِ : الْعَقْلَةَ ، وَهِيَ مَا يَمُحِثُ مِنْ أَوَائِلِ النَّوْمِ فِي الْعَيْنِ وَلَمْ يَسْتَحْكِمِ بَعْدَ .
 وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ وَأَبْلَغِ التَّعْرِيفِ . وَالْإِبَاعُ إِذَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفَ
 حَقِيقٌ بِالتَّهَجِينِ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ .

(١) الضائف : الذي يضيف القوم ضيفا وضيافة ، أي ينزل بهم ويميل إليهم .

(٢) هو عمرو بن الحارث بن همام ، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة ، شاعر جاهلي ، وزبابة أمه . يقول فيها :

يا لهف زبابة للحارث الـ صابح فالغائم فالآب

وقال أبو رياش : هو فارس مجلز عمرو بن لأى . انظر الأكلى ٥٠٤ .

(٣) التبريزى : « : بابة اسم رجل للعلم ، وهو فعالة أو فيعالة أو فوعالة ، من لفظ الأزيب ، ربه النشاط » .

وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَنَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ (١)
 وقد فصل الله تعالى بينهما بقوله: ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . وَالْفِعْلُ
 وَسِنَّةٌ يَوْمَسُّنُ وَسَنًا . وموضع « يُوعِدُ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . ومعنى « غَارَزَا
 رَأْسَهُ » : مُدْخِلًا ؛ ومنه الْغَرَزُ بِالْإِبْرِ . ويقال : غَرَزَ فُلَانٌ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ ،
 أَيْ فِي الرَّكَابِ . وتوسَّعوا حتَّى قالوا : اغتَرَزَ فُلَانٌ فِي رِكَابِ الْقَوْلِ .

٢ - وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِذَا قَالَهُ

هذا الكلام تهكُّمٌ وسُخْرِيَّةٌ ، وفي طريقته قول الآخر :
 وَأَمَّا أَخُو قُرْطٍ فَلَسْتُ بِسَاحِرٍ فَقَوْلًا أَلَا يَا اسْلَمَ بَمِرَّةٍ سَالِمًا
 قال هذا ومِرَّةٌ مَعْرَضٌ لِكُلِّ بَلَاءٍ . « أَنْ يَفْعَلَ » مَوْضِعُهُ رَفْعٌ عَلَى الْبَدَلِ
 مِنْ قَوْلِهِ وَتِلْكَ مِنْهُ . والمعنى تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها من عمرو ، وهو
 فَعَلَهُ لَمَّا يَقُولُهُ .

٣ - الرُّمْحُ لَا أَمَلًا كُنِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لَا أَتْبَعُ تَرْوَالَهُ

هذا التمدح منه تعريضٌ بخصمه وإزاراء بفروسيته ، وإشارة إلى أن أصداد
 هذه الأوصاف مجتمعة فيه . فيجوز أن يكون المعنى : إِنِّي لَا أَتَّبِعُ مِنْ تَعَالِي
 أَنْوَاعِ السَّلَاحِ عَلَى الرُّمْحِ فَقَطْ ، وَلَكِنِّي أَجْمَعُ فِي الِاسْتِعْمَالِ بَيْنَهَا . وهذا كما
 يُقَالُ : مَلَأَ كَفَّهُ مِنْ كَذَا (٢) فَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ لغيرِهِ . ويجوز أن يكون
 للمعنى : [إِنِّي أَسْتَعْمَلُ رِجْحِي بِأَطْرَافِ أَصَابِعِي لِخَدْقٍ وَاقْتِدَارِي ، وَلَا آخِذَهُ
 بِجَمِيعِ كَفِّي (٣)] . وهذا كما يقالُ : أَقْبِضُهُ وَلَا أَقْبِضُهُ ؛ لِأَنَّ الْقَبْضَ : الْأَخْذُ
 بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضَ بِالْكَفِّ كُلِّهَا . ومثله قول الآخر (٤) :

(١) نعدى بن الرقاع ، كما في اللسان (رنق) .

(٢) في الأصل : « من هذا » وأثبتنا ما في م .

(٣) التكله من م .

(٤) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي . المفضليات (١ : ١٠٥٦) .

* لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقِنَاةِ بَنَانِيًا ^(١) *

وقوله : « واللَّيْلُ لَا أَتَّبِعُ تَزْوَالَهُ » أراد : ألزم ظهر دابتي ، وإن مال اللَّيْلُ
لم أَمِلْ معه . وهذا كما قال أبو النجم :

أَدْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانَ عَمَلُهُ نَقْفٌ أَعَالِيهِ وَقَارٌ أَسْفَلُهُ ^(٢)

أى كأنه يُلْصِقُ الْأَسْفَلَ بِظَهْرِ الْفَرَسِ فَلَا يَزُولُ وَلَا يَمِيلُ .

ع - وَالذَّرْعُ لَا أَبْنِي بِهَا ثُرُوءَ كُلِّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ

لولا أن قَصَدَهُ فِي التَّمَدُّحِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِالْمُخْتَبِرِ عَنْهُ لَكَانَ لِمَعْنَى هَذَا
الْكَلَامِ . أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ : « وَالذَّرْعُ لَا أَبْنِي بِهَا ثُرُوءَ » وَقَدْ فَسَّرَ عَلَى أَنَّهُ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : لَا أَقْنِي الذَّرْعَ لِكَيْ اتَّجَّ بِهَا فَأَمْتُولَ . وَتَرْكُ التَّجَارَةِ
فِي الْأَسْلِحَةِ لَيْسَ فِيهِ كَبِيرُ تَمَدُّحٍ ^(٣) . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : لَا أَعِدُّهَا سَبَابًا
فِي ارْتِفَاقِ الْمَغَانِمِ فَأَثْمِرِي ، وَيَكُونُ كَقَوْلِ عَنْتَرَةَ :

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِيدِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي أَغَشَى الْوَجْهِي وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وقوله : « كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ » ، يَرِيدُ بِهِ : الْمَالُ وَدَائِعُهُ عِنْدَ
النَّاسِ ، وَلَا يَدَّ مِنْ ارْتِجَاعِهَا وَالتَّقَاضِي بِهَا وَإِنْ أَمْسَلُوا مُدَّةً ، فَلَمْ أَتَّجِرْ فِي دِرْعِي
أَوْ لَمْ أَلْبَسْنَاهَا لَتَغْنَمِ الْأَنْفَالِ بِهَا ، وَالْمَالُ هُنَا حَالُهُ عِنْدَ أَرْبَابِهِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا
قَالَ الْآخَرُ ^(٤) :

وَمَا لِلْمَالِ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُهُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « مَا » مِنْ قَوْلِهِ « مَالَهُ » بِمَعْنَى الَّذِي ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : كُلُّ

(١) صدره : * وكنت إذا ما الخليل شمصها القنا *

(٢) م : « نقف » بالنون .

(٣) هذا ما في م . وفي نسخة الأصل : « كثير تمدهج » .

(٤) هو لبيد . ديوانه ٢٢ طبع فينا ١٨٨٠ .

امرى مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ ، وبالذى كَتَبَ لَهُ ، ولا يمتنع أن يكون أشار بـ « ما » إلى ما يُقْتَنَى من أَعْرَاضِ الدنْيَا . ويروى : « كلُّ امْرِئٍ مُسْتَعْوِدٌ مَالَهُ » بكسر الدال ، والمعنى أن ما يجمعه المرء بكسبه إذا جاء مَحْتَمُومُ الْقَضَاءِ يتركه لغيره لا مَحَالَةً ، فإِمْ أَرغَبُ فِيهِ وفي ادخاره ، وأزهدُ في اكتساب الحامد والمعالي ؟ وهذا الكلام نهاية في التنقُّص من عَرَضَ بِهِ ، وغاية في الطعن عليه ، والقَدْحُ نفي عَادَتِهِ . ويروى : « والدَّرْعُ لا أَبغِي بها نَثْرَةً » ، وهي الواسعة . والمعنى : إِنِّي أَكْتَفِي من الدَّرْعِ ببدنية ، فلا أطلب ما يفيضُ فَيْضًا ، ويجب مع هذه الرواية والتفسير أن يكون معنى المِصْرَاعِ الثَّانِي : كلُّ امْرِئٍ مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ ، وَمُتَمَلِّئٌ لِيَوْمِهِ .

هـ - آيَتُ لا أَدْفِنُ قَتْلًا كُمْ فَدَخِنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ (١)

هذا البيت لم أجده في نسخ كثيرة ، فيغلب في ظني أنه ليس من الاختيار . هو على ما به فله قِصَّةٌ مشهورة زعموا . وهي أنه يُرَوَى فِيهِ أَنْ واحداً من المُخَاطَبِينَ كان أحدث في حَرْبٍ حَضَرَهَا خَوْفاً على نفسه ، فَعَرَّضَ الشاعِرُ بِهِمْ وذَكَرَهُمْ سوءَ بلائِهِمْ ، وَضَعَفَ ثباتِهِمْ . وإنما يُرِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا صُرِعُوا فِي المَعْرَكَةِ عَثَرِ مِنْهُمْ إِنْ لم يُطَيَّبُوا على مثل ما فَعَلَهُ ذلك الواحد المَعْرَضُ بِهِ ، أَوْ اسْتُدِلَّ بِالرَّاحِمَةِ عَلَيْهِ فافتضحوا . وهذا تهكُّمٌ أيضاً وتعييرٌ بالاتِّفَاقِ السَّيِّئِ . ووَآيَتُ مَعْنَاهُ حَافَتُ وَلَفْظُهُ لَفْظُ الخَبِرِ ، والمعنى معنى القَسَمِ . وَرَبِّمَا قالوا : آيَتُ على نَفْسِي .

(١) بين هذا البيت وسابقه بيت رواه التبريزي وهو :

إِذْكَ يَاعْمُرُو وتَمَرِّكُ النَّدى كَالعَبِيدِ إِذْ قَيَّدَ أَجَالَهُ

وقال : « قال ابن السكيت : أذت كالعبد اقتصر على موضع يزعم فيه ولا يتعزب بإبله . وقال غيره : أي إنك قد تركت الندى واكتساب الشرف به ، فلا تستفيد ، كالعبد يقيد أجاله وهو ينام فيستربح . وطلب الشرف إنما يكون مع التعبد » .

٢٣

الحارث بن همام الشيباني^(١)١ - أيا ابن زيبابة إن تلقني لا تلقني في النعم العازب^(٢)

النعم يُذكَرُ ويؤنثُ ، والتذكير فيه أغلب . وفائدته في الأفراد الإبلُ في الأكثر ، وإذا جمع دلت على الأزواج الثمانية^(٣) . يُعرضُ بأنه راعٍ فيقول : يا ابن زيبابة إنك لا تجدني راعياً بيهد في المرعى بإبله . والمعنى أنت كذلك ، ويقال : مالٌ عازبٌ وعزبٌ^(٤) ، إذا بُعدَ عن أهله . وروضٌ عازبٌ : بعيد المطلب .

٢ - وتلقني يشتد بي أجردٌ مُستقدِّمُ البركة كالراكب

قوله : « وتلقني » عطفه على الجواب ، لأنه يصلح أن يكون جواباً . ألا ترى أنه لو قال : إن تلقني تلقني كذا ، لصلح ؟ يقول : تلقاني يعدو بي فرسٌ قصيرُ الشعرِ ، متقدِّمُ الصدرِ ، مُشرفٌ كالراكب ، [أى إشرافه إشرافُ الراكب^(٥)] لا المراكب . ويشتدُّ : يفتعلُ من الشدِّ ، وهو العدو . ويقال : استقدِّمُ وتقدِّمُ ، واستأخر وتأخر ، بمعنى . والبركة ، كسرَ باؤها عند اتصال الماء بها ، لولا ذلك لقليل بركٌ بفتح الباء .

(١) الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، شاعر جاهلي .

(٢) ابن زيبابة ، مضت ترجمته قريباً ، وهو ابن الحارث بن همام . ولهذا المقطوعة

استبعد بعضهم أن يكون ابن زيبابة هو عمرو بن الحارث بن همام ، وارتضى القول الآخر .

(٣) هي الضأن والمعز والإبل والبقرة ، ذكورها وإناثها . انظر الآيتين ١٤٣ ، ٤٤

من سورة الأنعام .

(٤) كذا في النسختين ، والمعروف « المزيب » .

(٥) التكلة من م .

٢٤

فَأَجَابَهُ ابْنُ زِيَابَةَ

١ - يَا لَهْفَ زِيَابَةَ لِلْحَارِثِ الْصَّابِحِ فَالْفَائِمِ فَالْأَيْبِ
يجوز أن يكون أورد هذا الكلام ساخرًا متهاينًا ، ومستهزئًا متهمكًا ،
فوصفه بهذه الصفات وكان الأمرُ بخلافه ، ويقربُ هذا أن ما قبل هذه
المقطوعة في مثل هذه الطريقة . ويجوز أن يكون ذكر ما كان منه ^(١) على
الحقيقة ، فهو يتحسرُ لما رأى من فلاحه في غزاته ، وسلامته في مآبه .
ويقول : يا حَسْرَةَ أُمِّي ^(٢) من أجل هذا الرجل فيما ارتفع له من المراد في الغزو ،
وُجِعَ له من السلامة والوفْرِ . والصابحُ ، يجوز أن يكون في معنى مُصْبِحٍ ،
كما قال :

* حين لاحت للصابحِ الجوزاء ^(٣) *

والغارة وقتها الغداة ، فذلك قال : للحارث المصباح عندنا والفائم منا .
والترتيب الذي يفيدُه الغاء جارٍ على سَنَنِه ، كأنه أراد للحارثِ الغازي نَحْوَنَا
والفائم منا - والغنمُ بعد الغزو - فالأيبِ إلى قومه - والاؤبةُ بعد
الاستغنام . ويجوز أن يكون الصابحُ من صَبَحْتُ القومَ ، إذا أتيتمهم صباحًا .
وفي للثل السائر « صَبَحْنَاهُمْ فَغَدَوْا شَامَةً ^(٤) » . وهذا الوجهُ أوجهٌ وأجودُ .
واعلم أن الصفة إذا جاءت للتبيين وإزالة اللبس عن الموصوف ، فالوجهُ أن يُعمدَ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « أن يكون ذكر منه » .

(٢) في الأصل : « يا حَسْرَةَ بِي » ، وفي م : « يا حَسْرَةَ أُمِّي » .

(٣) لأبي زبيد الطائي . الحيوان (٥ : ٢٣١) والخزانة (٣ : ٢٨٣) . وصدوره :

* أَيْ سَاعِ سَعَى لِيَقْطَعَ شَرْبِي *

(٤) ذكره الميداني في مجمع الأمثال وقال : « أَيْ أَوْقَعْنَا بِهِمْ صَبْحًا فَأَخَذُوا الشَّقَّ

الْأَشَامَ ، أَيْ صَارُوا أَصْحَابَ شَامَةٍ ، وَهِيَ ضِدُّ الْبَيْتَةِ » .

إلى أخصها بالموصوف ، وأحقتها بالبيان والشرح ، حتى تُغني عن العُدُول عنها إلى غيرها من الصفات . فإن اتفق بعد ذلك لبسٌ حينئذٍ يُزال بما يُضَمُّ إليه . وإذا جاءت للتعظيم أو التهجين فإنه قد يُوالى بين عدّةٍ منها بحروف النَّسَقِ وَمِنْ دُونِهَا : تقول : جاءني زيدٌ الظريفُ الكاتبُ الفاضلُ العالمُ : وإن أتيت بالواو العاطفة متخلّلةً له ساغ^(١) ، فإن قيل : إذا كانت الصفة هي الموصوف ، والشئ لا يُعطفُ على نفسه ، فكيف جازَ عطفُ بعضِ الصفاتِ على بعض ؟ قلتَ : تغيُّرُ المعاني الحاصلةِ بها وقوّةُ اتّصالِ بعضها ببعضٍ في بابي الصلّةِ والصفّةِ ، سوَّغَ ذلك في ألفاظها .

٢ - وَاللَّهِ لَوْ لَاقَيْتُهُ خَالِيًا لَأَبَّ مَسِيحَانًا مَعَ الْغَالِبِ

أَقَسَمَ بِاللَّهِ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ لَقَيْتُهُ مَنْفَرِدًا عَنْ أَشْيَاءِهِ لِحَصَلِ سَيِّفَانَا لِلْغَالِبِ مَنًّا . وَذَكَرَ السَّيْفَيْنِ وَالْمُرَادُ جَمِيعُ مَا مَعَهُمْ مِنْ بَرِّهَا وَسِلَاحِهَا ، لَعَلَّ شَأْنَهُمَا . وَجَعَلَ النِّعْلَ لِلسَّيْفَيْنِ عَلَى الْحِجَازِ . وَالْمَعْنَى : لَوْ خَلَوْتُ بِهِ لَقَتَلْتُهُ أَوْ قَتَلَنِي .

٣ - أَنَا ابْنُ زَبَابَةَ إِنْ تَدْعُنِي آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ

قوله : « وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ » يجرى بجرى الأمثال ، ويكون مبنياً على ما قال لبيد ، وهو :

وَكَاذِبِ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنْ صَدَّقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ
والمعنى : كلُّ منّا يحدثُ نفسه ويكذبها ، ثم الظنُّ على من لا يتحقق أمله . ويجوز أن يريد : أنا المعروف المشهور ، إن دَعَوْتِي لمبارزتك جئتُك ، فإن كنتَ تظنُّ غيرَ هذا فظنُّك عليك ، لأنك تكذبُ نفسك فيما تتوهمه من قعودي عنك ، أو نُكُولِي عن الإقدام عليك . ويجوز أن يكون المعنى :

(١) هذا الصواب من م . وفي الأصل : « لما ساغ » .

إِنْ تَدْعُنِي أَجْنَبَكَ ، فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنْ تَكُونَ الْغَالِبَ فَظَنُّكَ عَلَيَّ ، لِأَنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ .

٢٥

الأشتر النخمي (١) :

١- بَقِيَّتُ وَفَرِي وَأَنْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَلَقِيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ الْوَفْرِ : لِلْمَالِ الْكَثِيرِ . وَالْعَبُوسُ : الْكُلُوحُ عَنِ غَضَبٍ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا : يَوْمَ عَبُوسٍ ، أَيْ شَدِيدٌ . وَهُوَ جَبَسٌ عَيْسٌ ، فِي اللَّثِيمِ . وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ الشَّرِيفَةِ ، وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْخَلْبَرِ ، وَظَاهِرُهُ الدُّعَاءُ ، وَمَحْصُولُهُ الْقَسَمُ . فَيَقُولُ : ادْخَرْتُ مَالِي وَلَمْ أَفْرِقْهُ فِيمَا يَكْسِبُ لِي حَمْدًا ، فِعْلَ الْبُخْلَاءِ ، وَزَهَدْتُ فِي اكْتِسَابِ الْعَالِي وَالْمَأْتَرُ زُهْدَ الْأَدْنِيَاءِ ، وَتَأَقَّيْتُ الْأَضْيَافَ (٢) بِوَجْهِ رَجُلٍ كَالْحُرِّ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْيَمِينِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي (٣) *

٢- إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ (٤) شَنْ الْغَارَةِ مُعْجَمَةٌ ، وَسُنَّهَا مُعْجَمَةٌ : صَبَّهَا . وَأَصْلُ جَمِيعِهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الأشتر : لقب له ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخمي الكوفي . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب علي ، شهد معه الجمل وصفين وغيرها ، وكان من أحب علي عثمان وشهد حصره ، وولاه علي بن أبي طالب مصر بعد صرف قيس بن عباد عنها ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فأت سنة ٣٨ . ولقب بالأشتر لأن رجلاً ضربه في يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قبيحاً إلى عينه فشرتها . الإصابة ٨٣٣٥ وتهذيب التهذيب ومعجم المرزباني ٣٦٢ . التبريزي : « وفي الشهر آخر يقال له الأشتر بن عامر ، أحد بني عوف بن ولاد بن تيم اللات . ومنهم الأشتر الجهمي الأزدي من بني حمارة من أزد عمان » .

(٢) م : « أضيافي » .

(٣) صدره : * ما قلت من سيئ مما أتيت به *

(٤) التبريزي : « ابن حرب ، يعني معاوية بن أبي سفيان » .

ثم حصل التوشع فيها . يقول : تَصَوَّرْتُ بتلك الصورة التي ذكرتها وأقسمتُ بها ، إن لم أصبَّ على هذا الرجل خَيْلاً لا تخلو يوماً من اختلاس نفوسٍ ، وانهابِ آجال . وسُمِّي الخليل غارةً لما كانت من قبيلها تكون . وموضع « لم تخلُ يوماً » نَصَبٌ على الصفة للغارة ، أي خَيْلاً جَرَّتْ عاداتها بذلك . والتهابُ يجوز أن يكون مصدرَ نَاهَبْتُهُ وِيسْتَمَلُّ في المُعَاوَرَةِ والمُبَارَاةِ ، ويجوز أن يكون جَمْعَ النَّهْبِ . وجوابُ « إن لم أشنَّ » فيما تقدم .

٣ - خَيْلاً كَأَمْثَالِ السَّعَالِي شُرَبًا تَعْدُو بِيضٍ فِي الْكِرِيهَةِ شُوسٍ
الشُّرْبُ (١) : الضُّمُّرُ . والشُّوسُ : جمعُ أشوس . ويقال شاسَ يشُوسُ وشوسَ يشُوسُ ، إذا عُرِفَ في نظره الغضب أو الكِبَرُ . وانتَصَبَ « خَيْلاً » على أنه بدلٌ من غارةٍ . وشبَّه الخليل في ضَمْرِهَا وسُرْعَةِ نَفَاذِهَا بِالْحِنِّ . وانتَصَبَ « شُرَبًا » على أنه صِفَةٌ للخليل ، لأنَّ قولَهُ « كَأَمْثَالِ » ، أيضاً صِفَةٌ . ويجوز أن يكون حالاً للضمير في كَأَمْثَالِ السَّعَالِي . والمعنى : خيلاً تشابه السَّعَالِي في حالِ شُرُوبِهَا وَضَمْرِهَا . وقولُهُ : « تَعْدُو بِيضٍ » أيضاً صِفَةٌ ، إمَّا لقوله شُرَبًا ، وإمَّا للأوَّلِ تَعْدُو بِرِجَالِ كِرَامٍ ، متكبِّرين في الحرب ، ذوى أنفَةٍ . وإذا جمَعَ بين مفرداتٍ وُجِّلَ في الوصفِ ، فالترتيب المختار تقديم المفردات على الجمل ، وقد جاء البيت على ذلك . والعَرَبُ تَجْعَلُ البياضَ كِنَايَةً عن الكَرَمِ ، كأنها تريد نفاة العِرْضِ . على ذلك قوله :

* أُمَّكَ بِيضَاهُ مِنْ قُضَاعَةٍ ... (٢) *

وكا فَعَلُوا هذا جَعَلُوا العُرَّ كِنَايَةً عن الكِرَامِ ، وربما قالوا غُرَّانٌ .

(١) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « الشزوب : الضمير » يقرآن على المصدرية .

(٢) البيت بتمامه كما في شرح ديوان زهير ٥٢ واللسان (بيض) :

أملك بيضاء من قضاة في البيت الذي يستكن في طنبه

مخامًا قولهم : « بيض الوجوه » فالمراد أنهم لم يفعلوا شيئًا يشينهم فيعبر لو أنهم عند ذكره . وقد قالوا في ضده : « أَوْجُهُمْ كَالْحَمِّ » ، و « سُودُ الْوُجُوهِ » .
وأما الشَّوْسُ فكَما وُصِفَ به الرَّجَالُ وُصِفَ به الخليلُ أيضًا ، والمراد به عِزَّةُ النَّفسِ . وقوله « في الكريمة » للحوق الماء بها ألحق بباب الأسماء ، ويستعمل في نوازل الدهر وشدائد الأمر . وهو ظَرْفٌ إن شئت لما دلَّ عليه قوله « بيضٌ » من الكرم ، وإن شئت لقوله شُوسٌ . والكرم في الكرائه : نزاهة النفس عن لوازم العار .

ع - حمى الحديد عليهم فكانه
وَمَضَانُ بَرَقٍ أَوْ شِعَاعُ شَمْسٍ
شِعَاعُ الشَّمْسِ : انتشار ضوئها . ويقال : أشعت الشمس : انتشر شعاعها .
يقول : حميت الأسلحة يوم الوغى لصبرهم وثباتهم ، وطول مقامهم . ثم شبه لمعانها بومضان البرق أو شعاع الشمس ، وجمع الشُّوس لاختلاف مطالعها .
وَالْوَمَضَانُ : مَصْدَرٌ وَمَضٌ ، وكذلك الوَمْضُ وَالْوَمِيزُ . ويقال في فعله أَوْمَضَ أَيْضًا .

٢٦

معدان بن جواس الكندي^(١) :

ودخل هذان البيتان في الباب لما اشتملا عليه لفظًا ومعنى من
الفظاظاة والقسوة .

(١) معدان بن جواس بن فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية بن عامر بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون السكوني الكندي ، وكان له حلف في ربيعة . منحصر أدرك الجاهلية والإسلام ، ونزل الكوفة وكان نصرانيا فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام الزبير بن العوام بأمره . الإصابة ٨٤٣٥ ومعجم المرزباني ٤٠٧ . على أن هذه الحماسية تنسب أيضاً إلى أبي حوط حجية بن المضرب السكوني ، وهو شاعر جاهلي فارس . نص على ذلك التبريزي ، وكذا الأملى في المؤلف ٨٥ .

١- إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي قَلَامِي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلِ (١)

قوله « صديقي » يجب أن يُريدَ به الكثرة لا الواحد. ويقال : شَلَّتْ يَدُهُ شَلًّا. وهذا من الجنس الأول في أن لفظه لفظ الخبر، والمعنى معنى الدعاء، وللراد القسم. وقوله « فلامني » لامني في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قال : فأنا لآمِنِي. والفاء مع ما بعده جواب إن. والمعنى : إن كان ما أَدَىَّ إِلَيْكَ عَنِّي حَقًّا ففعلت ما استحققتُ به لَوَمَّ الصديق، واسترخت أصابعي. فإن قيل : اليمين والشرط (٢) كيف يصح؟ قلت : هذا كلام مُبْطَلٌ لما ادعى عليه، ناف له، فاليمين تناوأت نَفِيَّ ما أثبت فيه، ودفع ما قَرِفَ به. ودلَّ على ذلك فحوى الكلام. ويجوز في « كان » أن يكون التامة لا الناقصة، فيكتفي بالفاعل ولا يحتاج أن يُضمر بعده « حَقًّا ». والمعنى إن وقع ما بُلِّغْتَ عَنِّي وَحَدَّثَ . وتخصيصه للأنامل لأن أكثر المنافع بها. وجاز إضمار خبر كان إذا جمعتها ناقصة لأن في الكلام والحال دليلًا عليه، ولأن دخوله على المبتدأ والخبر، فكما يُحذف الخبر في ذلك الباب يُحذف هنا.

٢- وَكَفَنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا بِرِدَائِهِ (٣) وَصَادَفَ حَوَاطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلًا

وَحْدِي انتصَبَ على المصدر، وهو في موضع التوحد. وفي النحويين من يجعله وإن كان معرفة في موضع الحال. يقول : وَفُجِئْتُ بِمُنْذِرٍ وَأُحِجَّتْ إِلَى أَنْ أَبَاشَرَ تَكْفِينَهُ وَتَجْهِيزَهُ بِنَفْسِي - وهذا مما يزيد المصاب كلاً وداءً - وَصَادَفَ ابْنِي مِنْ أَعْدَائِي مَنْ لَا يُبْقِي عَلَيْهِ (٤). وَأَعَادِي بِنَاءٍ عَلَى الْفَتْحِ خَلْفَتَهُ،

(١) بلغت، مخاطب المؤنثة كما في النسختين. وعند التبريزي: « بلغت » مخاطب المذكر.

(٢) م : « اليمين في الشرط ».

(٣) م : « في ثيابه ». التبريزي « في ردايه ».

(٤) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصحيح نسبة الشعر إلى حجية بن المضرب. وأن المنذر هو أخو حجية، وأن حوطا هو ابنه الذي كنى به. ثم زوى عنه سبب الشعر.

ولأنه الأصل في ياء الضمير إذا حُرِّكَ . وعلى هذا تقول : هؤلاء بَنِيَّ ومَعْطَى ، وهذا قَاضِي . وأَعَادِيَّ يجوز أن يكون أَفَاعِلَ وأضَافَهُ ، ويجوز أن يكون أَفَاعِيلَ كما يابيت وخَفَّفَهُ ، كما خَفَّفَ أَثَافٍ نَمَ أضَافَهُ . ويجوز أن يكون لَمَّا رَامَ الإِضَافَةَ اجتمع ثلاث ياءاتٍ فَخَذَفَ مَدَّةَ أَفَاعِيلَ .

٢٧

عامر بن الطفيل الكلابي^(١) :

١- طَلَّقْتِ إِنْ لَمْ تَسْأَلِي أَيُّ فَارِسٍ حَلِيلِكَ إِذْ لَاقَى صَدَاءَ وَخَشَمَمَا

جَعَلَ الإِسْمَ عَلَيْهَا بِمَا يَضِيقُ طَرِيقَهَا فِي التَّجَوُّزِ وَالإِهْمَالِ ، لَمَّا وَلاَهَا
الْبَحْثَ وَالسُّؤَالَ . هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الْكَلَامَ دُعَاءً . يَقُولُ : بِنْتٌ مِنْ زَوْجِكَ
إِنْ لَمْ تُنْفَسِي بِالسُّؤَالَ عَنْ أَحْوَالِهِ حِينَ لَاقَى هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ ، هَلْ أَبَى فِي
مَلَاقَاتِهِمَا ، وَكَيْفَ ثَبَّتَ فِي وَجْهِهِمَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ طَلَّقْتِ وَعِيداً تَوَعَّدَهَا
بِهِ إِنْ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى مَرْسُومِهَا^(٢) . وَالْحَلِيلُ : الزَّوْجُ ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحَالُ

« أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم فنذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ، وكان فيمن معه حجة بن المضرب ، وكانت أخته فكيفة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة ، فنذر بنو تميم بالنعمان بن المنذر فهزموه ، فاتهم النعمان حجة أن يكون أنذرهم فقال . . . »
وأنشد البيت وما بعده .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو ابن عم ليبيد ، وكان فارس قيس . وكان عامر أقر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : تجعل لي نصف ثمار المدينة وتعملني ولي الأمر من بعدك وأسلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامراً واحداً بنى عامر » . فانصرف وهو يقول : لأ، لأنها عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مردأً ، ولأريظن بكل نخلة فرساً ! فظمن في طريقه فوات وهو يقول : غدة كغدة البعير ، وموت في بيت ملولية ! الشهر ، ٢٩٢ - ٢٩٥ والخزانة ١ : ٤٧٣ - ٤٧٤ ، والمؤتلف ١٥٤ والمرزبان ٣٢٢ والأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٦ والنقائض ٦٥٤ - ٦٧٨ .

(٢) م : « مرسومه » .

صاحبته . وَخَثَمٌ هُوَ خَثَمٌ بِنِ أُنْمَارٍ . وَالخِثْمَةُ : التَّلَطُّحُ بِالدمِ . وَيُقَالُ :
كَانُوا تَحَالَفُوا فَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِي دَمٍ بَعِيرٍ نَحَرُوهُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَسُتُوا
خَثَمًا . وَمَفْعُولُ تَسَأَلِي مَحذُوفٌ ، الْمُرَادُ تَسَأَلِي النَّاسِ . وَقَوْلُهُ « أَيُّ فَارِسٍ »
هُوَ الْمَسْأَلَةُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ أَيْضًا . وَجَوَابُ الشَّرْطِ مُتَقَدِّمٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
إِن لَمْ تَسَأَلِ النَّاسَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَأَنْتِ مَطْلُوقَةٌ مِنْ بَعْدُ ، أَوْ لَجَعَلَ اللَّهُ خَاتِمَةً
أَمْرِكَ ذَلِكَ .

٣- أَكَرُّ عَلَيْهِمْ دَعَلَجًا وَلَبَانُهُ إِذَا مَا اشْتَكَى وَقَعَ الرِّمَاحُ تَحْمَحَمَا^(١)

أَجَلٌ فِي اقْتِصَاصِ بِلَانِهِ ، ثِقَّةٌ بَأَنِّ بَحْثِهَا وَاسْتِقْصَاءِهَا يَأْتِي عَلَى تَفَاصِيلِهِ .
يَقُولُ : أَعْطِفُ فَرَسِي دَعَلَجًا عَلَيْهِمْ ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَكَرًّا بَعْدَ فَرٍّ ، وَإِذَا
اشْتَكَى مِنْ كَثْرَةِ وَقُوعِ الطَّعْنِ بِصَدْرِهِ حَمَمَ . وَجَعَلَ الْفِعْلُ لِلصَّدْرِ عَلَى الْمَجَازِ
وَالسَّعَةِ لِكَوْنِهِ مَوْضِعَ الطَّعْنِ . هَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَلَبَانُهُ » بِالرَّفْعِ ، لِأَنَّ بَعْضَ
النَّاسِ رَوَى « وَلَبَانَهُ » بِالنَّصْبِ ، كَأَنَّهُ فَرَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْاِشْتِكَاءُ وَالتَّحْمَحُمُ اللَّبَانِ
عَلَى كَثْرَةِ نِسْبَةِ الْاِشْتِكَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْأَلَمَةِ ، فَوْقَ مَا هُوَ أَقْبَحُ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ
أَكَرُّ عَلَيْهِمْ فَرَسِي ، فَلَا مَعْنَى لِعَطْفِ اللَّبَانِ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ
تَكَرُّبِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ
الِاخْتِصَاصِ وَتَفْخِيمِ الشَّأْنِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ . قَالَ : وَوَجْهُ الْاِخْتِصَاصِ أَنَّ الدَّكْرَ بِصَدْرِهِ ،
كَأَنَّ الْأَنْثَى بَعَجُزِهِ . وَالدَّعَلَجُ : الْمَرِحُ فِي السَّيْرِ وَالتَّرْدُّدِ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْفَرَسُ

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : الصواب :

أقدم فيهم دعلجاً وأكره إذا أكرهوا فيه الرماح تحمحا

والبيت لعبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فارس دعلج ، قاله يوم
غيف الريح ، وليس هو لعامر بن الطفيل . وأنشده في تصدق ذلك لمروان بن سراقه الجعفري :

وعبد عمرو منع القياما ودعلجا أقدمه إقداما

والبعير والحار، وذكر بعضهم أنه يقال في الضب المأخوذ أيضاً . [وقد أحسن
عنترة كل الإحسان حين سلك هذا السبيل فقال :
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحيم^(١)]

٢٨

زُفَرُ بنِ الحَارِثِ الكِلَابِيِّ^(٢) :

١- وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً لِيَالِي قَارَعْنَا جُدَامَ وَجَمِيرًا^(٣)

حكى الأصمعي في الأمثال : « ما كلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ ، ولا كُلُّ سَوْدَاءٍ تَمْرَةٌ » . والمعنى : ليس كلُّ ما أشبه شيئاً ذلك الشيء . ومعنى البيت : ظننا لما التقينا مع جُدَامَ وَجَمِيرَانَ سبيلهم سبيل سائر الناس ، وأنا سَنَفَهَرُهُمْ قَهْرًا قَرِيبًا ثم وجدناهم بخلاف ذلك ، لكون أصلهم من أصلنا ، واجتماعهم فيما تَمَيَّزْنَا فيه عن سائر الناس مَعْنًا ، وَجُدَامُ أبو هذه القبيلة فسميت به ، وأصله الجذم : القَطْعُ ، وبه سُمِّيَ الداء المعروف جُدَامًا ، وقيل للمقطوع اليد : أَجْدَمَ . وحكى بعضهم : ما سَمِئْتُ لَهُ جَدْمَةٌ ولا زَجْمَةٌ ، أى كلمة ، لتقطع الصوت بها عند النطق . والقَرَعُ : ضَرْبُ الشَّيْءِ بغيره ، ثم تَوَسَّعُوا فقالوا : قَرَعْتُ بَاطِلَهُ بِحَقِّي ، وَقَرَعْتُ الشَّارِبَ جِبْهَتَهُ بِالْإِنَاءِ ، إذا استوفى ما فيه .

٢- فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بِيَعْضٍ أَبَتْ عَيْدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا

بعضه ، انتصب على البدل من النبع . وجواب لما قوله « أَبَتْ » .

(١) هذه التكلة من م .

(٢) زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، كان قد خرج على عبد الملك ابن مروان وظل يقاتله سبع سنين ثم رجع إلى الطاعة . وكان سيد قيس في زمانه ، وكان على قيس يوم راهط . وزفر من التابعين ، سمع عائشة ومعوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . الكامل ٥٣٣ والجهشياري ٣٥ والمؤتلف ١٢٩ وشرح شواهد المغنى ٣١٣ .

(٣) التبريزي : « ليالي لاقينا » .

وتكسر أصله تتكسر . والشاعر اعترف بأن أصل أولئك نبع ، كما أن أصلهم نبع ، النبع خيز الأشجار التي يتخذ منها القسي وأصلها ، كما أن الغرب شرها وأرخابها ، فجعلت العرب تضرب المثل بهما في الأصل الكريم واللثيم ، حتى إن بعض المحدثين قال :

هَيْهَاتَ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَّارِ مِنْ غَرَبِهِ
 فيقول : لما قرعنا أصلهم بأصلنا أبت العيدان من التكسر . والمعنى أن كلاً منّا أبى أن ينهزم عن صاحبه . فالعيدان مثل للرجال ، والنبع مثل للأصل .
 ٣ - وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةَ تَغْلِبِيَّةَ يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ مُضْمَرًا

يقال تغلبي وتغلي ، والكسر أكثر ، ومن فتح فلتوالى الكسرات والياءين . وهذا كما قالوا : نمرى فردوا من فعل إلى فعل . يقول : لما لقينا جماعة من بني تغلب^(١) يقودون للحرب خيلاً ضمراً قصار الشعور . وجواب لما فيما بعد ، وهو سقينام . وإنما احتاج إلى الجواب متى كان علماً للظرف ، لأنه يحى لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجعل الخيل جرداً لأن العراب منها تكون كذلك . واللام من قوله « للمنية » يجوز أن يتعلق بيقودون ، ويجوز أن يتعلق بقوله ضمراً ، أى ضمرت لها .

٤ - سَقِينَانُكُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَأَنْوَاعِ الْمَوْتِ أَصْبَرًا

يقول : قالبنام بمثل ما بددونا به من سقى كأس الموت ، لكن القتل كان فيهم أعم ، ولم أشمل . وجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه^(٢) . ويقرب أن

(١) التبريزي : « يعنى تغلب بن حلوان ، بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، لأن القفر في يوم مرج راهط كان لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وايس لتغلب وائل هنا مدخل » .
 (٢) ذهب التبريزي إلى أن هذا التفسير خطأ ، وأن المعنى أنه شهد لهم بالغلبة واعترفه أنهم أهل صبر ، وقد أقر بهزيمة قومه في قوله :

ولم تر منى نية قبيل هذه فرارى وتزكى صاحبي ورائيا

يكون قول الله تعالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ على هذا الوجه . كأن النار حَقَّتْ عليهم وَوَجِبَتْ ، بما كان منهم من المعصية ، فجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه ، ولذلك قال بعض المفسرين في معناه : ما أعملهم بعمل أهل النار . كأن إصرارهم على ذلك العمل كالصبر منهم على النار . وردُّ الآية إلى البيت وإجراء القول فيها على هذا الحدِّ غريبٌ حسنٌ . وقوله : « أَصْبَرُ » أى أَصْبِرُ منَّا ، وأفعل الذى يتمُّ بَيْنَ يُحذف منه « من » فى باب الخبر دون الوصف . وساغ ذلك لأنَّ الخبر كما يجوز حَذْفُهُ بأسره لقيام الدلالة عليه يجوز حَذْفُ بعضه أيضاً له .

٢٩

عمرو بن معديكرب (١) :

حكى ابن الأعرابي : قالوا متديكرب لأنه عدا الفساد . والكرب : الفساد .

١- ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جد أول زرع خلّيت فاسبطرت (٢)

اسبطرت : امتدّت ، والسبّطُ والسبّطُ بمعنى واحد . يقول : لما رأيت الفرسان منحرفين للطعن ، وقد خلّوا أعتة دوابهم وأرسلوها ، وقرطوا آذانها بها ، فكأنها أنهارُ زرعٍ أرسلت مياهاً فامتدّت بها . والنشبيه وقع على جرى الماء فى الأنهار لا على الأنهار ، كأنه شبه امتداد الخيل فى انحرافها عند الطعن بامتداد الماء فى الأنهار ، وهو يطرّد ملتويًا ومضطربًا . وكما وصف الخيل

(١) هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي ، كان من فرسان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد بعد وفاته فبين ارتد من اليمن ، ثم هاجر إلى العراق فأسلم ، وشهد القادسية وأبلى فيها . الشعر والشعراء ٣٣٢ والأغاني (١٤ : ٢٤ - ٣٩) والخزانة (١ : ٤٢٢ - ٤٢٦) وكتب الصحابة .

(٢) التبريزي : « أرسلت فاسبطرت » .

في انحرافها بزورٍ وُصِفَتْ أَيْضًا بِنُكْبٍ ، فقال بعضهم :

• لِأَعْدَائِنَا نُكْبٌ إِذَا الطَّغْنُ أَفْقَرًا •

فالنُّكْبُ : جَمْعُ أَنْكَبٍ ، وهو الذي ينحطُّ أحدُ منكبَيْهِ عن الآخرِ ، كما أن الزُّورَ جمعُ أَرْزُورٍ ، وهو المَعْوَجُّ الزُّورُ . وهذا من التشبيه الحسن الصائب . وقوله : « خُلِّيتَ فَاسْبَطَرْتَ » جُمْلًا للجداول على الجاز والسَّعَةِ ، لأنَّ المياه هي التي تَخَلَّى وتمتدَّ . وهذا كما يقال نَهْرٌ جَارٍ ، وإن كان الماء هو الذي يجري .

٢ - فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ (١)

فجاشت إلى النفس أول مرة . اعترض بعضهم فقال : لولا أنه جَبُنَ لما جاشت إليه النَّفْسُ . قال : ومثله في الرداءة قول عنتره :

إِذْ يَتَّقُونَ بِيِ الْأَسِنَّةِ لَمْ أَخِمِ عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَائِقُ مُقَدِّمِي

هَلَّا قَالَ كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَنِي كَانَ فِيهَا أُمٌّ سِوَاهَا

قال الشيخ : وليس الأمر كما توهم ، لأن ما ذكره عمرو وعنتره بيان حال النفس ، ونفسُ الجبانِ والشُّجاعِ على طريقةٍ واحدةٍ فيما يدَّهَمُهَا عند الوهلة الأولى ، ثم يختلفان : فالجبانُ يَرْكَبُ نَفْرَتَهُ (٢) ، والشُّجاعُ يَدْفَعُهَا فَيَثْبُتُ . فأما قول العباسِ ابنِ مرداسٍ فليس مما ذكراها بسبيلٍ ، وإنما هو بيانُ الحالة الثانية وما يعزُّمُ عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسُّك . فاعلمه إن شاء الله . وقوله : « أَوَّلَ مَرَّةٍ » وذاتُ مَرَّةٍ ، لا يكونان إلا ظرفَينِ ؛ لأنَّ مَرَّةً ليس باسمٍ للزمان لازمٍ ، وإنما هو مُدْخَلٌ عليه . فإذا قلتَ مَرَّةً فإنما حقيقتها فَمَلَّةٌ واحدةٌ ، ويجوز أن

(١) م والتبريزي : « فردت » بالفاء .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « نفسه » .

يكون وقتاً واحداً. ويجوز أن يكون الفاء في « فجاشت » زائدة، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش، ويكون جاشت جواباً للمسا. والمعنى: لما رأيت الخليل هكذا خافت نفسي وثارت. وطريقة جُل أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفاً، كأنه قال: لما رأيت الخليل هكذا فجاشت نفسي وردت على ما كرهته فقررت، طعنت أو أبلت. ويدل على ذلك قوله: « علام تقول الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أطمن »، فحذف طعنت أو أبلت لأن المراد مفهوماً. وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زيدا وفي يده السيف! وعلى هذا الكلام على اللذهبين في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ ﴾ (٢) أبوابها، وفي قول امرئ القيس:

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَىٰ بِنَا بَطْنُ حَبْتِ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ
وحذف الجواب في مثل هذه المواضع أبلغ وأدل على المراد وأحسن، بدلالة أن المولى إذا قال لعبد: « والله لئن قُمتُ إليك » وسكت، تراجعت عليه من الظنون المعارضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نص من مؤاخذته على ضرب من العذاب. وكذلك إذا قال التبيجج: « لو رأيتني شاباً » وسكت، جالت الأفكار له بما لم تجل به لو أتى بالجواب.

٣ - علام تقول الرُمحُ يثقلُ ساعدي إذا أنا لم أطمن إذا الخليل كرت
« ما » في الاستفهام إذا اتصل بحرف جر يُحذف الألف من آخره تخفيفاً، على ذلك فيم ويم ولم، إلا إذا اتصل ما بذا فقلت: بماذا ولماذا، لأنه يُترك على تمامه (١). وقوله: « تقول الرُمحُ » يروى بفتح الحاء وضمها، فإذا

(١) وقد يترك على تمامه مع عدم اتصاله بذا. وقرأ عكرمة وعيسى: « عما يتساءلون » وقال حسان: على ما قام بشتني ليم كخنزير تمغ في رماد انظر المعنى في (ما) والحزارة (٢: ٣٥٧) والبيان (٣: ١٢٥).
(٢) كذا في النسختين. وقرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف والأعشى بتخفيف التاء.

نَصَبَتْ فَلَأَنَّكَ جَعَلْتِ تَقُولُ فِي مَعْنَى تَنْظُنُّ . وَهَمْ - عِنْدَ الْخَطَابِ وَالْكَلَامِ
اسْتِفْهَامٌ - يَحْمَلُونَ الْقَوْلَ عَلَى الظَّنِّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا ^(١) *

أَيُّ مَتَى تَنْظُنُّ ذَلِكَ فَتَقُولُ ، فَجَعَلَ الْقَوْلَ يَدُلُّ عَلَى الظَّنِّ لَمَّا كَانَ الْقَوْلُ
تَرْجَمَةً عَنِ الظَّنِّ . وَالخِطَابُ وَالاسْتِفْهَامُ يَحْتَمِلَانِ مَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرُهُمَا . وَإِذَا رَفَعْتَ
الرُّمْحَ فَالْقَوْلُ مَتْرُوكٌ عَلَى بَابِهِ ، وَالرُّمْحُ يَرْتَفِعُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَالْكَلَامُ حِكَايَةٌ ،
وَمَا بَعْدَ الْقَوْلِ إِذَا كَانَ كَلَامًا مُفِيدًا يُحْكِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
وَلَأَيِّ وَجْهِ تَقُولُ : أَحْمِلُ الرُّمْحَ فَيُنْقَلُ سَاعِدِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْهُ إِذَا حَصَلَ السُّكْرُ
مِنَ الْخَيْلِ بَعْدَ الْفَرِّ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ . وَالْمَعْنَى بِأَيِّ حُجَّةٍ أَحْمِلُ السَّلَاحَ
إِذَا لَمْ أَهْبِ فِي الْحَرْبِ وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُ فِي وَقْتِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِسْقَاطٌ لِلتَّبَجُّحِ
بِالْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ » أَيُّ لَمْ يُنْقَلِ سَاعِدِي
الرَّمْحُ فِي وَقْتِ تَرْكِي الطَّعْنَ زَمَانَ كَرَّ الْخَيْلِ ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ظَرَفُ لِقَوْلِهِ
يُنْقَلُ ، وَإِذَا الثَّانِي ظَرَفُ لِقَوْلِهِ لَمْ أَطْعُنْ .

٤ - لَحَا اللَّهُ جَرَمًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازَبَارَتْ

ازَبَارَتْ : انْتَفَشَ حَتَّى ظَهَرَ أَصُولُ شَعْرِهِ . قَالَ :

فَهُوَ وَرَدُ اللَّوْنِ فِي اذْبُرَارِهِ وَكَيْتُ اللَّوْنِ مَا لَمْ يَزْبُرْ ^(٢)

كَلَّمَا انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَ« وَجُوهَ » انْتَصَبَ عَلَى الشِّتْمِ وَالذَّمِّ ، وَالْعَامِلُ
فِيهِ فِعْلٌ مُضْمَرٌ وَهُوَ أَذْكَرُ . كَأَنَّهُ شَبَّهَ وَجُوهُهُمْ بِوَجْهِ الْكِلَابِ فِي الْحَالَةِ
لِلذِّكُورَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ « جَرَمًا » . وَمَعْنَى

(١) لَعَمْرُؤُا بِنِ ابْنِ رَيْبَعَةَ ، كَمَا فِي السَّانِ (قَوْل) . وَصَدْرُهُ :

* أَمَا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدِ *

(٢) الْبَيْتُ لِلْمَرَارِ بْنِ مَتَقَدِّ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ٨١) .

لَحَا اللَّهُ : قَسَرَ اللَّهُ ، أَى فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ غَدَاةَ كُلِّ يَوْمٍ ، أذْ كُرُّ قَوْمًا يُشْبِهُونَ لِلْكَلابِ إِذَا وَاثَبَتْ غَيْرَهَا وَسَاوَرَتْ ، فَاثْنَفَتْ وَتَجَمَّعَتْ لِلتَّوْبِ ؛ وَتِلْكَ الْحَالَةُ مِنْ أَحْوَالِهَا أَشْنَعُ وَأَنْكَرُ . وَهَذَا تَحْقِيقُ الشَّبَهِ ، وَتصَوِيرُ لِقْبَاحَةِ الْفَطْرِ . وَالدَّرُورُ فِي الشَّمْسِ أَصْلُهُ الْإِنْتِشَارُ وَالْفَرِيقُ . قَالَ :

* كَالشَّمْسِ لَمْ تَعُدْ سِوَى ذُرُورِهَا *

أَى طَلُوعِهَا وَانْتِشَارِ ضَوْئِهَا . قَالَ الْخَلِيلُ : الْمَهَارِشَةُ مِنَ الْكِلَابِ وَغَيْرِهَا كَالْمَحَارِشَةِ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ يُهَارِشُ بَيْنَ الْكَلْبَيْنِ .

٥ - فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقِيَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي اللِّقَاءِ أَبْذَعَرَتْ (١)

جَرْمٌ وَنَهْدٌ : قَبِيلَتَانِ مِنْ قِضَاعَةَ (٢) . وَمَعْنَى ابْذَعَرَتْ : تَفَرَّقَتْ . وَأَصَافَ نَهْدًا إِلَى ضَمِيرِ جَرْمٍ ، لِاعْتِمَادِهِ كَانِ عَلَيْهَا ، وَاعْتِقَادِهِ الْاِكْتِفَاءَ بِهَا . وَالْمَعْنَى لَمْ تَنْصُرْهَا فَكَانَتْ تَكْفِي بِهَا وَتَغْنِي ، وَلَكِنَّ جَرْمًا انْهَزَمَتْ ، وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فَمَضَتْ ، وَاصْطَلَتْ نَهْدٌ بِنَارِ الْحَرْبِ ، فَمَسَتْ حَاجَتُهَا إِلَى مَنْ يُؤَاوِزُهَا ، وَيُنَاحِضُ الْأَعْدَاءَ مَعَهَا .

٦ - ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَّاحِ دَرِيَّةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

يَقُولُ : بَقِيَتْ نَهَارِي مُنْتَصِبًا فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ ، وَالطَّمَنُ يَأْتِينِي مِنْ جَوَانِبِي ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَّاحِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّمَنُ ، أَذُبُّ عَنْ جَرْمٍ وَقَدْ هَرَبَتْ هَمِي . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ : كَأَنِّي لِلرَّمَّاحِ صَيْدٌ . فَقَدْ حَكَى أَبُو زَيْدٍ أَنَّهُ يُقَالُ

(١) رِوَايَةُ التَّبْرِيْزِيِّ : « إِذْ تَلَاقِيَا » .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : وَكَانَتْ جَرْمٌ وَنَهْدٌ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَقَتَلَتْ جَرْمٌ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ يُقَالُ لَهُ مَعَاذُ بْنُ يَزِيدٍ ، فَارْتَحَلَتْ جَرْمٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَى بَنِي زَيْدٍ قَوْمِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ، فَهَجَمَتْ بَنُو الْحَارِثِ يُطْلَبُونَ بِدَمِ صَاحِبِهِمْ ، فَعَبَسِي عَمْرُو جَرْمًا لِبَنِي نَهْدٍ ، وَتَعَبَسِي هُوَ قَوْمُهُ لِبَنِي الْحَارِثِ ، فَكَرِهَتْ جَرْمٌ دِمَاءَ بَنِي نَهْدٍ فَفَرَّتْ ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو زَيْدٍ ، فَلَامَهُمْ عَمْرُو .

للصيد خاصةً دَرِيَّةٌ ، غيرُ مهموزة ، ودَرَايَا ؛ كأن هذا من دَرَيْتُ أَي خَتَلْتُ .
فَأَمَّا الدابة التي يُسْتَرَّبُهَا من الصَّيْدِ ، فإذا أُكْتَبَ رُمِيَ من خَلْفِهَا ، فذَكَرَ
أبو زيدٍ أنها تسمى دَرِيَّةَ الصَّيْدِ ، بالهمز . قال : ويقال : دَرَأْتُهَا نحوَ الصَّيْدِ
وإلى الصيد وللصيد ، إذا سُقَّتْهَا . وكان هذا من الدَّرءِ ، وهو الدفع . وقد تسمى
ملك الدابة الدَّرِيعةَ والسَّيْفَةَ والقَيْدَةَ . وأنشَدتُ عن أبي العباس المَبْرَدِ ، رحمه
الله ، أنشدنيهِ حمزة بن الحسن ، قال : أنشدنيهِ علي بن سليمان الأَخْفَشُ عنه :

إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدِبُّ لَهُمْ كَمَا تَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذُّرْعُ^(١)

الذُّرْعُ : جمع ذريعة ، كصحيفة وصُحُف . وإن جعلت « كَأَنِّي » في موضع
الحال فأقاتل في موضع الخير لظَلَلت حينئذ .

٧ - فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقتُ ولكن الرماح أجرتِ

التُّطِقُ اسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ مَنْطِقُ الطَّيْرِ ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا
قَالُوا : نَطَقَ الْكِتَابُ بِكَذَا . يَقُولُ : لَوْ أَنَّ قَوْمِي أَبْلَوْا فِي الْحَرْبِ وَاجْتَهَدُوا
لَا فَتَخَرْتُ بِهِمْ ، وَذَكَرْتُ بِلَاءَهُمْ ، وَلَكِنَّ رِمَاحَهُمْ أَجَرَّتْ لِسَانِي ، كَمَا يُجَرُّ
لِسَانُ الْفَصِيلِ . وَجَعَلَ الْفَعْلَيْنِ لِلرِّمَاحِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ فِي أَنَّ التَّقْصِيرَ كَانَ مِنْهُمْ
لَا مِنْهَا . وَالْإِجْرَارُ : أَنْ يُشَقَّ لِسَانُ الْفَصِيلِ لِلرِّمَاحِ فَيُجْعَلُ فِيهِ عُوَيْدٌ لثَلَاثَ
بِرْصَعِ أُمَّه . وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْإِجْرَارُ فِي الرَّمْحِ إِذَا تَكَسَّرَ فِي الْمَطْعُونِ . قَالَ :

* أَجْرَةُ الرَّمْحِ وَلَا تُهَالَهُ^(٢) *

(١) أنشد في اللسان (ذرع) :

والمنية أسباب تقرها كما تقرب الوحشية الذرع

(٢) في اللسان : « فتح اللام لسكون الهاء وسكون الألف قبلها . واختاروا الفتح

لأنها من جنس الألف التي قبلها ، فلما تحركت اللام لم يلتق ساكنان فتحذف الألف لالتقامها »
وقبله :

* وهباً فداء لك يا فضاله *

وفي طريقه قوله : « أنطقني رماحهم » قول الآخر^(١) :
أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيمم أطلقوا عن لساني
لأن المعنى أحسنوا إلى ينطلق لساني بشركم .

٣٠

سَيَّارُ بْنُ قَصِيرِ الطَّائِي

١ - لو شهدت أم القديد طماننا بمرعش خيل الأرمني أرنت^(٢)

جواب لو ، « أرنت » . يقال رنَّ وأرنَّ بمعنى واحد . ومرعش من شعور
أرمينية . وأم القديد ، قيل هي امرأته . والخيل ينتصب من قوله « طماننا » .
ومعنى البيت : لو حضرت هذه المرأة مطاعننا بمرعش خيل هذا الرجل
الأرمني لولوت وخصت ، إشفافاً علينا ، لكثرتهم وقتنا . والباء من قوله
« بمرعش » تعلق بطماننا ، وهو ظرف مكان له قد عمل فيه . وإنما قلت هذا
لثلاثي توهم أنه تعلق بشهدت ، وأنه في موضع الحال للخيل أو المطاعنين ،
فيكون قد فصل به بين الصلة والموصول ، وهما طماننا وخيل الأرمني .

٢ - عشية أرمي جهمهم بلبانه ونفسي وقد وطنتها فاطمات

لبان الفرس : صدره . ويقال : وطنت نفسي على كذا فتوطنت ، أي
حملتها عليه فذلت . وانتصب « عشية » على أنه ظرف لطماننا . ويجوز أن
يكون ظرفاً لشهدت ، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لأرمي ؛ لأن أرمي أضيفت
عشية إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . ومعنى البيت : عشية أجهل على
القوم ولا أبالي إن كانت علي أو لي ، لأنني وطنت نفسي على الشرف ألقته

(١) هو عبد ينفث بن وقاص الحارثي . المفضليات (١ : ٥٥)

(٢) أنشد هذه الأبيات ياقوت في (مرعش) بدون نسبة .

وسكنت إليه . فن روى : « ونفسى قد وطنتها » يكون الواو للحال ، ونفسى يرتفع بالابتداء ، ووطنتها في موضع الخبر . ومن روى : « ونفسى وقد وطنتها » فإن نفسى يكون في موضع الجر عطفاً على بلبانه ، أى أرمى جيشهم بنفسى وفسى ، ويكون قد وطنتها في موضع الحال . وتحقيق الكلام : وقد وطنتها على الشر فسكنت إليه ، ورضيت به . ومثله قول عنتره :

مازلت أرميهم بقرحة مهرى ولبان لا وكل ولا هياب

وقول الآخر :

مازلت أرميهم بقرحة نخره وفارسه حتى ثارت ابن واقد^(١)

٣- ولا حقة الأطل أسندت صفها إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

إنما نكر قوله « عدى » لينبه به على اختلافهم وكثرتهم ، وأن ذلك لتوفر فضائلهم ، وتظاهر عزم ورياستهم ، إذ كان الحسد يقع ذلك ، ولأنهم يترنون من لا يذل لهم ، ولا يهوى هوام . يقول : ورب خيل قد لحقت بطونها بظهورها^(٢) ، وارتفعت جنوبها إلامتونها ، أنا أملت صفها إلى صف خيل مثلها من الأعداء ، نجفت لقلتنا وكثرتهم . وأصل الاقشعرار تقبض الجلد وانتصاب الشعر ، وقد تكلم الناس في قول امرئ القيس :

* والقلب من خشية مقشعرا^(٣) *

فقال بعضهم : الاقشعرار لا يصح في القلب ، لأنه يُخبر به عما عليه شعره ، ولا شعر على القلب . وقال غيره : إنما هو كفاية عن الوجل ، ولما كان

(١) في الأصل : « وبوجهه حتى » ، ولا يستقيم به الوزن . وهو من الطويل مع الخرم في أوله . وأثبتنا ما في م . (٢) م : « وظهورها » . (٣) هو بتمامه ، كما في الديوان ٩ :

فت أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعرا

الاقشعرا رُ يقع عنده كُفْيَ به عنه . وإذا كان كذلك فكأنه قاله : والقَلْبُ من
جَشِيئَةٍ وَجِل .

٣١

بعضُ بني بُولانٍ من طَيِّبٍ (١)

بُولانٍ فَعَلانٍ ، من قولم رجلٍ بُولَةٌ ، إذا كان كثير البُول . والبُوال :
داءٌ يصيب اللغم فيبول حتى يموت .

١ - نحنُ حَبَسنا بني جَدِيلَةَ في نارٍ من العَرَبِ جَحْمَةَ الضَّرَمِ
جَدِيلَةُ من الجَدَلِ ، وهي فيما زعموا أُنْثَى ، والجَدَلُ : القَتْلُ . قال
الذَّرِيدِي : جَدِيلَةُ من قولهم امرأةٌ مَجْدُولَةٌ ، إذا كانت قَضِيْفَةً . ويقال
ضَرَمَتِ النارُ ، إذا التهبَت ، تَضَرَمُ ضَرَمًا . ولهذا ما تلتهب به النارُ سريعًا من
الحطب قيل له الضَّرَامُ . فيقول : حبسنا هؤلاء القومَ على نارٍ من الحُرْبِ شديدةِ
الالتهاب . والجَحْمَةُ : مصدرُ جَحِمَتِ النارُ فهي جاحمةٌ ، إذا اضطَرَمَت ؛
ومنه الجحيم . قال : وَصِفَتِ النارُ بالجحيمِ لِحُمْرَتِها ، ولذلك سُمِّيَتِ عَيْنُ الأَسَدِ (٢)
جَحْمَةً ، لأنها تتراءى بالليل كأنها نار . وقال الذَّرِيدِي : الجَحْمَةُ العينُ ، لغةٌ
بمانيَّةٌ . وعين الأَسَدِ خاصَّةٌ في كلِّ اللغات الجَحْمَةُ .

٢ - نَسْتَوَقِدُ النَّبيلَ بالحُضِيضِ ونَصًا طادٌ نُفُومًا مُبْنَتٌ عَلَى الكَرَمِ

قوله « نَسْتَوَقِدُ النَّبيلَ » من فصيح الكلام ، كأنه جعل خروج النار من

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « هذا الشعر لرجل من بلقين ، وسبب ذلك أن
القيين بن جسر وطينا كانوا حلفاء ، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القيين يوم ملكان ،
فحبسهم بنو القيين ثلاثة أيام ولياليها لا يقدرون على الماء ، فنزلوا على حكم الحارث بن زهدم أخي
بني كنانة بن القيين ، فقال شاعر القيين يومئذ : نحن حبسنا . »

(٢) في الأصل : « عين الشمس » تحريف ، صوابه في م والتبريزي واللسان .

الْحَجَرِ عِنْدَ صَدْمَةِ النَّيْلِ اسْتِيقَادًا مِنْهُمْ . وَالْوَقْدُ ، تَوَسَّعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ قَلْبُ
 وَقَادٌ . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا قَالَ نَسْتَدِخُّ النَّبْلَ ، فَكَانَ أَصَحَّ ؟ قُلْتُ : الَّذِي قَالَه
 أَفْصَحُ ؛ وَقَدْ قِيلَ زَنْدٌ مَيْقَادٌ ، إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْوَزْيِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : كُلُّ
 مَا تَلَأَّ فَقَدْ وَقَدَ ، حَتَّى الْحَافِرِ . يَقُولُ : تَنْفَذُ سَهَامُنَا فِي الرَّمِيَّةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
 حَضِيضِ الْجَبَلِ فَتَخْرُجُ مِنْهُ النَّارُ لَشِدَّةِ رَمِينَا ، وَقُوَّةِ سَوَاعِدِنَا ، وَنَصِيدِهَا نَفُوسًا
 مَبْنِيَّةً عَلَى كَرَمٍ . أَيْ نَقْتُلُ الرُّؤْسَاءِ وَمَنْ تَكَرَّمُ نَفْسُهُ وَتَعَزَّ حَيَاتُهُ . وَقَوْلُهُ
 « بُنْتُ » أَصْلُهُ بُنَيْتٌ ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى لَفَةِ طَيِّبٍ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي بَقِيِّ بَقِيٍّ ،
 وَفِي رُضِيِّ رُضَى . وَهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

* عَلَى مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوهُ وَمَا رُضِيٌّ ^(١) *

وَقَالُوا فِي بَادِيَةٍ : بَادَاءَ ، كَأَنَّهُمْ يَفْرَوْنَ مِنَ الْكُسْرَةِ بَعْدَهَا يَأْ إِلَى الْفَتْحَةِ ،
 فَتَنْقَلِبُ الْيَاءُ أَلْفًا . وَالْحَضِيضُ : قَرَارُ الْأَرْضِ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ . وَالنَّبْلُ لِوَاحِدٍ
 لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .

٣٣

وقال رويشد بن كثير الطائي :

١ - يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَزْجِيُّ مَطِيَّتُهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ ^(٢)

الْمَطِيَّةُ مِنَ الْمَطَا ، وَهُوَ الظَّهْرُ . وَيُقَالُ مَطَّاهُ وَامْتَطَاهُ ، إِذَا رَكِبَهُ . وَلِلْحَقِّقِ
 الْهَاءُ بِهِ صَارَ اسْمًا ، وَقَدْ سَمَّيْتُهُ . وَيُرْوَى : بَلَّغَ بَنِي أَسَدٍ . وَقَوْلُهُ : « مَا هَذِهِ

(١) لزيد الخليل ، كما في نوادر أبي زيد ٨٠ والأمالى (٣ : ٢٤) وشرح
 شواهد المغنى للسيوطى ١٦٥ . واللسان (أتم) . وصدرة :

* أفي كل عام ماتم تجمعونه *

(٢) التبريزى : « هذه الأبيات شاذة في الشعر القديم ، لأن العادة قد جرت إذا
 استعملوا هذا الوزن أن يكون اللين فيه كاملا ، وذلك أن يكون قبل الروى ألف أو واو
 قبلها ضمة ، أو ياء قبلها كسرة . وقوله : الصوت ، قد جاء بالواو وما قبلها مفتوح » .

«الصوت» الجملة في موضع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان. يُخاطبُ الراكب السائق لمطيته بإجمال، يسأله أن يُبلغ بني أسدٍ عنه عن طريق الفحص والاستعلام: ما هذه الجلبة. وهذا الكلام تهكمٌ وسخرية، لأنه هو الذي أثار عليهم ما احتاجوا له، وجلب عليهم ما أشكاهم. وإنما قال ما هذه الصوت، والصوت مُذكر، لأنه قصد به إلى الصيحة والجلبة. وهذا كما قال حاتم:

أماويّ قد طال التجنّبُ والهجرُ وقد عذرتني في طلاّبكم العذرُ
يريد العذرة. وكما قال الآخر^(١):

وكان محجّي دون من كنت أتقي ثلاثُ شُخوصٍ كاعبانٍ ومُعصِرُ
فأنث الشُخوصَ لأنه قصد بها إلى النفوس. وحكى عن أبي عمرو ابن العلاء أنه سمع بعضهم يقول: «جاءه كتابي فاحتقرها». قال أبو عمرو: قلت: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لما كانت الشُخوصُ شُخوصَ النساءِ أنت العدد. وقوله: «الراكب المزجي» الراكب يقع على راكب البعير خاصة؛ لأن راكب الخيل يقال له فارس. والمزجي، يُقال زجا الشيء يزجو زجوا وزجاء، وأزجيته أنا وزجيته، إذا استحشنته. ومنه زجاء الخراج. وفي هذا الكلام دلالة على أنه ليس يُقنعهُ ما أوقعهم فيه. ألا ترى أنه يتوعد بالاستئصال إن لم يصح عذرهم. ويجوز أن يكون المراد بقوله «ما هذه الصوت» ما الذي يتأذى إلى عنكم، ويتحدث به الناس من شأنكم وقصبتكم. ويقال: ذهب صوت هذا الأمر في الناس للتحدث به، وذهب صيتُ بني فلان في الناس إذا ذكروا بالخير. فكانه على هذا يورهم

(١) هو عمر بن أبي ربيعة، من قصيدته التي مطلعها:
أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فهجر

أنه لم يصح عنده ما يُقال، وأنهم إن لم يقيموا المذرة والدلالة على براءة الساحة حينئذ عاقبتهم. وهذا المعنى في نهاية الحسن^(١).

٢- وَقُلْ لَهُمْ بَادِرُوا بِالْمَذْرِوَاتِمِسُوا قَوْلًا مِيرْتُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ

مفعول بادروا محذوف، كأنه قال: بادِرُوا الْعِقَابَ بِالْمَذْرِ، أى سَابِقُوهُ - يقول: قُلْ لَهُمْ: سَارِعُوا بِالْمَذْرِ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ واطلبوا قَوْلًا يُبَرِّئُ سَاحَتَكُمْ، إِنِّي أَنَا حَتْفُكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، أى أَقْرَبَ حَيْنَكُمْ، وَأَسْتَعَى فِي هَلَاكِكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا. ويقال: لَمَسَ وَاتَمَسَ فِي مَعْنَى طَلَب. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: حَاسِبًا عَنِ مَسْتَرِقَةِ السَّمْعِ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِلْئًا حَرًّا سَاشِدًا بَدَأًا﴾، أى طَلَبْنَاهَا. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا مُمْ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلَا أَحِيدُهُ

و « يبرئكم » في موضع الصفة للقول، أى قولاً مبرئاً لكم من الذنب.

٣- إِنْ تُذْنِبُوا نِمَّ يَأْتِنِي بِقَبِيحِكُمْ فَمَا عَلَىٰ بَدْنِي عِنْدَكُمْ فَوْتٌ^(٢)

قوله « بَدْنِي » أى بسبب ذنبي، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال بجزاء ذنبي، ويقال: « لا فوت عليك في كذا »، كما يقال لا بأس عليك. والمعنى: لا يفوتك. وفي هذا الكلام إيذان بأنه مستعمل الأناة والحلم معهم، ثقة بأنهم لا يفوتونه. يقول: إِنْ تُجْرِمُوا نِمَّ يَصِحُّ عِنْدِي تَعَمُّدُكُمْ فِي إِجْرَامِكُمْ وَتَيَقُّنُكُمْ مَا يَلْحَقُكُمْ مِنْ لَائِمَةٍ وَعَيْبٍ^(٣) وَأَنْتُمْ أَقْدَمْتُمْ مَسْتَهْبِئِينَ، وَبِمَنْ يَأْخُذُكُمْ نَكِيرُهُ غَيْرِ حَافِلِينَ، فَمَا يَفُوتُنِي.

(١) كذا في م. وفي الأصل: « في نهاية » فقط.

(٢) يروى أيضا: « تقيتكم » كما نص التبريزي. ويروى: « بقبيحكم » كما سيأتي.

(٣) م: « وعيب ».

مكافأتكم ، ولا يُعَيِّنِي مؤاخذتكم ومحاسبتكم . ورُوي : « ثم يأتيني بقيتكم »
 وفسر على وجهين : أحدهما أن المعنى ثم تأتيني خياركم وأماثلكم ، يقيمون
 معذرة أنفسهم ، ويبينون أنهم لم يساعدوك لبالرأى ولا بالفعل . وهذا كما يقال :
 فلان من بقية أهله ، أى من أفاضلهم . والآخر أن يكون المعنى : ثم تأتيني
 بقيتكم الذين لم يذنبوا متتصلين بأنهم قد فارقوك وأسلكوك ، لعظيم جنابتكم ،
 وخطوار بقة التضررة والمعاونة لكم .

٣٣

أنيف بن حكم النهلاني^(١)

١ - جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ كِتَابَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهُ

الكتيبة من الجيش : ما جمع فلم ينشر . وقوله : « يُرْدِي » مع ما بعده
 في موضع الصفة للكتاب . يقول : جمعنا لهؤلاء القوم جئوشاً من خلص العرب
 تهلك عفوئتها الذين في نسبهم هجنة أو إقرار إذا بر كوا عليهم . وهذا يجوز أن
 يكون تعريضاً بما يذيه ووعيداً لهم . والإقرار يكون من قبل الفعل ، والمهجنة
 من قبل الأم . وذَكَرَ الْمُقْرِفِينَ ولم يذكر المهجئات لأنهم وإن كانوا يأخذون
 مأخذهم في أنه لا يخلص نسبهم ، [ولا يصفو سببهم^(٢)] ، فنافيهم أشدّ تقدأ ،
 ومزيتهم أنكر دَفَعًا . وكان عنترة العبسي هجيناً فقال :

لَيْتَ امرؤٌ من خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وَأَحْسَى سَائِرِي بِالْمُنْصَلِ

[نافيًا للإقرار^(٣)] ، فجعل أحد شطريه من خير عبس ، وجعل الباقي

يحميه من الدم باستعمال السيف يوم الرّوع ، وحسن البلاء في الحرب ، حتى

(١) التبريزي والمبجج : « أنيف بن زبان النهلاني » .

(٢) التكلة من م .

(٣) التكلة من م . وما بعده إلى « عبس » ساقط من م .

يُنْحِقَهُ بِالْخَلِصِ ، وَلَا تَقْعَدُ بِهِ هُجْنَتُهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمْرَةِ الصُّرَحَاءِ .

٣- لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزْنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّيْ جَدَيْسَ رِجَالَهُمَا

الرَّعِيلُ: قطعةٌ من الخليل متقدمةٌ ، وتوسَّعوا فقالوا: أرا عيلُ الرِّياحِ . ويقال: استرَّعَلَ فلانٌ ، أي خرَّجَ في الرَّعِيلِ الأولِ . يقول: سَوَابِقُ هَذِهِ الْكُتَابِ وَأَوَائِلُهَا قَدْ جَاوَزَتْ بِلَادَ طَسْمٍ وَجَدَيْسَ ، وَلَوْاحِقُهَا قَدْ شُحِنَتْ بِهَا هَذِهِ الْمَوَاضِعُ . وَبَيْنَ بِلَادِ حَيَّيْ جَدَيْسَ وَالْبِقَاعِ الَّتِي ذَكَرَهَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ . وَاللَّوَى ، حَيْثُ يَرِقُّ الرَّمْلُ فَيُخْرِجُ السَّائِرَ فِيهِ إِلَى الْحَزْنِ . وَطَسْمٌ وَجَدَيْسُ : أُمَّةٌ مِنَ الْعَرَبِ بَادُوا وَانْقَرَضُوا . وَقِيلَ أَرَادَ بِالْحَيَّيْنِ جَدَسًا^(١) وَجَدَيْسًا ، وَذَكَرَهُمُ وَالْقَصْدُ إِلَى دِيَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ ، وَرَتَّبَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي عَدَّهَا بِالْفَاءِ ، وَجَمَلَ أَعْجَازَ الْكُتَابِ فِيهَا تَكَثِيرًا لَهَا .

٣- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَلِيلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ تُمْتَاخُ لِعِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَاهُهَا

رَجَلَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِأَدْنَى الْعَدَدِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ : ثَلَاثَةٌ رَجَلَةٌ . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يُقَدِّمُوا الرَّجَالَ عِنْدَ تَعْبِئَةِ الْجَيْشِ ، لِيَسْتَنْدُوا إِلَى الْفُرْسَانِ . وَقَوْلُهُ : « وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَلِيلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ » أَرَادَ قِطْعَةً مِنَ الرَّجَالَةِ . وَمَعْنَى تُمْتَاخُ : تُقَدِّرُ وَتُهَيِّئُ . وَيُقَالُ : تَمَاتَخَ لَهُ كَذَا وَأَتَمَّتَهُ أَنَا ؛ رَجُلٌ مَتَمِّخٌ . وَمَوْضِعُهُ جَرٌّ عَلَى الصِّفَةِ لِرَجَلَةٍ . فَيَقُولُ : تَحْتَ صُدُورِ الدَّوَابِّ قِطْعَةٌ مِنَ الرَّجَالَةِ تُقَدِّرُ نِبَاهُهَا لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ ، أَيْ لَا يُشْعِرُهُمْ فَإِذَا نِبَاهُهُمْ تَعَمَّلَ هَذَا الْعَمَلُ . وَالْحَرَشَفُ ، الْأَصْلُ فِيهَا أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الْجِرَادِ ، ثُمَّ اسْتُعْمِرَ لِلْجَاعَةِ مِنَ الرَّجَالَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ ، وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

كَأَنَّهُمْ حَرَشَفُ مَبْشُوثٌ بِالْجَوْءِ إِذْ تَبْرُقُ النَّعَالُ

(١) فِي الْقَامُوسِ : « وَجَدَسٌ كَقَوْلِكَ : بَطْنٌ مِنَ اللَّحْمِ ، أَوْ هُوَ تَصْغِيرُ وَتَضْمِينُ النَّوَابِغِ وَالْمَوَابِغِ بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ »

وغيرَاتٌ : جمع غيرة ، وهي صفة ، يقال رجلٌ غِرٌّ وغريرٌ ، وجاريةٌ غيرةٌ وغريرةٌ ، ومصدره الغرارة .

٤- أَبِي لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّهُمْ بَنُوا نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالَهَا

هذا الكلام من صفة الكتاب . و « أن يعرفوا » في موضع المفعول لِأَبِي ، و فاعله قوله « أنهم بنون اتق » . وقوله « كانت » من صفة الناتق . يقول : منع لهم معرفة الضيم كثيرتهم وترادفهم . والناثق : المرأة الكثيرة الأولاد . وجعل العيال كناية عن الأولاد ، وهو جمع عيّل ، كجيد وحيّاد . يقال : عند فلان كذا عيالاً ، وهو معيّلٌ ومعيّلٌ^(١) : كثير العيال . والفعل من ناتقٍ نَتَقْتُ نَتَقًا .

٥- فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيِّئُهَا

الباء من قول « بحيث » تعلق بفعلٍ دلّ عليه أتينا ، كأنه قال : حصّلنا بحيث تلاقى طلحها وسيئها . وموضعه من الإعراب نصبٌ على الحال للمضمرين في أتينا . والسفحُ : أسفل الجبل ، ولاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل . والطلحُ والسّيالُ : شجران . فيقول : لما بلغنا أسفل الجبل من بطن هذا الوادي بحيث التقي هذان الجنسان من الشجر . وهذا إشارة منه إلى موضع العراك والقتال . وجوابٌ لما فيما بعده .

٦- دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمِينًا لِطَيِّبٍ كَأَسَدِ الشَّرِيِّ إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

انتمينا : انتسبنا ، أي قالوا يا نزار ، وقلنا نحن : يا لطيب ، مشابهن للأسود . وقوله « كأسد الشري » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : وكإقدام أسد الشري إقدامها ونزالها وجاز الحذف لأنه لا يلتبس

(١) كذا في الأصل . وفي م : « معيّلٌ ومتميّلٌ » ، وكلها صحيح .

وجه التشبيه بغيره . ومعنى « دَعَوْا الزَّارَ » : اننسبوا إلى زيار . وهذا الاعتزاء الذى أشار إليه قد يفعله الفارسُ عند الطعن والضرب أيضاً ، يقول الواحدُ منهم : خُذْهَا وَأَنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ ، وَأَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ .

٧ - فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ يَبْنِنَا لِسَائِلَةَ عَنَّا حَفِيَّ سَوَالِهَا

الإحفاء يكون في السُّؤال عن الشيء ، ويكون في طلب الشيء من الغير ، وهو المبالغةُ فيهما ، والذى بينه السَّيْفُ هو حُسْنُ بلاءِ أحدِ الفريقين وزيادتهُ فيما يُحَدُّ من الصَّبْرِ والثَّبَاتِ على صاحبه . وقد حَذَفَهُ من اللفظ لأنَّ المفاعيل تُحذف كثيراً إذا دَلَّ الدَّلِيلُ عليها . ومعنى قوله : « لِسَائِلَةَ عَنَّا حَفِيَّ سَوَالِهَا » أن الإحفاء في السُّؤال والاستقصاء في البحث ، مما يزداد معه بينات الأحوال ، وجليات الأمور . وجعل الحَفِيَّ للسُّؤال على المجاز والسَّعة . وفسَّرَ قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ : كَانَ الْمَعْنَى كَأَنَّكَ عَالِمٌ بِهَا ، لَمَّا كَانَ الْإِحْفَاءُ فِي الْمَسْأَلَةِ حَقِيقًا بِأَنْ يُؤدَّى إِلَى الْعِلْمِ بِالسُّئُولِ عَنْهُ . وَالسَّائِلَةُ بِمَجُوزٍ أَنْ يَرِيدَ بِهَا قَبِيلَةً ، وَبِمَجُوزٍ أَنْ يَرِيدَ بِهَا امْرَأَةً . وَجَعَلَ قَوْلَهُ « السَّيْفُ » كَمَايَةً عَنْ أَنْوَاعِ السَّلَاحِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّهُ أَعَادَ ذِكْرَ اسْتِعْمَالِ السَّيْفِ فِيهَا بَعْدَهُ ، لَمَّا فَصَّلَ أَحْوَالَهُمْ وَفَسَّرَ مَقَامَاتِهِمْ قَال : وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسَّيْفِ .

٨ - وَلَمَّا تَدَانُوا بِالرَّمَاكِ تَضَلَعَتْ صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا

يقول : ولما تقارَبْنَا باستعمال الرَّمَاكِ رَوَيْتِ الْقَنَا مِنْ دَمَائِهِمْ ، وَصَارَ النَّاهِلُ مِنْهَا عَالًا . وَالنَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلُّ : الشَّرْبُ الثَّانِي كَمَا تَمَّ عَاوِدُوا الطَّعْنَ وَكَرُّوا حَالًا بَعْدَ حَالٍ . وَالتَّضَلُّعُ ، حَقِيقَتُهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهَا لَهُ ضِلْعٌ ، وَعِنْدَ الْاِرْتِوَاعِ تَنْفِخُ الْأَضْلَاعِ ؛ وَاسْتِعْمَارُهُ هَاهُنَا . وَيُقَالُ : تَضَلَّعَ شَيْعًا ، وَتَحَبَّبَ رِيًّا . وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ الطَّعْنَ بِهَا . وَيُقَالُ عَلَّ إِيلَهُ يَعْلى وَيَعِلُّ ، فَعَلَّتْ

بِحِيٍّ. وَإِنْ شُدَّتْ عَلَى هَذَا رَوِيَتْ: «وَعَلَّتْ نِهَالَهَا»، وَإِنْ شُدَّتْ رَوِيَتْ: «وَعَلَّتْ».

٩- وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا وَسَلَّتْ إِلَيْهِ وَسِيْلَةً، أَيْ تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَقُرْبَةٍ. وَيُقَالُ تَوَسَّلْتُ أَيْضًا. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ﴾. وَيُقَالُ. عَصَيْتُ بِالسُّيْفِ^(١)، إِذَا ضَرَبْتَهُ، وَعَصَوْتُ بِالْعَصَا. وَجَعَلَ انْبِتَاتَ الْوَسَائِلِ وَانْقِطَاعَ الْأَوَاخِي عِنْدَ اسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ عِنْدَهُ، وَالْقِنَاعَ يَكْشِفُ مَعَهُ. وَلِهَذَا لَمَّا اسْتُوصِفَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ أَنْوَاعَ السَّلَاحِ قَالَ فِي السُّيْفِ: «عِنْدَهُ تَشْكَلُ الْأَمْهَاتُ». وَقَوْلُهُ: «كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا»، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ حِبَالَ تِلْكَ الْوَسَائِلِ كَانَتْ مَفْتُولَةً عَلَى الصُّلْحِ^(٢) فَتَقَطَّعَتْ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا صَارَ وَاتِرًا وَمَوْتُورًا، فَسَقَطَ الْمَلَامَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ.

١٠- فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرَّمَاكِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرَ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَائِلُهَا قَوْلُهُ: «وَأَطْرَافُ الرَّمَاكِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمِرِينَ فِي وَوَلَّوْا. وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لِأَنَّ الطَّنْفَنَ بِهَا يَقَعُ، وَإِنْ كَانَتْ الرَّمَاكِ بِأَسْرِهَا مَقْضُودَةً. يَقُولُ: انْهَزَمُوا وَأَسْنَةُ الرَّمَاكِ مَتَمَكِّنَةٌ مِنْهُمْ، وَمُقْتَدِرَةٌ عَلَيْهِمْ، طَوَائِلُهَا وَأَوْسَاطُهَا. وَالْمَرْبُوعُ وَالْمَرْتَبِعُ^(٣): مَا كَانَ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ، وَمِنْهُ رَجُلٌ رَبْعَةٌ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمِينَ إِذَا مَنَحُوا أَكْتَفَاهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ أَتْرَمَ وَيَقْصِدُ النَّكَايَةَ فِيهِمْ، فَتَأْتِيهِمُ الْأَسْلِحَةُ عَلَى اخْتِلَافِهَا مُتَقَارِبًا. وَارْتَفَعَ «مَرْبُوعَاتُهَا» عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْأَطْرَافِ. وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَصْدَ بِهَا إِلَى جَمِيعِهَا، لَا إِلَى بَعْضِهَا.

(١) كَذَا جَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظُ فِي الْأَصْلِ وَم. وَيُقَالُ أَيْضًا: عَصَاهُ يَعْصُوهُ، وَعَصَاهُ يَعْصَاهُ.

(٢) كَذَا فِي م. مَعَ أَثَرِ تَصْحِيحٍ مِنَ النَّاسِخِ. وَفِي الْأَصْلِ: «الصَّلَاحُ».

(٣) الْمَرْتَبِعُ، بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِهَا، كَمَا فِي اللِّسَانِ (رَبْعٌ ٤٦٣)، وَجَاءَتْ اللَّفْظُ الْأُولَى

فِي م. وَالْأَخِيرَةُ فِي الْأَصْلِ.

٣٤

قال عمرو بن معديكرب^(١) :

١ - ليسَ الجمالُ بمزِرٍ فاعلمْ وإن رُدَّيتَ بُردًا

قوله « فاعلم » اعتراضٌ تأكِّد به الكلام ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فلا أقسمُ بمواقعِ النُّجوم . وإنَّهُ لقسَمٌ لو تعلمونَ عَظيمٌ . إنَّهُ لقرآنٌ كريمٌ ﴾ ؛ لأنَّ قوله « وإن رُدَّيتَ » متعلِّق بما قبله تعلُّقٌ جواب القسم بالقسم . يقول : ليس جمالُ المرءِ فيما يلبسه من الثياب وإن استسرى الملابس واختار أرضاها وأكملها . وكانوا يأتزون ببردٍ ويرتدون بأخر ، ويسميان حُلَّةً ، وباجتماعهما كان يكمل اللبوس ، حتى كانت خِلعة ملوكم لا تغدوهما . ولذلك سُمِّيَ من مُمِّيَ ذا البردَيْنِ . قال :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذى البردَيْنِ والفرسِ الوردِ^(٢)

وقوله : « وإن رُدَّيتَ بُردًا » في موضع الحال ، كأنه قال : ليس جمالُكَ بمزِرٍ مُردَّى معهُ بُردًا . والحال قد يكون فيه معنى الشرط ، كما أن الشرط يكون فيه معنى الحال . فالأوَّلُ كقولك : لاقفلنَّه كأننا ما كان ، أى إن كان هذا وإن كان هذا . والثانى كبيت الكتاب :

* عاوِدْ هِراةَ وإن مَعْمورُها خَرِبًا^(٣) *

لأنَّ الواو منه في موضع الحال ، كما هو في بيت عمرو ، وفيه لفظ الشرط ومعناه ، وما قبله نائبٌ عن الجواب . والمعنى : إن خَرِبَ مَعْمور هِراةَ فعاوِدْها . وكذلك بيت عمرو ، تقديره : إن رُدَّيتَ بُردًا على مَزِرٍ فليس الجمالُ ذلك .

(١) سبقت ترجمته في المقطوعة ٢٩ .

(٢) البيت لحاتم الطائي . وابنة عبد الله هي ماوية بنت عبد الله زوج حاتم . وذو البردين =

حامر بن أحيسر بن بهدلة . انظر حواشي البيان (٣ : ٣٠٩ - ٣١٠) .

(٣) كتاب سيبويه (١ : ٤٥٧) .

٢ - إِنْ الْجَمَالَ مَعَادِينُ وَمَنَاقِبُ أَوْزَمْنِ نَحْجِدَا

أراد أن جمال المرء في أصوله الزكوية ، وأفعال له كريمة تورث المجد والشرف . والمَعْدِينُ ، هو من عَدَنَ بِالْمَكَانِ عَدَنًا وَعُدُونًا ، إِذَا أَقَامَ . وكذلك عَدَنَتِ الْإِبِلُ فِي الْخَفْضِ ، وَقِيلَ الْمَعْدِينُ اشْتِقَاقُهُ مِنْ عَدَنَتُ الْحَجَرِ ، إِذَا قَلَعْتَهُ . وَإِذَا جَمَعَ الرَّجُلُ بَيْنَ الشَّرَفِ لِلْمُوروثِ وَالْمُسْتَحْدَثِ الْمَكْسُوبِ فَهُوَ النَّهْيَةُ . وَمَنَاقِبُ الْإِنْسَانِ : مَا عُرِفَ فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْجَمِيلَةِ ، وَالطَّرَائِقِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ مَنْقَبَةٌ . وَالنَّقِبُ كَأَنَّهُ مِنْهُ . قَالَ الدُّرَيْدِيُّ : يَقَالُ نَقَبٌ بَيْنَ النَّقَابَةِ بِالْفَتْحِ ، مِثْلَ كَفَيْلٍ بَيْنَ الْكِفَالَةِ . فَأَمَّا التَّعْرِيفُ فَمَصْدَرُهُ الْعِرَافَةُ بِالْكَسْرِ : وَالْمَجْدُ : الشَّرَفُ وَالرَّفْعَةُ ، وَسُمِّيَتِ الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ مَجْدًا وَنَجْدًا بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ الْكَثْرَةُ ، يَقَالُ أُجِدْتُ الدَّابَّةَ عَلَفًا ، أَيْ وَسَعْتُهُ لَهَا .

٣ - أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ مَاءً بَغَةً وَعَاءً عِلْنَدَى

أَعَدَدْتُ وَاعْتَدَدْتُ وَاحِدًا ، وَالْأَسْمُ الْعُدَّةُ وَالْعَتَادُ . يَقُولُ : هَيَّأْتُ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، أَيْ لِدَفْعِهَا دِرْعًا وَاسِعَةً وَفَرَسًا ضَخْمًا جَيِّدَ الْعَدْوِ كَثِيرَهُ . وَالْعِلْنَدَى : أَلْفُهُ لِلْإِلْحَاقِ ، كَسَفَرِ جَلِّ . وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ ثَلَاثِيٌّ ، وَالنُّونُ وَالْأَلْفُ زَائِدَتَانِ ، فَهُوَ مِنَ الْعَلْدِ . قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالِدَلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَلْفَ لِلْإِلْحَاقِ أَنْتَ تَقُولُ لَهُ تُؤْنِثُ عِلْنَدَاً ، وَأَنْتَ تَنْوِّنُ فَتَقُولُ عِلْنَدَى . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعِلْنَدَى : الضَّخْمُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَلِيلِ جَمِيعًا ، وَجَمْعُهُ عِلَانِدٌ وَإِنْ شِئْتَ عِلَادٍ ، كَمَا قَالُوا فِي حَبْنَطَى حَبَانِطٌ وَحَبَابِطٍ . وَفَرَسٌ عَدَاً وَعَدَاوَانٌ ، إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْعَدْوِ .

٤ - نَهْدًا وَذَا شُطْبِ يَهُدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدَاً

نَهْدًا ، أَيْ فَرَسًا غَلِيظًا . وَالنُّهُودُ فِي النَّدَى : بَيَانُ حُجْمِهِ وَنُتُوهُ مِنْ هَذَا

وَسَيِّفًا ذَا شَطْبٍ : ذَا طَرَائِقَ ، يَقَطَعُ الْبَيْضَ وَالذَّرُوعَ قَطْعًا . وَالْقَدَّ : الْقَطْعُ طَوِيلًا ، وَالْقَطُّ : الْقَطْعُ عَرْضًا . وَالْبَدَنُ مِنَ الدَّرْعِ : قَدْرًا مَا يَسْتُرُ الْبَدَنَ . وَيُقَالُ سَيْفٌ مُشَطَّبٌ : فِيهِ شُطُوبٌ وَطَرَائِقُ .

٥ - وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مَنَازِلُ كَغَبَا وَنَهْدَا

قوله : « يَوْمَ ذَاكَ » يجوز أن يُشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرٍ قَدْ عَلِمَهُ السَّامِعُونَ ، وَهُوَ الْحَرْبُ ، لِأَنَّ النَّزَالَ يَكُونُ فِيهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى السَّلَاحِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ . وَيَوْمُ السَّلَاحِ : يَوْمُ الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى الْخَدَّائِنِ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ « أَعَدَدْتُ لِلْخَدَّائِنِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلِمْتُ أَنَّ مَنَازِلَ هَؤُلَاءِ فَأَعَدَدْتُ لَهُمْ هَذَا السَّلَاحَ ، لَعَلِّي بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَالْحَازِمُ بِتَهْيِئَةٍ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَعَلْتُ ذَلِكَ بِحِزَامَتِي ^(١) ، وَعَلَى بِنِوَارِ الْأُمُورِ وَمِصَادِرِهَا .

٦ - قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَتَنَمَرُوا حَلَقًا وَقِدَا

انتصب حَلَقًا عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَيُرِيدُ بِهِ الذَّرُوعَ الَّتِي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ . وَالْقِدَا ، أَرَادَ بِهِ الْيَلْبَ ، وَهُوَ شِبْهُ دِرْعٍ كَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْقَدِّ . وَيُرْوَى : « حَلَقًا وَقِدَا » وَيَكُونُ انْتِصَابُ حَلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، أَيْ تَشَبَّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَخِلَقِهِمْ . وَدَلَّ عَلَى النِّحَاقِ قَوْلُهُ قَدَا . وَمَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنَّهُمْ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ الدَّرُوعَ وَالْيَلْبَ تَشَبَّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِتَنَمَّرُوا تَلَوَّنُوا بِالْوَانِ النَّمْرِ ، لِطُولِ ثَبَاتِهِمْ وَمَلَازِمَتِهِمُ الْحَدِيدَ ، وَحِينَئِذٍ يَمِصُّ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ حَلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ . وَاللَّغْنَى الْأُولَى أَجُودٌ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ دَخَلَ قَوْلُهُ : « وَقِدَا » بِالْمَطْفِ عَلَى حَلَقًا فِي أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْحَدِيدِ

«وليس منه؟ قيل: لما كان يُفنى غنَاءَ دِرْعِ الحَديدِ، جاز أن يصحبه في أن يكون بدلاً. وقوله «إِذَا لَبِسُوا الحَديدَ» ظَرَفٌ لِنَمَرُوا.

٧ - كلُّ امرئٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الهَيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّ

هذا كما قيل في اللَّثَلِ: «قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمَلُّ السُّكْمَانُ^(١)»، فيقول: كلُّ رَجُلٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الحَرْبِ بِمَا أَعَدَّهُ وَاسْتَعَدَّهُ. والضمير من صلة «ما» محذوفٌ استظالةً للاسم. ويجوز أن يكون استعدَّ فعلاً ليوم الهياج لا لكلِّ امرئٍ، ويكون معناه بما كَفَّ يَوْمُ الهَيَاجِ أَنْ يُعَدَّ لَهُ. يقال: استعدتَه كذا، أى سألتَه أَنْ يُعَدَّ.

٨ - لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءً نَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْرَاءِ شَدًّا

الأمعز والمعرءاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة، والجميع المعز والأماعز والمعرءاءات. والأصل في المعز الصلابة. ويقال رجل ماعزٌ ومعرزٌ. ويروى: «يَفْحَصْنَ»، ومعناه يؤثرن لشدة العدو في المعرءاء، حتى يصير به لآثارهن كالأفاحيص. ويقال: استضحك فلانٌ حتى فحَصَ برجليه. وقيل على التوشع: فحَصْتُ عن الأمر. وينتصب «شداً» على أن يكون مفعولاً له، كأنه قال: يَفْحَصْنَ بِالْمَعْرَاءِ لَشِدِّهِنَّ ويجوز أن يكون شداً مصدرًا في موضع الحال، أى يفعلن ذلك بالمعرءاء شادَاتٍ. ويروى: «يَمْحَصْنَ»، والمحص: العدو الشديد، وينتصب شداً على أنه مصدرٌ من غير لفظه، كأنه قال يشدُن شداً ويمحصن محصاً. وجواب لَمَّا قوله «نازلت»، وسيجيء من بعده. وإِنَّمَا تَحَمَلَتِ النِّسَاءُ مَا ذَكَرَ إِشْفَاقًا مِنَ الغَارَةِ وَالسَّبَاءِ.

(١) انظر ما سبق في ص ٧٦.

٩ - وَبَدَتْ لَمِيسُ كَانَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى (١)

قوله: « كَانَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ » في موضع الحال للمرأة، أي بَدَتْ مُشَبَّهَةً
 البدر، وقوله: « إِذَا تَبَدَّى » ظَرَفٌ لما دَلَّ عليه كَانٌ من معنى الفِعلِ .
 يقول: وبرزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها سافرةً، كَانَهَا قد أرسلت نِقابها .
 ودلَّ على هذا بقوله: « كَانَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى ». وإنما فَعَلَتْ كذلك
 لأحد وجهين: إمَّا للتشبيه بالإماء حتى تأمنَ السَّيِّءَ، أو لما تَدَاخَلَهَا من
 الرُّعبِ . وفي طريقته:

وَسَوَّوْكُمْ فِي الرَّوْعِ بِأِدِّ وُجُوْهَهَا يُخَلْنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ (٢)

١٠ - نَازَلَتْ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ نِزَالِ الْكَبْشِ بُدًّا

لا بُدَّ يستعمل استعمالاً لا محالة، وتحقيقه لا تحييد ولا مفديل . ومنه قولهم:
 استبدَّ فلانُ بالأمر، أي انفردَ به . والبَدْدُ والتَّبَدُّدُ: مَصْدَرُ الأَبْدِ . وهذا
 جواب قوله: « لما رأيتُ نساءً نأيفَحَصْنَ » . وكَبَشُ الكَتِيبَةِ: رئيسها (٣) .
 فيقول: لما رأيتُ الأمرَ على ما ذكرْتُ أنْفَتُ وقصدتُ رئيسَ الأعداءِ وملاقاته .
 ولم أجد من ذلك بُدًّا . وإنما قال: « نَازَلَتْ كَبَشَهُمْ » لِيُرَى أَنَّهُ ممن تدعوهُ
 نفسه إلى مجاهدةِ الرؤساءِ والتعرُّضِ لهم في الحرب، وأنه ممن لا يرضى عن
 المبارزةِ بالنزولِ الأدنى . والرئيسُ متى كان واثقاً بنفسه طلبَ أمثاله،
 واستغنى من مبارزةِ مَنْ لا يُؤَبِّهَ له، وتفادى منها، إلَّا عندَ الضرورة .

(١) روى التبريزي بعد هذا بيتاً لم يروه المرزوقي، وهو:

وَبَدَتْ حَمَارِيْنُهَا أَلْقَى تَخْنَى وَكَانَ الأَمْرُ جَدًّا

(٢) البيت لسبرة بن عمرو الفقي . وهو من أبيات الحماسة .

(٣) ابن جنى: « أعاد لفظ الكبش دون ضميره لأنه موضع تفخيم وتعظيم، وكان إعادة

لفظ المعظم أوكد وأفخم » .

١١ - هُمْ يَنْذِرُونَ دَبِيَّ وَأَزْدَ ذُرٍّ إِنْ لَقِيتُ بَانَ أَشَدًّا

يقول : هم يقولون لله علينا سَفَكُ دَمِ عمرو ، وأنا أقول لله على أن أحمل عليهم وأبذل نفسي لهم ، ثقةً بكفائتي واستهانته بنذرهم . ويقالُ في الخملة : شددنا عليهم شدةً صادقةً ، وشدة غير كاذبة ، إذا أرادوا المبالغة .

١٢ - كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتَهُ يَيْدِيَّ لَحْدًا

بَوَّأْتَهُ مَبْوَأً صِدْقٍ : أنزلته . والمبءة : المنزل . وإنما فرغ من التبجج بالشجاعة ثم ذكر صبره على البلاد ، وتوطين نفسه على اللأواء ، فيقول : كم من أخ موثوق به فُجِعتُ بموته ، وأحوجتُ إلى تولى دفينه ، ومباشرة تجهيزه . وهذا إذا ابتلى به المرء كان أعظمَ لجزعه ، وأنكى في قلبه .

١٣ - مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَمْتُ وَلَا يَرُدُّ بُكَائِي زَنْدًا^(١)

الهِلَعُ : أفحشُ الجزع ، لأنه جَزَعٌ مع قلة صبر . وقد فسره التنزيل في قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ . لأن المعنى أن الإنسان لا يبصر على ضمير ، ولا على خير ، فكأنه قال : ما حزنت عليه حزنًا هيئًا قريبًا ، ولا فظيماً شديداً . وهذا نَفْيٌ لِلْحُزْنِ رَأْسًا ، فهو كقولك : ما رأيت صغيرهم ولا كبيرهم . وقد أعطى الترتيب حقه لأنه ارتقى فيه من الأذون إلى الأعلى ، إذ كان قوله « ما إن جَزَعْتُ » وإن كان مستصلاً لجميع أنواعه مُفِيداً للأذون ، وقد جاء بعده « وَلَا هَلِمْتُ » ، وقوله : « وَلَا يَرُدُّ بُكَائِي زَنْدًا » ، وكان بعض الناس

(١) أشار التبريزي إلى رواية ابن دريد :

ما إن جَزَعْتُ وَلَا هَلِمْتُ وَلَا لَطَمْتُ عَلَيْهِ خَدًا

برويه: « ولا يرُدُّ بكاي زَيْدًا » ، وزعمَ أنه أخ له . ورأيت من زعمَ أنه
فَنَشَّ عن نَسَبِ عمرو فلم يجد له نَسَبًا^(١) ولا شقيقًا يسمي زيدا . على أن قوله
« كم من أخ لي صالح » لا يلائمه - فيما يتضيه سياقُ اللفظ ونظام المعنى ، ومع
إفادته الكثرة - أن يُقابل بولا يرُدُّ بكاي أخى زيدا مع تخصُّصه . فأما من
روى « زَنَدًا » فبعضُ الشيوخ كان يقول : أراد ولا يرُدُّ بكاي شَرَرَةً ،
فذكر الزَّنَدُ وأراد ما يخرج منه عند القَدْح . وأحسنُ من هذا أن يكون ذكر
الزَّنَدِ تقليلاً لمائدة الحُزْنِ لو تكلفه عندما دَهَمَه من الفجِيعَةِ بالأخ المذكور .
وهم يستعملون الزَّنَدَ في هذا المعنى ، كما يستعملون النُوفَ والنَّقِيرَ والقَطِيرَ والنتيل .
وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قللوا مالَ الرجل : « زَنَدَانِ في مُرَقَّةٍ^(٢) » .
وهذا المعنى حسنٌ ، والشاهدُ له قوئٌ . ورأيت في بعض النسخ : « ولا يرُدُّ
بكاي رَدًّا » ، وهذا حسنٌ أيضاً ، ويكون المعنى : ولا يرُدُّ بكائي مردوداً .
والمعنى : ولا يُفنى بكائي شيئاً . وفي كلام الناس : هذا الأمرُ أَرَدُّ عليك ،
أى أضعُ وأجدي . وإنما عَقَّبَ نَفَى الجَزَعِ بهذا الكلام تنبيهاً على أن صبره
عن تأدبٍ وتبصُّرٍ ومعرفةٍ بالعواقب ، وحُسنِ تأملٍ .

١٤ - أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَلِقْتُ يَوْمَ خَلِقْتُ جَلْدًا

يقول : توليت تكفينه وتجهزه بنفسى ، وخلقْتُ صبوراً حين خلقتُ .
وهذا يريدُ به أنه جمع إلى الجَلَادَةِ المكتسبة جَلَادَةَ الخَلْقَةِ والطبيعة .

١٥ - أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ عَدُوَّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَاً

قول « الذاهبين » يجوز أن يريدَ بهم من انقرضَ من عشيرته وذويه ،
ويكون المعنى أنه المعتمدُ عليه بعدم ، ويجوز أن يريدَ بهم المتغيبين عن

(١) في الأصل « نسباً » صوابه في م .

(٢) المرقة : كناية أو خريطة قد رقت . أمثال الميداني .

المشاهد والمعارك . وقوله « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا » يجوز أن يكون المعنى : يقال في للأعداء : خذوا فلاناً فإنه يُعَدُّ بكذا وكذا من الفرسان . ويقال إن عمرا كان يمدُّ بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أهياً للأعداء مَعْدُودًا ، فيكون عَدًّا انتصابه على الحال ، وموضوعاً موضع العدود ، وأَعَدُّ مستقبل أُعِدَّتْ ، أى هَيَّئْت . وفي الأول يكون مَصَدَّرًا لأَعَدُّ . والواحد لا يصح عَدُّه ولكن كأنه يقال فيه : إنه يقوم مقام كذا وكذا من العَدَد . ويروى « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بفتح الهمة ، ويحتمل وجهين من المعنى : أن يقول أَعَدُّ لهم وقعاتي وأيامي عند الفاخرة والمنافرة عَدًّا ؛ وهذا معنى حَسَنٌ . والآخر أن يكون المعنى : أَعَدُّ لهم كل ما يحتاج إليه من عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ، وهذا يؤذِنُ بأنه يدبرُ أَسْرَ الحرب ؛ وَيُرْجِعُ إليه في أسبابها والجمع لها وهذا يرجع معناه إلى معنى مَنْ يَرَوِي « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بضم الهمة وكسر العين . وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عَدًّا مفعولاً به ، والمعنى : أَعَدُّ لها معدوداتها .

١٦ - ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

يقول : فُجِئْتُ بِأَحْبَابِي وَبَقِيَتْ مَنْفَرِدًا بِالسِّيَادَةِ ، فَأَنَا كَالسَّيْفِ لَا يُنْجِعُ اثْنَانِ مِنْهُ فِي غِمْدٍ . ويجوز أن يكون : بقيت لِنَفَازِي فِي الْأُمُورِ وَمِضَائِي كَالسَّيْفِ . وفردًا ينتصب على الحال ، أى منفردًا .

٣٥

وقال عمرو أيضًا :

١ - وَاقْدَرْتُ أَتَجَمُّ رِجْلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّورٌ^(١)

هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقدامه حذرًا وحزامة، وإلى جرأته وتموؤره

(١) هذه المقطوعة رويها في الأصل مقيد بالسكون ، وهي في م مطلقه الروى بالغم . وقال النهر يزي : « من الرمل الأول إذا أطلقت ، ومن الثاني إذا قيدت ، مردف في الضربين جميعاً ، والقافية من المتواتر إذا أطلقت ، ومن المترادف إذا قيدت » .

رِفْقًا وَأَصَالَةً ، ثم يكونُ عارِفًا بوقتِ كلِّ منها ، وبالحالَةِ الموجِبَةِ لاختيارِهِ بَعْضَهَا . وَأَجْمَعُ رِجْلِيَّ ، أَي أَسْتَحِثُّ فَرَسِي . وهو من فصيحِ الكلام ، ومن العبارة التي تصوِّرُ المعنى . ومن لفظِهِ وبأبهِ قولُهُمْ : جَمَعْتُ يَدِي عَلَى كَذَا (١) ، ورفَعْتُ يَدِي عن كَذَا . وحَذَرَ الموت ، انتصب على أَنَّهُ مفعولٌ له ، والضميرُ من قولِهِ : « بها » للفرس . والمعنى : أَرَكُضُهَا وأَسْتَدِرُّ جريها ، ذهابًا في الفِرار ، واحترازًا من الموت إذا كان الوقتُ وقتَهُ ، وإني لكثيرُ الحربِ إذا كان المهربُ أغنى ، وإلى سراعةِ العدوِّ أَدْعَى .

٢ - وَلَقَدْ أَعْطِفَهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ

يقول : كما أهرَبُ وقتَ المهربِ فإني أعطِفُ وقتَ العطفِ ؛ لأنَّ الكَرَّ والفرَّ من شأنِي ، والإقدامَ والإحجامَ عادتي ودأبي . وأشار بقوله : « حينَ للنفسِ من الموتِ هَرِيرٌ » إلى شدةِ الأمرِ وتفاقمِ الخطبِ . أَي أعطِفُ الفرسِ وهي كارهةٌ في الوقتِ الذي تهرُّ النفسُ وتضجُ من شِدَّةِ البلوى . والهريرُ ، قيل هو دون الفباح .

٣ - كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرَّوْعِ جَدِيرٌ

« ما » زائدةٌ . وأشار بقوله : « ذلك » إلى ما قدَّمَهُ من الكَرِّ والفرِّ . أَي كُلُّ مَا وَصَفْتُ عَادَةً مِنِّي وطبيعةً ، وبفعلِ كُلِّه أنا خَلِيقٌ في الرَّوْعِ . ويقال : هو جَدِيرٌ بكذا ، وجديرٌ لكذا ، وجديرٌ أن يقال كذا ، ولقد جَدُرَ جَدَارَةً ، وأجدِرُ به أن يفعله . قال :

(١) في الأصل : « على يدي » ، وأثبتنا ما في م .

* جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَعْلُوا (١) *

ع - وابن صُبَيْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَالَهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ مُجِيرٌ

قال الدردي : يقال أُنِي فلانٌ أسره سادراً ، إذا جاءه من غير جهته .
يقول : وهذا الرجلُ مع ما ذكرتُ من قصتي في الحرب يتهدّدني ساهياً
لاهيّاً ، وماله عاصمٌ مني في الناس ما عشتُ . وموضعُ « ما عشتُ »
خطرفٌ ، بيانه أن ما مع الفعل في تقدير المصدر ، واسم الزمان محذوف معه ،
كأنه قال : مدّة عيشي .

٣٦

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيِّ (٢) :

طَعَنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرٍ لَهَا نَفَذَ لَوْلَا السَّمَاعُ أَضَاءَهَا (٣)

الشَّعْ وَالشَّعَاعُ : للمتفرّق . ومنه شَعَّ الغارَةُ ، وتطايَرَ القومُ شَعَاعًا . يقول :
طَعَنَتْ هَذَا الرَّجُلَ طَعْنَةً طَالِبٍ بِالدَّمِ فَاتِكِ (٤) لَا بُقْيَا مَعَهَا ، وَلَا تَقْصِيرَ

(١) لزهير في ديوانه ١٠٣ . وصدوره :

* بخيل عليها جنة عبقرية *

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو الأوسي ، شاعر فارس ؛ كان له في وقعة
ببغداد التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة ، كان بينه وبين حسان بن
ثابت منافسة : كان حسان يذكر ليلي بنت الخطيم أخت قيس في شعره ، وكان قيس يذكر
جمرة امرأة حسان في شعره . وذكره بعض المؤرخين في الصحابة خطأ ، فقد ذكر أصحاب
المغازي أنه قدم مكة فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وتلا عليه القرآن فقال : إني
الأسمع كلاماً عجيباً فدعني أنظر في أمرى في هذه السنة ثم أعود إليك . فات قبل الحول . انظر
الإصابة ، والخزانة (٣ : ١٦٨ - ١٦٩) والأغانى (٢ : ١٥٤ - ١٥٩) ومعاهد
التنخيص (١ : ٦٧) .

(٣) روى التبريزي هذه المقطوعة تسعة أبيات ، إذ روى بين البيتين الخامس والسادس
بيتين آخرين سنّبه عليهما فيما سيأتي .

(٤) م : « قاتل » .

في اللبافة فيها، لها نَفَذٌ، أي خَرَقٌ، لولا انتشار الدَّم لأضاءها. وأضاءها جواب لَوَلَا، والمبتدأ وهو «الشَّعَاعُ» خبره محذوف، كأنه قال: لولا الشَّعَاعُ مانِعٌ لأضاءها النَّفَذُ. ومن رَوَى «الشَّعَاعُ» بضمّ الشين، فإنه يُريدُ به نُورَ الشَّمْسِ. والأول أجودُ وأشهر. ويقال: أشعتِ الشَّمْسُ، إذا امتدَّتْ نُورُها وانتشر.

٢- مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَمَّهَا يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يُروى: «يُرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَن وَرَاءَهَا» و«مَا وَرَاءَهَا»، ويُرَوَى: «يُرَى قَائِمًا» أيضًا. ويقال: مَلَكْتُ التَّجِينِ وَأَمْلَكْتُهُ، إذا بَالَعْتَ فِي عَجْنِهِ وَشَدَدْتَ. وكان الأَصْمَى يَمْتَنِعُ مِنْ أَمْلَكْتُ، فيكون المعنى شَدَدْتُ بِهَذِهِ الطَّعْنَةَ كَفِّي وَوَسَّعْتُ خَرَقَهَا حَتَّى يَرَى الْقَائِمُ مِنْ دُونِهَا الشَّيْءَ الَّذِي وَرَاءَهَا. وهذا التفسير في مَلَكْتُ تفسير القداماء. ويجوز أن يكون معنى «مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي» أي تَمَكَّنْتُ مِنْ فِعْلِهَا، فَأَطَقْتُ تَصْرِيفَ كَفِّي فِي إِبْقَاعِهَا عَلَى سِرَادِي. وهذا كما يقول^(١): أَنَا أَمْلِكُ هَذَا الْأَمْرَ، إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ. وكأنه أشار بهذا الكلام إلى أن الطعنة لم تكن على دَهَشٍ واختلاس، ولكن عن تَمَكُّنٍ واقتدار. ويروى: «يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَن وَرَاءَهَا» و«مَا وَرَاءَهَا» ومن روى «مَن وَرَاءَهَا» فالمعنى يُرَى مَن وَرَاءَهَا إِذَا كَانَ قَائِمًا مِنْ دُونِهَا. ووراء ههنا بمعنى خَلْفَ، وإن كان يقع على الخَلْفِ والقُدَّامِ جميعًا. وَمِنْ دُونِهَا، أي مِنْ قُدَّامِهَا. وبيت الأعشى على هذا، وهو قوله:

* تَرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ^(٢)

أي تريك الخمر في الزجاجة القدي من قدامها، وهي قدام القدي؛

(١) في النسختين: «تقول».

(٢) عجزه كما في ديوان الأعشى ١٤٧:

* إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقِهَا يَتَمَطَّقُ *

يجوز أن ينتصب نعمة على الحال ويكون مفعول أدّى محذوفاً كأنه قال :
فأداها نعمةً ويداً يستحق عليها شكراً ، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول
أدى ، ويكون المعنى : ساعدتني في هذه الطعنة زهير بن عمرو ، فأدى صنيعه
كانت لي عنده بمساعدته ، واتخذها مَنماً لنفسه أيضاً . ويجوز أن يكون
أفادها من النية : الغنيمة ، وهذا قول أبي عبيدة . ويجوز أن يكون أفادها
من النية : الرجوع ، أى أداها ورجعها إلى مُضْطَنِعِها ، لأن الأيدى قروضٌ
في الصالحين .

٥- وكنتُ أمرًا لا أسمعُ الدهرَ سبَّةً أُسبُّها إلا كَشَفْتُ غِطَاءَها^(١)

يُرْوَى « لا أسمعُ » و « لا أسمعُ » . ومن الغطاء قيل غَطَا الليلُ ، وغطا
عليهم الشرُّ وغيره . يقول : كنت رجلاً لا أُعِيرُ شيئاً طول الدهر إلا بيئتُ
للناس براءةً ساحتى منه . وحقيقته « كَشَفْتُ غِطَاءَها » أى لم أتْرِكْ الشُّبَّةَ
ملتبسةً على سامعِها ، فكان يتردد بين تصديقها وتكذيبها ، بل أبنتُ أمرها^(٢)
وأظهرت وجهها ، حتى بان للناس اختلاقُ السابِّ بها ، وكذابه فيها . والشُّبَّةُ ،
كالنَمَّةِ والنُصَّةِ وما أشبهها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى : إذا رُميت بعيبٍ
كان حقاً علىَّ نَحْوُهُ عن نفسى ، بما استأنفته من سَعْيِ . والأول أحسن .

٦- متى باتِ هذا الموتُ لا تَبْقَ حاجةٌ لِنَفْسِي ، إلا قد قَضَيْتُ قِضَاءَها^(٣)

(١) روى التبريزى بعده هذا البيت :
فإنى فى الحرب الضروس موكلاً
وقال فى تفسيره : « الضروس : الشديدة ، من ضرس البئر ، وهو طيها بالحجارة .
ويروى : العوان ، وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة » . ثم روى بعد هذا البيت الزائد ، البيت
رقم ٧ لرواية « إذا ما اصطبحت أربعاً » .
(٢) م : « بأن أبنت أمرها » .
(٣) روى هذا البيت عند التبريزى مؤخرأ عن تاليه ، ثم روى بعدها :

يُرْوَى « لا يُلْفِ حَاجَةٌ » على أن يكون الفعل للموت، و « لا تُلْفَ حَاجَةٌ » على ما لم يسم فاعله، أى لا توجد. يقول: أجتهد في إدراك الآثار^(١)، وطلب الأوتار، قبل دَوِّ الأجل، فمتى جاء الموت لا يجد حاجة تتعلّق نفسها بها قبل إلاّ وهى مقضية. ومعنى « قَضَيْتُ قَضَاءَهَا » أى فرغْتُ منها كقضائى لأمثالها. وقوله « هذا الموت » يجوز أن يكون تصوُّره [حاضراً^(٢)] لمعرفته بإدراكه لا محالة، وأشار إليه. ويجوز أن يكون لدوام استمقاله وتحدّثه بجميئه، وكونه من همه، أشار إليه على جهة التقريب له.

٧- إذا ما شربْتُ أَرْبَعًا خَطًّا مِثْرِي وَأَتَبَعْتُ دُلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا^(٣)

يقول: إذا شربْتُ أربعة أكويس جررتُ مِثْرِي، فأثّر في الأرض خَيْلًا وكِبْرًا، وتمتُّ ما بَقِيَ على من السَّمَاحِ في حال الصَّخْوِ، كأنَّ معظّمهُ فعَلَهُ صاحِبًا، والباقي منه تَمَمَهُ في حال الشُّكْرِ. وهذا الكلام يجرى بجرى المثل للمعنى الذى بَيَّنْتُ. حَكَى الأصمعيُّ أنهم يقولون: « أَتَبِعَ الفَرَسَ لِحَامَهَا »، و« أَتَبِعَ الدَّلْوَ رِشَاءَهَا »، أى تَمَّ ما بَقِيَ عليك من أمرِك. وكأنه يُضْرَبُ لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقيير. وهذا أجود من قول عنتره العبسى، وإن

نأرتُ عَرِيًّا والخطيمَ فلم اصبحْ ولايةَ أشياخٍ جِئِمِلتُ إزاءها وقال في تفسيره: « نأرته: طلبت بئاره نأراً. والنأر: المصدر. والنأر: المطلوب بالدم، سمى بالمصدر. يقال فلان النأر المتيم، أى هو الذى إذا قتل أنام طالب الدم عن الطلب. والمنثور به: المقتول. والنؤرة: المصدر على فعالة. قول الشاعر: طلبت به نأرى وأدركت نؤرقى بنى عامر هل كنت فى نؤرقى نكسا وقوله: جعلت إزاءها، جعلونى أقوم بها. من قولك: فلان إزاء مال، إذا كان يقوم بإصلاحه ».

(١) آثار مقلوب آثار، جمع نأر. كما فى اللسان.

(٢) التكلّة من م.

(٣) التبريزى: « إذا ما اصطبحت أربعا » كما سبق التنبيه.

كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كَثُوم ، وقول عنترة :
 وَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمَتْ شِمَالِي وَتَكَرَّيْتُ
 وبیت عمرو :

مُسْفَسَمَةٌ كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءَ خَالَطَهَا سَخِينًا
 لأن هذا قال : إنا نسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة . وما قاله عنترة في بيتين
 أشار إليه قيسٌ في مِضْرَاع . وكان ابن الأعرابي يذهب في قوله « سخينا » إلى
 أنه يقال ماء مُسَخَّنٌ وَسَخِينٌ ، وإن كان فعيلٌ في معنى مُفْعَلٌ قليلا . وانتصب
 عنده على أنه حال للماء . ويكون المراد على طريقته : كأن الحُصَّ فيها إذا مُزِجَ
 بماء سخين . وهذا لَهْرَبِهِ مِمَّا اسْتَفْبَحَهُ النَّاسُ . وهو حَسَنٌ ، لكنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ
 يَكُونَ بِلَادِهِمْ صُرُودًا^(١) .

٣٧

الحَارِثُ بْنُ هِشَامِ الْمَخْزُومِيِّ^(٢) :

وهو أخو أبي جهلٍ لعنة الله . وكان هرب يوم بدرٍ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى
 النَّصْرَ عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١ - اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرِ مُزَيْدٍ

(١) الصرود : البلاد الباردة ، يقابله الجروم ، وهي البلاد الحارة .
 (٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، كان شريفاً ، مذكوراً ،
 شهد بدرًا مع المشركين وكان فيمن انهزم ، فعيره حسان بقوله :
 إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
 ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وبلعام
 فأجابه الحارث بهذه الحاسية ، ثم شهد أحداً مشركاً أيضاً ، ثم أسلم يوم فتح مكة ،
 واستشهد يوم اليرموك . الإصابة ١٥٠٠ والسيرة في غير ما موضع .

أخذ يستشهد برّبه ، ويتنصل من هربه ، بأنه لم يأتِه إلا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثبت ، وإلا بعد أن ضُرِّجَ بالدم الشامل له ولقرسه . ومثله قول مهمل :

لَمْ أَرِمُ حَوَمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى حُدِيَ الْوَرْدُ مِنْ دُمِّي نِعَالاً^(١)
وهذا قاصِرٌ عن درجة ما تقدّم ، لأنه يمتدّر بما آثره من المرب في وقته ، وذلك أورده مورد المتبيح ، وأنه خلّقه ومذهبه ، لعده بمصادر الحروب ومواردها . وقوله : « الله يعلم » لفظه لفظ الخبر ، والقصد إلى الحليف ؛ لأنه يستشهد برّبه فيقول : علم الله ما تركتُ مقاتلتهم ، حتى جرحوني فسال مني على فرسي دم أشقر كثير ، علاه زبد .

٣ - وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي^(٢)

أراد : وحتى علمت . وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده ذلك^(٣) . وانتصب واحداً على الحال ، والمعنى منفرداً ، وواحدٌ هاهنا صفة ، والمعنى : وحتى تيقنت أني إن ثبتت في وجوههم ، وأنتصب منفرداً لمقاتلتهم قتلت ، ولا يضرّ حضوري أعدائي . وتبه بقوله : « ولا يضرّ عدوِّي مشهدي »

(١) الدمى : جمع دم . وفي م : « من دماء » وهما بمعنى .

(٢) روى التبريزي بيتاً بين هذا وسابقه ، وهو :

وَسَمِيتُ رِيحَ المَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ فِي مَازِقِ الخَيْلِ لَمْ تَتَبَدَّرْ

قال التبريزي : « ويروي : ووجدت . وهو مثل ، ومعناه أنه غلب ظنه أنه لو وقف تحت . والتلقاء ، مأخوذ من لقيت ، فيجوز أنه يستعمل في معنى اللقاء . وعلى ذلك حلوا قول الراعي :

أملت خيرك هل تأتي مواعده فاليوم قصر عن تلقائك الأمل

وأكثر ما يستعمل تلقاء في معنى نحو الشيء ، كما جاء في الكتاب العزيز : تلقاء أصحاب النار . أي نحوهم .

(٣) هذا الصواب من م والتبريزي . وفي الأصل : « لإيقاع الشبه على اعتقاده ذلك » .

أنه لو كان في ثباته ضَرَرٌ عَدُوٌّ لثَبَتَ في وجهه، ولم يُبَالِ بِقَتْلِهِ. وقوله «عَدُوِّي» يفيد الكثرة وإن كان لفظه مَوْحَدًا.

٣- فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدٍ^(١)

يقال: صَدَّ فلانٌ عني، إذا صَرَفَ وجهه صدودًا، وصددته أنا عن كذا صَدًّا. وحكى أصددته، وليس بشيء. يقول: أعرضتُ عنهم ودماؤهم وأسرؤهم فيهم، ولم أنلها ولم أظفر بها. وهذا يدلُّ على أنه كان متورًّا. وإنما حاربهم لطلبِ دماءٍ كانت له فيهم. وقوله «الأحبة» على هذا التفسير يجب أن تكون أحبَّتهم. ويجوز أن يريد بالأحبة أحبة نفسه، ويكون المراد: ودماء أحبتي وأسرأي فيهم. وقوله «طمعًا» انتصب على أنه مفعول له، وهو الذي يسمَّى مصدرًا لعلَّة. والمعنى: فعلت ذلك لطمعي في أن يُعقِبَ الله تعالى لي يومًا يُرصدُ الشرَّ لهم، ويمكنني منهم، فأنتهزُ الفرصة وأروى الغلَّةَ^(٢). ويقال: رصدتُ فلانًا بالكفاة، ورصدتُ له أيضًا وأرصدته، وأنا مُرصدٌ لفلانٍ بما كان منه حتى أكافئه. ويجوز أن يكون انتصاب «طمعًا» على أنه مصدرٌ في موضع الحال، والتقدير: صددت عنهم طامعًا. والعقاب يجوز أن يراد به العاقبة، ويجوز أن يراد به المكافأة. يقال: أولاه خيرًا فعقبه بشرًا، عُقبَةً وعقابًا وعُقبِي. وإذا كان للفرس بعد انقطاع جريه جمامٌ قيل له عِقَابٌ، وهو من ذلك. ومن روى «يَوْمِ سَرْمَدٍ» فالسَّرمَدُ قال الخليل: هو دوام الزَّمان واتصاله من ليل أو نهار، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فيكون المعنى: بعقاب يومٍ طويلٍ

(١) كان حقه أن يثبت في المتن رواية «مرصد» لأنها الرواية التي جعلها أساسًا في التفسير، كما صنع التبريزي من جملة رواية «مرصد» أساسًا في المتن والتفسير.

(٢) هذا ما في م. وفي الأصل: «غليل».

يَتَّصِلُ زَمَانُهُ ، وَيَمْتَدُّ بِلَاؤِهِ . وَأَيَّامُ النِّمِّ وَالْحِنَّةِ تَوْصَفُ بِالطُّوْلِ ، وَلِهَذَا قِيلَ :
مَضَى لِفُلَانٍ يَوْمٌ كَأَيَّامٍ ، وَشَهْرٌ كَدَهْرٍ .

٣٨

قال الفرار السلمي^(١) :

١ - وَكَتَيْبَةٌ لَبَّسَتْهَا بِكَتَيْبَةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي

هذا يتبعج بأنه مهين أشر وأذى ، وجماع بين كتائب شتى تتقاتل من
دونه ، ثم يخرج هو من بينهم غير مُبالٍ بما يُجْرُونَ إليه ، ولا مُفكِّرٍ فيما ينتج من
الشرّ فيهم . فيقول : رَبَّ كَتَيْبَةٍ خَلَطْتُهَا بِكَتَيْبَةٍ ، فلما اختلفتْ نَفَضَتْ يَدِي
منهم ولهم ، وخَلَطْتَهُمْ وَشَأْنَهُمْ . وَكَتَيْبَةٌ ، الحُقُّ الهاء بها لأنه جُعِلَ اسْمًا ، وهو
من كَتَبْتُ أَى جَمَعْتُ . وَتَوَسَّعُوا فِي النَّفْضِ - وَأَصْلُهُ الإِلْقَاءُ وَالإِمَاطَةُ -
فقيل : نَفَضْتُ الْيَدَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ أَشَدَّ النَّفْضِ ، إِذَا وَكَلْتَهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
يَأْتِي مِنَ رَجَعْتَهُ ، وَفِي ضِدِّهِ يُقَالُ : قَبَضْتُ عَلَيْهِ كَفِي ، وَجَمَعْتُ عَلَيْهِ يَدِي .
وقد قالوا : نَفَضْتُ الطَّرِيقَ أَيْضًا ، وَفَرَّقْتُ النَّفْضَةَ فِي الطَّرِيقِ . وَذَكَرَ
بَعْضُهُمْ^(٢) أَنَّ قَوْلَهُ : « حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي » وَ« بِهَا يَدِي » ،
المراد به قَنَعْتُ فَرَسِي بِسَوْطِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ فَرَسَهُ إِنَّمَا نَفَضَ يَدَهُ . بِصِفِّ
سُرْعَةٍ ضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ ، وَأَنَّهُ لَا كَلْفَةَ عَلَيْهِ بِهِ . قَالَ : وَهَذِهِ السَّرْعَةُ مُسْتَحَبَّةٌ
فِي ضَرْبِ السَّوْطِ ، كَمَا يَسْتَحَبُّ فِي الْعَمَلِ بِالسَّلَاحِ . وَمَنْ رَوَى « بِهَا » يَجُوزُ أَنْ

(١) الفرار شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حيان (ويقال حيان) بن
الحكم . أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم راية سلام يوم الفتح ثم نزعها منه وأعطاهما
يزيد بن الأحنس . وكان الفرار من شهد حنيننا . وسليم ، بالتصغير : اسم قبيلته . انظروا
الإعصابة ١٥٥١ .

(٢) يعني بذلك ابن جنى ، والنصر الذي نقله المرزوق مثبت في كتاب التشبيه لابن جنى .

يُرِيدُ الْمُخَصَّرَةَ . انْتَهَتْ الْحِكَايَةُ عَنْهُ . وَالتَّعَجُّبُ مِنْ إِدْرَاكِ هَذَا الْمَعْنَى يَمْنَعُ
مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ . فَسَبْحَانُ مِنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ .

٣- فَتَرَكَتَهُمْ تَقِصُّ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ
قَوْلُهُ « تَقِصُّ » أَيْ تَكَسَّرُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لَهُمْ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « مِنْ
بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ » وَالْعَامِلُ فِي الْأَوَّلِ تَرَكَتَهُمْ ، وَفِي الثَّانِي تَقِصُّ .
يَقُولُ : فَارْتَقَهُمُ وَالرِّمَاحُ تَخْتَلِفُ بِالطَّنِّ بَيْنَهُمْ ، وَتَكَسَّرَ ظُهُورُهُمْ ، فَهُمْ مِنْ بَيْنِ
مَصْرُوعٍ أُلْقِيَ فِي الْعَفْرِ ، وَهُوَ التَّرَابُ ، وَآخَرَ مَطْعُونٍ أَوْ مَجْرُوحٍ ، وَقَدْ أُسْنِدَ إِلَى
مَا يُمْسِكُهُ وَبِهِ رَمَقٌ .

٣- مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ قَتَلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ لَا تَبَعْدُ^(١)

قَوْلُ « مَا كَانَ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا اسْتَفْهَمَا وَكَانَ تَجْعَلُهُ الْفَائِضَةَ ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ نَفِيًّا وَتَجْعَلُ كَانَ مُؤَكَّدَةً ، وَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَوْ ثَبَّتَ لَمْ
يَنْفَعُهُ الثَّبَاتُ . فَيَقُولُ : أَيْ شَيْءٌ كَانَ يَنْفَعُنِي قَوْلُ النُّوَادِبِ لِي لَا تَبَعْدُ وَقَدْ
قَتَلْتُ . وَمَعْنَى لَا تَبَعْدُ : لَا تَهْلِكُ . يُقَالُ بَعِدَ ، إِذَا هَلَكَ ، وَبَعْدَ ، إِذَا نَأَى .
وَكَانُوا يَدُلُّونَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ عِنْدَ التَّدْبِيَةِ بِهَا عَلَى مَسَاسِ الْحَاجَةِ إِلَى حَيَاةِ الْمُنْدُوبِ ،
وَقَوْلُهُ الْاسْتِفْهَاءُ عَنْهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْوَجْهُ أَنْ يُنْدَبَ بِهِ مَنْ كَانَ مَحْمُودًا
الْحَيَاةَ ، وَعَزِيزَ الْفِقْدَانِ . وَقَوْلُهُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ « نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ لَوْ ثَبَّتَ لَكَانَ
يُدْفَعُ وَجْهَ الْكُتَيْبَةِ ، وَيَصِيرُ وَاقِيًّا لِأَسْحَابِهِ ، وَحَائِلًا بَيْنَ الْأَعْدَاءِ وَبَيْنَهُمْ ،
فَلَا يُمْكِنُهُمْ تَجَاوُزُهُ إِلَّا وَقَدْ فَرَّغُوا مِنْهُ . فَلهَذَا قَالَ « وَقَتَلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ » .
وَمَوْضِعُ « لَا تَبَعْدُ » وَهُوَ حِكَايَةٌ ، رَفَعُ أَوْ نَصَبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ أَوْ مَفْعُولٌ مِنْ
مَقَالِ نِسَائِهِمْ . وَقَوْلُهُ وَقَتَلْتُ ، فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمَرِ فِي يَنْفَعُنِي ، وَالْعَامِلُ
فِيهِ مَقَالُ أَيْضًا ، وَخَلْفَ رِجَالِهِمْ حَالٌ لِلْمُضْمَرِ فِي قَتَلْتُ .

(١) التبريزى : « دون رجالها » .

وقال بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ (١) :

١- يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهَبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَدَاةِ يَدَا الْكَرِيمِ (٢)

إنما عُدِّي يَدَيْتُ بَعْلَى ، لأنه أُجْرِي مجرى أُنْعَمَتْ . وهم يَحْمِلُونَ النَّظِيرَ عَلَى النَّظِيرِ ، كما يَحْمِلُونَ النَّقِيضَ عَلَى النَّقِيضِ . وقال الأَخْفَشُ : يقال يَدَيْتُ عِنْدَهُ . وَأَيْدَيْتُ جَمِيعًا ، إِذَا اتَّخَذْتَ عِنْدَهُ صَنِيعَةً ، وَإِنْ كَانَتْ أَيْدَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَشْهَرُ مِنْ يَدَيْتُ ، لِأَنَّ يَدَيْتُ اشْتَهَرَ فِي أَصْبَتْ يَدَهُ ، كما تقول : رأسته ووجهته وصدرتُهُ ، إِذَا أَصْبَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنْهُ . ومعنى هذا البيت : اتَّخَذْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ بِهَذَا الْمَكَانِ يَدَا غَرَاءَ ، وَصَنِيعَةً شَرِيفَةً ، مِثْلَهَا يَفْعَلُهُ الْكِرَامُ . وقوله : « يَدَا الْكَرِيمِ » نَبْهٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ يَدَيْتُ يَدَيًا ، مِثْلُ حَرَيْتُ جَرِيًا ، لَكِنَّهُ وَضَعَ الْيَدَ مَكَانَهُ . فَإِنْ قِيلَ : مَا تُدَكِّرُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ حُذِفَ لَامُهُ كَمَا حُذِفَ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ ؟ قلت : اسْمُ الْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ كَثْرًا كَثْرَةَ اسْمِ الْعَيْنِ ، وَإِذَا كَانَ حُذِفَ اللَّامُ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ حُذِفَ لِكثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ

(١) هو معقل بن عامر الأسدي . ذكر التبريزي من سبب الشعر « أن معقل بن عامر الأسدي أبا حضرمي بن عامر ، وهو فارس الدهماء ، مر يوم جبلة على ابن الحسحاس بن موهب الأعيوي وهو صريع ، فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برئ ، ثم كساه وأداه إلى أهله » .
(٢) الجداة ، بالدال المهملة هي رواية الأصل ومعجم البلدان . قال ياقوت : « موضع في بلاد غطفان » . وفي م والتبريزي : « الجداة » بالدال المعجمة . وذكر ياقوت أنها لغة في « الجداة » بالدال المهملة ؛ ومهما يكن فالكلمة مفتوحة الجيم . لكن نقل التبريزي عن النمرى « أن الرواية المشهورة « الخجلة » بكسر الجيم . وابن حسحاس ، نقل التبريزي أنه يروي : « ابن حساس » .

يكثر استعماله لا يجرى مجراه . وقوله : « ابن حَسْحاسٍ » من الحَسْحَسَةِ ، وهو إحراق الجلد بالنار .

٢ - قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الحَمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَنِ دَارِ الحَمِيمِ

القَصْرُ : الحُبْسُ والرُّدُّ ، ومنه القَصْرُ والقَصَارَى : الغاية . والحَمَاءُ : تأنيث الأحمِّ ، وهو الأسود من كل شيء . والحَمَمُ : الفَحْمُ . وجارية حَمَمَةٌ ، أى سوداء . وهذا تفسير النعمة التي أخذها عنده . فيقول : لَمَّا وجدته جريحاً ، وفي المعركة طريحاً ، قد غاب عنه ذُووه والمشفقون عليه ، حَبَسْتُ عليه فَرَسِي فَأَرَدْتُهُ . وجوابُ لَمَّا مَقْدَمٌ ، وهو قَصَرْتُ . كأنه قال : لَمَّا رأيتُه كذا حَبَسْتُ عليه فَرَسِي . وحذف مفعول شهدتُ لأنه أَمِنَ الالتباس . وقوله : « وَغَابَ عَنِ دَارِ الحَمِيمِ » كان وجهه أن يقول : لَمَّا شَهِدْتُهُ وَغَابَ حَمِيمُهُ ، لكنَّ المعنى لا يُخِيلُ^(١) . والحَمِيمُ : القريبُ الشَّفِيقُ . والحَامَةُ : خاصَّةُ الرَّجُلِ من أهله وولده ، ويقالُ هو الأحمُّ من ذوى قرابته^(٢) ، أى الأخصُّ .

٣ - أُبَدِّئُهُ بِأَنَّ الجُرْحَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُجُومِ

هذا مما تَمَّ به الصَّنعةُ عنده ، بعد أن ارتدَّفَهُ ، وذلك أنه سألَهُ بقوله « الجُرْحُ يُشْوِي » ، ومَنَاهُ بقوله « وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُجُومِ » . ويقالُ : رَمَاهُ فَأَشْوَاهُ ، إذا أصاب غيرَ المقتل . والجُجُومُ : الذى لا ينقطع جَرِيهُهُ . والعِجْلَزَةُ : الصُّلْبَةُ . وبِتَرُّ جُجُومٍ من هذا ، لأنَّ مَادَهَا يُنَوِّرُ أحياناً ثم يَعُودُ وَيَبْزُرُ . والمُرَادُ : أنَّ تَبَايُنَكَ اللَّأْمَنَ بِهِ سَهْلٌ ، وأنَّ مَا بِكَ^(٣) مِنَ الجُرْحِ هَيِّنٌ .

(١) يقالُ أحوالُ الشيءِ : اشتبهه ، وهذا الأمرُ لا يُخِيلُ على أحدٍ ، أى لا يشكُلُ . السنان .

(٢) هذا ما فى م . وفى الأصل : « من ذى قرابته » .

(٣) فى الأصلُ : « ما بان » ، صوابه من م والتبريزى .

٤ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

يُبَيِّنُ بهذا أنه تَبَرَّعَ بما فعل ، وأنه لم يلزمه لزوم الواجب الذي لا يسوغ الإخلالُ به ، فيقول : لو شئت لبعدتُ منه بُعدَ الفرقدين من النُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وهي التي يحلُّ فيها النَّيِّرَانِ ، والفرقدان لاجلِ فيه ^(١) ، وهذا يجري مجرى قولهم : « هو مِنِّي مَنَاطُ الثَّرِيَا » في أن المراد به التَّبعيد ، ويجوز أن يريد بُعدتُ منه بُعدَ الفرقدين ، ثم بين أن الفرقدين من النجوم ، فيكون من النجوم تبيينًا ، كقوله تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ . ويجوز أن يريد بالنجوم نبات الأرض ، لأنَّ كلَّ ما طَلَعَ فقد نجم ، ويكون المعنى بُعدَ الفرقدين من الأرضِ ومنابتِها ، ويكون في هذا المعنى شبه إلغازٍ فيضعف .

٥ - ذَكَرْتُ تَعَلَّةَ الْفَتِيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمَلِيمِ

يَبَيِّنُ بهذا الكلام أنه اتقى بما فعلَ تَوَجَّهَ الذَّمُّ إليه من الناس ، فيقول : أَخْطَرْتُ ببالي ما يَتَعَلَّلُ به الْفَتِيَانُ فِي محافلهم ومجالسهم ، وتقييهم من أخبارِ الناس ما يُسْتَحَقُّ بفعله أو بتركه عندهم ذَمٌّ ، فَيُاجِحُونَ بِهِ اللَّوَمَ ، وبه جُنُونَهُ فِي أَحْكَامِ الْفُتُوَّةِ . ومصدرُ قوله « ذَكَرْتُ » الذُّكْرُ بضم الـذال لأن هذا كان بِالْقَلْبِ ، والذُّكْرُ بكسر الـذال باللسان . والمَلِيمُ : الذي يَأْتِي بما يَلَامُ عَلَيْهِ . قوله « تَعَلَّةٌ » مصدرُ عَلَّتُهُ ، فهي كالتقدمة والتكرمة . ويجوز أن يكون تسميتهم للمعلل ، وهو يَوْمٌ من أيام العَجُوزِ ، من هذا ، كَأَنَّه يَعْلَلُ النَّاسَ بشيء من تخفيف البرد .

(١) نزل الفرقدين لتلازمهما منزلة المفرد .

٤٠

وقال الشداخ بن يعمر الكناني^(١) :

١ - قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا يَدَ خُلُكُم مِّنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُّ^(٢)

يُرَوَّى « قَاتِلُوا » و « قَاتِلِي » على اللفظ مرّة وعلى المعنى أخرى ، وجعل النَّهْيَ فِي اللَّفْظِ لِلْفِشْلِ ، وَالرُّادُ لَا تَفْشَلُوا . وَهَذَا بَعَثٌ وَتَحْضِيضٌ ، فَيَقُولُ : حَارِبِي^(٣) أَعْدَاءِكُ^(٤) يَا خُزَاعَةَ ، وَلَا يَتَدَاخَلُكُمْ الْجُبْنُ وَالضَّعْفُ مِنْهُمْ . وَخُزَاعَةَ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ مِنْ خَزَعَ عَنْ أَحْبَابِهِ إِذَا تَخَلَّفَ ، لِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ بِمَكَّةَ أَيَّامَ سَبِيلِ الْعَرَمِ .

٢ - الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهْمُ شَعْرٍ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا^(٥)

يَبِينُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُمْ نَاسٌ كَمَا أَنَّ خُزَاعَةَ نَاسٌ ، فَيَقُولُ : لَا تَهَابُواوَهُمْ فَإِنَّ خَلْقَتَهُمْ كَخَلْقَتِكُمْ ، وَإِنَّهُمْ إِذَا قُتِلُوا لَمْ يَحْيُوا مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَيَرْجِعُوا إِلَى الْقِتَالِ . هَذَا

(١) الشداخ بن يعمر الكناني ، شاعر جاهلي ، من بني كنانة بن خزيمه . وكان من خير هذه الأبيات كما روى التبريزي ، أنه كان بين بني كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاقد على سائر الناس ، فاقتتل خزاعة وبنو أسد فاعتلها بنو أسد ، فاستعانت خزاعة ببني كنانة ، فذكر الشداخ قرابة بني أسد ، فغذل كنانة عن نصرة خزاعة ، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى نجد غضبا على بني كنانة إذ لم تنصرهم .

(٢) ابن جنى : « هذا الشعر من البحر المنسرح ، وإنشاده على هذا للظاهر يكبره ، وذلك أن أول المنسرح لا يجوز فيه فاعلن ، ويروى : فقاتلي ، وإذا روى هكذا كان وزنه مفاعلن ، وهذا جائز فيه ، لأنه حين مستفعلن » .

(٣) م : « جازي » .

(٤) في الأصل : « أعدائي » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٥) ابن جنى : « وضع الرأس موضع الرؤوس كقوله :

* في حلقكم عظم وقد شجينا *

مبالغة في الاستحاث والتجسير . وجعل قوله : « لَهْمُ شَعْرَةٍ فِي الرَّأْسِ » بما بعده ، تفسيراً للمائلة وتبييناً . وجواب إن قُتِلُوا فيما تقدّم عليه .

٣- أَكَلَمَا حَارَبْتَ خُرَاعَةَ تَحْدُونِي كَأَنِّي لَأَمِّهِمْ جَمَلٌ

قوله « كأني لأمهم » في موضع الحال ، أي تحدونني مُشَبَّهًا جَمَلًا لِأَمِّهِمْ . وَكَلَّمَا ظَرَفْتُ لِقَوْلِهِ تَجِدُونِي . وَكَأَنَّهُ قَالَ : تَحْدُونِي خُرَاعَةَ كَلَّمَا حَارَبْتَ ، أَيْ تَسُوْقُنِي لِنَصْرِهَا وَالدَّفَاعِ عَنْهَا ، كَأَنِّي نَاصِحٌ لِأَمِّهِمْ يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَيُقَالُ لَهُ أَقْبِلْ بِالذُّلْوِ وَأَذِيرْ . وَذَكَرَ الْأَمُّ تَغْلِيظًا لِلْقَوْلِ وَتَحْشِينًا . وَقَوْلُهُ « أَكَلَّمَا » ، كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى إِنْسَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ بَعَثَهُمْ وَجَرَّأَهُمْ عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ ، فَقَالَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ مَا قَالَ .

٤١

وقال الحصين بن الحمام المري (١) :

١- تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

يجوز أن يكون هذا مثل قولهم : « الشُّجَاعُ مُوتَى » . وفي طريقته قول الآخر :

أَكَانَ الْجَبَانَ يُرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

(١) الحصين بن الحمام المري ، من مرة غطفان ، وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . والحمام ، بضم الماء ، قيل إنه عرق الخيل . وهو شاعر جاهلي مقل . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : المسيب بن علس ، والمتلمس ، وحصين بن الحمام المري . والشعراء ٦٣٠ والاشتقاق ١٧٦ والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، والمؤتلف ٩١ والأغاني (١٢ : ١١٨ - ١٢٤) والخزانة ، (٢ : ٧ - ٣/٩ - ٣٥٢ - ٣٥٥) .

فَقَدْ تُدْرِكُ الْحَادِثُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطْلَانُ
ومثله قول الآخر^(١) :

نُهَيْنُ النَّفُوسَ وَهُونُ النَّفُوسِ يَوْمَ الْكُرْبَى أَوْقَى لَهَا
ويجوز أن يقول : أَحْجَمْتُ مُسْتَنْبِقِيًا لِعَيْشِي ، فلم أجد لنفسي عيشًا
كما يكون في الإقدام ، وذلك لأنَّ الأحدثة الجميلة ، والشُّجَّح عند الناس في
المناعى الحميدة ، إنما يكون بالتقدم لا بالتأخر ، وبالاتخار لا بالانحراف ، ومن
ذَكَرَ بِالْجَمِيلِ وَتَحَدَّثَ عَنْهُ بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ حَيَّى ذِكْرَهُ وَاسْمَهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ
أَثَرُهُ وَجِسْمُهُ . وقوله : « حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ أَتَقَدَّمَ » معناه حياةٌ تُشْبِهُ الْحَيَاةَ
المكتسبة في التقدم وبالتقدم .

٢- فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا^(٢)

أراد : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكُلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم
لكان الكلام لَيْسَتْ كُلُّوْمُنَا بِدَامِيَةٍ عَلَى الْأَعْقَابِ . فيقول : تتوجه نحو
الأعداء في الحرب ولا نعرض عنهم ، فإذا جُرِحْنَا كَانَتْ الْجِرَاحَاتُ فِي مُقَدِّمِنَا
لَا مُؤَخَّرِنَا ، وسالت الدماء على أقدامنا لا على أعقابنا . وقوله « تَقَطَّرُ الدَّمَا »
إِذَا رُوِيَتْ بِالنَّاءِ كَانِ الْمَعْنَى تَقَطَّرُ الْكُلُومُ الدَّمُ ، فيكون الدَّمَا مفعولاً به . ويقال : قطر
الدَّمُ وَقَطَّرْتُهُ ، وهذا وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَإِنْ شَدَّتْ جَعَلَتِ الدَّمُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ ،
كَأَنَّهُ أَرَادَ تَقَطَّرُ دَمًا ، وَأَدْخَلَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ وَلَمْ يَمْتَدِّ بِهِمَا ، كَقَوْلِ الْآخَرِ^(٣) :

* وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرَّقَابَا^(٤) *

(١) هو الخنساء ، كما سبق في حواشى ص ١٤٠ .

(٢) رواية ابن جنبي : « الدما » بكسر الدال على أنه مقصور « الدماء » . وذكر ابن
جنبي في روايته أيضا : « تَقَطَّرُ الدَّمَا » . من قولهم أَقْطَرْتُ الدَّمُ ، أى أسلته .

(٣) هو الحارث بن ظالم المري . المفضليات (٢ : ١١٤) .

(٤) صدره : * فاقوى بشعلية بن سعد *

ويجوز أن يُرْوَى « يَقَطُرُ الدِّمَاءَ » بالياء ، ويكون الدِّمَاءُ في موضع الرفع على أنه فاعِلٌ يَقَطُرُ ، لَكِنَّهُ رَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ فَأَتَى بِهِ مَقْصُورًا وَإِنْ كَانَ الِاسْتِعْمَالُ يَحْذِفُ لَامِهِ . ومثل هذا البيت قولُ القُطَامِيِّ :

لَيْسَتْ تُجْرَحُ فُرَارًا ظُهُورُهُمْ وفي النحورِ كَلُومٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ
٣ - نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ علينا ومُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

يقول : نُشَقِّقُ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ مَنَا ، وَمِنْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى الْعُقُوقِ وَأَوْفَرَ ظُلْمًا ، لِأَنَّهُمْ بَدَّوْنَا بِالشَّرِّ ، وَأَجْثَوْنَا إِلَى الْقِتَالِ ، وَمِنْ مَنْتَقِمُونَ وَمُجَازُونَ .

٤٢

وقال رجلٌ من بنى عَقِيلٍ^(١) :

وَحَارِبُهُ بَنُو عَمِّهِ قَتَلُوا مِنْهُمْ :

١ - بَكَرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نَعَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

الكَرُّهُ بِالضَّمِّ : الْمَشَقَّةُ ، وَالكَرُّهُ بِالْفَتْحِ الْإِكْرَاهُ . وَسَرَاتِنَا الْقَوْمُ : خِيَارُهُمْ . فَيَقُولُ : بِمَشَقَّةِ رُؤُسَانَا وَكَرَاهِيَتِهِمْ نَبَا كِرْكَمِ بَسِيُوفٍ مُحَدَّدَةِ الْحَدِّ^(٢) . مَصْقُولَةٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ « بَكَرُهُ سَرَاتِنَا » لِأَنَّ الرُّؤْسَاءَ يَجْبُونُ التَّائِلَةَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ . وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَتَرْكُ التَّدَابُرِ وَالِاخْتِلَافِ ، إِذْ كَانَ عِزُّ الرَّئِيسِ بِأَصْحَابِهِ ، وَوَحْشِيَّتُهُ فِي نَفْسِ مُنَابِدِيهِ بِقُوَّةِ ذَوِيهِ وَأَقْرَبِيهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ السَّرَاتِ وَالْمُرَادُ الْجَمِيعُ . وَالْمَعْنَى : عَلَى كَرِّهِ مَنَا نَقَاتِلُكُمْ وَلَكِنَّمَا الْجَائِثُونَ إِلَيْهِ . وَجَمَعَ

(١) التبريزي : « عقييل : تصغير عقل أو عقل مضدر عقل ، ويجوز أن يكون تحقير عقييل تحقير الترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير عقان وتصغير أعقل تصغير الترخيم منهما » .

(٢) م والتبريزي : « مرقة الحد » .

صقيلاً وهو فاعيل بمعنى مفعول على صقال وذلك على غير بابه، لأن التكسير على
 فَعَالٍ يكون في الأصل فَعِيلٍ إذا كان بمعنى فاعِلٍ، نحو ظَرَبَ ظَرَبًا وَظَرَبَ ظَرَبًا
 وَكَرَامًا، ومثله قولهم فَصِيلٌ وَفِصَالٌ، وساغ ذلك لانتفاهما في الزنة والوصفية .
 ورُوى : « بَمُرْهَفَةِ الصَّقَالِ » ، وتكون إضافة المُرْهَفَةِ إلى الصَّقَالِ كإضافة
 البعض إلى الكل ، لأن المعنى بالمرهفة^(١) الخد من الصقال ، أى من السيوف
 للصقولة^(٢) .

٢ - نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّةَ النَّضَالِ

قوله « نعديهن » أى نصرفن . ويقال : عَدَّ المَهْمُ عَنكَ ، أى اصرفه .
 والبيت يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى نَصَرَفُ السِيُوفِ عَنْكُمْ إِبْقَاءً
 عَلَيْكُمْ ، وكرهية لاستئصالكم ، وإن كانت نَصَالُهَا قَدْ تَفَلَّتْ مِنْ كَثْرَةِ
 مَا تَقَارِعُ بِهَا الأَعْدَاءِ . ويجوز أن يكون المعنى : نَصَرَفُهَا وَإِنْ تَنَلَّتْ بِكُمْ
 وَفِيكُمْ ، لأن القدرة تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ ، ولأن مَا يَجْمَعُنَا يَدْعُو إِلَى البُقْيَا ، والأخذ
 فيكم بالحسنى .

٣ - لَهَا لَوْنٌ مِنَ الهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصَّقَالِ

قوله « من الهامات » أى من دماء الهامات ومن التأثير فيها . يقول : لهذه
 السيف لَوْنٌ مَتَعَيَّرٌ قَبِيحٌ ، لكثرة ما يُسْفِكُ بِهَا الدَّمَاءَ ، وإن كانت يَحْدُثُ
 صَقْلُهَا كُلَّ يَوْمٍ . والحادثه : إعادة الماء إلى السيف بالصقل . وقد قال الحسن
 رحمه الله فيما حُكِيَ عَنْهُ مِنْ مَوَاعِظِهِ : « حَادِثُوا هَذِهِ القُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةٌ
 الدُّثُورُ ، وَاقْدَعُوا هَذِهِ الأَنْفُسَ فَإِنَّهَا طَلْعَةٌ » . وقوله « كَابٍ » من قولهم كَبَا
 كَبًا

(١) والتبريزى : « بالمرققة » .

(٢) وذكر ابن جنى أن الصقال هنا أيضا مصدر صقلت ، وتأويله : بمرهفة عند

الصقال ، كما أن قوله « بضة المتجرد » معناه بضة عند المتجرد .

وَجْهَهُ ، إِذَا أَرَبَدَّ [وَاَسْوَدَ] . وَكَبَا نُورُ [الصُّبْحِ وَ^(١)] الشَّمْسِ ، إِذَا نَقَصَ . وَأَظْلَمَ . وَجَوَابُ إِنْ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ الْمُرْهَفَةِ .

٤- وَنَبِيكِ حِينَ نَقَتْلُكُمْ عَلَيَكُمْ وَنَقَتْلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهِمْ ، عَلَى مَا يَتَّفِقُ مِنْ نَائِبِيَّةٍ ، وَيَتَجَدَّدُ مِنْ عَارِضِ حَادِثَةٍ ، فَيَقُولُ : نَبِيكِ قَتْلَكُمْ إِذَا قَتَلْنَاكُمْ لِمَا يَحْتَمِلُكُمْ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّحِمِ الْمَأْسَةِ ، وَالقَرَابَةِ الدَّانِيَةِ ، وَنَقَتْلُكُمْ إِذَا أَحْوَجْتُمُونَا إِلَى قَتْلِكُمْ ، كَأَنَّا لَا نُبَالِي بِمَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى الْجَزَعِ لَهُ . وَقَوْلُهُ « نُبَالِي » تَفَاعُلٌ مِنَ الْبَلَاءِ . فَإِذَا قَالَ لَا أُبَالِيهِ كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَا أُحْتَفِلُ بِهِ فَأَعَادَهُ بِلَائِي وَبِلَاءَهُ وَأَفَاخِرَهُ . هَذَا أَصْلُهُ ، وَقَدْ مَضَى . وَحِكْي سَبْيُوِيهِ : مَا أُبَالِيهِ بِاللَّهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْبَالِيَّةَ كَالْحَانَةِ ، وَأَنَّهُ حُدِفَ يَأْوُهُ حَذْفَ تَخْفِيفٍ لَا حَذْفَ قِيَاسٍ .

٤٣

وقال القتال الكلابي^(٢) :

١- نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَنَا وَذَكَرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرِ وَهَيْتِمٍ

يقال : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ ، وَنَشَدْتُكَ اللَّهُ ، أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ .

(١) هذه من م .

(٢) القتال لقب غلب عليه ، واسمه عبد الله بن الحبيب بن المخرجي بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهو شاعر إسلامي . وكان من حديث هذا الشعر كما روى التبريزي وأبو الفرج أن القتال كان يتحدث إلى ابنة عم له ولها أخ غائب ، فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته ونهاه ، وحلف له لئن رآه ثانية ليقبلته . فلما كان بعد ذلك رآه عندها ، فأخذ له السيف ، ورآه القتال فخرج هاربا وخرج في أثره ، فلما دنا منه فاشده القتال بالله والرحم ، فلم يلتفت إليه ، فبينما هو يسمي وقد كاد يلحقه وجد رمحا مركزا عند بيت ، فأخذه القتال ثم عطف عليه فقتله . وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠ : ١٥٨ - ١٦٦) والمؤتلف ١٦٧ والحزانة ٣ : ٦٦٧ - ٦٦٨ والشعر والشمره ٦٨٦ - ٦٨٧ .

يقول : أفسمتُ على زيادٍ بالله وأهلُ المجلس بيننا حاضرُونَ ، ولَمَّا يَأْتِيهِ كُفْلٌ مِنَّا مُشَاهِدُونَ^(١) ، وذَكَرْتَهُ مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الرَّحِمِ مِنْ جِهَةِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتَهُ بِهَذَا عَلَى زُعْمِهِ طَلَبًا لِلصُّلْحِ ، أَوْ اسْتِظْهَارًا بِإِقَامَةِ الْحُجُجِ عَلَيْهِ ، وَإِقَاءِ مِغَالِيقِ الْبَغْيِ إِلَيْهِ .

٣ - فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرَ مُنْتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِالَّذِينَ مُقَوِّمٌ

يقول : لَمَّا وَجَدْتُهُ لَا يَنْتَهِي بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَرْعَوِي بِالزَّجْرِ ، حَدَرْتُ لَهُ كَفِّي بِرُوحِ لَيْتِنٍ مُتَقَفٍ فَطَعَنْتُهُ . وَقَوْلُهُ « أَمَلْتُ لَهُ » ، أَيْ مِنْ أَجْلِ « كَفِّي بِالَّذِينَ » ، مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَبَلِيغِ الْكِنَايَاتِ .

٣ - وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمٌ^(٢)

يقول : لَمَّا بَانَ لِي إِتْيَانُ تِلْكَ الطَّعْنَةِ عَلَيْهِ نَدِمْتُ فِي وَقْتٍ لَمْ تَنْفَعِ النَّدَامَةَ فِيهِ ، لِقُوتِ الْأَمْرِ فِي الْإِبْقَاءِ . وَهَذَا فِي إِظْهَارِ التَّحَشُّرِ بِهِ كَقَوْلِ الْآخِرِ^(٣) :

* وَدِدْتُ وَأَيْنَ مَا مَنِيَّ وَدَادِي^(٤) *

وَانْتَصَبَ أَيَّ سَاعَةٍ عَلَى الظَّرْفِ ، لِأَنَّ أَيَّاً لَمَّا كَانَ لِلْبَعْضِ مِنَ الْكَلِّ جُعِلَ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ .

(١) م : « شاهدون » .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي نسخة الأصل : « فلما رأيت » .

(٣) هو عمرو بن معديكرب . اللالكى ٦٣ .

(٤) صدره : * تمناني ليلقاني قبيس *

٤٤

قيس بن زهير العبسي^(١)

١ - شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيِّفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
كان حَمَلُ بْنُ بَدْرِ قَتَلَ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرِ أَخَا قَيْسٍ ، فَظَفِرَ بِهِ وَبِأَخِيهِ حُدَيْفَةَ
فَقَتَلَهُمَا . يَقُولُ : اشْتَفَيْتُ بِقَعْلِ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ . ثُمَّ قَالَ : وَشَفَانِي سَيْفِي أَيْضًا مِنْ
أَخِيهِ حُدَيْفَةَ ، لِأَنَّهُ أَنَى عَلَيْهِ لَمَّا أَعْمَلْتُهُ فِيهِ . وَهَذَا مِمَّا جَرَى بَيْنَ عَبْسٍ وَفَزَارَةَ
بِسَبَبِ دَاحِسٍ وَالغَبْرَاءِ .

٢ - فَإِنْ أَكُّ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيْلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
يَقُولُ : إِنْ سَكَنْتُ لَوْعَتِي بِمَجَازَاتِهِمْ ، وَبَرَدَتْ غَلِيْلِي ، فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ
إِلَّا أَطْرَافَ أَصَابِعِي . وَذَلِكَ أَنْ عَزَى كَانُ بِهِمْ ، وَكَانُوا كَالْكَفِّ ، فَلَمَّا مَاتُوا
وَأَعْوَزَنِي التَّبَجُّحُ بِمَكَانِهِمْ^(٢) ، وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ بِهِمْ ، صِرْتُ كَمَنْ قَطَعَتْ
أَنَامِلُهُ . وَمِنَ الْأَمْثَالِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : « بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفَّ » .

٤٥

وقال الحارث بن وعلة الدهلي^(٣) :

الْوَعْلَةُ : الصخرة المشرفة من أعلى الجبل .

(١) قيس بن زهير : شاعر جاهلي ، كان سيد عبس ، وكانت له ضلع كبيرة في حرب
داحس ، وهو صاحب داحس . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) والأغانى (٧ : ١٤٣ / ١٦ :
٢٣) والعقد وكامل ابن الأثير وغيرهما ، في حرب داحس والغبراء .
(٢) التبجح : الافتخار .

(٣) شاعر جاهلي ، ذكر نسبه في الأغانى (٢٠ : ١٣٢) والمؤتلف ١٩٧ قال
« الحارث بن وعلة بن المجالد بن يثرب بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة » .
وهو غير الحارث بن وعلة الجرمي . انظر المفصليات (١ : ١٦٢ - ١٦٣) .

١- قَوْمِي مُمْ قَتَلُوا أُمَّيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيحُ—يُبْنِي سَهْبِي

يقول: قومي، يا أميمة، هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه، فإذا رمت الانتصار منهم عاد ذلك بالنكابة في نفسي، لأن عز الرجل بعشيرته، وهذا الكلام تحزن وتفتح وليس بإخبار.

٢- فَلَيْتَ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلًّا وَاتِّسَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي

عفا عن المذنب والذنب عفوا، إذا صفح. وحذف حرف الجر فوصل لأعفون بنفسه. والكلام تحشر وتوجع. يقول: إن تركت مؤاخذتهم، وأطرحت طلب الانتقام منهم، صفحت عن أمر عظيم، وإن سطوت عليهم أضعفت عظمي، وهددت ركني. والجلل يزعم أهل اللغة أنه من الأضداد، يقع على الصغير والكبير، وها هنا يراد به الكبير. وكذلك في قوله:

* وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلٍ (١) *

والسطو: الأخذ بعنف. وفي كل واحد من المصراعين يمين مضمرة، جوابها في الأول لأعفون، وفي الثاني لأوهين. واللام من لئن في الموضعين موطنة للقسم.

٣- لَا تَأْمَتَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالسُّتْمِ وَالرَّغْمِ

حوال الكلام عن الإخبار توجها على عادتهم إلى الخطاب، متوعداً. يقول: لا تسكن إلى ناحية قوم اهتضمتهم وبدأتهم بسبهم وأطراهم، وإسقاطهم وتذليلهم. وظلمتهم مع ما بعده من صفة القوم. والرغم مصدر رغمت فلانا إذا قلت له رغماً أو فعلت به ما يرغم به أنفه ويذله. والرغام: التراب،

(١) للبيد في ديوانه ص ١٧. وضده:

* وأرى أربد قد فارقتي *

وحكى الخليل: أرغمته: حملته على ما لا يقدر على الامتناع منه .

٤ - أَنْ يَأْبُرُوا نَخْلًا لِعَيْرِهِمْ وَالْقَوْلُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبِئِي

موضع قوله « أن يأبروا » نصب على البدل من قوماً في البيت الذي قبله، كأنه قال: لا تأمن أئبر قوم ظلمتهم وأوحشتهم نخلاً لغيرهم . ويقال: أبرت النخل وأبرته، إذا ألقتة . وجعل هذا الكلام وعيداً في مفارقة القوم الذين وصفهم بإبام، وتقويتهم لأعدائهم بعد الانتقال إليهم، وإصلاحهم الفاسد من فخرهم وأمرهم نصرته لهم، وجعل قوله « أن يأبروا » كناية عن هذا المعنى، كما قال طرفة:

وَلِي الْأَضْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْأَبْرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ

وقد قيل: أراد: لا تأمن قوماً أسأت في معاملتهم أن يتركوا أرضهم وديارهم ويلحقوا بالأعداء فيأبروا نخيلهم ويتصرفوا في مهنهم، ليكونوا معهم عليكم . والأوّل أحسن وأغرب . وقوله « والقول تحقيره وقد ينبي » يجوز أن يكون ضربه مثلاً في التهاون بما لا يجوز التهاون فيه، ويجوز أن يشير بالقول إلى ما يقوله في شعره هذا، ويريد أنه سيزداد بانضمام الفعل إليه .

٥ - وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِنَدَى الْحِلْمِ

زعم زُعماً وزَعماً ومَزَعماً، وأكثر ما يستعمل فيه ما كان باطلاً أو فيه ارتياب . ولذلك يقال: تزعم، أي تكذب؛ وزعم في غير مزعم، أي طمع في غير مطمع . و « أن لا حلوم » أن فيه مخففة من الثقيلة . أراد: زعمتم أنه لا حلوم لنا . والمعنى ضمير للأمر والحديث، و « لا حلوم » في موضع الخبر . أراد: وزعمتم أن الأمر والشأن لا عقول لنا، فإن كان الأمر على ما زعمتم فنبهونا أتم، فإن عامر بن الظرب حكّم العرب كان يُقرع له العصا فينبه، لما

كان يَزِيغُ فِي الْحُكْمِ لِكَبْرِيَّتِهِ وَسِنِّهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَهْكُمُ وَسُخْرِيَّةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُكَ لِمَنْ أَنْكَرَكَ عَلَيْكَ مَا لَا يُشَكُّ فِي صَلَاحِهِ وَصِحَّتِهِ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَاسِدًا فَصَحِّحْهُ أَنْتَ . وَهَذَا ظَاهِرٌ . وَذُو الْحِلْمِ الَّذِي قُرِعَ لَهُ الْعَصَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، فَتَدَّعِيهِ الْبَيْنُ وَتَقُولُ : هُوَ عَمْرُو بْنُ حُمَيْمَةَ الدَّوْسِيُّ ، رَوَى ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَتَدَّعِيهِ مُضَرٌّ ، فَتَقُولُ : هُوَ عَامِرُ بْنُ الظَّرَبِ الْعَدَوَانِيُّ ، وَإِيَّاهُ عَنَى ذُو الْإِصْبِغِ فِي قَوْلِهِ :

وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي وَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَتَدَّعِيهِ رَبِيعَةُ فَتَقُولُ : هُوَ قَيْسُ بْنُ خَالِدِ الشَّيْبَانِيُّ ، وَهُوَ جِدٌّ بِسُطَامِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ .

٦- وَوَطِئْنَا وَطْئًا عَلَى حَنْقٍ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرَمِ

بِقَوْلِهِ : أَثَّرَتْ فِيْنَا تَأْثِيرَ الْحَنْقِ الْغَضْبَانِ ، كَمَا يُؤَثِّرُ الْبَعِيرُ الْمُقَيَّدَ إِذَا وَطِئَ هَذِهِ الشَّجِيرَةَ . وَخَصَّ الْمُقَيَّدَ لِأَنَّ وَطْءَهُ أَثْقَلُ ، كَمَا خَصَّ الْحَنْقَ لِأَنَّ إِبْقَاءَهُ أَثْقَلُ . وَالْهَرَمُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَمْضِ ، يُقَالُ جَمَلٌ هَارِمٌ ، وَإِبِلٌ هَوَارِمٌ إِذَا رَعَتْ الْهَرَمَ . وَاتَّصَبَ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْبَدَلِ ، أَيْ وَطْئًا يُشْبِهُ هَذَا الْوَطْءَ . وَمِمَّا حَكَى عَنِ الْعَرَبِ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طِئَّةِ الدَّلِيلِ » ، أَيْ مِنْ أَنْ يَطْأَنِي ، لِأَنَّ وَطْءَهُ أَشَدُّ ، لِسُوءِ مَلِكِيَّتِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ (١) :

* وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغَابٍ *

وَعَلَى هَذَا قِيلَ : ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةَ الْجَبَانِ ، وَضَبَطْتُهُ ضَبْطَةَ الْأَعْمَى .

٧- وَتَرَكْتَنَا لِحْمًا عَلَى وَضْمٍ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ

(١) هُوَ أَمْرٌ الْقَيْسِ . دِيوَانُهُ ١٧٧ . وَالْبَيْتُ بِتَأْمَةٍ :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرٍ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مَغْلَبٍ

هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الانْقِيَادِ وَالذُّلِّ . وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : « النَّسَاءُ لَمْ عَلَى
وَضَمِّ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ » . يَقُولُ : تَرَكْنَا لِدِفَاعِ بِنَا ، كَاللَّحْمِ عَلَى خِوَانِ
الْجِزَارِ يَنْتَاوِلُهُ مَنْ شَاءَ ، لَوْ كُنْتَ تَتْرَكُ مِنَّا بَقِيَّةً ، وَتَطْلُبُ عَلَيْنَا بَقِيَّةً . وَالْمَعْنَى
أَنْتَ تَرُومُ اسْتِثْصَالَنَا ، فَلَسْتَ تَرْضَى بِالْإِذْلَالِ . وَجَوَابُ لَوْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ .

٤٦

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ

قَتَلَ أَخُوهُ ابْنَآلَهُ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيَقْتَادَ مِنْهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَهُوَ يَقُولُ :

١ - أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَّةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَنِي وَلَمْ تُرِدْ

النَّسَاءُ : تَفْعَالٌ مِنَ الْإِسْوَةِ . وَيُقَالُ إِسْوَةٌ وَأُسْوَةٌ ، فَيَضْمُ أَوْلَاهُ
وَيُكْسَرُ ، وَاتِّصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . أَيْ أَقُولُ مَتَأْسِيًا بِغَيْرِي ،
وَمُسْلِيًا لِنَفْسِي : جَنَى عَلَيَّ أَخِي الَّذِي مَحَلَّهُ مِنِّي مَحَلُّ إِحْدَى يَدَيَّ ، سَهْوًا
لَا إِرَادَةً لِمَسَاءَتِي وَخَطَأً لَا عَمْدًا . وَقَوْلُهُ « إِحْدَى يَدَيَّ » فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ
وَ « أَصَابَنِي » خَبْرُهُ ، وَقَوْلُهُ « وَلَمْ تُرِدْ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ
النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ لِقَوْلِهِ أَقُولُ .

٢ - كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

يَقُولُ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَخِ الْوَاتِرِ وَالِابْنِ الْمَفْقُودِ يَصْلُحُ لِأَن يَرْضَى بِهِ
عَوَضًا مِنْ فَقْدَانِ الْآخَرِ ، فَإِنْ اقْتَدَتْ مِنَ الْأَخِ مَنْتَصَفًا لِلابْنِ فَقَدْتُهُمَا جَمِيعًا ،
فَأَسْتَبْقَانِي أَخِي هُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ وَأَعْوَدُ (١) .

(١) أعوذ ، أى أكثر عائدة ؛ والعائدة : الفائدة .

٤٧

وقال إياس بن قبيصة الطائي^(١) :

١ - ما ولدني حاصنٌ وربيعيةٌ لئن أنا مألأتُ الهوى لاتباعها

امرأة حاصنٌ وحصانٌ، أى ممنعة^(٢) عن الرقث، عفيفةٌ. ومصدره الحصانة والحصن، وربيعيةٌ: منسوبةٌ إلى ربيعة: وهذا الكلام خبرٌ يجرى مجرى اليمين، واللام من «لئن» يؤذن بأن الكلام قسمٌ، فيقول: لست ابن امرأة من بنى ربيعة كريمة عفيفة إن كنت شايقتُ الهوى وتابعتُهُ في طلبِ امرأةٍ. والمعنى: لست لِرشدَةٍ إن فعلتُ ذلك. ومألأتُ، مأخوذٌ من قولهم: هو مليٌّ بكذا، وقد ملؤُ يملؤُ ملاءةً. وجواب الشرط فيما تقدم.

٢ - ألم تر أن الأرضَ رَحْبٌ فسيحةٌ فَوَلَّ تعجِزَنِي بُقعةٌ من بقاعها

قال الخليل: البُقعة: قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها، واستشهد الشاعر لنفسه في إنكار ما انتفى من فعله بقوله: ألم تر أن الأرضَ، لأن ألم تر وإن كان لفظُه لفظَ الاستفهام، كلمةٌ يوافقُ بها المخاطبُ في تحقيق الأمور، وتثبيت الخطوب، وربما صحَّحها معنى التعجب. فيقول: إنك تعلم أن الأرضَ واسعةٌ عريضةٌ، وأن بقاعها لا تنبؤُ بي، ولو نبتَ لم تُعجِزَنِي، فكما أني في هذا بهذه الصفة، فكذلك أنا في الأول. ومذهب هذا الكلام

(١) كان إياس هذا عاملاً لكسرى على عين التمر وما والاها إلى الحيرة، وقد جملة كسرى على رأس العرب في يوم ذي قار، الذي كان بين بكر بن وائل، وبين الفرس وأحلافهم من تغلب وطيبى وضبة وتميم وبراء وتونخ، وقد هزمت الفرس وأحلافها، وقال في ذلك رسول الله: «هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبني نصرنا»، وفي أثناء عمالته بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. الأغاني (٢٠: ١٣٤، ١٣٨) والتنبيه بالإشراف ١٥٨، ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) م: «ممنعة».

مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصويره للمخاطب : إن هذا حقُّ كما أنى حاضرٌ ، وكأ أنك تسمع وتُجيب .

٣ - وَمَبْثُوثَةٌ بَثَّ الدَّبَا مُسَبَّطَةٌ رَدَدْتُ عَلَى بَطَائِهَا مِنْ مِرَاعِهَا

يقول : رَبَّ خَيْلٍ مَتَفَرِّقَةٍ مَمْتَدَّةٍ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ امْتِدَادَ فِرَاحِ الدَّبَا وَتَفَرُّقِهَا - والمعنى أنهم يَمُوجُونَ فِي انْتِشَارِهِمْ ، كما أن الجراد إذا انبثت ماجَ بعضها في بعض - أنا رددت أولها على آخرها ، وحَبَسْتُ مَتَقَدِّمَاتِهَا عَلَى مَتَأَخَّرَاتِهَا ، حَتَّى لَحِقَتْ الْأَعْجَازُ بِالصُّدُورِ ، واختلطت اللواحق بالسوابق . ويقال : هم يتهافنون تهافت الفَراش ، ويتأوجون تماوج الجراد .

٤ - وَأَقْدَمْتُ وَالْحَطَّى يُحْطِرُ بَيْنَنَا لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شَجَاعِهَا

قوله « وَالْحَطَّى » واوه واو الحال . واللام من « لِأَعْلَمَ » لام العلة . يقول : تَرَكْتُ الْإِحْجَامَ ، وَأَثَرْتُ الْإِقْدَامَ ، ورمأح الخَطَّ تَخْتَلِفُ بِالطَّعْنِ ، وَتَحْكُمُ لِلشَّجَاعَةِ عَلَى الْجُبْنِ ، لِأَتَبَيَّنَ الضَّمِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَالمَتَقَدِّمَ مِنَ المَتَخَلِّفِ . والمعنى فعلت ذلك لِتَبَيَّنَ فَضْلِي عَلَى غَيْرِي .

٤٨

وقال رجل من بني تميم (١)

وطلَبَ مِنْهُ مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ فَرَسًا يُقَالُ لَهُ (٢) سَكَابٌ فَمَنْعَهُ إِيَّاهَا :

١ - أَيْبَتَ اللَّغْنَ إِنْ سَكَابَ عِلْقٌ نَفِيسٌ لَا تَعَارُ وَلَا تَبُ سَاعٌ (٣)

قوله « عِلْقٌ نَفِيسٌ » أَي مَالٌ يُبْخَلُ بِهِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : هُوَ عِلْقٌ مُضِنَّةٌ .

(١) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان بن ناشرة بن سيار بن رزام بن مازن ، كما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ٦٢ حيث أشهد الأبيات . وفي هذان فرس يقال له سكاب ، فحارسه الأجدع بن مالك . الخيل لابن الأعرابي ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) كذا في النسختين والتبريزي ، ذكر اللفظ ، وأنت بعد ذلك للمعنى .

(٣) رواية ابن الأعرابي : « ليست بملق يستعار ولا يباع » .

ويقال : عَالِقَتُهُ بِعَلِقَى وَعَلِقِهِ ، إِذَا خَاطَرَتْهُ بِكَرَاهِمِ الْمَالِ . يَقُولُ : مُنِعْتَ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ ، إِنْ فَرَسَى سَكَابٍ مَتَاعِ نَفِيسٍ ، وَعَلِقُ كَرِيمٌ ، لَا يُفْرَضُ لِلْبَيْعِ ، وَلَا يُبَدَلُ لِلْإِعَارَةِ . وَ « سَكَابٍ » إِذَا أَعْرَبْتَهُ مَنَعْتَهُ الصَّرْفَ ، لِأَنَّهُ عِلْمٌ ، فَلْحُصُولُ التَّعْرِيفِ فِيهِ وَالتَّأْنِيثُ مَعَ كَثْرَةِ الْحُرُوفِ يُمْنَعُ الصَّرْفُ . وَالشَّاعِرُ تَمِيمِيٌّ ، وَهَذَا لُغَةٌ قَوْمِهِ . وَإِذَا بَنَيْتُهُ عَلَى الْكَسْرِ أَجْرِيتهُ مَجْرَى حَذَامٍ ، لِأَنَّهُ مُؤَنَّثٌ مَعْدُولٌ مَعْرِفَةٌ ، فَلشَّابَهَتُهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ دَرَاكٌ وَنَزَالٍ يُبْنَى ؛ وَهَذِهِ اللَّغَةُ حِجَازِيَّةٌ . وَاشْتِقَاقُ سَكَابٍ مِنْ سَكَبْتُ إِذَا صَبَبْتُ . وَيُقَالُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ : هُوَ بَحْرٌ وَسَكَبٌ . وَقَوْلُهُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، تَحِيَّةٌ كَانَ يُسْتَعْتَفُ بِهِ الْمَلُوكُ . وَأَصْلُ اللَّعْنِ : الطَّرْدُ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ (١) :

وَلَكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

يعنى إلا أن يقال لى : أبيت اللعن ، لأنه تحية الملوك . وكأنته قال : نلت كل شيء إلا الملك .

٢ - مَفْدَاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعُ

يقول : لعزتها على أربابها تفدى بالآباء والأمهات ، وتؤثر تكريماً لها على العيال عند الإضافة والإفتار ، فيجوع العيال ولا تجوع هذه .

٣ - سَلِيلَةٌ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نَسَبَا يَضْمُهُمَا الْكِرَاعُ (٢)

يقول : هى ولد فرسين سابقين ، إذا نسبا ضم مناسبتهم ومناصبتهم الكراع ، وهو فحل كريم معروف . وسليمة ألحق الهاء بها وإن كان فعلاً

(١) هو زمير بن جناب الكلبى ، كما سبق فى حواشى صفحة ١٠٠ .

(٢) ابن الأعرابى : « يضمهما إذا نسبا » .

في معنى مفعول ، لأنه جُعِلَ اسْمًا ، كما تقول هي قَتِيلَةٌ بِنَى فُلَانٍ . ومعنى سُلٌّ : مُنَزَعٌ . ويقال : نَجَلَا وَلَدَهُمَا وتَنَاجَلَاهُ ، بمعنى واحد ، قال :

* إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا^(١) *

وأصلُ الكِرَاعِ في اللغة : أنْفٌ يُتَقَدَّمُ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسُمِّيَ هَذَا الْفِعْلُ بِهِ لِعِظْمِهِ . وأما الكِرَاعُ الاسمُ الْجَامِعُ لِلخَيْلِ ، فَهُوَ غَيْرُ ذَا .

٤ - فَلَا تَطْمَعُ أَيَّتَ اللَّعْنِ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِوَجْهِهِ يُسْتَطَاعُ

يقول : اِرْفَعْ طَمَعَكَ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْفَرَسِ ، أَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنَ ، وَدَفْعُكَ عَنْهَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ مَا وَبِحِيلَةٍ مَا . والمعنى : إِنِّي لَا أَسْعَفُكَ بِهَا اسْتَبْعَتَهَا أَوْ اسْتَوْهَيْتَهَا ، مَا وَجَدْتُ إِلَى الرَّدِّ طَرِيقًا ، فَلَا تَطْمَعُ فِيهِ مَا دَامَتْ لِي هَذِهِ الْحَالَةُ . وقوله « وَمَنْعُكَهَا » أَي مَنَعُكَ عَنْهَا . ويقال مَنَعْتُكَ كَذَا ، وَمَنْعْتُكَ عَنْ كَذَا ، وَأَمَّا الْمَنْعَةُ الْعِزُّ^(٢) فَهُوَ مُصَدَّرٌ كَالْحَرَكَةِ وَالْجَلْبَةِ مِنْ مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا ، فَهُوَ مَنِيْعٌ .

٤٩

وقالت امرأة من طي^(٣) :

١ - دَعَا دَعْوَةً يَوْمَ الشَّرَى يَأْمَالِكِ وَمَنْ لَا يُجِبُّ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ يُكَلِّمُ

يقول : اسْتَغَاثَ هَذَا الرَّجُلُ فِي يَوْمِ اجْتِمَاعِنَا بِالشَّرَى - وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ اتَّفَقَتْ فِيهِ وَقْمَةٌ فَنُسِبَ يَوْمُهَا إِلَيْهِ - اسْتَغَاثَةً وَقَالَ : يَا مَالِكِ ؛ وَمَنْ لَا يُجِبُّ

(١) للأعشى في ديوانه ١٥٧ . وصدرة :

* أنجب أيام والداه به *

(٢) م : « العزة » . والمنعة تقال بفتح النون وإسكانها .

(٣) هي بنت هبدل بن قرقة الطائي ، أحد نصوص العرب زمان عبد الملك بن مروان .

كما سيأتي في التفسير .

إذا استصرخ ، ولم يُعَثَّ إذا استنصر ، يهتضم ويجرح . وقوله « يا مالِكِ » اللام فيه للإضافة ، وإنما فُتِحَ لأنه دَخَلَ على ما هو واقعٌ موقع المضمَر ، فكما يُفتح لام الإضافة مع المضمَر كذلك فُتِحَ مع المُنادَى لوقوعه موقعه . فإن قيل : فما للدعوى ؟ قلتَ : : مالِك ، كأنه قال : دُعَايَ لِمَالِكِ . والحفيظةُ : الخصلةُ التي يُحفظُ الإنسانُ عندها ، أي يُفضَبُ . وكذلك الحفيظةُ . قال :

* وَحَفِظَةَ أَكْهَنًا ضَمِيرِي (١) *

وقوله « يُكَلِّمُ » كناية عن الغلبة أو القتل .

٣ - فَيَا ضَيْعَةَ الْفَتِيَانِ إِذْ يَمْتَلُونَهُ بِيَطْنِ الشَّرِيِّ مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدِّمِ

الفنيق : الفحل المُنْفَق لا يُرَكَّب لكرامته على أهله . والمُسَدِّمُ : الفحل الهاجج المنوع . ويقال : عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ وَيَعْتَلُهُ جَمِيعًا ، إذا قَادَهُ بَعْنَفٍ . ومعنى « يَا ضَيْعَةَ الْفَتِيَانِ » وإن كان لفظه لفظ النداء ، معنى الخبر ، كأنه قال : ضَاعَ الْفَتِيَانُ جَدًّا . فيقول على وجه التعجب والاختصاص : ما أَضْيَعَ الْفَتِيَانُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَفِي تِلْكَ الْحَالَةِ . كأنه لما لم يُنصَرَفِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَمْ يُخَضَّرْهُ فَتَى يُعِينُهُ كَانَ الْفَتِيَانُ ضَائِعِينَ ، إِذْ كَانُوا يُعْنَفُونَ فِي قَوْدِمِ إِبَاهِ ، وَهُوَ كَأَنَّهُ فَحْلٌ مُشَدُّودُ الْفَمِ خَوْفًا مِنْ صِبَالِهِ ، فَلَا يُنَاكِرُ بِنَفْسِهِ (٢) ، وَلَا يَدَافِعُ أَحَدَ دُونِهِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا الْمَقْتُولَ هُوَ بَهْدَلُ بْنُ قِرْفَةَ ، أَحَدُ بَنِي نَهْمَانَ ، وَأُخِذَ بِسَبَبِ دَمِ ابْنِ جَعْدَةَ الْخَزَوِيِّ (٣) وَقُتِلَ بِالْمَدِينَةِ صَبْرًا . وَمَا اقْتَصَصَ فِي الْأَبْيَاتِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ (٤) .

(١) للعجاج في ديوانه ٢٦ واللسان (حفظ) .

(٢) المناكرة : المحاربة والقتال .

(٣) هو عون بن جعدة بن هيرة بن أبي وهب الخزوي ، كما ذكره التبريزي .

(٤) قال التبريزي : « بل الذي اقتصص في الأبيات يدل على صحته » . ثم نقل نصا طويلا

من كتاب أخبار اللصوص للسكري .

٣- أَمَا فِي بَنِي حِضْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيهَةَ مِنْ الْقَوْمِ طَلَّابِ التَّرَاتِ غَشْمَشَمٍ
 هذا الكلام بَعَثُ وَتَحْضِيضٌ لِأَبْنَاءِ حِضْنٍ . وَالغَشْمَشَمُ : الَّذِي يَرْكَبُ
 رَأْسَهُ وَلَا يَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَى شَيْءٍ . وَالكَلامُ لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
 التَّمَنَّى ، كَأَنَّهُ يَبْعَثُ وَيُحْضِضُ مَنْ يَطْلُبُ دَمَهُ إِذَا فَاتَ نُصْرَتَهُ حَيًّا . فَيَقُولُ :
 أَمَا فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ابْنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ فِي طَلَبِ الدَّمِ وَإِدْرَاكِ النَّارِ ، ظَلُومٌ غَشُومٌ ،
 يَرْكَبُ السَّكْرَانَةَ وَالْأُمُورَ الصَّعْبَةَ ، غَيْرَ مُرْعَوٍ وَلَا مَنْقَبِضٍ .

٤- فَيَقْتُلُ جَبْرًا بَأْمَرِي لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالدَّمِ (١)

جَبْرٌ هُوَ الْقَاتِلُ لِوَلِيِّ هَذِهِ الْمَرْأَةِ . وَيُقَالُ : بَاءَ فُلَانٍ بِيَوْمٍ بِيَوْمٍ ، إِذَا
 ارْتَضَى لِقَتْلِهِ بَدَلًا مِنْهُ . وَأَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ ، أَي قَتَلْتُهُ . وَانْتَصَبَ « يَقْتُلُ »
 عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّمَنَّى بِالْقَاءِ ، وَالْعَامِلُ فِي الْفِعْلِ أَنْ مَضْمَرُهُ ، أَي أَمَا فِيهِمْ رَجُلٌ
 هَكَذَا فَيَقْتُلُ هَذَا الرَّجُلَ بِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرًا ، فَيَكُونُ فِي دَمِهِ وَقَلْبِهِ بَدَلًا ،
 وَلَكِنْ سَقَطَتِ الْمَكَائِلَةُ فِي الدَّمَاءِ مِنْذُ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، فَلَا يُقْتَلُ بَدَلِ الْوَاحِدِ
 إِلَّا وَاحِدًا ، شَرِيفًا كَانَ أَوْ وَضِيعًا .

٥٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي قَقَمَسٍ (٢) :

١- رَأَيْتُ مَوَالِي الْأَوْلَى يَخْذُلُونِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ

الموالى ها هنا : أبناء العم . والأولى في معنى الذين ، ويخذلونني من صلاته .
 يقول : رأيتُ أبنَاءَ عَمِّي هُم الَّذِينَ يَقْعُدُونَ عَن نُصْرَتِي عَلَى تَقَلُّبِ الزَّمَانِ ،
 وَتَصَرُّفِ الْحَدَثَانِ . وَقَوْلُهُ « عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَي

(١) فِي الْأَصْلِ : « حَبْر » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ فِي الْمَتْنِ وَالشَّرْحِ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م وَالتَّبْرِيزِيِّ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « قِيلَ هُوَ مَرَّةُ بَنِ عِدَاءِ الْقَقَمَسِيِّ » .

يخذلونني مُقَاسِيًا لما يحدث في الدهر أو أن تَقْلِبِهِ وتغيره .

٣ - فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الْخُصْمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ (١)

قوله : « تفاعدوا » دعاء ، وقد اعترض بين أوّل الكلام وآخره ، ولكنه أكد ما يقتضيه فصّاح لذلك . يقول : هَلَّا جَعَلُونِي عُدَّةً لِرَجُلٍ مِثْلِي ، فقد بعضهم بعضاً وقد جاءهم الْخُصْمُ متأخراً العجز مائل الرأس منحرفاً . وهذا تصويرٌ لحال المُقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه ، ومثله قول الآخر (٢) :

* جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلَّ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُّ *

الأتري أنه صورّ لون المذق كما قال : هل رأيت الذئب قط ؟ وقوله : « إِذَا الْخُصْمُ » هو حكاية الحال المتوهّمة ، وهو الرواية المختارة . وقد روى : « إِذَا الْخُصْمُ » والجُمْلَةُ التي تبين بها إذا هذه يجب أن يكون فيها فعلٌ ، وقد عرّيت منه ها هنا ، وأظنُّ أن الأخصّ جَوَزَ مثله . والمعنى : لِمَ أَفَاتُونِي أَنفُسَهُمْ ، وهلا أدخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصم هكذا . وأراد بالخصم الجنس . وقال الأصمى : البزى : تأخّر العجز . وقال غيره : هو إشرافٌ وسَطَ الظَّهْرِ على الأست . والبيت يشهد للأصمى . والنكبُ : شبه الليل في المشى ومنه الأنكب من الإبل ، وهو الذي يمشى في شق .

٣ - وَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْشُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبٌ

الكلام في « تفاعدوا » وأنه دعاء واعتراض ، على ما مرّ . وإنّما وكرّر

(١) إذا ، كذا ورد رسمها في النسختين بالألف مع كسر الذال ، وذلك لتقرأ بالروايتين ، إذ وإذا . قال ابن جنّي : « فن رواه إذ حكى الحال المتوقعة كقول الله سبحانه : إذ الأغلال في أعناقهم . ومن رواه إذا فهو كقوله آتيك إذا زيد قائم . وهذا جائز على رأى أبي الحسن ، وذلك أنه يميز الابتداء بعد إذا الزمانية المشروط بها » .

(٢) قيل هو العجاج . الخزانة (١ : ٢٧٧) .

ما كثره على وجه التأكيد ، وتفظيماً للأمر . والمعنى : هَلَّا جعلوني عُدَّةً لرجُلٍ
.. مثلي في البأس ، فقدَ بعضهم بعضاً . وقد انتشرَ في الأرض أعداء كثيرة ،
.. وأنواع من الشر فظيمة . والشُّجاع : الحَيَّة . وَكُنِيَ بِالْمَقْرَبِ وَبِهِ عَنِ الْأَعْدَاءِ
.. وَالشَّرِّ . وارتفاع شُجَاعٌ ، يجوز أن يكون على البدل ، ويجوز أن يكون على
الابتداء ومبثوثٌ خَبْرٌ له قَدَمٌ عليه ، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال ،
ويُجْعَلُ فِي الْأَرْضِ الْخَبْرَ (١) . ولم يُثَنَّ مِبْثُوثٌ لِأَنَّ الْقَصْدَ بِالشُّجَاعِ وَالْمَقْرَبِ إِلَى
خَيْلِ الْأَعْدَاءِ وَالشَّرِّ ، فَكَانَهُمَا شَيْءً وَاحِدًا .

ع - فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا مِنَ الْقَوْمِ إِنِّي أَرَى الْعَارَ يَبْقَى وَالْمَعَاوِلُ تَذْهَبُ
لك أن ترفعَ المعاولَ على الاستئناس ، ولك أن تحمله على ما قبله فتظنُّه
على العار . يقول : لا ترغبوا في قبول الدية فإنه عارٌ ، والعار يبقى أثره ،
والأموال تفتى . والمعاولُ : جمع المَعْقَلَةِ . وَالْمُعْقَلَةُ وَالْعَقْلُ : الدِّبْيَةُ ، وأصله الإبل
كانت تُعَقَّلُ بِنِجَاءِ وَبِئِىَ لِلْقَتُولِ ، وهو مصدرٌ وُصِفَ بِهِ . وحكى الأصمعيُّ : صار
دَمُهُ مَعْقَلَةً عَلَى قَوْمِهِ ، أَيْ صَارُوا يَدُونَهُ .

٥ - كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتِ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتِ تَطْلُبُ
يقول : مَنْ أَدْرَكَ مَا طَلَبَهُ مِنَ النَّارِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ وَلَمْ يُوتَرَ . وهذا بَعَثٌ
وتخصيض على طلب الدِّمِّ وَالزَّهْدِ فِي الدِّبْيَةِ . وفي طريقته قول الآخر (٢) .
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صُغُولًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا (٣)
لَكِنَّ هَذَا بَعَثٌ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ .

(١) ابن جنى : « فن نصب فإنه وصف نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها ،
كقولك :
* لمية موحشاً طلل قديم *

(٢) هو جابر بن ثعلبة الطائي ، كما في الكامل ٢٩٩ لبيسك . وفي الحماصية ٩٥ أنه

جابر بن الثعلب .

(٣) التبريزي : « ولم يك في بؤس إذا ما تمولا » .

٥١

وقال آخر :

١- فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسُئْنَا لَكُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا

انتصب فديةً على الحال من المال ، والمراد به الإبل لا غير ، ونكر قوله « حَيًّا » وهو يقصد به قصد حتى بعينه ، لأن المراد كان مفهوماً عند من عرف القصة ، فجعله كالتمريض . وقوله « سَيْلًا مُفْعَمًا » والسَّيْلُ يُفْعَمُ به الشيء ، يجوز أن يكون من باب هم ناصب وما أشبهه ، ويكون المعنى سَيْلًا ذا إقعام ، ولكن أكثر ما يحىء معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطالقي ومريض . ومثله قولهم نخلة موقرة . ويجوز وهو الأجود أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مُفْعَمٌ كما عبر في قولهم شعرٌ شاعرٌ وموتٌ مائتٌ عن التناهي بلفظ فاعل ، وإن كان الموت لا يموت ، والشعر لا يشعر ، كما أن السَّيْلَ لا يُفْعَمُ . وقد قيل امرأة فعمّة المخالخل ، أى غليظة كثيرة اللحم عليه . والمعنى : لو كانت معاملتنا مع حتى يرمى قبول المال فداءً لأرضيناه بالمال الكثير .

٣- وَلَكِنْ أَبِي قَوْمٌ أُصِيبَ أَخُوهُمْ رَضِيَ الْعَارِ وَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ

يقول : ولكن امتنع قومٌ أصبنا صاحبهم من الرضا بالدنية ، وآثروا طلبَ الدم على قبول الدنية . وجعل اللبن كنايةً عن الإبل تؤدى عقلاً ، [لأنه^(١)] منها ، وكما نكر حياً في البيت الأول نكر أيضاً في الثاني قوله « أَبِي قَوْمٌ » ، والغرضُ بهما على حدٍ واحد ، ولا يجوز أن يكون « يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً » صفةً لقوله حياً ، لأنه يبقى أن بلا خبر . فأما قوله « أُصِيبَ أَخُوهُمْ »

(١) التكلة من م .

فهُوَ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ قَوْمٌ . وَقَوْلُهُ « رَضِيَ الْعَارِ » الْعَارُ فِي مَوْضِعِ الْمَعْمُولِ ، أَيْ أَبَوَا
أَنْ يَرْضَوْا الْعَارَ خُطَّةً لِأَنْفُسِهِمْ .

٥٢

وَقَالَتْ كَبْشَةُ أُخْتُ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ^(١) :

١ - أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهْمُ دَمِي

الشعر لكبشة أخت عبد الله ^(٢) . والكلام بعث وتوبيخ . وإنما تكلمت
به على أنه إخبار عما فعله عبد الله وأقامه من الوصاة عند الوفاة ، فتقول : راسل
عبد الله بن معديكرب لما دنا أجله قومه وذويه ، بأن لا تعقلوا دمي . وغرض
كبشة تحضيضهم على إدراك الثأر ، وترك التباطؤ والتكاسل فيه ، وإن كانت
أمنة من ميلهم إلى قبول الدية ، فغلطت القول لتهتاج حميمتهم . ويقال عقلت
فلاناً ، إذا أعطيت ديتة . وجعل هذا المفعول الدم لأن المراد مفهوم ، كأنه
قال : لا تأخذوا بدل دمي عقلاً . ويقال عقلت عن فلان ، إذا غرمت عنه
دية جنابته أو أرضها .

٢ - وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْلِمٍ

الإفال : جمعٌ وواحدُهُ أفيال ، وهي صغار الإبل ، والأبكر : جمع البكر ،
وهو الفتى منها . يقول : لا تأخذوا من قعاتي صغار الإبل وبكارتها ، فتتركوني
في قبر مظلم بصعدة ؛ وهو مكان باليمن . وإنما جعل قبره هكذا ، لأنهم كانوا
يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أوقبلت ديتة بقي .

(١) سبقت ترجمة أخيها عمرو في الحاشية ٢٩ . التبريزي : « كبشة اسم مرتجل علماء ،

وليس بتأنيث كبش ، لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هي نعمة » .

(٢) عبد الله أخو كبشة وأخو عمرو بن معديكرب .

قَبْرُهُ مُظْلَمًا . فَإِنْ قِيلَ : لَمْ ذَكَرَ الْإِقَالَ وَالْأُبْكَرَ وَمَا يُودَى فِي الدِّيَاتِ لَا يَكُونُ مِنْهُمَا ؟ قُلْتُ : أَرَادَ تَحْقِيرَ الدِّيَاتِ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ تَحْقِيرَ أَمْرٍ خِلَعَةً فَازَ بِهَا إِنْسَانٌ : إِنَّمَا أُعْطِيَ خَيْرًا قَلْبًا وَفُلُوسًا ! وَإِنْ كَانَتِ النَّيَابُ الْمُنْطَاةَ كِسْوَةً فَاحِرَةً ، وَالْمَالُ الْمَوْفَّرَ جَائِزَةً سَنِيَّةً . وَانْتَصَبَ « وَأَنْتَرَكَ » بِإِضْمَارٍ أَنْ وَهُوَ جَوَابُ النَّهْيِ بِالْوَاوِ .

٣ - وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمَّرَا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُ شَيْبِرٍ لِمَطْعَمٍ

عَمْرُو هُوَ أَخُوهَا ، وَكَانَ يُعَدُّ بِأَلْفِ فَارِسٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُسَالِمُ وَلَا سِيَّامًا فِي طَلَبِ دَمِ أَخِيهِ . وَإِنَّمَا رَمَتَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ لِتَهْيِيجِ مِنْهُ وَتَبَعْتُهُ عَلَى التَّعَجُّلِ فِي دَرَكِ النَّارِ ، وَالتَّسْرُعِ فِي الْإِنْتِقَامِ . وَقَوْلُهُ : « وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُ شَيْبِرٍ لِمَطْعَمٍ » تَزْهِيدٌ فِي الدِّيَةِ ، وَهَذَا كَمَا رُوِيَ فِي الْخَبَرِ : « وَهَلْ بَطْنُ ابْنِ آدَمَ إِلَّا شَيْبِرٌ فِي شَيْبِرٍ » لَمَّا أُرِيدَ تَزْهِيدُهُ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا . أَيْ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ وَجَوْفُهُ يَمْتَلِئُ بِالْيَسِيرِ . وَعَمْرُو لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَمِيلُ إِلَى الدِّيَةِ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ يَمِيلُ إِلَى الْمَسَالَةِ ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّحْضِيضِ وَالْحَثِّ .

٤ - فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّارُوا وَانْدَيْتُمْ فَمَشُّوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلِّمِ

الْمُصَلِّمُ : قَطَعَ الْأُذُنَ مِنْ أَصْلِهَا ، وَمِنْهُ الصَّيْلِمُ : الدَّاهِيَةُ الْمُسْتَأْصَلَةُ . وَانْدَيْتُمْ ، مَعْنَاهُ قَبِلْتُمُ الدِّيَةَ . يُقَالُ : وَدَيْتُهُ فَانْدَى ، كَمَا يُقَالُ وَهَبْتُهُ فَانْهَبَ ، أَيْ قَبِلَ الْهَبَةَ . وَفِي الْحَدِيثِ : « هَمَمْتُ أَلَّا أَتَّهَبَ إِلَّا مِنْ قَرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ » وَمِثْلُهُ قَضَيْتُهُ الدِّينَ فَاقْتَضَاهُ ، أَيْ قَبِلَهُ وَتَوَفَّرَهُ . وَقَوْلُهُ : « فَمَشُّوا » أَيْ امشُوا . وَضَعَفَ الْفِعْلُ لِلتَّكْثِيرِ . وَمَنْ رَوَى « فَمَشُّوا » بِضَمِّ الْمِيمِ فَعْنَاهُ امسَحُوا ؛ وَيُقَالُ لِلْمُنْدَبِلِ الْغَمْرِ : الشُّوشُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ تَقْتُلُوا قَاتِلِي وَقَبِلْتُمْ دِيَّتِي فَامشُوا أَذْلَاءَ جِيَادَانِ مُجْدَعَةٍ كَأَذَانِ النَّعَامِ . وَوَصَفَ النَّعَامَ بِالْمُصَلِّمِ تَصْوِيرًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ

خَلْقَةٌ جَمِيعُهَا ذَلِكَ . وَمِنْ أَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْبَهَائِمِ : « ذَهَبَتِ النَّمَامَةُ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ
فَجُدَعَتْ آذَانُهَا ^(١) » . وَمِنْ رَوَى « فَمَشُوا » فَالْمَعْنَى اسْحَوْا بِأَذَانِكُمْ مَجْدَعَةً
مِثْلَةَ بَكْمِ كَأَذَانِ النَّعَامِ .

٥- وَلَا تَرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نِسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتُمْ أَعْقَابَهُنَّ مِنَ الدَّمِّ

تَرَمَّلَ وَارْتَمَلَ إِذَا تَلَطَّخَ بِالِدَمِّ . قَالَ :

* إِنَّ بَنِي رَمْلُونِي بِالِدَمِّ ^(٢) *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءً عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَيْ أَحَلَّكُمْ اللَّهُ مَحَلَّ مِنْ
ذَا صِفَتِهِ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ « فَمَشُوا » مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ^(٤) . وَإِنْ
شِئْتَ جَعَلْتَهُ نَهْيًا ، وَفَمَشُوا أَسْرَأَ . وَالْمَعْنَى : إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَتَأَخَّرُوا فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
وَاللَّنَّاجِعِ ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَارِدِ ، وَالْبَسُّوا الذَّلَّ رَاضِينَ بِهِ ، فَإِنْ مَالَ
أَسْرَمُ ^(٥) مَعَ تَضْيِيعِكُمْ دَمَ صَاحِبِكُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ عَادَتُهُمْ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَاهَ
أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّجَالُ ثُمَّ الْعَضَارِيطُ وَالرُّعَاةُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ ، إِذَا صَدَرَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ
عَنْهُ ، فَكُنَّ يَغْسِلْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَيُثَابِعْنَ وَيَتَطَهَّرْنَ آمِنَاتٍ مِمَّا يَرْجِعُهُنَّ غَيْرَ مُسْتَمَجِلَاتٍ ،
فَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تَصْدُرَ النِّسَاءُ فَهِيَ الْغَايَةُ فِي الذَّلِّ . وَجَعَلَ النِّسَاءُ مُرْتَمِلَاتٍ
بِدَمِّ الْحَيْضِ تَفْظِيحًا لِلشَّانِ ، وَتَدْنِيحًا لِلْمَاءِ . وَالْأَعْقَابُ وَاحِدُهَا عَقِبٌ ، وَهُوَ
مَوْخِرُ الرَّجُلِ . يُقَالُ : وَلَّى عَلَى عَقْبِيهِ ، إِذَا انصَرَفَ رَاجِعًا عَنْ مَطْلُوبِهِ .

(١) انظر الحيوان (٤ : ٣٢٣ ، ٣٩٨) .

(٢) لأبي أوزم الطائي ، كما في اللسان (رمل) .

(٣) في الأصل : « عليه » وفي م : « عليكم » ، والوجه ما أثبتناه .

(٤) أي يكون على معنى الدعاء .

(٥) كذا في م . وفي الأصل : « فإن مآلكم » .

٣٣

وقال عنزة بن الأخرس المعنى من طيبي^(١) :

١- أَطْلَحَ حَمَلَ الشَّيْءِ لِي وَبُغِضِي وَعِشْ مَا شِيتَ فَانظُرْ مِنْ تَضِيرِ^(٢)

يقال : شَدَّتُهُ شِئَاءً وَشَنَّتًا^(٣) وَشَفَانًا^(٤) وَمَشْنَأَةً ، إِذَا كَانَ بُغْضًا مَخْتَلَطًا
بِعَدَاوَةٍ وَسُوءِ خُلُقٍ ، كَمَا أَنَّ الشَّنْفَ اسْمٌ لِشِدَّةِ الْعِدَاوَةِ . يَقُولُ : أَدِمَّ احْتِمَالَ
الضَّغَائِنِ وَالْبُغْضِ لِي ، وَعِشْ مَدَّةً مَشِيئَتِكَ فَتَأْمَلْ مِنْ بَضْرُهُ ذَلِكَ . وَيُقَالُ
ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَانْتَصَبَ مَوْضِعَ مَا شِيتَ عَلَى أَنَّهُ
ظَرْفٌ . وَ« مَنْ » مَفْعُولُ تَضِيرٍ ، لِأَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ فَلَا يَفْعَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ . أَيْ انظُرْ
تَضِيرَ مَنْ .

٢- فَمَا يَبِيدُكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَعَظِيمٌ سَدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ^(٥)

بَيَّنَّ وَجْهَ اسْتِهَانَتِهِ بِهِ ، وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بَبِغْضَائِهِ وَعِدَاوَتِهِ . فَيَقُولُ : لَا نَفْعَ
عِنْدَكَ أَعْلَقُ رَجَائِي بِهِ ، وَغَيْرُ إِعْرَاضِكَ هُوَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ ، فَأَمَّا إِعْرَاضُكَ
فَأَهْوَنُ بِهِ وَأَحْقَرُ بِكَوْنِهِ . وَأَرْتَجِيهِ ، فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّفْعِ ، أَيْ نَفْعٌ مُرْتَجَى .

٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرَكَ سَارَ عَنِّي وَشِعْرِي حَوْلَ يَبَيْتِكَ مَا يَسِيرُ^(٦)

(١) ويعرف أيضاً بعنزة بن عكبرة، وعكبرة اسم أمه . قال الآمدي في المؤلفات ١٥٢ :
« شاعر محسن وفارس » . والعنزة : واحدة العنبر ، وهو الذباب الأزرق ، فهو اسم منقول كما
في المبهج لابن جنى . والمعنى : نسبة إلى معن بن عتود .

(٢) رواية الآمدي : « جبل الشنأة » بالياء . قال التبريزي : « الرواية الجيدة : حمل
الشنأة بالميم . ويروى : جبل الشنأة ، بالياء ، وهو استعارة حسنة أيضاً ، جعل للشنأة حبلاً » .

(٣) هذه مثلثة الشين . (٤) الشنآن بسكون النون وفتحها .

(٥) وكذا رواية الآمدي . وفي م والتبريزي : « نفع أرتجيه » .

(٦) شعرك ، أي شعري المقول فيك ؛ وشعري ، أي شعرك المقول في . والأوفق .

رواية الآمدي والتبريزي : « إن شعري سار عنى وشعرك » .

هذا تقرير له في بيان فضله عليه ، وسلامة عرضه من قرهه إياه . يقول :
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ شِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِيَّ لَمْ يَغْلُقْ بِي ذَمُّهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ كَذِبًا وَزُورًا ، وَشِعْرِي
 الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ يَطُوفُ حَوْلَ دَارِكَ وَبَيْتِكَ وَلَا يَفَارُقُكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ صِدْقًا .
 ويجوز أن يكون المعنى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ سَارَ عَنِّي ، لِأَنَّ الرَّوَاةَ
 احْتَمَلُوهُ اسْتِجَادَةً لَهُ وَاسْتِلْذَاقًا ، وَشِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِيَّ مُلَازِمٌ لَكَ لِرُحْدِ النَّاسِ
 فِيهِ لَمَّا كَانَ سَفْسَافًا . وساغ الوجهان جميعاً لأن المصدر يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا
 يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ ، فَعَلِيَ ذَلِكَ جَازٌ أَنْ يَقُولَ شِعْرُكَ وَيُرِيدُ شِعْرِي الْمَقُولَ
 فِيكَ . وروى بعضهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ
 وَهَذَا الرَّوَاةُ (١) صَرَّحَ بِالتَّفْسِيرِ النَّائِي .

٤ - إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَغْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
 فِي طَرِيقَتِهِ قَوْلَ أَوْس :

إِذَا بَشَّرْتَنِي إِلَى الطَّرْفِ عَنْ عُرْضٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَغْضَتِي عُورُ
 يقول : إِذَا رَمَيْتَنِي بِبَصْرِكَ لَمْ يَمَكِّنْكَ مَلْؤُهُ مِنِّي بَغْضًا وَعَدَاوَةً ، حَتَّى
 تُغْرِضَ عَنِّي فَعَلَ النَّازِرُ إِلَى الشَّمْسِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ مِنْ جِهَتِي . فَأَمَّا
 قَوْلُ الْآخَرِ :

* نَظَرُ يُرِيكَ مَوَاطِيءَ الْأَقْدَامِ *

فهو صفة نظر المهيب المعظم . وفي نظر الناظرين على اختلافهم ما يستدل به
 على أحوالهم ، وسعد كرم ما يجيء عنه مُبِينًا مِنْ بَعْدِ .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وهذه الرواية » .

(٢) صواب روايته : « نظراً » . وصدر البيت كما في البيان (١ : ١١) .

* يتقارضون إذا التقوا في موقف *

٥٤

وقال الأحوص بن محمد^(١) :

١ - إني على ما قد علمت محسّدٌ أنمي على البغضاء والشنآن

علمت بمعنى عرفت ، ولهذا اكتفى بمفعول واحد . ومعنى البيت . إني
 سرموقٌ محسودٌ على ما قد عرفتِه من أحوالي ، زائدٌ كل يومٍ على بغضاء
 الناسِ وشنآنهم لي ، ويكون قوله « على ما قد علمت » ، وقوله « على البغضاء »
 جميعاً في موضع الحال . والعامل في الأول قوله محسّدٌ ، وفي الثاني أنمي . ويموز
 أن يكون على ما قد علمت من صِلَةِ محسّدٍ ، كما تقول حسدته على كذا . وقال
 بعضُ الناسِ : الشنآن : بُغضٌ يختلط به عداوةٌ وسوءُ خلقٍ ، فهذا جاز الجمعُ
 بينه وبين البغضاء . وقال غيره : بل هما بمعنى واحد ، واللفظان إذا اختلفا على
 اتفاقٍ معناهما جاز الجمعُ بينهما تأكيداً . واحتجّ بقوله :

* وهندٌ أتى من دونها النأي والبُعد^(٢) *

قال : ولا خلاف بين أهل اللغة أنه لا فضل بينهما .

٢ - ما تعتريني من خطوبٍ مُلمّةٍ إلاّ تُشرقني وتُعظمُ شأني

أضاف الخطوب إلى مُلمّةٍ لأنه أراد بها أوائل أمرٍ عظيمٍ ، وجوانب شترٍ

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م . وعند التبريزي : وقال الأحوص
 ابن مد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري « . والأحوص : لقب له ، ومعناه الضيق .
 العين ، واسمه عبد الله . وهو شاعر إسلامي أموي ، من شعراء المدينة ، وقد نفاه عمر بن
 عبد العزيز من المدينة لهم وجهت إليه . الشعر والشعراء ٤٩٩ وابن سلام ١٣٧ - ١٤٠
 والأغاني (٤ : ٤٠ - ٥٨) والخزانة (١ : ٢٣١ - ٢٣٤) .

(٢) للحطّبة في ديوانه ١٩ . وصدّره :

* ألا حبذا هند وأرض بها هند *

فطيع . وأصل الخطب الطلّب ، يقال خَطَبْتُ كذا فأخَطَبْتَنِي ، كما تقول
 طَلَبْتُهُ فأطَلَبْتَنِي ، فكأنه أراد أوائل مُلِمَةٍ وأسباباً لها تَطَلَّبُهُ . ويقال : هذا
 خَطْبُ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وهذا خطبُ أَمْرٍ يَسِيرٍ . فيقول : ما يَطْرُقُ ساحتِي أسبابُ
 نازلةٍ شديدةٍ إلا عَظَمْتُ شَأْنِي ، ورفَعْتُ قَدْرِي ، لأنه يُعْرَفُ بلائِي فيها ،
 وحَسُنَ مَحَلِّصِي منها ، فازدَدْتُ في عيونِ الناسِ وقلوبِهِمْ .

٣ - فإذا تَزَوَّلُ تَزَوَّلُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ تَخَشَى بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ (١)

المتخمطُ : المتغضبُ لَهُ سَوْرَةٌ وَالتَّهَابُ ، واستعيرَ في آذَى البحرِ وأمواجِهِ
 إذا التَجَّتْ . قال :

* خَمَطِ التَّيَّارِ يَرْمِي بِالْقَلَعِ (٢) *

يقول : إذا انكشفت تلك الخطوبُ والملمات انكشفت عن رَجُلٍ تمكَّبَرُ
 يُخَافُ فلتاتُهُ وَبَدْرَاهُ عندَ نُظْرَانِهِ في البأسِ والشَّدَّةِ . والمعنى : إنَّ الدَّوَاهِي
 إذا نزلت بساحتِي لا تَلِينُ لها عَمْرِيكْتِي ، ولا تُحَصِّلُ عَلَيَّ تَذَلُّلاً لم يكن من
 قَبْلِي لي . وقوله : « تَخَشَى بَوَادِرُهُ » في موضعِ الصِّفَةِ للمتخمطِ . ولم يَرْضَ
 حَتَّى يَجْعَلَ البَوَادِرَ مَحْشِيَةً عندَ أشباهه ، فكلتِ الصِّفَةَ ، وتمكَّنتِ القافية .

٤ - إني إذا خفي الرجالُ وجدتني كالشمسِ لا تخفي بكلِّ مكانٍ

إني إذا خفي مواقعهم من قلوب الرؤساء ، ومواقعهم من صدور المجالس
 فأنا بخلافهم . يصفُ اشتهارَهُ في الأماكنِ وجلالتهِ في النفوسِ ، فيقول : إذا
 غَشِيَ الرَّجَالُ حُجُولُ الْفَيْفِنِي في شهرتي ونباهتي كالشمسِ التي يَتَّصِلُ شُعَامُهَا
 بكلِّ مكانٍ ، ويُعْرَفُ شأنُهَا في كلِّ نفسٍ وكلِّ زمانٍ .

(١) ابن جني في التنبيه : « على الأقران » .

(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات (١ : ٢٠٠) . وصدوره :

* ذو عباب زبد آذيه *

٥٥

قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب^(١) :

١ - مَهْلًا بِنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا

الْمَهْلُ وَالْمَهْلُ وَالْمَهْلُ لِلْمَهْلَةِ تَتَقَارَبُ فِي أَدَاءِ مَعْنَى الرَّفْقِ وَالسَّكُونِ . وَيُقَالُ :

لَا مَهْلَ لَكَ ، وَمَالِكَ مِنْ مَهْلٍ . قَالَ :

يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأُقَدِّمُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ مَهْلٍ^(٢)

يقول : رِفْقًا يَا بَنِي عَمَّنَا ، رِفْقًا مَوَالِينَا . وَهَذَا التَّكْرَارُ يَرِيدُ بِهِ التَّأَكِيدَ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ تَهْكِيمًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأْمًا ابْتَدَوْا فِي أَمْرٍ

لَمْ يَأْمَنْ مَعَهُ مِنْ تَفَاقُمِ الشَّانِ ، وَاسْتَفْجَالَ الْخَطْبِ ، مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى تَلَاْفِيهِ ،

فَاسْتَرْفَقَهُمْ لِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا » أَي لَا تُثِيرُوا مَا كَانَ مُسْتَوْرًا

مِنَ الشَّرِّ . وَذِكْرُ الدَّفْنِ وَالتَّبَشُّ اسْتِعَارَةٌ فِي الْإِظْهَارِ وَالسَّكْمَانِ .

٢ - لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُوا نَاؤَ نِكْرِكُمْ وَأَنْ نَكْفُ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُوذُونَا

يقال : طَمِعَ فُلَانٌ فِي كَذَا طَمَعًا وَطَمَاعِيَّةً وَمَطْمَعًا . وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ

مِنْ دُونَ فِي ، لِأَنَّ أَنْ الْخَفِيْفَةَ وَالشَّدِيدَةَ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا حُرُوفُ الْجَرَ حَسُنَ حَذْفُهَا

لِطَوْلِ الْكَلَامِ بِهَا . تَقُولُ : أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ ، وَطَامِعٌ فِي أَنْ يُخْسِنَ

زَيْدٌ إِلَيْكَ ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصْلَاكَ . وَلَوْ قُلْتَ : أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ ،

(١) هو المسمى بالأخضر الهجري ، لقوله :

وأنا الأخضر من يعسرفني أخضر الخلدة من بيت العرب

وهو شاعر خبيث متمكن . معاصر للأحوص والفرزدق ، وكان يميل إلى الوليد بن

عبد الملك منقطعاً إليه ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرره . الأغاني (١٥ : ٢ - ٩)

والمؤتلف ٣٥ والمرزباني ٣٠٩ . والبلاغي ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٢) الشمر ينطق بنسبة قائله ، وهو جميل .

وطامعٌ في أن يُحسنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ على أن أصلَكَ ، ولو قلت : أنا راغبٌ أن ألقاك ، وطامعٌ أن يحسنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ أن أصلك لجاز . ولو جعلتَ مكانَ أن المصدرَ فقلتَ : أنا راغبٌ في لقائك ، وطامعٌ في إحسانِ زيدٍ إليك ، وحريصٌ على صلَّتِكَ ، لم يَجْزُ حذفُ حرفِ الجرِّ . لا تقول : أنا راغبٌ لقاءك ، وطامعٌ إحسانَهُ إليك ، وحريصٌ صلَّتِكَ ؛ لأن ما كان يطولُ الكلامُ به لم يحضُر . يقول : لا تُقدِّروا أنكم إذا أهنتمونا قابلناكم ، بالإكرام ، وأنكم إذا آذيتمونا كففتنا عن أذاكم ، لأن عزتنا تمنعُ من ذلك .

٣- مهلاً بنى عمنا عن نحتِ أثلتنا سيرواروويداً كما كئتمت سيرونا

هذا الكلامُ فيه تهكمٌ فيقولُ رفقاُ يا بنى عمنا عن ثلثينا ، والوقوعُ فينا ، وسيروا على هينة^(١) ووقارٍ ، وسكينةٍ وانخفاضٍ ، على عادتكم للتقدمَةِ ، وسنتكم المهودة ، ودعوا ما استأنفتموه من الأخلاقِ المفكرة ، والسَّيرِ الذميمة . والأثلة : شجرةٌ نجعلُ مثلاً للعرض ، فيقال : فلانٌ ينحتُ أثلةً فلان ، إذا ذمَّه وتنفَّصه . وقوله « سيرواروويداً » أراد سيرُ واسيراً تروودون فيه ، أى ترفقون فيه وتسكنون . « كما كئتمت سيرونا » أى ارجعوا إلى مثل سيرتكم الأولى ، وإلى طريقتكم المثلى ، واتركوا ما ابتدعتموه ، فإننا لا نحتمله ولا نصابِرُكم عليه . وروى بعضهم بدلاً من المصراعِ الثانى :

* مهلاً بنى عمنا مهلاً موالينا *

ويحملُ التكرارُ فيه على أنه توعدٌ وتأكيدٌ .

٤- الله يعلم أننا لا نحببكم ولا نلومكم إلا تحبونا

استشهدَ بربه في انتفاءِ الحبِّ عن قلوبهم ، وذكر أنهم لا يلومونهم إذا

(١) م : « هينة » .

لم يحببهم . كأن المعنى أن القلوب تجبولة على حبِّ المحسنِ وبُغضِ المسيء ،
فإذا ارتفع التعامل بالإحسان مما بينهم ، وحَدَّثَ التجاذب بالإساءة فيهم ،
فالتحابُّ لا محالة ساقطٌ ، والتباغُضُ حاصلٌ .

٥ - كلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا

يقول : كلُّ واحدٍ منا ومنكم من قبلُ وإلى الآن له نيةٌ صادقة لصاحبه
في العداوة والبغضاء ، وعقيدةٌ خالصة في القطيعة والجفاء ، فيحمد اللهَ ومَنَّهُ
وجزيلٍ مَنَحِهِ قد استمرَّ أمرنا على أننا نبغضكم وتبغضوننا . وقوله « بنعمة
الله » هو كما جاء في القرآن : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْحُونٍ ﴾ . وقوله
« تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا » إشارةٌ إلى الحال . وحَدَفَ المفعول من الثاني لأنَّ في
الكلام ما يدلُّ عليه . ويجوز أن يكون أراد وتقلوننا فَحَدَفَ الثانيةَ عن
الإعراب ، وهي لغة حجازية . ومثله :

* قَدْ رُفِعَ الفَتْحُ فَمَاذَا تَحَذَرِي (١) *

يريد تحذرين ، وعلى هذا قولُ الآخر :

* إِلَى مِنْ بِالْحَنِينِ تُشَوِّقِيَنِي *

وهذا يؤيدُ مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب
عند الضرورة .

(١) نسب في حياة الحيوان للدمير . إلى طرفة بن العبد . وقبله :

يا لك من قبرة بممسر خلا لك الجو فيضى واصفرى

ونقرى ما شئت أن تنقرى

٥٦

وقال الطرماح بن حكيم الطائي^(١) :

١ - لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرئٍ غَيْرِ طَائِلٍ

قوله « أني بغيض » في موضع الفاعل، والمعنى: زادني بغاضتي إلى كل رجل لا فضل فيه ولا خير عنده، حُبًّا لنفسي، لأن التمايز بيني وبينه والتباين، هو الذي أدها إلى بغضي، ولو كان بيننا تشاكل وتقارب لما نبأ عني ولا أبغضني. وهذا الكلام تعريضٌ بمنايذله. وقوله « غير طائل » هو من طال عليهم يطول طوولاً. والطول: الفضل. وقال الخليل: يقال للشئ الدون الخسيس: هذا غير طائل، والمذكر والمؤنث فيه سواء. ويقال: زدتُ فضلاً كما يقال ازددتُ فضلاً وزادنيه كذا.

٢ - وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

قوله « أني شقي » أصله أني، لكنه حذف النون الأولى من أن تحقيقاً لأنه اجتمع ثلاث نونات. وهو محمول في الإعراب على أني في البيت الأول ومعطوف عليه، فيقول: وزادني حُبًّا لنفسي أيضاً شقوتي باللئام حتى تنقصوني واغتابوني، ثم قطع الإخبار وكأنه أقبل على مخاطبٍ ملتفتاً إليه فقال: ولا ترى أحداً يشقي بهم إلا وهو كريم الطباع، مجانب لهم بعرضه وأصله، وخلقه وفعله.

(١) هو الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر، شاعر خطيب، وكان يعد في المعلمين، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك، وكان صديقاً للكثير على ما كان بينهما من تباعد في النسب والبلاد، وكان يمدح خاله ابن عبد الله القسري. الأغاني (١٠: ١٤٨ - ١٥٣) والمؤتلف ١٤٨، والمعنى (٢): (٢٧٦ - ٢٧٨) والشعر والشعراء ٥٦٦.

ويقال شَقِيْتُ شِقْوَةً [وَشَقَاوَةً] ^(١) وَشَقَاءً. والشائِل : الطَّبَائِع ، واحداها شِمَالٌ. قال :

* أَلُومٌ وَمَا لَوْحِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *
 * تَحَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةٌ ^(٣) *

ثم يقال : هو حَسَنُ الشَّائِل ، والمراد به الهَيْئَةُ وَالشَّكْل .

٣ - إِذَا مَارَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فِعْلَ العَارِفِ المِتْجَاهِلِ

رجع إلى اختصاص ^(٢) الحال بيبه وبين من عَرَّضَ به فيقول : إِذَا أَبْصَرَنِي المِتْبَاعِضُ لِي ارْتَدَّ طَرْفُهُ عَنِّي ، وَقَطَعَ نَظْرَهُ إِلَيَّ ، فِعْلَ مَنْ يَعْرِفُ الشَّيْءَ وَيَتَكَلَّفُ جِهْلَهُ . وقوله « قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ » ، الطَّرْفُ : مصدر طَرَفْتُهُ ، إِذَا أَبْصَرْتَهُ . وعلى هذا قوله :

* تَحَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةٌ ^(٣) *

وقد يراد بالطَّرْفِ العَيْنُ أَيْضًا فيكون اسما للجارحة والحدِّثِ جميعا .
 وانتصب « فِعْلَ العَارِفِ » على المصدر مما دَلَّ عليه قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي .
 والمتجاهل : متكَلَّفُ الجَهْلِ . وعلى هذا : تعامى ، وتعارَجَ ، وتَحَارَزَ . وفي
 طريقته لفظًا ومعنى قولُ الآخر :

* تَشَاوَسَ يَزِيدُ إِنَّنِي مَن تَأْمَلُ *

٤ - مَلَأْتُ عَلَيْهِ الأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الضِّيْقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَّةً حَابِلِ

يقال : مَلَأْتُ عَلَيْهِ الأَرْضَ ، إِذَا ضَيَّقْتَهَا عَلَيْهِ . وَمَلَأْتُ مِنْهُ الأَرْضَ ، إِذَا
 قُتِّمَتْ وَقَعِدَتْ بِذِكْرِهِ . والحابل : نَاصِبُ الحَبَالَةِ . ويقال حَبَلْتُ الصَّيْدَ وَاحْتَبَلْتُهُ ،
 إِذَا أَخَذْتَهُ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : احْتَبَلَهُ المَوْتُ بِجِبَائِلِهِ . وَالكِفَّةُ ، يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ

(١) هذه من م .

(٢) في نسخة الأصل : « اختصاص » ، صوابه في م .

(٣) في الأصل : « علينا » صوابه في م . وهو لطفة في ديوانه ٦٤ . وعجزه :

* يَا لِقَوْمِي للشاب المسبكر *

به الحفيرة التي ينصب الحابل فيها الحباله . ويجوز أن يريد بها قترته ، ويجوز أن يريد بها عين الحباله ، لأنها تجعل كاطوق . وهذا أقرب لأن الخليل فسّر الكفة على ذلك . وجاز إضافتها إلى الحابل كما يجوز إضافة نفس الحباله إليه ، والمعنى : ضيقت عليه الأرض على اتساعها ، لشدة بغضه لي ، أي حتى كأنها برحبها في عينه كفة حابل إذا اجتمع فيها معي . وهذا يشير به إلى تضادّ الطبعين ، وتباين الخلقين ، وأنه لو أمكنه لا تنفي وجوده في الأرض انتفاء الضد للضد ، قلة موافقة وكثرة مخالفة .

٥٧

وقال بَعْضُ بَنِي قَقْمَسٍ^(١) :

١ - وَذَوِي ضَبَابٍ مُظْهِرِينَ عَدَاوَةَ قَرَحَى الْقُلُوبِ مَعَاوِدِي الْإِفْنَادِ

يقول : رَبِّ قَوْمٍ ذَوِي أَحْقَادٍ وَضَفَائِنَ ، مجاهرين بعداوتي ، مراجعيني حالاً بعد حال قول الفحش في ، مُتَقَرِّحِي الْأَفْتَدَةَ لَشِدَّةِ الْحَسَدِ وَالْبُغْضِ لِي ، فعلتُ بهم كذا . وجواب رَبِّ فيما بعد . وذكر قَرَحَ الْقَلْبِ مَثَلًا فِي الْعَدَاوَةِ ، كما يذكر مرضه مثلاً في التَّفَاق . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . فأما ذكر الصَّعْرِ وَالشَّوْسِ فهو من هذا الباب ، لكنه تصوير حال المبالغِضِ أَوْ الْمُتَكَبِّرِ فِي نَظَرِهِ ، أَوْ إِقْبَالِهِ أَوْ التَّفَاتِهِ ، وكذلك ما يشبهه . وقوله « معاودي الإفناد » الإفناد بكسر الهمزة : مصدر أفند الرجل ، إذا أتى بالفند . وإذا روي « الأفناد » بفتح الهمزة فهو جمع الفند ، وهو الفحشُ والخطأُ في

(١) التبريزي : قال أبو محمد الأعرابي : الصواب أنه لمرداس بن جشيش ، أخي بني سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه .

الرأى . ويقال فى اللؤم : فَنَدَتْهُ ، لأنه يجمع تخطئة الرأى وذكر القبيح .
والضُّباب : جمع الضَّبِّ ، وهو الحِقْد . قال :

* يارُبُّ ذى ضِغْنٍ وضَبِّ فارِضٍ ^(١) *

ويقال : فلان خَبُّ ضَبِّ ، إذا كان مُنْكَرًا فى المعادة .

٢ — ناسيتهم بفضائهم وتركتمهم وهم إذا ذكرك الصديق أعاد

يقول : رُبَّ قَوْمٍ هكذا أنا نَسَيْتُ بَعْضَهُمْ لى حَتَّى نَسُوا أَيْضا — لأنَّ
المُناساة تكون من اثنين فصاعداً — وتركتمهم وهم من جملة الأعداء ، إذا مُبِزَّتْ
بالذكر الأصدقاء . وقوله « الصديق » أراد به الجنس .

٣ — كَيْما أَعَدَّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَأَقْدَمَ بِحِجَاءِ إِلَى ذَوَى الْأَحْقَادِ

يقول : لم أكَشِفْهُمْ ، ولا أظهرت لهم عَمَى بَعْدَوتهم ، بل استمرت فى
مداجاتهم ومساترتهم ، وعمركت بجنبي ما بَدَرَ من هَفَوَاتهم ، طلباً لأن أَعِدَّهُمْ
لمن هو أَبْعَدُ شَأْواً فى العداوة ^(٢) ، أو أَشَدُّ تَأَخُّراً فى الالتحام والقراية . ثم قال :
ولقد يَضَطَّرُّ الإنسان إلى نُصْرَةِ بنى الأعمام وإن كانوا مُنْطَوِّين على ضعائن ،
فإذا قَاتَلَ ببعضهم بَعْضاً لَأَمَّهُ ذلك ووافقه ، وحصلت الدَّيْرَةُ ^(٣) على من حَصَلَ ،
إذ كان فيه تفانهم ، واشتفاء الضُّدُورِ منهم . وهذا كما قيل لبعض حكماء
العرب ما تقول فى ابن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

(١) انظر الحيوان (٦ : ٦٦) ومجالس ثعلب ٣٦٤ واللسان (فرض) .

(٢) التبريزى عن أبى محمد الأعرابى أن الصواب : لأبعد قراية منهم . قال : وهو مثل

قول حضرمى بن عامر :

ولقد طويتكم على بلاتكم وعلمت ما فىكم من الأذراب

كَيْما أَعَدَّكُمْ لِأَبْعَدَ مِنْكُمْ ولقد يحاء إلى ذوى الأنساب

(٣) الدبيرة ، بالفتح : الظفر والنصرة ، كما اللسان (٥ : ٣٥٢) .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (١) :

١ - دَفَعْنَا كُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطَرْتُمْ وبالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ

يقول : دَرَجْنَاكُمْ فِي اسْتِبْقَائِكُمْ (٢) وَرَتَّبْنَا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي اسْتِفَاءِ تِكُمْ وَإِصْلَاحِكُمْ ، فَوَعظْنَاكُمْ أَوَّلًا بِاللِّسَانِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجِدَالِ ، حَتَّى أَبْطَرَكُمْ ذَلِكَ وَزَادَكُمْ إِغْرَاءً ، فَارْتَقِينَا مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الدَّفْعِ بِالرَّاحِ ، وَتَقْبِيحِ مَا تَأْتُونَهُ بِأَحْسَنِ الْمَسِّ ، فَلَمَّا لَمْ يُعْنِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَدَلْنَا مِنْهُ إِلَى الدَّفْعِ بِالْأَصَابِعِ ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْخَشُونَةِ وَاللِّيَانِ مَعْلُومٌ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْلَابِ . وَمَرَّ بِي فِيمَا قَرَأْتُهُ مِنْ مَجَازِبَاتِ قُرَيْشٍ ، أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِآخِرِ مِنْهُمْ مُسْتَضْعِفًا لِمَا أوردَهُ عَلَيْهِ : هَذَا دَفْعٌ بِالرَّاحِ ! فَقَالَ مَجِيبًا : كَلَّا إِنَّ مَعَهَا الْأَصَابِعَ ! وَقَوْلُهُ « حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ » انْتَصَبَ دَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ الدَّفْعُ دَفْعَ الْأَصَابِعِ . وَلَكِ أَنْ تَرْفَعَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ ، وَتَضْمُرَ الْخَبَرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ دَفْعَنَا ، أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَانَ بِمَعْنَى حَدَثَ ، فَتَكْتَفِي بِالْفَاعِلِ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى كَانَ التَّامَّةَ .

٢ - فَامْتَارَ أَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعٍ

يقول : وَلَمَّا وَجَدْنَاكُمْ لَا تَرَعُونَ لِمَوَاعِظِكُمْ وَنَذْرِكُمْ ، وَلَا يِعَاوِدُكُمْ مَا عَزَبَ مِنْ بَصَائِرِكُمْ وَعَمَلِكُمْ ، وَلَا يَقِفُ الْجَهْلُ بِكُمْ عَلَى غَايَةٍ لَا تَتَجَاوَزُ وَرَاءَهَا ، وَلَا يُفْنِي مَا اسْتَفْرَغْنَا فِيهِ الْوُسْعَ مِنْ رَدِّكُمْ وَزَجْرِكُمْ ، رَاجِعْنَا أَنْفُسَنَا

(١) التبريزي : « يزيد بن الحكم الكلابي » . وهذا غير يزيد بن الحكم الثقفى ، المترجم في الأغانى (١١ : ٩٦ - ١٠٠) والخزانة (١ : ٥٤ - ٥٦) .
(٢) م : « درجنا في استبقتكم » .

مُنْكَرِينَ وَمَتَعَجِّبِينَ ، وَأَقْبَلْنَا نُبَاحِثُ عَنْ أَصْوَابِنَا وَفِرْعَوْنَا مُعْتَرِينَ ^(١) ، لِنَقْفَ عَلَى مَا وَطَّأَ لَكُمْ مَرَائِبَ الْعُقُوقِ ، وَحَسَّنَ فِي آرَائِكُمْ تَحْطِي مَوَانِعَ الْحَقُوقِ ، إِلَى نَكْتِ قُوَى الْعُهُودِ .

٣ - مَسِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكَلْنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِحِ

قوله « مَسِسْنَا » يجوز أن يكون بمعنى أَصَبْنَا واختَبَرْنَا ، لأنَّ الْمَسَّ بِاليدِ قد يُقصدُ به الاختبار ، ويجوز أن يكون بمعنى طلبنا . وقد قال بعضُ الناس في قول الله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : إنَّ المعنى لا يطلُبُهُ . قال : وَاللَّسَّ كَالْمَسِّ فِي أَنَّهُ يَوْضَعُ فِي مَعْنَى الطَّلَبِ . قال : وعلى هذا يُجْمَلُ قولُ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَمَاتٍ حَرَسَاتٍ ^(٢) ﴾ . فَمِنْ الْأَوَّلِ قولُهُمْ : مَسَّهُ الْكِبَرُ ، وَأَفْضَى الرَّجُلُ إِلَى إِسْرَاتِهِ إِفْضَاءً مَسِيسٍ . وَمِنْ الثَّانِي مَسَّاسُ الْحَاجَةِ . فَأَمَّا قولُهُمْ : بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ ، فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوَّلِ وَمِنْ الثَّانِي جَمِيعًا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : بِهِ لَمٌّ مِنْ جُنُونٍ ، وَأَصْلُهُ مِنَ اللَّمِّ وَهُوَ الْجَمْعُ أَوْ الْإِلْمَامُ . وَقَوْلُهُ « وَكَلْنَا إِلَى حَسَبٍ » أَي يَنْتَمِي وَنَتَمِي ^(٣) . فِ « إِلَى » تَعَلَّقَتْ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ اللَّضْمَرَاتِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَنَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ . وَقَوْلُهُ « كَلْنَا » أَي كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا ، يَعْنِي أَهْلَ بَيْتِهِمْ . أَلَّا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَمَّا اشْتَدَّ لَيْجَاجُهُمْ وَطَالَ تَمَادِيهِمْ ، وَصَارُوا لَا يَنْزِلُونَ عَنْ مَرَائِبِ الْبَنِيِّ ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنِ الدَّهَابِ فِي طَرْقِ الْفَسَادِ ،

(١) م : « معتبرين » .

(٢) وإنا ، وزدت بكسر الهمزة في النسختين . وقد اختلف القراء في كسر همزة إن وفتحها في اثني عشر موضعاً من هذه السورة ، وهي سورة الجن ، فقرأ بعضهم بالكسر في جميعها ، وبعضهم بالفتح في جميعها ، وبعضهم بالكسر في بعضها والفتح في بعضها الآخر . لإتحاف فضلاء البشر .

(٣) م : « أي نتمى ونتمى » .

نَظَرْنَا : أَي عَرَقِي يَقْتَضِي مُنْكَرَ الْخِلَافِ مَعْنَا ، وَمَا الَّذِي يَوْجِبُ التَّدَابُرَ مِنَ الْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ بَيْنِنَا ، فَهَسْنَا أَطْرَافَ أُبُوتِنَا ، وَاسْتَشْفَفْنَا جَوَانِبَهَا ، وَوَجَدْنَا كَلَامًا مَنَّا يَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ يَرْفَعُهُ وَلَا يَضَعُهُ . وَيُقَالُ : وَضَعْتُهُ ، إِذَا حَطَّطْتَ مِنْهُ . وَوَضَعَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ وَضِيعٌ بَيْنَ الضَّعَةِ وَالضَّعَةِ . وَالتَّوَضِيعُ : التَّائِثُ وَالانْكَسَارُ مِنْ هَذَا . وَيُقَالُ : دَابَّةٌ حَسَنَةٌ الْمَوْضِعِ ، وَضِدُّهُ الْمَرْفُوعُ . وَبَعِيرٌ عَارِفٌ الْمَوْضِعِ ، أَي ذَلُولٌ عِنْدَ الرَّكُوبِ .

٤ - فَلَمَّا بَلَغْنَا الْأُمَهَاتِ وَجَدْتُمْ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمَضَاجِعِ جَعَلَ الْمَضَاجِعَ كِنَايَةً عَنِ الْأَزْوَاجِ . وَهَذَا كَمَا يُكْنَى عَنْهُمْ بِالْمَفَارِشِ . قَالَ :

سُجِّرَاهُ نَفْسِي غَيْرَ جَمْعِ أَشَابَةٍ حُشْدٍ وَلَا هُلْكَ الْمَفَارِشِ عُدْلٍ

يَعْنِي أَنَّ أُمَهَاتِهِمْ عَفَائِفٌ . فَيَقُولُ : لَمَّا تَقَصَّيْنَا بِالْبَحْثِ وَالْكَشْفِ أَنْسَابَ آبَائِنَا ، وَعِلَاقَ^(١) وَوَصَلَهَا فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا مَعْمَزًا ، وَلَا إِلَى مَا ذَمَّنَا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ مِنْهَا دَاعِيًا ، عَدَلْنَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَنْسَابِ أُمَهَاتِنَا ، وَالتَّوَضُّعِ إِلَى مَكْنُونِ وَشَائِبِهَا ، وَبِجَهْلِ مَوَاصِلِهَا ، فَالْقِيَمِ أَبْنَاءِ عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْفُرُشِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَارِضِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ : كَانَتْ أُمَهَاتُنَا أَشْرَفَ مِنْ أُمَهَاتِكُمْ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ مَا خَالَفْتُمُونَا فِيهِ ، وَصَرْتُمْ عَلَى حَرَفٍ مَبَايِنَةٍ لَنَا مِنْ أَجْلِهِ ، شَيْءٌ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَجَدْتُمْ » لِيَكُونَ كَالْتَقْرِيرِ لَهُمْ ، وَيَصِيرَ مَا ادَّعَى مِنَ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ بِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَجَدْتُمُونَا ، فَوَضَعَ بَنِي عَمِّكُمْ مَكَانَ « نَا » ، وَهُوَ أَخْصَرُّ مِنْ بَنِي عَمِّكُمْ ، بِدَلَالَةِ أَنْ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ أَخْصَرُّ مِمَّا يَكُونُ لِلْغَائِبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَضَعَ الْأَذْوَنَ مَوْضِعَ الْأَخْصَرِّ .

(١) م : « وعلق » .

وليس الأمر على ما قال، لأن الرجل إنما يريد بيني وعمكم الآباء، وقد قدم ذكرهم في قوله «مسئنا من الآباء». ألا ترى أنه قال: كانوا كرام المضاجع. وإذا كان الأمر على هذا، كان الواجب عليه أن يقول: وجدتم آباءنا كانوا، لا وجدتمونا.

٥٩

وقال جابر بن رالان^(١):

١- لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إِذَا مَا نَسَبْتَنِي إِذَا لَمْ تَقُلْ بُطْلًا عَلَيَّ وَمِينَا

لعمرُك مبتدأ، وخبره محذوف، فكأنه قال لعمرُك ما أقسمُ به، ولا يُستعمل في اليمين إلا بفتح العين، وإن كان ضمها لغةً فيه. و«أخزى» يجوز أن يكون من اخزى: الهوان، ويجوز أن يكون من الخزاية: الاستحياء. وللبطل يراد به الباطل. والمئين: الكذب، وقد مان، وهو مانٌ وميئون. والمعنى: وبقاتك ما أستحي أو ما أهون ولا أذل متى ما ذكرت أسلافي وآبائي ولم تقل باطلا، ولم تدع على زوراً. وقوله «إذا ما نسبتي» ظرف لقوله ما أخزى. و«إذا لم تقل» يجوز أن يكون بدلاً منه. ولولا أنه كرر «إذا» لكان الكلام ما أخزى إذا ما نسبتي ولم تقل بطلاً وميناً. ولا يجوز أن يكون العامل في إذا «ما نسبتي» لأن ذا قد أضيف إليه وبين به، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ويجوز أن يكون إذا الأولى بما اتصل به وما عمل فيه الجملة في جواب إذا الثانية، كأنه قال: إذا لم تقل بطلاً فللعمرُك ما أخزى إذا ما نسبتي. وانتصب «بطلاً» على أنه

(١) التبريزي: «جابر بن رالان السبسي». ثم قال: «من همز رالان فهو فعلان من لفظ الرال، ومن لم همزه احتفل أمرين: أحدهما أن يكون تخفيف رالان، كقولك في تخفيف رأس راس، والآخر أن يكون فعلان من رولت الخبز في السن ونحوه، إذا أشبعته منه».

مفعول لم تقل ، لأن القول يُحكي بعده الجمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها ،
ويقع المفرد بعده - إذا كان معنى الجملة - منصوباً به .

٢- ولكنا يخرى امرؤ يكلم أمته قنأ قوميه إذا الرماح هويننا^(١)

هذا تعريض بالمخاطب ، يقول : أنا لا أخزى إذا ذكِرَ مسعاة أبائي على
حدّها وحقّها ، إنّما يخرى لذلك رجلٌ هذا صفته ونعته ، وهو أنه يجرح
استه ، لكونه مولياً ومنهزماً ، رماح قوميه إذا شرعت اللطّن . وإنما قال
« قنأ قوميه » لأنه أشار في تعريضه إلى حالة اتفقت للمخاطب مع أبناء عمه .
وكلّ جرح صغر أو كبر فهو كلم .

٣- فإن تبعضونا بغضة في صدوركم فإننا جدعنا منكم وشريننا

قوله « في صدوركم » بما تعلّق به في موضع الصفة للبغضة . والمعنى : إن
انطوت صدوركم لنا على بغضة راسخة فيها ، متمكنة منها فغير مستنكر عندنا
ولا مستطرف من أحوالنا ، لأن ما ارتكبهناه فيكم من جدع الأنوف وبيع النفوس
يأذلنا إياًكم ، وبما أخذناه في فداكم ، يوجب البغضاء ، ويقضى الشئان .

٤- ونحن غلبنا بالجمال وعزها ونحن ورثنا غيثاً وبدينا

يعنى بالجمال أجأً وسلمى وهضابهما ، ولذلك جمع . وقوله « وعزها » أراد
عزاً أربابها وسكانها . ويجوز أن يريد العز الذي يحصل لهم عند التحشّن بها .
وطيئاً ؛ أبداً نفتخر بذلك ، لأنهم إذا اعتصموا بها لم تتوصل الأعداء إليهم فيها .
وغيثٌ وبدينٌ : قبيلتان^(٢) . يريد : ورثنا أحسابهم ومفاخرهم . وغيثٌ :

(١) التبريزي : « تكلم استه » .

(٢) التبريزي : « وغيثٌ وبدينٌ : اسمان رجلين من طيس » .

فِيْعِلُّ مِنَ الْغَوْثِ ، وَفِي بَطُونِ طَبِيٍّ بَطْنٌ يُقَالُ لَهُمُ الْغَوْثُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي .

٥ - وَأَيُّ ثَنَائِيَا الْمَجْدِ لَمْ نَطَّلِعْ لَهَا وَأَنْتُمْ غَضَابٌ تَحْرُمُونَ عَلَيْنَا

الاستفهام هنا يجرى مجرى النفي ، كأنه قال : ما ثنيت من ثنايا المجد إلا طالعنا لها . والثنية : فعيلة من ثنيت ، أي عطفت وصرفت ، وكما استعملت في الجبال استعملت في الأمور والخطات^(١) . قال :

وَتِنِّيَّةٌ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ وَغَرَّةٌ فَرَجَتْ يَدَايَ فَكَانَ فِيهَا الْمَطْلَعُ

فلذلك ذكرها هنا مثلاً ، والمعنى : إنَّ مَطَالِحَ الشَّرَفِ عَلَى تَوْعْرِهَا أَوْ تَسْمِئِهَا ارْتَقِينَا إِلَيْهَا ، وَأَنْتُمْ تَهْدِدُونَنَا فِي غَضَبِكُمْ ، وَالْحَرْقُ : حَرْقٌ أَحَدٌ الْفَائِنِ بِالْآخِرِ . وَقَدْ حَرَّقَ نَابَهُ يَحْرِقُ وَيَحْرُقُ ، حَرْقًا وَحُرُوقًا^(٢) ، مِنَ الْعَيْظِ . وَذَكَرَ الْخَلِيلُ : حَرِيقُ النَّابِ كَصَرِيفِ النَّابِ . وَ « فَلَانَ يَحْرُقُ عَلَى الْأَرْمِ » وَيُرْوَى « الْأَرْمِ » . وَالْأَرْمُ : الْأَكْلُ ، وَالْأَرْمُ : الْعَضُّ ، وَهِيَ جَمِيعًا بِالْأَسْنَانِ ، وَالْمَعْنَى يَحْرُقُ عَلَى أَسْنَانِهِ . وَالتَّوَعَّدُ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُظْهِرُ بِهِ شِدَّةَ الْغَيْظِ . وَاكْتَفَى بِقَوْلِهِ « يَحْرُقُونَ » عَنْ ذِكْرِ الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومًا . وَيُقَالُ : اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَلَهُ ، إِذَا أُشْرِفَ . وَالْمَعْنَى إِنَّا رَدَدْنَا عَلَى حَسَدِكُمْ لَنَا ، وَتَغَيْظِكُمْ فِينَا ، قُوَّةً وَشَرَفًا ، وَعِزَّةً وَكِرْمًا ، حَتَّى لَمْ تُبَقِّ غَايَةَ مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا ارْتَقِينَا إِلَيْهَا وَعَلَوْنَاهَا .

(١) الخطاطات : جمع خطة ، وهذا ما في م . وفي الأصل : « والخطاب » .

(٢) حرق ، هذه لازمة ومتعدية ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه أيضا .

٦٠

وقال سبرة بن عمرو الفقمسي^(١)

وعيره ضمرة بن ضمرة النهشلي كثيرة إبله .

١ — أتَنَسَى دِفَاعِي عَنكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ وَقَدْ سَأَلَ مِنْ ذُلِّ عَالِيكَ قَرَارِ^(٢)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار . أى لم تنسى مدافعتي عنك حين كنت مخذولاً لا ناصر معك ، وقد امتدَّ سيل الذلِّ نحوك فسأل عليك . فإذا ظرفٌ لدفاعي . وقَرَارِ : اسمٌ وادٍ ، ويكون ذكره مثلاً . ومن كلامهم : « سال عليه الذلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلِّ من ناحية قَرَارِ ، فلذلك خصَّه . وقوله « إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ » يقال أسلمته وسلمته ، إِذَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ النَّكَايَةَ فِيهِ . وَأَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ فِي حِرْفَةٍ ، إِذَا أَرْسَلْتَهُ فِيهَا . وقوله « وقد سال » فى موضع الحال ، أى أسلمت وحال ذلك .

٢ — وَنِسْوَتِكُمْ فِي الرَّوْعِ بِأَدِ جُوهَمَا يُخْلَنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَارِ^(٣)

قوله « ونسوتكم » مع خبره جملة انعطفت على قوله « وقد سال من ذلِّ »

(١) التبريزي : « ذكر أبو عبيدة أن سبرة بن عمرو قال هذه الآيات فى منافرة عباد ابن أنف الكلب ومعبد بن فضلة بن الأشتر الفقمسي . . . تنافرا إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نَهْشَل بن دارم ، وبينهما مائة من الإبل خطر ، فقال عباد لضمرة : لك مائة من الإبل ، وتنفرنى على معبد . ففعل ، فهو أول من ارتشى من حكام الجاهلية » . وقد روى ياقوت الآيات (فى قَرَارِ) .

(٢) ذكر التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصواب : « وقد سال من نصر عليك قَرَارِ » ، قال : يعنى نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه . يقول : دافعتهم عنك حين سال الوادي بهم عليك .

وهذا وصفُ الحال التي مُنِيَ بها حين نَصَرَهُ بِمَخَاطِبِهِ . والمراد : ونساؤكم
تَشَبَّهْنَ بالإماء ، مخافةَ السَّيِّئِ ، حتى تَبَرَّجْنَ وبرزن مكشوفاتِ ناسياتٍ للحياءِ
وإن كنَّ حرائرَ . وإنما قال هذا لأنهم كانوا يَقْصِدُونَ بسبِّي من يَسْبُونَ من
النساءِ إلحاقَ العارِ ، لا اغتنامَ الفداءِ والمالِ ، ولما كان الأمرُ على هذا فالحُرَّةُ
كانت في مثل ذلك الوقتِ تَقْسَبُهُ بِالْأُمَّةِ ، لكي يُزَهَّدُ في سَبِّهَا . ومعنى
و «الإماء حرائر» : واللائي يُحْسَبْنَ إماءَ حرائرُ . ولو قال يُخْلَنُ إماءٌ وهنَّ
حرائرُ لكان مأخذُ الكلامِ أقربَ ، لكنَّه عدلٌ إلى « والإماء حرائر » ،
ليكون الذِّكْرُ به أعمَّ ، والاقتصاصُ ^(١) أشنعُ وأعظمُ . وقال « بادِ وجوهها »
لتقدُّمِ الفعلِ ، وأنَّ تأنيثَ الوجوهِ غيرَ حقيقي ، ولو قال بِإِدِيَّةٍ وجوهها لجاز .
وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَخَارِ غَانِيَةٍ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا

٣- أَعْيَرْنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا وَذَلِكَ حَارٌّ يَا بِنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ

يريدُ على وجه الإنكارِ والتفريعِ : لِمَ أَعْيَرْنَا أَلْبَانَ الْإِبِلِ وَلُحُومَهَا وَاقْتَنَاهُ
الْإِبِلِ مَبَاحٌ لَا مَحْظُورٌ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، وَالِاتِّفَاعُ بِلُحْمَانِهَا وَأَلْبَانِهَا مُسَوِّغٌ
غَيْرُ مَرْدُودٍ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ ، وَتَفْرِيقُهَا فِي الْمَحْتَاجِينَ إِلَيْهَا إِحْسَانٌ وَمَعْرُوفٌ
يَجْلِبَانِ ^(٢) الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ . وذلك عارٌ ظاهرٌ ، أى زائلٌ . قال أبو ذؤيب :

وَعَيَّرَهَا الْوَأَشُونَ أَنِّي أَحِبُّهَا وَتَلَّكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا

ومن هذا قولك : ظَهَرَ فَوْقَ السَّطْحِ ، وَقَوْلُكَ : جَعَلْتُهُ مِنِّي بَظْهَرٍ ، وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ اتَّخَذَتْ مُوَهُ وَرَاءَ كَمِ ظَهْرِيًّا ﴾ . ويجوز أن يريد بالظاهر أن الحال في أن

(١) كذا في م . وفي الأصل : « والقصاص » .

(٢) كذا ضبط بضم اللام في التسخين ، وهي إحدى لغتين : ضم اللام وكسرهما

ذلك ليس بعار ظاهرةٌ غيرُ مُلبِسةٍ ولا خافيةٍ . ويقالُ عَيْرَتُهُ كذا وهو الأَفْصَحُ ، وعَيْرَتُهُ بكذا . قال عدى :

أَيُّهَا الشَّامِتُ المَعِيرُ بالدَّهْرِ (١)

والواو من قوله « وذلك عارٌ » واو الحال ، أى أتعيرنا والحال ذلك .

٤ - نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا وَنُهَيْنَا وَنَشْرَبُ فِي أُنْمَانِيَا وَنُقَامِرُ

بين وجوه تصرفهم فيما عَيْرَهُم به ، فقال : نجملها حياءً لنظرائنا فنتهادى بها ، ونُسَهِّلَ تَمَكَّنَ العُفَاةِ وَالزُّوَارِ مِنْهَا ، بابتذالها وإهانتها - وحذَفَ ذِكْرَ مَنْ أَهْيَنَتْ لَهُ لِأَنَّ المَرَادَ مَفْهُومٌ - ونبيعها فنصرفُ أُنْمَانِيَا إِلَى الخمرِ وَالْإِنْفَاقِ ، وَنَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ عَلَيْهَا فِي اللَّيْسِرِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الزَّمَانِ ، فنفرُّقُهَا فِي الضُّعْفَاءِ وَالْحَاجِّينَ إِلَيْهَا . وَفِي تَعْدَادِ هَذِهِ الْوَجُوهِ إِبْطَالٌ لِكُلِّ مَا أَوْهَمَ أَوْ ادَّعَى يَلْحَقُ مِنَ العَارِ فِي اقْتِنَائِهَا وَادِّخَارِهَا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا » عَلَى أَنْ يَكُونَ نُفَاعِلٌ مِنَ الْحَيَاةِ ، أَيْ نَعَايِشُهُمْ بِهَا وَنَجْمَالُ ؛ وَليْسَ بِشَيْءٍ ، فَلَا تُعْرَجُ عَلَيْهِ .

٦١

وقال آخر من بني فقمس (٢) :

١ - أَيُّبَعِي آلُ شَدَادِ عَلَيْنَا وَمَا يُرْعِي لَشَدَادِ فَصِيلُ

مخرجُ هذا الكلام مخرجُ الكلام المتقدم ، في أنه إنكار وتقرُّعٌ ، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التبخيل ، وهو :

(١) تمامه ، كما في الأغاني (٢ : ٣٤ ساسي) : « أنت المبرأ الموفور » .

(٢) التبريزي : « قال أبو هلال : هو عمرو بن مسعود بن عبد ممرارة » .

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبِنِي بَرَبٍ وَلَا لَحْمِي عَلَيَّ وَلَا سِلَاتِي^(١)
 أَى مَا لَهُمْ يَبْنُونَ عَلَيْنَا وَحَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا هُوَ نَهَايَةُ الْبَخْلِ وَالشُّومِ ،
 وَالذَّقَّةِ وَاللُّومِ ، حَتَّى لَا يُحْمَلُ فَصِيلٌ لَهُمْ عَلَى إِزْغَاءٍ بَأَن يُفْصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 أُمِّهِ بِنَحْرٍ أَوْ هَبِيَّةٍ ، ضَنْبًا بِهِ ، وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ . أَى إِنَّهُمْ لَا يَسُوغُ لَهُمُ الْبَغْيُ مَعَ
 هَذِهِ الْحَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « وَمَا يُرْغَى لَشَدَادِ فَصِيلٍ » يَرَادُ بِهِ مَا لَهُمْ
 فَصِيلٌ فَيُرْغَى ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ^(٢) :

* وَلَا تَرَمَى الصَّبَّ بِهَا يَفْجَحِرُ*^(٣)

وَالْمَعْنَى : لَا ضَبَّ بِهَا فَيَنْجَحِرُ . يَرْمِيهِمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ ، وَضَعْفِ الْمُنَّةِ ،
 وَقُصُورِ الْإِسْتِطَاعَةِ . وَيُقَالُ : أَرْغَى فُلَانٌ فَصِيلَهُ ، وَإِذَا حَمَلَهُ عَلَى الرِّغَاءِ ، وَأَرْغَى
 فُلَانٌ فُلَانًا وَأَنْعَى ، إِذَا أَعْطَاهُ إِبْلًا وَغَنَمًا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَمَا يُرْغَى »
 بِكَسْرِ الْغَيْنِ ، أَى لَا يُعْمَلُ بِالْفَصِيلِ مَا يُحْمَلُ أُمُّهُ عَلَى الرِّغَاءِ لَهُ . وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

٢ - فَإِنْ تَعَمَّرَ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أَنْامِلٍ مَنْ يَصُولُ

هَذَا تَعْرِيفٌ وَإِعَادَةٌ ، فَيَقُولُ : إِنْ رُزِقْنَا وَجَدْنَا غِلَظًا عَلَى مَنْ يَصُولُ
 عَلَيْنَا ، جُمَاةٌ عِنْدَ مَنْ يَسُومُنَا مَكْرُوهًا . وَالْمَعْنَى : لِأَنْسْتَلَانَ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . وَجَعَلَ
 التَّعَمَّرَ تَعَمَّرَ لِلْفَاصِلِ كِنَايَةً عَنِ الْإِخْتِبَارِ . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ^(٤) : « لَا أُعَمَّرُ
 كَتَمَازِ التَّيْنِ » ، وَلِذَلِكَ صَالِحٌ أَنْ يَقُولَ اسْتَفْظَمْنَا فِي أَنْامِلِهِمْ . وَخَصَّ الْأَنْامِلَ
 لِأَنَّ الْإِنْفِتَالَ عَنِ الشَّيْءِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ بِسَلَامَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ يَقْوَى .

(١) أَى لَا أَجِلُ اللَّبْنَ بِمَنْزِلَةِ الْمُعْظَمِ الْمَبِجَلِ ، أَوْ الْمَالِكِ لِي ، بَلْ أَبْذِلُهُ وَأَهْيِيهِ لِلضَّيْفِ .

(٢) هُوَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ ، يَصِفُ فِلَاةً . الْخَزَائِنَةُ (٤ : ٢٧٣) .

(٣) صَدْرُهُ : * لَا تَفْرَعُ الْأَرْنَيبَ أَهْوَالَهَا * .

(٤) هُوَ الْحِجَاجُ ، قَالَهَا فِي خُطْبَةٍ لَهُ بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ . الْبِيَانُ (٢ : ٣٠٩) .

٦٢

وقال جزء بن كليب الفقهسي: (١)

١- تبغى ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستاد منا أن شتونا لياليا

قوله « والسفاهة كاسمها » اعتراض دخل بين تبغى ومفعوله. والأصل في السفه: الخفة. ويقال: زمام سفية، لاضطرابه، كما يقال زمام عيانه (٢).

فيقول: تطلب هذا الرجل ما تطلبه سفها، وفعل السفاهة قبيح كما أن اسمها قبيح. وإنما قال هذا لأن السفه كما تنكر العقول والقلوب ذاته وفعله، كذلك

تمج الأذان والصدور اسمه. فإن قيل ما اسم السفاهة حتى قال: والسفاهة كاسمها؟ قلت: قوله والسفاهة، أراد ما يسمى سفاهة، أي المسمى بهذا الاسم،

كما أن الاسم الذي هو السفه قبيح. إلا أنه لما لم يجد إلى العبارة عن الذات طريقاً إلا باسمه قال: والسفاهة. ويجوز أن يكون أراد بتبغى: أدخل نفسه

في التبغى، حين عدّا طوره، وسامنا مواصلته، كما يقال تشجع وتمراً. وقوله « ليستاد منا أن شتونا لياليا » أتى بالفعل واللام، لأن تبغى مثل أراد. فكما

قال الله عز وجل: ﴿ يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾، وقال الشاعر:

* أرادت لنتناش الرواق فلم تقم *

والعنى يريدون إطفاء نور الله، وأرادت انتياش الرواق - كذلك قال هذا:

(١) التبريزي: « قال أبو محمد الأعرابي: هو جرير بن كليب، لا جزء. وقد ذكر جريراً في المؤلف ٧١ وقال: « جرير بن كليب بن نوفل بن فضلة الشاعر. كذا ذكر ابن حبيب في كتابه الذي ذكر فيه شعراء القبائل، ولم يذكر له شعراً، ولا وجدت له في قبائل بني أسد ذكراً. وهو إسلامي. »

(٢) م: « عيان » كشداد. وكلاهما متجه. فالعيان: الكثير الحبي والذهب. هو العيان: المتبخير الميال.

تبغى لِيَسْتَدادَ ، والمعنى تَبَغَى الاستيادَ معنا ومُراد الشاعر تَطَلَّبَ النِّكَاحَ في سادتنا من أجل أَنَا دَخَلْنَا في الشِّتَاءِ . والمعنى من أجل أَنَا افْتَقَرْنَا واشتدَّ الزمان علينا فآثَرَ فينا . قوله « أن شَتَوْنَا » موضعه نَصَبٌ ، أصله لَأَنَّ شَتَوْنَا ، فلما حُذِفَ الحرف الجارُ وَصَلَ الفعلُ قَعِيلٌ . ومعنى شَتَوْنَا : قَحَطْنَا ^(١) وأَقَمْنَا في القَحَطِ ، كما تقول شَتَوْنَا بَمكانٍ كذا . ويقال : اشْتَيْنَا ، إذا أُريدَ دَخَلْنَا في الشتاء .

٢ - فما أكبرُ الأشياءِ عِنْدِي حَزَاةٌ بِأَنَّ أُبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيًّا

انتصب « حَزَاةٌ » على التمييز ، فيقول : ليس انصرفك عَنَّا عَائِبًا عَلَيْنَا حين لم نُسْعِفْكَ بِمُرَادِكَ ، ولم نُجِبْكَ لَمَّا خَطَبْتَ من خَطَبْتَ إلى مَلْتَمَسِكَ ، ومَعِيًّا عِنْدَنَا حين عَدَوْتَ طَوْرَكَ فَتَجَاوَزْتَ مَسْتَحَقَّكَ وَقَدْرَكَ ، بشيءٍ يَكْبُرُ عِنْدِي تقطيعه ^(٢) في الصِّدْرِ ، وتأثيره في النَّفْسِ . أي إِرْغَامُكَ وإِسْخاطِكَ يَهونُ عَلَيْنَا . والباءُ الِذِي في قوله « بِأَنَّ أُبْتَ » هو الباءُ الِذِي في قولك ما زِيدٌ بِمَنْطِقِي . ويقال : زَرَيْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ، إذا عَيْبْتَ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ؛ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، إذا وَصَفْتَ مِنْهُ وَقَصَّرْتَ بِهِ . وقوله « وَزَارِيًّا » أي وَزَارِيًّا عَلَيْنَا ، فحذف لأنَّ المراد مفهوم .

٣ - وَإِنَّا عَلَى عَضِّ الزَّمانِ الِذِي تَرَى نُعَايِجُ من كُرْهِ المَحْزِي الدَّوَاهِيَا

يقول : إِنَّا نَقَامِي هَرَبًا من المَكْرُوهِ ^(٣) الشَّدَائِدِ ، ونصيرُ تَفَادِيًا مِنْهَا على العِظَامِ ^(٤) . هذا - ما تَرَى من نَكَايَةِ الحَدَثَانِ ، وسوءِ تأثيرِ الزَّمانِ ، وَقَصْدِهِ إِيَّانَا بِالْمَكَارِهِ والبَلَاءِ ، وَالْفَاقِرِ وَالضَّرَّاءِ . وهذا تنبيهٌ على أَنَّ مَحْفَظَتَهُمْ على

(١) ضبط في الأصل بضم القاف ، وفي م بفتحها ، وكلاهما صحيح وإن كانت لغة الفصح أعلى وأكثر . ففي القاموس : « وقحط الناس كسح ، وقحطوا وأقحطوا بضمهما قليلتان » .

(٢) م : « تقطيعه » .

(٣) م : « من مكروه المحزى » .

(٤) في الأصل : « بجنى العظام » ، وأثبتنا ما في م .

الشرف يمنهم من مناحكة من ايس بكف لهم ، وأن مُسَاعَفْتَهُمْ إِيَّاهُ بما طلبه
مُخْزِيَةٌ عندهم . وقوله « على عرض الزمان » موضعه موضع الحال . والمعنى : إننا
منكوبين وفقراء نفعل ذلك حَذَرًا من العار .

٣- فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا بَنَ كَوْزٍ فَإِنَّهُ غَدَا النَّاسُ مُدْقَامُ النَّبِيِّ الْجَوَارِيَا

يقول : لا تطلبِ التزوّجِ بالمرأة التي خطبتها يابن كوز ، فلك في سائر النساء
مندوحةٌ ، سِيِّمًا ومنذ بَعَثَ اللهُ عزَّ وجل النبي عليه السلام ، وقام بأداء الرسالة
عنه ، رَبِّي النَّاسُ الْبَنَاتِ وَتَرَكَوْا وَأَدْهَنَ فَكُتُنَ (١) . ويقال : غَدَاهُ يَغْذُوهُ
غَذْوًا ، وتغذى بكذا . والغذاء : الطعام والشراب .

٥- وَإِنَّ الَّتِي حُدِّثْتَهَا فِي أُنُوفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيَ

يقول : وإنَّ النخوة التي أُبْلِغْتَهَا ، والحِمْيَّة التي حُدِّثْتَهَا ، باقيةٌ في أنوفنا
حتى لا نَسْمَّ بِهَا مَرَعَمَةً ، وفي أعناقنا ورءوسنا حتى لا نُلَوِيَهَا إِلَى مُخْزِيَةٍ
وَمَنْقَصَةٍ هي حاصلةٌ فيها كما أُبْلِغْتِ ؛ فالامتناعُ من مثل ما سُمِّتَ معروفٌ مَنًّا ،
وماخوذ به في عاداتنا ، فلا نَسْتَطِرُّهُ . وقوله « في أنوفنا » في موضع المفعول .
الثالث لِحُدِّثْتَهَا . وقوله « كما هيا » في موضع خبر إن ، وما زائدة . أراد كهي ،
أي هي باقيةٌ بحالها ، مستمرةٌ على طريقها . ويجوز أن يكون هي مبتدأ ، وكافي .

(١) التبريزي : « وأصل الواد الثقل ، وذلك أنها كانت تثقل بالتراب . وأول من منع
عن الواد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، وذلك أنه أضل ناقتين له فخرج في بغائهما ، فلما أجنه
الليل رفعت له نار فأماها ، فإذا شيخ وامرأة ماخض ، فسلم فرد الشيخ فسأله عن الناقين ، فقال :
وجدتهما وقد أحيانا الله بهما . ثم قال الشيخ لنساء كن عنده : إن جاءنا غلام فأأدرى ما أصنع
به ، وإن جاءتنا جارية فاقنأناها ، ولا أسمعن صوتها . فجاءت جارية ، فاشترأها صعصعة بناقيه .
وجله الذي ركبها في طلبهما ، وجعل ذلك سنة ، فكل من أراد أن يئد ابنة له جاءه فاشترأها
منه بلقحتين وجمل ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثائة مومودة ، فقال الفرزدق :

وجدى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيدة لم توأد

موضع الخبر . ويقولون : كما أنا كما أنت ، أي تشابهنا ، ويكون ما نَكْرَةً غير موصوفة . ويجوز أن يكون حَذَفَ صِفَتَهُ كأنه قال : كما حُدِّثْتَهُ أي كشيء حُدِّثْتَهُ . وإنما حَصَرَ « في أنوفنا وأعناقنا » بالذِّكْرُ لأنه يقال في السِّكْبَرِ والشُّعْبَةِ : في أنفِ فلانٍ خُنْزُوانَةٌ ، وزَمَّ فلانٌ بأنفه ، وأنفه أنفُ الليث ، وهو أْحَى أنفاً من أن يَقْبَلَ كذا . ويقولون : في خده صَعْرٌ ، وفي عنقه صَوْرٌ وَصَيْدٌ ، وفي ناظره شَوْسٌ وَصَادٌ . قال يصف سُيُوفًا .

* يُدَاوَى بها الصَّادُ الَّذِي فِي النَّوَاطِرِ *

٦٣

وقال زيادة الحارثي^(١) :

١- لَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِنَا^(٢) نَحْرًا

ينتصب قوله « خير قومهم » على أنه بدلٌ من قوله « قومًا » . ويجوز أن يكون صفة . و « أقل » ينتصب على أنه مفعول ثان ، و « نَحْرًا » ينتصب على التمييز . وقوله « به » الضمير منه يرجع إلى ما ذكره ودلَّ عليه من قوله « خير قومهم » يريد أقل بكونهم خيرين . ومثله قول القائل :

* إِذَا زَجَرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ^(٣) *

أي إلى السفه . وتقدير البيت : لم أرَ خير قومٍ مثلنا أقلَّ بذاك نَحْرًا مِنَّا

(١) شاعر إسلامي ، كان بينه وبين هذبة بن الحشرم مهاجاة ومناقضة ، وقد قتله هذبة في قصة رواها أبو الفرج . وهو زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرعة بن خنيس بن عمرو ابن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم . الأغاني (٢١ : ١٦٩) .

(٢) التبريزي : « على قومهم » .

(٣) عجزه كما في الخزانة (٣ : ٣٨٣) وأمال ابن الشجري (١ : ٦٨ ، ٢ / ٣٠٥ :

* وخالف والسفيه إلى خلاف *

على قومنا . والمعنى إنا لا نبغى على قومنا ، ولا نتكبر عليهم ، بل نقدم أمثالنا ونظراءنا ، فنباسطهم ونوازنهم قولاً بقول ، وفعلًا بفعل .

٢- وما تزدهينا الكبرياء عليهم إذا كتمونا أن نكلمهم نزرًا^(١)

ينتصب قوله « نزرًا » على أنه صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : نكلمهم كلامًا نزرًا . والمعنى لا يستخفنا التكبر إلى أن نتعلّى عليهم ، ونقل الكلام معهم ترفعًا عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكائرهم في القول والسؤال ، إيناسًا لهم وتسكينًا منهم . ويقال : زهاه وازدهاه بمعنى . والأصل في ازدهى : ازتهى ، لأنه افتعل من الزهو ، لكنه أبدل من التاء دالاً تقريباً للحرف من الزاى . وقوله « أن نكلمهم » أراد لأن نكلمهم ، فحذف حرف الجر . و « أن » يفعلُ به ذلك كثيرًا .

٦٤

وقال ابنه مسور :

حين عرّض عليه سعيد بن العاصِ سنجَ دياتٍ بأبيه^(٢) فأبى . ويقال :
هى لعمه :

١- أبعد الذى بالتحفِ نَعْفِ كُوَيْكِبِ رَهِيْنَةَ رَمْسِ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

(١) روى التبريزى بعده بيتا ، وهو :

ونحنُ بنو ماءِ السماءِ فلا نرى لأنفسينا من دونِ مملكةٍ قصّرا

وقال فى تفسيره : « القصر هاهنا : الغاية . يقال قصرك أن تفعل كذا . وماء السماء :

إمرأة كانت فى حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسميت به . وماء السماء الملك سمي بذلك لأنه كان للناس بمنزلة المطر فى جوده . يقول : نحن بنو ملك فلا نرى لأنفسنا غاية دون أن نكون ملوكا » .

(٢) انظر خبر مقتله فى الأغاني ، فى الموضع الذى سبقت الإشارة إليه .

ألف الاستفهام دخل هاهنا على معنى الإنكار ، وتناول الفعل الذي في صدر البيت الثاني ، لأن ألف الاستفهام يطلب الأفعال . والمعنى : أذَكَرُّ بالإبقاء بعد المدفون بِنَعْفِ هذا الجبل — وهو ما استقبلك منه — الْمَرْهُونِ في قبر ذى ترابٍ وحجارة . وَالنَّعْفُ ، اشتقَّ منه انْتَعَفَ له ، أى تعرَّض . وَالْمَنَاعَةُ : المعارضةُ من رجلين في طريقين يريد كلُّ واحدٍ سبق الآخر . وقيل النَّعْفُ : المكان المرتفع في اعتراض . وقوله « رهينة » جملة اسماً فهذا الحَقُّ الهاء بها . والرَّمسُ : القبر . ويقال رَهْنَتُهُ رَهْنًا بمعنى رَهْنَتْ عنده ، وأصله من اللزوم والدوام ويقال هذا لك رَاهِنٌ . والأصل في الرَّمسِ : التغطية ، يقال رَمَسْتُهُ بالتراب ؛ ومنه الرياح الروامِس .

٢- أذَكَرُّ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَاىَ أُنَى جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلٍ

يقول : أَسَامُ الإِبْقَاءِ عَلَى مَنْ وَتَرَنَى ؟ إِبْقَاىَ عَلَيْهِ أُنَى أَجْتَهَدُ فِي قَتْلِهِ ، وَلَا أَقْصِرُ . وَالِإِبْقَاءُ لَا يَكُونُ الْجُهْدَ ، وَلَكِنَّ اللَّغَى : يَكُونُ هَذَا مَنَى عِوَضًا مِنْ ذَاكَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٢) *

وَالْبُقْيَا : اسْمٌ عَلَى فُعْلَى ، مَبْنِيٌّ مِنَ الإِبْقَاءِ فِي مَعْنَاهُ ، وَالْوَاوُ مِنْهُ وَأَوَّ الْحَالِ ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَكَانَ الْكَلَامُ عَلَى الإِسْتِنَافِ وَالِإِنْقِطَاعِ مِمَّا قَبْلَهُ . وَيُقَالُ : لَا آأُوفِي كَذَا وَلَا آأَتَلِي ، أَى لَا أَقْصِرُ ، وَلَا آأُوكَذَا ، أَى لَا أُسْتَطِيعُهُ .

٣- فَإِلَّا أَنْزَلْ تَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْغِدِ بِنَى عَمْنَا فَالْدَهْرُ ذُو مَطْوَلٍ (٣)

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) ابن جني : « يحتمل متطول هذا أمرين : أحدهما أن معناه ذو تفضل وإيصال إلى بغيتي ، والآخر ذو متطول ، أى فيه طول ، فإن تأخر ما أرومه الآن ثم أياس منه فيما بعد ، وهذا أظهر الوجهين ، لأن الشعر بمثله ورد كثيراً . وتكون هذه لفظة في تطاول الدهر ، وتطول يعتقب عليها تفاعل وتفاعل ، كقولهم تكأده الأمر وتكأده ، وتكأيس وتكأيس » .

يقول مُخْبِرًا عن صَبْرِهِ وَحُسْنِ رِفْقِهِ فِي طَلْبِ الْأُمُورِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْمَلَأُ وَإِنْ تَرَخَى الْمَطْلُوبَ ، وَتَدَافَعَ الْوَقْتُ فِي الْحَصُولِ ، فَيَقُولُ : إِنْ لَمْ أُدْرِكْ ثَأْرِي قَرِيبًا يَا بَنِي عَمَّنَا فِي الدَّهْرِ تَطَوَّلَ ، وَالزَّمَانُ بِتَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ وَتَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ كَافِلٌ ، وَلَهُ ضَامِنٌ ، وَمَا يَتَعَسَّرُ فِي وَقْتٍ يَتَيْسَّرُ فِي آخِرٍ . وَذَكَرَ الْيَوْمَ وَالغَدَ إِشَارَةً إِلَى تَقْرِيبِ الْوَقْتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَاضِي : كَانَ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا . وَمُتَطَوَّلٌ : مُصَدَّرٌ مِثْلُ تَطَوَّلَ .

ع - فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيمَةٍ لَنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلِ

جَزَمَ « يَدْعُنِي » بِمَا عَلَى أَنَّهُ دَعَا ، وَالْمَعْنَى : لِأَدْعَيْتُ لِكَشْفِ مَكْرُوهٍ ، وَلَا لِلدَّفْعِ عَنِ مَظْلُومٍ ، إِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً لِمَنْ وَتَرَّانِي ، أَوْ يَعْجَلْهُ لِي . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ أَقْتَلْهُ أَوْ يَقْتُلْنِي . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ فَالْمَعْنَى مَعْنَى الْقَسَمِ . وَقَوْلُهُ : « أَوْ أَعْجَلِ » أَرَادَ : أَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لِمِثْلِهَا ، فَحَذَفَ . وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِلتَّوَعُّدِ بِالْإِقْدَامِ ، وَالتَّسْرُّعِ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الِاسْتِقْتَالِ بَعْدَ الْإِمْكَانِ .

هـ - أُنْخِمْ عَلَيْنَا كَلْكَلَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَلْكَالٍ (١)

(١) روى التبريزي بعده ثلاثة أبيات ، وذكر ابن جنى أولها ، وهي :
 يقولُ رجالٌ ما أصيبَ لهم أبٌ ولا من أخٍ أُقْبِلَ على المالِ يُعْتَقَلُ
 كريمٌ أصابته ذنابٌ كثيرة فلم يدرِ حتى جئتُ من كلِّ مدخلِ
 ذكرتُ أبا أروى فأُسلتُ عِبرَةً من الدَّمعِ ما كادت عن الدَّمعِ تنجلى
 قال التبريزي : « يقول : يشيرون على بأخذ الدية ولم يصيبهم ما أصابني ، ولعلهم لو أصيبوا بما أصبت به لم تقتنعهم الدية » . وقال : « ويروى : حتى جئتُ من غير مدخل . أراد بالذناب الأعداء . وقوله : حتى جئتُ من غير مدخل ، أي من مداخل كثيرة . ويقع في بعض النسخ : حديات كثيرة » .

وقال ابن جنى في تفسير أول الأبيات الزائدة : « عطف الثاني - يعني كلمة أخ - على ما من عادته أن يزداد في الأول . ألا ترى إلى جواز قوله : ما أصيب لهم من أب ؟ وهذا مثل قوله : بدا لي أني لست مدرك ما ماضي ولا سابق شيئاً إذا كان جانياً » .

هذا الكلام تهذُّدٌ ، وضمَانٌ في أَنَّهُ سِيكَافْتُهُمْ عَلَى مَا بَدَأُوا . وَالْمَعْنَى : سَنُوْثِرُ فَيْكُمْ كَمَا أَثَرْتُمْ فِينَا ، وَنُزِلُ الْحَرْبَ بِكُمْ كَمَا أَنْزَلْتُمُوهَا بِنَا . وَيُقَالُ : أَنْخَتُ الْبَعِيرَ فَاسْتَفَاخَ وَبَرَكَ ، وَلَا يُقَالُ فَنَافَخَ . وَتَقُولُ فِي شِدَّةِ التَّأْثِيرِ : بَرَكَ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكِهِ ، وَوَطَّيْتُهُمْ بِمَنَامِهِ ، وَأَنْحَيْتُهُمْ بِجِرَانِهِ . وَهَذَا جَعَلَ الْكُلَّ كَلَّ هُوَ الْمُنَافَخُ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ ، وَفِي الْعَجْزِ جَعَلَ الْحَرْبَ مُنَافَخَةً بِكُلِّكَلِّهَا . وَكُلُّ ذَلِكَ أَمْثَالٌ ، وَالْمَعْنَى مِنْ جَمِيعِهَا ظَاهِرٌ .

٦٥

وقال بعض بني جرم من طي :

١ - إِخْلَاكٌ مُوَعِدِي بَيْتِي جُفَيْفٍ وَهَالَةٌ ، إِنِّي أَنُهَاكِ هَالَاً

في قوله « إِخْلَاكٌ » ضَرْبٌ مِنَ الْإِسْتِهَانَةِ ، يَقُولُ : أَحْسِبُكَ تَهْدِدُنِي بَيْتِي جُفَيْفٍ وَبِهَالَةٍ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَالَةٍ فَقَالَ : إِنِّي أَزْجُرُكَ عَنِ التَّحَكُّكِ بِنَا ، وَنُصْرَةٍ مِنْ يَنَابِذُنَا . وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ يُسَمَّى التَّفَاتَاً . وَالْعَرَبُ قَدْ تَجَمَّعَ فِي الْخُطَابِ أَوْ الْإِخْبَارِ بَيْنَ عِدَّةٍ ، ثُمَّ تُقْبَلُ أَوْ تُلْتَفَتُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَى وَاحِدٍ لِكُونِهِ أَكْبَرَهُمْ ، أَوْ أَحْسَنَهُمْ سَمَاعًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ ، أَوْ أَخْصَمَهُمْ بِالْحَالِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِالشَّكْوَى بَيْنَهُمْ ، فَتَفْرِدُهُ بِكَلَامٍ . عَلَى هَذَا بَيْتِ الْهَدَلِيِّ (١) :

* أَحْيَا أَبَا كُنَّ يَالَيْلَى الْأَمَادِيحُ *

فَقَالَ أَبَا كُنَّ ، ثُمَّ قَالَ يَالَيْلَى . وَيُقَالُ : خِلْتُ أَخْلًا ، وَإِخْلًا طَائِيَةٌ ، فَكَثُرَ اسْتِمَالُهَا فِي الْأَسْنَةِ غَيْرِهَا ، حَتَّى صَارَ أَخْلًا كَالْمَرْفُوضِ . وَهَالَةٌ : الدَّارَةُ

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) .

(٢) صدره : * لو كان مدحة حتى أنشرت أحداً *

ويروى في عجزه : * أحيا أبوتك الشم الأماديح *

حَوَّلَ الْقَمَرِ ، فِي اللُّغَةِ ، وَإِذَا أَنْتَ خَطَبَهَا فَإِنَّهَا جَعَلَهَا قَبِيلَةً ، وَإِذَا ذَكَرَهَا فَعَلِي إِرَادَةَ رَجُلٍ هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ ، وَإِذَا جُمِعَ فَعَلِي الْمَعْنَى . وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ قَدْ صَرَّفَ كَلَامَهُ .

٢ - فَإِلَّا تَنْتَهِي يَا هَالِ عَنِّي أَدْعُكَ لِمَنْ يُعَادِنِي نِكَالًا

يقول : إِنْ لَمْ تَنْزَجِرْ عَنِّي وَلَمْ تَرْتَدِعْ بِكَلَامِي ، أَجْعَلُكَ لِأَعْدَائِي عِبْرَةً رَادِعَةً ، وَعَقُوبَةً زَاجِرَةً . وَالنِّكَالُ : اسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ عِبْرَةً لِلْغَيْرِ ، وَيُقَالُ نَكَلٌ يَنْكَلُ ، وَنِكَالٌ يَنْكَلُ لِقَتْنَانَ ، الْأُولَى تَمِيمِيَّةٌ وَالْأُخْرَى حِجَازِيَّةٌ .

٣ - إِذَا أَخْصَبْتُمْ كُنْتُمْ عَدُوًّا وَإِنْ أَجْدَبْتُمْ كُنْتُمْ عِيَالًا

يَصِفُهُم بِالْأَشْرِّ وَالْبَطَرِ وَسُوءِ الْخِفَافِ ، وَالتَّمَجُّلِ إِلَى الشَّرِّ ، فَيَقُولُ : إِذَا نَلْتُمُ الْخَيْرَ وَطَاوَعْتُمُ الْوَجْدُ خَرَجْتُمْ لَنَا أَعْدَاءٌ ، ثُمَّ إِنْ أَثَرُ فِيكُمْ الدَّهْرُ ، أَوْ ضَغَطَكُمْ الْبُؤْسُ وَالضَّرُّ ، أَوْ يَتِمُّ إِلَيْنَا ، وَلِحَقْمِ بَجْمَلَتْنَا ، فَاحْتَجْنَا إِلَى أَنْ نَمُوتَ نَكْمُ .

٦٦

وقال آخر^(١) :

١ - اللَّؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللَّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا

فَضَّلَ اللَّؤْمَ فِي اللَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ ، وَالْقَصْدُ بِهِ إِلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهِ الْأَحْدَاثِ بِالْأَحْدَاثِ ، وَالذَّوَاتِ بِالذَّوَاتِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ،

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : لم يذكر أبو تمام اسمه واسمه الحكم بن زهرة . قال الجعفي : زهرة أمه ، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح ، أحد بني نخاش بن عصيم ، ثم أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثرملة بن نخاش بن شمع بن فزارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفزاري . وقال أبو ريش : هو لعوييف القوافي » . ونسب في معجم المرزباني ٢٧٨ إلى عوييف القوافي .

كَأَنَّهُ قَالَ : اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ أَخْلَاقٍ وَبِرٍّ وَأَخْلَاقٍ وَالِدِهِ ، وَقَوْلُهُ « وَوَالِدِهِ » دَخَلَ فِيهِ كُلُّ أَبِي لَهْمٍ ، كَمَا دَخَلَ فِي قَوْلِهِ « وَمَا وَلدَا » كُلُّ وُلْدٍ لَهُمْ . وَاللُّؤْمُ : خِصَالٌ مُنْكَرَةٌ ، إِذَا اجْتَمَعَتْ سَمِيَتْ لُؤْمًا ، كَدِنَاءِ النَّفْسِ وَالْآبَاءِ وَالْبُخْلِ مُرَدِّدًا فِيهِمْ ، وَالنَّظَرُ فِي الْأُمُورِ التَّافِهَةِ الْمُخْزِيَّةِ . وَوَبَّرَ فِي اللُّغَةِ : دَوِيئَةٌ أَصْغَرُ مِنَ السَّنُورِ طَحْلَاءُ اللَّوْنِ تَرَجُّنٌ فِي الْبُيُوتِ ^(١) ، وَجَمْعُهُ وَبَارٌ . وَيُسَمَّى بِهَا ، ثُمَّ جُعِلَتْ لِلْقَبِيلَةِ ^(٢) . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ يَقُلْ : وَمَنْ وَلدَا ؟ قُلْتَ : أَشَارَ إِلَى الْجِنْسِ وَمَا يَقَعُ لِلْأَجْنَاسِ .

٢ - قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبَهُمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا يَقُولُ : هُمْ قَوْمٌ إِذَا جَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ جَرِيرَةً أَمِنَ جَمِيعُهُمْ ، لِدَقَّةِ أَصُولِهِمْ ، وَوَلُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ ، أَنْ يُوَاحِدُوا كُلَّهُمْ بِهَا ، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ . كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ بَأْسَرِهَا لَا يَمُدُّونَ بَوَاءً لِقَتِيلٍ فَيُقْتَلُوا بِهِ ، فَالْأَمْنُ الَّذِي سَمَّيَهُمْ عِنْدَ اتِّفَاقِ الْجَنَائِيَاتِ مِنْهُمْ لِهَذَا . وَالقَوْدُ : أَنْ يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالْقَتِيلِ ، فَيُقَالُ : أَقْدَتُهُ بِهِ . وَإِذَا آتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ بِمَكْرُوهَةٍ فَاتَّقَمَ مِنْهُ بِمَثَلِهَا ، قِيلَ : اسْتَقَادَهَا مِنْهُ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

* مَنْ ذَا يَعْصُ الْكَلْبَ إِنْ عَصَا *

ونقله أبو تمام فقال :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَاللَّدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
٣ - اللُّؤْمُ دَائِمٌ لَوْ بَرٍّ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءِ غَيْرِهِ أَبَدًا
أشار بهذا إلى أَنَّ مَطَامِعَهُمُ الْخُسَيْسَةَ تُرْدِيهِمْ ، وَإِسْفَافَهُمْ لَهَا يَعْرِضُهُمُ لِلْقَتْلِ

(١) تَرَجَّنَ هُنَا بِالرَّاءِ ، وَهِيَ تَطَابِقٌ تَدَجَّنَ بِالضَّمِّ وَزْنَاً وَمَعْنَى . وَالرَّجُونُ وَاللَّدَجُونُ :

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَبَرُّ بْنُ الْأَضْبَطِ : قَبِيلَةٌ مِنْ كِلَابٍ » .

ويهلكهم ، فقال : هذا داؤهم لا يُقتلون إلا به ، ولأنَّ حَيْنَ كُلِّ حَاسِنٍ فِيما يَغِيبُ به وعليه . ويجوز أن يريد أنه لما تَرَفَّعَ القصاص عنهم عند وقوع الجرائم منهم ، كانت القِتْلَةُ الكريمة فيهم أزهد ، وعندهم أبعد ، ولا يموتون إلا بدائمهم الذي هو اللؤم . والموت قد يُسمَّى قِتْلًا . وإنما أدخل هذه الأبيات في الباب لقوله « قَوْمٌ إِذَا ما جَنَى جانِبُهُمُ أَمَنُوا » فلما ذَكَرَ من يجتهد في إدراك النَّارِ من جهته تيسر أو تعسر ، ذكر أيضا ما يُضادُه ممن يُرَغَبُ عنه ويُرْهَدُ في النَّيلِ منه ، تَرَفُّعًا عن مكافأته . وهذا عادته في إتباع الشيء بضده ، فاعلمه .

٦٧

وقال آخر :

١ - أَلَا بَلِغًا خَلَّتِي رَاشِدًا وَصِنَوِي قَدِيمًا إِذَا ما اتَّصَل

قَدِيمًا ، انتَصَبَ على الظَّرْفِ لقوله خَلَّتِي . والمراد : أَلِ بَلِغًا خَلِيلِي قَدِيمًا رَاشِدًا ، وَصِنَوِي إِذَا ما انتَسَبَ . وَالصَّنَوَانِ : الفَرَعَانِ يَخْرُجَانِ من أَصْلٍ وَاحِدٍ . ويقال لِلأَخَوَيْنِ هَا صِنَوَانٍ ، تشبيهاً بذلك ، ولعمَّ الرجل صِنَوُ أَبِيه . ويقال صِنَوٌ ، وَصِنَوَانٍ في التثنية ، وَصِنَوَانٌ في الجميع ، ولا يُعرفُ له نظير إِلا قِنَوٌ . فيقول : رَاشِدٌ خَلِيلِي القَدِيمُ ، ونَسِيبِي القَرِيبُ ، فأبلاغه عن رسالة . وفي جَمِعه بين خَلَّتِي وَصِنَوِي ، وتأخيرهُ قَدِيمًا إِذَا ما اتَّصَل ، ما ذَكَرَهُ أبو العباس المبرد رحمه الله ، من أن العرب تَلَفَّت الخَبْرَيْنِ لَفًّا ، ثم تَرَمَّيَ بتفسيرهما جملة ، ثقة بأن السامع يَرُدُّ إلى كُلِّ ما لَهُ .

٢ - بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهَبِجُ الجَلِيلَ وَأَنَّ العَمَّ زَبْرًا إِذَا شاءَ ذَلَّ

الباء دخل للتأكيد ، وموضع أن مفعول ثانٍ من أَبْلَغًا . فيقول : أَبْلَغًا

أن صغيرَ الأمورِ يجنى الكبير ، وأن العزيزَ من الرجال متى أراد عاد ذليلاً ،
بأن يَعدُو طَوْرَهُ ، ويشغل بما لا يهتمه . ومثل هذا قولهم : « الشرُّ بيدُوهُ
صغارُهُ » ، وقول شاعرهم (١) :

* الحزبُ أولَ ما تكونُ فتيةُ (٢) *

وقول الآخر (٣) :

* كم مَطَرٍ بَدُوهُ مُطِيرٌ (٤) *

٣ - وَأَنَّ الْحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا لِحَيِّ سِوَانَا صَدُورَ الْأَسَلِ
هذا الكلام تحذيرٌ وإنذار . يقول : وأبلغاه أن الحزَمَ في صَرْفِ أَعْتَةِ
خيلكم إلى غيرنا ، فإنكم لا تقومون لنا إذا هيَجْتُمُونَا ؛ والرأى في أن تعدلوا
بصدور رماحكم إلى طعن من سوانا ، فإنكم لا تكملون لدفاعنا ، ولأن الكرة
لا يُخرج منا إلا إباءً وامتناعاً .

٤ - فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخَلْ
العرب تقول : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . ولذلك قال شاعرهم (٥) :

وإِنْ سَيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمْ لَهَا صُعْدَاءَ مَطْلَعِهَا طَوِيلٌ (٦)

(١) هو عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) عجزه : * تسمى بزيتها لكل جهول *

(٣) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٤) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٥) هو الأعمى الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٨٧) والبيان (١ : ٢٧٥) :

(٦) (٣/٢١٨) .

(٦) صعدهاء ، كذا وردت في النسختين ، وكذا في أصل ديوان الهذليين نسخة الشنقيطي .
وشرح السكري لأشعار الهذليين ، ونسخة مكتبة فيض الله من البيان والتبيين . وضبط في
اللسان (صعد) بفتح الصاد وسكون العين ، وفسره فقال : « أكمة صعود وذات صعدهاء
يشهد صعودها على الراقي » . وأما الصعداء بضم ففتح ، فهو التفتن بتوابع ، وهو المشقة أيضاً .

فيقول: إن رُمْتَ سيادَتَنَا مِنْ وَجْهِهَا، وبالآلات التي يُحْتاجُ إليها في تحصيلها،
 ثمَّ لك ذلك؛ وإن كنتَ للكبرِ فاذْهَبْ فَاحْسَبْ أَنَّكَ سَيِّدٌ، فإنك لا تكون.
 هذا إذا رويتَ «فَخَلَّ» بفتح الخاء. وإن رويتَ «خُلَّ» بضمها فالمعنى:
 اذهب وتكبر، فإننا لن نقادَ لك، واستعمالُ البغي والصِّلَفِ وَالكَرْهِ
 لا يزيدنا إلا إباءً عليك، وتمادياً في اللجاج معك. واختال: السكبر. واختال
 الرجلُ فهو مُحْتَالٌ وَخَالَ أَيْضاً. قال الشاعر:

* إِذَا تَجَرَّدَ لَا خَالَ وَلَا يَخْلُ *

ويقال خَالَ يَخُولُ وَيَخَالُ خَوْلاً وَخَالاً، وفي الظنِّ يُقَالُ خَالَ يَخَالُ
 لا غير. وقوله «فاذهب» أمرٌ من قولك ذَهَبَ يَقُولُ كَذَا. وعلى هذا
 قول الشاعر:

* فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ مَجَبٍ ^(١) *

وكذلك قولك للغريم: قُمْ فَاعْطِنِي حَقِّي. فالأمر في الحقيقة بالعطية لا بما
 سِوَاهُ. وأجرى مجراه قولهم: أَخَذَ يَتَمَسَّكُ بِكَذَا، وَطَفِقَ يَتَحَدَّثُ بِكَذَا،
 وجعل يشتمني. وخرجوا في التوسع إلى أن قالوا: قام يَهْرَأُ بِي، وَقَعَدَ يظنُّ
 أنه أمير ^(٢). وليس القصد إلى فعله القيام والقعود، ولكن زيادةً كالتصوير
 للحال والتأكيده للقصة.

(١) البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل. انظر الكتاب (١: ٣٩٢)
 والحزنة (٢: ٣٣٨) والإنصاف ٢٧٣. وصدرة:

* فالأيوم قربت تهجونا وتشتتنا *

(٢) م: «أمين».

٦٨

وقال بعضُ بني أسدٍ :

١ - كَلَّا أَخَوَيْنَا إِنْ يُرْعَ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثِرٌ وَجَمْعُ عَرْمَرَمٍ

يقوله رجلٌ اقتتلَ فريقان من قومه على بئرٍ ، فيقول : كَلَّا صَاحِبَيْنَا إِنْ يُفْرَعُ يَسْتَعِثُّ بِقَوْمِ ذَوِي عَدَدٍ وَعُدَّةٍ . وَالْجَامِلُ : الإِبِلُ ، وَهُوَ اسْمٌ صِيغَ لِلْجَمْعِ . وَالذُّثْرُ : الكَثِيرُ . وَالْعَرْمَرَمُ : الجَيْشُ الْعَظِيمُ . وَعُرَامُ الْجَيْشِ : حُدُومٌ وَكَثْرَتُهُمْ . وَاتَّصَبَ « ذَوِي » عَلَى الْحَالِ . وَالْجَزَاءُ مَعَ جَوَابِهِ خَبْرُ الْمَبْتَدَأِ ، وَهُوَ كَلَّا .

٢ - كَلَّا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَانَتْهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَعْلَبَ ضَيْفَمٍ

يقول : كلٌّ واحدٍ من صاحِبِينَا مُؤَيَّدٌ بِرِجَالٍ كَانَتْهُمْ أُسُودُ هَذِهِ الْمَأْسَدَةِ ، مِنْ كُلِّ لَيْثٍ غَلِيظِ الْعُنُقِ ، شَدِيدٍ . وَضَيْفَمٌ : فَعِيلٌ مِنَ الضَّغْمِ ، وَهُوَ الْعَضُّ . وَكَلَّا مُوَحَّدٌ الْفِظُ ، مَوْضُوعٌ لِلْمَثْنَى ؛ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا كُلٌّ وَاحِدٌ .

٣ - فَمَا الرَّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَيْئِسًا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالْدَمِ

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَصَالِحَةِ ، وَيَعْرِفُهُمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي مَاءٍ ، يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِإِرَاقَةِ دَمَاءٍ ؛ وَيَزْهَدُهُمْ فِي خِصْبِ وَنَعِيمٍ ، يَحْصُلُ عَنْ عَيْشِ بَيْئِسٍ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ الصَّلَاحُ وَالنَّجَاحُ فِي أَنْ تَسْتَبَدُّوا بِنَعِيمِكُمْ بُوْسًا ، وَبِسَلَامَتِكُمْ هُلْكًَا ، وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِسَفْكَ الدَّمَاءِ . وَالْبَيْئِسُ ، يَكُونُ مَصْدَرًا كَالْبُوْسِ ، وَيَوْضَعُ فِي مَقَابِلَةِ النَّعِيمِ كَمَا فَعَلَهُ هَذَا ، وَيَكُونُ صِفَةً ، عَلَى هَذَا قَوْلِ الْهَذَلِيِّ (١) :

وَمَعِيَ لَبُوسٌ لِلْبَيْئِسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَهَةِ نِجَاحٍ مُجْفِلٍ

وَهُوَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ ذُو الْبَأْسِ .

(١) هُوَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيُّ . دِيوَانَ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٩٨) .

٦٩

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(١) :

١ - تَعَالَوْا أَفَاخِرِكُمْ : أَعْيَاوَقَقْعَسُ إِلَى الْجَدِّ أَذْنَى أُمَّ عَشِيرَةِ حَاتِمٍ .
يقول : هَلُّمُّوا أَفَاخِرِكُمْ : أهؤلاء البطون أقرب إلى الجد أم رهط حاتم ؟
وبنو أعيا : من بني سعد بن قيس ، وبنو قعس : حى من بني أسد . وروى بعضهم : « أَعْيَارُ قَعْسٍ » ، يريد رؤساء قعس . ورغم أن أعيا لا يعرفه اسم قبيلة ، وأن هذا تصحيف استدركه . فأما إنكاره لأعيا قبيلة فلا وجه له لأن بني أعيا من قبائل سعد بن قيس ، وهو مشهور ذكره النسائون وغيرهم ، ووهب بن أعيا بن طريف الأسدي ، معروف معدود في الأعلام . وأما من طريق النظم فلأن تكون القبيلة مقابلةً بمثلها ، ومذكورة في المنافرة معها — أحسن من أن يُقابل الأفراد بالقبيلة . و « أَعْيَارُ » إشارة إلى الأفراد ، لأنه يُراد بها الرؤساء . يقال : هو عَيْرُ قَوْمِهِ ، أى سيدهم . هذا وقد جمعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ، فوجدناها متوافقة في تحملها « أَعْيَاوَقَقْعَسُ » . وإذا كان

(١) عتاب ، بالنون ، كما في م . قال ابن جني في المجهج . « اسم مرتجل غير منقول . . . وهذا أحد الأمثلة التي جاءت على فعال اسمها لا صفة ، وهى الكلاء ، والجبان ، والفياد : ذكر اليوم ، والجيار في الصدر وهو أيضاً الصاروج ، والعمار : أحد الأئمة ، وعتاب هذا الرجل والخطار : دهن طيب . ويجوز أن يكون عتاب من العنب كتمار من التمر » . وحريث ، ذكره الأمدى في المؤتلف ١٦١ وقال أحد بني نيهان بن عمرو بن العوث بن طيس . شاعر محسن . مكثر ، وهو القائل :

أترجو حيسى أن تجيء صفارها بخير وقد أعيا حيبا كبارها

فأخذه الفرزدق فقال :

أترجو كليب أن تجيء صفارها بخير وقد أعيا كليبيا كبارها

وقال أبو محمد الأعرابي فيما نقله عنه التبريزي : « وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد ذلك إلى زمن معاوية » .

كذلك لا يجوز العُدُولُ عَمَّا قاله الشَّاعرُ إلى ما لم يقوله . وقوله « أَعْيَا وَقَمَّسُ » استفهام في الأصل نُقِلَ عن بابه ، والمعنى : أنافرکم بالقضية التي تكون نتيجة هذا الاستفهام ، وقوله « أَدْنَى إِلَى الْمَجْدِ » لم يُدْنَهُ وإن كان خَبَرًا عن اثنين ، لأنه افعال الذي يتم بيمين ، وقد دخل عليه الاستفهام ، فيجب أن يستوى فيه الواحد والاثنان ، والمذكَرُ والمؤنث . وهذا الكلام لو أتى به على وجهه لكان : أم عَشِيرَةٌ حَاتِمِ أَدْنَى إِلَى الْمَجْدِ مِنْهُمْ ، ولكنه حَذَفَ إذ كان المرادُ مفهومًا . وإنما جاء على حرف الاستفهام لِيُبَيِّنَ ضَلَالَتَهُمْ . وفي طريقته بيت جرير : هَهُؤُوا نَحَا كَمَكُمُ فِي الْحَكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ آلِ الْبِطَاحِ الْأَكْرَامِ والتقدير : أنافرکم أيهم أُمَجِّدُوا وَأَعْرَفُوا . وحاتمُ المذکور هو حاتم بن عبد الله الطائي . و« تَعَالَى » كان يقوله من هو في رابية للمتسفل ، لأنه تفاعل من العُلُوِّ ، فكثُر استعماله حتى جرى مجرى هَلُمُّ ، فصار المتسفل يقول عند الدعاء المُسْتَعْفَى .

٢ - إلى حَكْمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَيَصِلُ وَمِنْ آخِرِ حَيِّ رِبِيعَةَ عَالَمٍ
 قيل : أراد بأحد الحكمين عامر بن الظرب^(١) وبالآخر دغفلا النسابة .
 والفَيْصَلُ : الذي يفصلُ الأمور ، والياء دَخَلَتْهُ لَتَلْحَقَهُ ببناء جعفر ، كما أن الضَّيْفَ
 قِيَعَلٌ مِنَ الضَّغْمِ ، والبناء انِ بِمَصُولِ الْيَاءِ فِيهِمَا صَارَا صِنْفَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ كَانَا
 مَصْدَرَيْنِ ، لأنَّ فَصْلًا مِنْ دُونَ الْيَاءِ مَصْدَرٌ فَصَلَّ ، كما أن ضَغْمًا مِنْ دُونَ الْيَاءِ

(١) التبريزي : « وقال النمرى : الحكم من قيس عيلان عامر بن الظرب العدواني ، والآخر الذي هو من حى ربيعة دغفل . وحيا ربيعة : بكر وتغلب ، ورجل واحد لا يكون من حيين ، وإنما يريد من أحد حيين ربيعة » . وقال أبو محمد الأعرابي مترضاً على ذلك : « كيف يكون الحكم من قيس عيلان هاهنا عامر بن الظرب ، وهو قبل الإسلام بمائتي عام ، ومتى لحقه حريث بن عناب وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد ذلك إلى زمن معاوية ؟ ! وإنما عني بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزاري . والحكم من حوى ربيعة دغفلا النسابة . وحيا ربيعة : ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وذهل بن ثعلبة ، وهو عم ذهل بن شيبان ، وعم الجل أبوه » .

مصدر ضَعَمَ ، فَلَمَّا حَصَلَ الْيَأَى فِيهِمَا وَصِفَ بِهِمَا وَأَفَادَا مِبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى . الْأَتْرَى
أَنْ فَيَصَلَّاءَ يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُهُ فَاصِلٌ ، وَكَذَلِكَ ضَعِيمٌ يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُ ضَاعِمٌ ، فَاعْلَمْهُ .

٣ - ضَرَبْنَا كُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَى عَنْكُمْ بِبَيْضِ صَوَارِمٍ
قَامَ لَهُ بِمَعْنَى تَقَوَّمَ وَتَرَكَ الْخِلَافَ ، وَقَامَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى دَاوَمَ وَلَازَمَ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يَقُولُ : قَدْ عَنَا كُمْ ^(١) بِالْمَكْرُوهِ ، حَتَّى إِذَا بَانَ لَنَا
فَيَنْتَكُمُ وَاسْتَقَامَتِكُمْ ، حِينَئِذٍ ذَبَبْنَا الْأَعْدَاءَ عَنْكُمْ بِسِوْفِ قِوَاطِعٍ . وَالْمَعْنَى :
نَعَامَلِكُمْ بِعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ ، فَإِذَا اسْتَقَمْتُمْ لَنَا وَذَهَبَ الْخِلَافُ عَنْكُمْ ، ضَمَمْنَاكُمْ إِلَى
أَنْفُسِنَا ، وَحَمَيْنَا عَلَيْكُمْ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ .

٤ - فَخَلُّو أَبَا كِنْفَانِي وَأَكْنَفِ مَعْشَرِي أَكُنْ حِرْزَ كُمْ فِي الْمَأْوَئِ الْمَتَلَاخِمِ
فِي جَمْعِهِ لِلْأَكْنَفِ ظُهُورٌ تَجَبَّرُ فِيهِمْ ، وَأَخَذْتُ بِاللِّتَمَلِّي عَلَيْهِمْ . يَقُولُ : أَنْزَلُوا
بِنَجَابِي وَجَنَابِ عَشِيرَتِي ، وَتَحَصَّنُوا بِفِنَائِي وَفِنَاءِ قَوْمِي أَكُنْ كَهْفَكُمْ فِي
الْمُضِيقِ مِنَ الْحَرْبِ الْمَتَلَاخِمِ . وَالْمَتَلَاخِمِ ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّحَامِ ، لِأَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مُتَبَايِنًا ثُمَّ تَلَازَمَ ^(٢) يُقَالُ فِيهِ : التَّحَمَّ وَتَلَاخَمَ ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ مِنَ اللَّحْمَةِ ، لِأَنَّ أَهْلَهَا يَتَلَاخِمُونَ فِيهَا . يُقَالُ : لَحْمَتُهُ فَهُوَ لَحِيمٌ ، أَيْ
قَتْلَتُهُ . قَالَ الْهَذَلِيُّ ^(٣) :

* فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ نَمَّ لَحِيمٌ ^(٤) *

٥ - فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أُضِيفَ كُمْ إِلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمٍ

(١) م : « فرعناكم » ، أي علوناكم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي م : « تلان من » ، والأخيرة محرفة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢٣٢) واللسان (حصر) .

لحم) ومقاييس اللغة (ريب ، لحم) .

(٤) صدره : * فقالوا تركنا القوم قد حصروا به *

نَبَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِعْلَانِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهُمْ
كَاتِلُولٍ وَالتَّيْبِجِ ، وَأَنَّ الْأَسْلَافَ كَانَتْ تُوصِي الْأَخْلَافَ بِهِمْ لِتَطَاوُلِ أَيَامِهِمْ
فِي جَنَبَتِهِمْ ، وَاسْتِنَافِ الْعِنَايَةِ بِهِمْ مِنْ مَاضِيهِمْ وَغَايِرِهِمْ .

٧٠

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كَنْيَفِ النَّبَهَانِيُّ: (١)

١ - تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجَلٌ وَلَيْسَ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ (٢)

الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق التسلية ، فيقول : تصبر فإن
الصبر بالرجل الكريم أحسن من التخشع فيما لا يحسن الخضوع فيه وله .
والأصل في الصبر الحبس ، ومنه قولهم : قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا . وقوله « وليس على
ربب الزمان معول » ، يريد به أن الأحداث لا تقف على شيء بحكم واحد ،
ولكنها تنقل وتبدل ، فلا متكلم عليها ، ولا ممتد على عهدا ، فهي كما
تحسن نسي ، وكما تدوى تدوى ، وكما تجمع تفرق . وقوله « تعز » هو
من عزا الرجل وعزى الرجل ، إذا صبر عزاء ، ورجل عزى أي صبور . وفي
بناء تفعل زيادة تكلف ، ودلالة على فرط تعمل . والمعول : المحمل والمتكلم .

(١) قال اليكرى في اللالكى ٤٣٠ : « شاعر إسلامي » .

(٢) بعده عند التبريزي أبيات ثلاثة وهي :

فلو كان يُغني أن يرى المرءُ جازعاً لحادثة أو كان يُغني التذللُ
لكانَ التعزى عند كل مصيبةٍ ونائبيةً بالمسرة أو التى وأجلُ
فكيف وكلٌ ليس يمدون حياسه وما لأمري عما قضى الله نزحلُ

وَأُحْرَ أَصْلُهُ الْأَعْتَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْأَكْرَمُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَا بَدَأَ مِنَ الْوَجْهِ
فِي اللَّقَاءِ: حُرُّ الْوَجْهِ. قَالَ الشَّاعِرُ (١):

* لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْمِرَةً (٢) *

٢ - فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ يَوْمِي وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفَعَّلُ

قوله « والحوادث تفعل » يسمى اعتراضاً، ومثل هذا من الاعتراض يزيد
القصة تأكيداً، وهو هنا حائلٌ بين الجزاء وجوابه، لأن جوابَ إنْ تَكُنْ
قوله « فَمَا لَيِّنَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيْبَةٍ » وَحَسَّنَ الْكَلَامُ بِهِ جِدًّا إِذْ كَانَ تَأْكِيدًا لِمَا
يَقْتَضِيهِ مِنْ تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ، وَتَحْقِيقًا لِمَا شَكَاهُ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ، وَبَعَثًا عَلَى
النَّسْلِ، وَأَخَذِ النَّفْسِ بِالنَّاسِ. فيقول: إن كانت الأيام دارت فينا بالنمءِ مَرَّةً
وبالأساءِ أُخْرَى - وهذا عادةُ الدهرِ وحوادثه - فَمَا غَيَّرَتْ مِنَّا شَيْئًا.

٣ - فَمَا لَيِّنَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيْبَةٍ وَلَا ذَلَّلْتَنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ (٣)

ذِكْرُ الْقَنَاءِ مَثَلٌ، وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي مِثْلِهِ. وَأَبِينِ مَا يُسْتَشْهَدُ بِهِ فِي
اسْتِعَارَتِهَا لِلْإِبَاءِ وَالتَّشْدُّدِ قَوْلُهُ:

كَانَتْ قَنَائِي لَا تَلِينُ لِعَامِرٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِنْسَاءُ (٤)

وهذا البيت بيانٌ لفائدة الصبر الذي دعاه إليه، وَبَعَثَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ

(١) هو عامر بن الطفيل . ديوانه ١١٩ والشعر والشعراء ٢٩٣ .

(٢) صدره : * لعمرى وما عمرى على بهين *

(٣) التبريزي : « التي ليس تجمل » .

(٤) في الكامل ١٢٥ لبيسك : « وقال بعض شعراء الجاهلية » . والبيت مع قرين له

في الكامل وعمون الأخبار (٢ : ٣٢٢) . ونسباً في زهر الآداب (١ : ٢٠١) إلى

عمرو بن قميئة .

الصابر على الشدائد حقيقاً بالأ يتدلل لما لا يحسنُ به ، ولا تجملُ الأحداثُ فيه عنه ، والأ يتلين لما كان يتصلبُ له من قبل . فإن قال قائلُ : فإذا كان غاية الصبر ومعناه هذا ، فإلى أيِّ شيء دعا نفسه بقوله : تعرَّ فإن الصبر بالحرِّ أجلُّ ؟ وقد خبر عن نفسه بأنه أخذ بما هو حقيقته ؟ قلتَ : يجوز أن يكون معنى « تعرَّ » دُم على التَّعزِّي ، ويكون بناء الأمر لما هو الحال ، ولا يريد استثناءه ، كما أن قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ معناه دُوموا على الإيمان . ويجوز أن يكون أمر نفسه في المستقبل بما كان عادتهم في المُستقَدَم .

٤- ولکن رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً تَحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمَلُ^(١)

يجوز أن يكون معنى رَحَلْنَاهَا رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا ، والضمير للحوادث ، ويكون هذا كقولهم كَلْتُكَ وَكَلْتُ لَكَ ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لَكَ ، ويكون نفوساً مفعولاً لِرَحَلْنَا . ويجوز أن يكون الضمير أعني ضمير المنصوب في « رحلناها » للنفوس ، على أن يكون مفعولاً . وأنى بالضمير قبل الذِّكْر ، ثم جملَ قوله نَفُوسًا بدلًا منها ، على طريق التبيين . وقوله « وَلَكِنْ » حَرْفٌ يُسْتَدْرَكُ بِهَا بَعْدَ النَّفْيِ ، فيكون المعنى ما تدللتنا للنواب ، ولكن هيأنا لها نفوساً تأنف من الرضا بالدنيّة ، فلا تنسى كَرَمَهَا ، وتكلفُ أموراً لا تنهض بها فتكلفها . وفي وصف النفوسِ بالكرم إشارةٌ إلى الظلفِ والعفة ، والتأبّي من المُخْزِيَةِ ، ومجانبة الريبة ، والنفور من كلِّ قبيحة . ولذلك قال الله عزَّ

(١) بعده عند التبريزي :

وَقَبِينَا بِسِحْنِ الصَّبْرِ مِينَاً نَفُوسَاتَنَا فَصَحَّحَتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هُنَالُ

وجلّ في صفة المختارين من عباده المزكّين^(١) : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا سَمُرُوا بِاللَّغْوِ سَمُرُوا كِرَامًا ﴾ . فأما قوله « رَحَلْنَاهَا » في الاستمارة ، فكما يقال استَحَمَلْتُ فَلَانًا نَفْسِي ، وَرَكِبْتَنِي ظُلَامَاتٌ وَمَا أَشْبَهَهَا . وَحُكِي : هُوَ يَرَحَلُهُ بِمَا يَكْرَهُهُ ، أَيْ يَرَكِبُهُ ؛ وَلَا رَحَلْتُكَ بِالسَّيْفِ ، أَيْ لَا عَلَوْتُكَ .

٧١

وقال آخرُ :

١- وَكَمْ دَهَمْتَنِي مِنْ خُطُوبٍ مُبَلِّغَةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ

يقول : مراراً كثيرة فاجأتني خطوبٌ شديدةٌ ، ونزلت بي ، فحبست نفسي عليها ، وتجلدت لها ، فلم يظهر في مناظري خُشوعٌ ، ولا بدأ في جوارحي خُضوع . وموضعُ كم على هذا التأويل ظَرْفٌ . « وَمِنْ » على طريقة الأَخْفَش تكون زائدة ، لأنه يُجوز زيادة « مِنْ » في الواجب ، ويستدلُّ من السموع بقول بعضهم : « قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ فَخَلَّ عَنِّي » وبغيره . فكأنه قال : كم مرّة دَهَمْتَنِي خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ . ويكون قوله صَبَرْتُ عَلَيْهَا صِفَةً لِلخُطُوبِ . ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء ، ومن خُطُوبٍ هو بيان له ، وقد فصل بينهما بخبره ، وهو دَهَمْتَنِي ، وتقديره كم من خطوب دَهَمْتَنِي ، أي كثيرٌ من الخطوب . فأما فائدة العطف بـ « ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ » فهو إبانة الاستمرار في الصبر ، وإن طالت المهلة إلى أن انكشفت تلك اللغات العارضة وانفرجت . ومعنى دَهَمْتَنِي : فاجأتني ، ومنه الدَّهْمُ ودَهْمَاءُ النَّاسِ .

٢- فَأَدْرَكْتُ تَأْرِي وَالَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَمْ تَقَطَّعْ

(١) المزكّين ، كذا ضبطت بكسر الكاف في النسختين ، أي الذين زكوا أنفسهم . وفي كتاب الله : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاها » .

يقول: أَصَبْتُ مَا طَلَبْتُهُ ، وَتَقَاضَيْتُ بِهِ مَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ نَارٌ أَوْ وَتَرٌ ،
فَاسْتَنْزَلْتَهُ عَنْهُ ، وَمَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْقُعُودِ عَن نُّصْرَتِي ، وَخِذْلَانِي فِيمَا نَابِي إِزِمَاكُمْ ،
فَكَأَنَّهَا قَلَانِدٌ وَأَطْوَاقٌ لَا تَنْحَلُّ عَنْكُمْ وَلَا تَنْقَطِعُ . وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلزُّومِ الْعَارِ
لَهُمْ فِيمَا أَتَوْا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَشْرٍ :

* وَقُلِّدَهَا طَوِّقَ الْحَمَامَةِ جَفْفَرُ *

يَصِفُ غَدْرَةَ ارْتِكَبُوهَا . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ سَيَطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

٧٢

وقال عوف القوافي (١) :

١ - ذَهَبَ الرَّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادٌ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ (٢)

يقول : طَارَ النَّوْمُ فَلَا يُعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ ، مِمَّا ذَهَاكَ وَحَزَبَكَ ، وَنَامَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) عوف القوافي الفزاري ، وهو عوف بن معاوية بن عتيبة بن حذيفة بن بدر ، سمي
عوف القوافي لبيت قاله ، وهو :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعَمُ أَنِّي إِذَا قَلْتُ شِعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا

وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، مدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وعمر
ابن عبد العزيز . البيان (١ : ٣٧٤) ومعجم المرزباني ٢٧٧ - ٢٧٨ والأغاني (١٧ : ١٠٥)
والاشتقاق ١٧٣ .

قال أبو رياش : « وكانت أخته عند عيينة بن أسماء فطلقها ، فكان مرانما لعيينة وقال :
الحرّة تطلق لغير بأس ! فلما أخذ الحجاج عيينة فحبسه قال عوف هذا الشعر » .

(٢) روى التبريزي بعده :

خَيْرٌ أَتَانِي عَنْ عَيْنِيَّةَ مَوْجِسٍ * كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ
بَلَسَغَ النَّفْسُ بِلَاؤِهِ فَكَأَنَّا * مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
يَسْرَجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ * لَا يَسُدُّونَ بِنَا الْمَكَارِيَةَ بَادُوا

يعودونك ولم يسهروا لك . وللعنى : إني اختصصتُ فيك بما عرى منه عوادك ، وتحمّلت من الجزع ما سقط عنهم وخنّ عليهم . والرقاد والرثود : النوم بالليل ، وعرف الأول تعريف الجنس ، ونكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس ، كأن المراد : ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختصّ أثر .

٢ - لما أتاني عن عيينة أنه أمسّت عليه تظاهر الأقياد^(١)

قوله « لما أتاني » ظرف لقوله « نخلت له نفسي » لأنّ لما إذا وليه الفعل الماضي ، كان علماً للظرف ، وفترَ بيمين . والمعنى : حين تساقط إلى عن هذا الرجل وتأدى أنه أسير وقيد بقيد بعد قيد ، فارقتي ما كنت أخايرُهُ وأنطوى عليه من التذكّر له ، وأزلت عن نفسي ما استجفيتها فيه ، لأنّ الكريم يرقّ لمثله من الكرام عند النوازل . ومعنى التظاهر : أن يصير الشيء فوق الشيء فيقومى . ويقال : ظاهر بين ثوبين ، إذ لبس أحدهما فوق الآخر . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ معناه تعاونا ، ومنه قولهم : هو ظهّر ظهير ، أى قوى في الاستغاثة .

٣ - نخلت له نفسي النصيحة إنه عند الشدائد تذهب الأحقاد

يقول : أضفت عند ذلك نفسي له النصيح ، لأنّ الضغائن تفارق عند الشدائد . وهذا الكلام هو بيان علة مفارقة ضغنه ورجوعه إلى سلامة الصدر له . وقد ذكر فيما بعده ما يدلّ على حسن الإنصاف من النفس ، والاعتراف بالفضل للغير . ويجوز أن يروى « أنه » بفتح الهمزة ، والمعنى لأنه عند الشدائد . وإذا روى بالكسر يكون على الاستئناف .

(١) التبريزى : « أمسى عليه » .

٤ - وَذَكَرْتُ أُمَّي فَنِي يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرَّفْدِ حِينَ تَقَاصِرُ الأَرْفَادُ

مصدر ذكرت في هذا الذكر بضم الذال ، لأنه بالقلب . وقوله « بالرفد » ، يريد ببذل الرفد ، فحذف المضاف . يقول : أَجَلْتُ فِي فِكْرِي ، وَقُلْتُ فِي حَدِيثِ نَفْسِي : لَوْ خَلَّى مَكَانَهُ مَنْ كَانَ يَسُدُّ مَسَدَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى عَطَاءَهُ عِنْدَ تَقَاصُرِ العَطَايَا وَتَرَاجُعِ العَمُونَاتِ . وهذا إشارة إلى زمان الجذب والقحط وقت تنافس الناس في التملكات ، والدفع عنها بإعداد العِمَلَاتِ . والمعنى : إن مثله لا يوجد ولا يُظْفَرُ به في مثل ذلك الوقت ، فإذا كان كذلك فكيف يَسْمَحُ النُّصِيفُ به لدهره ، أو كيف ينطوي الصدرُ على الشلْوِ عنه والخُلُوِّ منه ، مع شدة الحاجة إليه . ويقال : رَفَدْتُ الرَّجُلَ رَفْدًا إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، ثُمَّ سُبِيَ العَطِيَّةُ رَفْدًا بِكسر الراء ، وجمعه الأرفاد . وأرفدته محكي لكنه ليس بالمتخير . وتقاصر ، أصله تتقاصر فحذف إحدى التاءين تحقيقاً ، وهو في موضع الجر بإضافة حين إليه .

٥ - أُمٌّ مَنْ يَهِينُ لَنَا كَرَامَ مَالِهِ ولنا إذا عُدنا إليه معاداً

أم هذه هي المنقطعة ، والاستفهام دخل في الكلام على طريق التوجع والتلهف لما جرى على عيِّينه المذكور . والمعنى : لو فقدناه من كان يبذل لنا عقائل أمواله ، ومتى شئنا وجدنا عنده معاداً فلا يَمَلُّ الشُّوَالِ ، ولا يُغِيبُ النُّوَالِ ؛ وهذا الكلام تنبيهٌ على أنه كان يُدِيمُ الإحسان ، ولا يَحُولُ عطاء يومه دون عطاء غدِه . وقوله « كرائم ماله » ، جمع كريمة ، وقد أُجْرِيَ تجرى الأسماء حتى جاء في الحديث : « إِذَا جَاءَكَ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ ^(١) » .

(١) قاله صلى الله عليه وسلم ، في إكرام جرير بن عبد الله لما ورد عليه فبسط له رداء

وعصمه بيده . اللسان (كرم) .

٧٣

وقال بشر بن المغيرة (١) :

١ - جفاني الأمير والمغيرة قد جفما وأمسى يزيد لي قد ازور جانبه (٢)

أراد بالأمير المهلب بن أبي صفرة . والمغيرة أخوه ، ويزيد ابنه . وقائل هذا الشعر بشر بن المغيرة ، وهو أحد الفرسان المشتهرين (٣) ، فيقول : جفاني عمي المهلب ، وأبي المغيرة ، وصار يزيد ابن عمي لاقتدائه بهم منحرفاً عني ، غير مائل إلي . والازورار : الانحراف ، وهو من الزور : نطو أحد شقي الصدر واطمئنان الآخر : ويقال رجل أزور ، وامرأة زوراء .

٢ - وكلهم قد نال شبعاً لبطنه وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

أراد بالكل الاتحاد لا الجميع . يقول : كل واحد منهم قد نال من الدنيا وأعراضها قدر ما يشبعه ويمكنه الاكتفاء به ، ثم قال : وشبع الإنسان لؤم إذا لم يشرك صاحبه فيه فبقى جائعاً . أي هو كذلك في ذلك الوقت ، وعلى تلك الحالة . والشبع لا يكون لؤماً ، لكن التفرد به من دون ذويه على حاجة منهم إليه يكونه (٤) ، فرمى بالكلام على ما ترمى لأن المراد منه مفهوم . والفرق بين الشبع والشبع ، أن الشبع بسكون الباء : القدر الذي يشبع ، والشبع بفتح الباء :

(١) قال التبريزي : « ويروى أن اسمه كان بسراً » . وقال أيضاً : « وكان بشر بن المغيرة بخراسان مع المهلب فلم يوله شيئاً » .

(٢) يزيد ، ضبطت في الأصل بضميتين في أعلى الدال وضمة في وسطها لتقرأ بالصرف وعدمه ، وذلك مع كلمة « معا » فوق الضمتين .

(٣) م : « المشهورين » .

(٤) أي يكون لؤماً .

الامتلاء من الطعام ، وقد استعمل الشَّبَع في غير الطعام فيقال : أَشْبَعْتُ الثَّوْبَ صِبْغًا ، وكذلك في كلِّ ما وفَّرته من القول وغيره ، حتَّى قيل تَشَبَع الرَّجُلُ ، إِذَا تَكَثَّرَ .

٣- فَيَا عَمَّ مَهَلًا وَاتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ تَتَلَّمُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نَوَائِبُهُ (١)

قوله « مَهَلًا » معناه رِفْقًا ودَعِ العَجَلَةَ . ويحركُ الهاء منه فيقال انت كذا على مَهَلٍ ومَهَلٍ جميعًا . ويقال : ما بي عن كذا مَهَلٌ ، أى إني فيه مستعجل . وفي هذا بعض التوعُّد والتطنُّز وإن كان ظاهره أنه يستعطف المَهَلَّبَ ويُعرفه أنَّ الدهرَ ذو غيرٍ وذو ألوان فلا يُؤمِّن بوائقه ؛ وأنه قد يحتاج إلى المُسْتَعْفَى عنه لحادثةٍ تحدثُ . فيقول : ادَّخِرْ في لِنَوْبَةٍ تَنزِلُ ، وهى المصيبة أو النَّكبة ، ولا تطرِّحني اغترارًا بالأمن ، فإنَّ الدهرَ كثير النوائب ، وشيك التحوُّل . وقوله « ياعمَّ » حدَفَ الباء منه لوقوعه موقع ما يُحدَفُ في هذا الباب ، وهو التنوين ، ولأنَّ باب النداء بابُ إيجاز ، ولأنَّ الكسرة تدلُّ عليه .

٤- أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

يُفَضِّلُ نَفْسَهُ في نفاذه في الأمور ومضائه ، على السَّيْفِ ؛ فقال أولاً : أَنَا السَّيْفُ ، أى أشبههُ ، ثم تلافَى فقال : إِلَّا أَن السَّيْفَ رَبُّمَا نَبَا عن الضَّرْبِية وكبَّا ، ومثلي لا تسكُلُ ولا تَنْبُو حُدُودُهُ عن شيءٍ تُتلاقيه . وفي هذه الطريقة قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ
وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا
والمضاربُ : جمع مَضْرِبٍ ، وهو الموضع الذي يُضْرَبُ به من السيف .

(١) التبريزي : « جم عجائبه » .

٧٤

وقال بعض بني فقمس^(١) :

١- يَأْيِهَا الرَّاَكِبَانَ السَّائِرَانَ مَعًا قَوْلًا لِسِنْبِسٍ فَلْتَقَطْفُ قَوَافِيهَا

الراكب : اسم لمن ركب حيواناً إلا الفرس ، فإنه يقال لراكبه فارس متى أطلق . ومعاً ، انتصب على الحال ، ومعناه مُصْطَحِبِينَ ومجتمعين . فيقول : يَأْيِهَا السَّائِرَانَ المصطحبان ، قولاً لهذه القبيلة لتترك قول الشعر ، أو تتوقف قليلاً حتى تتباطأ قوافيها عني^(٢) . وفي هذا الكلام صرَبٌ من الاستهزاء بهم ، وإشارة إلى التجبر والتعالي عليهم . والقَطُوفُ من الدَوَابِّ : الذي في خطوه بَطْءٌ مع تقارب . وجعل فعل الأمر للقوافي على السعة والمجاز . وسنيسُ هم المأمورون . وهذا كما يقال في النهي : لا أَرَبَنَّكَ هَاهُنَا ، والمخاطبُ هو المنهيُّ ، لأنَّ المعنى : لا تكن هاهنا فأراك . ثم بين هذا الشاعرُ الوجهَ الذي أوجب منه اطراح الافتخار ورفض الهجاء له ، فقال :

٢- إني امرؤ مكرم نفسي ومُتَّئِدٌ مِنْ أَنْ أَقَازِعَهَا حَتَّى أُجَازِيهَا

يقول : إني رجلٌ أربأ بقدرى عن مكابلتهم ، وأترفع عن موازتهم ، وأتوقف عن ملاحاتهم ، طلباً لمجازاتهم . والتقدير : لا أقاذعها لكي أجازيها ، لأنَّ حتى الداخلة على الفعل مرّة يكون بمعنى كفى ، ومرّة يكون بمعنى إلى أن .

(١) التبريزي : « قال بعض بني عبد شمس من فقمس » .

(٢) جعل « تقطف » هنا من القطف وهو بطء الدابة . وأما أبو ريش فجعلها من قطف الثمرة بمعنى قطعها ، أي لتدع قول الشعر فيما بيننا وبينها . وأما النمرى ففسرها من القطف : حتى الثمرة ، أي إن فعلنا بهم شرأ فهو جنابة قوافيهم عليها . وهذا القول الأخير حسن جداً ، إلا أن ما بعده يدل على أنهم لم يجازوهم بعد ، لقواه : إني امرؤ مكرم نفسي ومُتَّئِدٌ . وعلى هذين المعنيين تكون « تقطف » متعدية . وعلى ما فسره المرزوق تكون لازمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لا أفادِعُها إلى أن أجازيها ، أى أولاً أجازيها فعلاً لأرى القدرة عليها ، ثم حينئذ أجازيها بالكلام . والأول أحسن . ثم أخذ يقتصُّ ما كان منهم لما طلب مكافأتهم بالفعل . والمفادعة : المفاحشة . ويقال قدَعْتُهُ ، إذا رمَيْتَهُ بالفُحْش . ومَتَّئِدٌ : مُفْتَعِلٌ مِنَ التَّوَدَةِ ، وهى الرُّفُق .

٣ - لَمَّا رَأَوْهَا مِنَ الْأَجْزَاعِ طَالِعَةً شُعْمًا فَوَارِسُهَا شُعْمًا نَوَاصِيهَا

يقول لما رأوا الخليل بارزة لهم ومفاجئة لإيهم من أجزاع الوادى - وهى جوانبها - مُغْبِرَةً النَّوَاصِي مغبرة الفرسان . وجواب لما فيما بعده . ويقال شَعِثُ شُعْمًا وشُعوثَةً ، وهو أَشَعَثُ وشَعِثُ . وأضمر الخليل فى قوله « لَمَّا رَأَوْهَا » وإن لم يجز لها ذِكْرٌ ، لأن الحالة الحاضرة تدلُّ عليه . ويجوز أن يكون تقدّم ذكرها فيما تُرِكَ من أبياته .

٤ - لَأَذَتْ هُنَالِكَ بِالْأَشْعَافِ عَالِمَةً أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ بَلِيلٍ أَمْرًا غَاوِيهَا

يقول : التجتأت فى ذلك الوقت إلى قُلِّ الجبال وأعلى الهضاب ، عارفة سوء اختيارها فى تحككها بى ، وتعرضها بالشعر لى ، وأنها قد انتمرت لغواتها بلِيلٍ . وذِكر الليل هاهنا إشارة إلى حَيْرَتِهَا فيما أَتَتْهُ من تَرَكِّهَا الرَّشَادَ ، وقبولها مشورة العَوَاة . والأشعاف : جمع الشَعْفَةِ ، وهى أعلى الجبل ، وأعلى كلِّ شىء ، ولذلك قيل شَعْفَةُ الْقَلْبِ لرأسه عند معالق النياط . وهنالكَ ظرف ، ويكون للزَّمانِ والمكانِ جميعاً ، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه ، كأنَّ البُعدَ فيما يُشار إليه بهُنَالِكَ أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهنالك . وهذا على طريقة ما تقوله فى ذلك وذلك . وقوله « أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ » أن فيه مخففة من الثقيلة ، أى عالمة أنها قد أطاعت . ويقولون لما لا يُعْمَلُ بِتَنْبُتٍ وحُسن تدبُّر : « هذا

أَسْرٌ قَدْ قَدَّرَ بَلِيلٌ . وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ .

٧٥

وقال آخر في ابن له :

١- لا نَعْدُلِي فِي حُنْدُجٍ إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْتَ عَفْرَيْنٍ لَدَى سَوَاءٍ

يخاطب لأئمة عَدَلْتُهُ فِي التَّوْفَرُّ عَلَى ابْنِهِ حُنْدُجٍ وَاخْتِصَاصِهِ إِبَاءَهُ وَاسْتِخْلَاصِهِ ،
وَذَكَرَ الْخَلِيلُ أَنَّ حُنْدُجًا فِي الْأَغْنَى : رَمَلَةٌ طَيِّبَةٌ تَنْبِتُ أَلْوَانًا مِنَ النَّبَاتِ . فيقول :
لا تلو ميني في أمر حُنْدُجٍ ، إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْتَ هَذِهِ الْمَأْسَدَةَ مَتَسَاوِيَانِ عِنْدِي . وقد
قيل في لَيْثِ عَفْرَيْنٍ : إِنَّمَا هِيَ الَّتِي تَصِيدُ الذُّبَابَ وَثَبًا ، فَشَبَّهَ فِي كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ
بِهِ ، وَقَدْ وُصِفَ الْخَلِيثُ الْمُنْكَرُ بِالْعَفْرِ وَالْعَفْرِيَّةُ وَعَفْرَانِي ، وَيُقَالُ أَيْضًا لِلْأَسَدِ
عَفْرٌ وَعَفْرَانِي . وقيل هو أَشَدُّ عَفَارَةً ، وَاسْتَعْفَرَ فُلَانٌ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ لَيْثَ
عَفْرَيْنٍ دَابَّةٌ كَالْحِرْبَاءِ يَتَّحِدِي الرَّكَبَ وَيَضْرِبُ بِذَنَبِهِ (١) . وقيل عَفْرَيْنٌ :
مَوْضِعٌ نُسِبَ إِلَيْهِ ، وَقِيلَ عَفْرَيْنٌ : فِعْلَيْنِ مِنَ الْعَفْرِ ، وَهُوَ التَّرَابُخُ لِأَنَّ عَادَةَ الْأَسَدِ
أَنْ لَا يَصِيبَ مَنْ فَرِيستِهِ حَتَّى يُعْفَرَهُ ، بِشَهَادَةِ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ فِي صِفَتِهِ :

* وَلَا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَ (٢) *

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لَيْثَ عَفْرَيْنٍ كَقَوْلِهِمْ : لَيْثُ لَيْوُثٍ ، لِأَنَّهُ يُقَالُ الْمُنْكَرُ
الدَّاهِيَةُ عَفْرٌ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْأَسَدُ وَالرِّجَالُ . وَيَكُونُ عَلَى هَذَا عَفْرَيْنٌ جُمْعُ
جَمْعِ السَّلَامَةِ كَالْأَقْوَرَيْنِ ، وَمَرَّبِي أَنْ قَوْلِهِمْ لَيْثُ عَفْرَيْنٍ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ
وَالذَّمِّ وَسِوَاةٍ : مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَ بِهِ .

(١) م : « تتحدى الراكب وتضرب بذنبها » .

(٢) م « حتى يعفرا » .

٢ - حَمِيَّتُ عَلَى الْمُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضُ الرَّجَالِ الْمُدَّعِينَ جُفَاءً

يُبَيِّنُ فِي هَذَا الْكَلَامِ انْتِفَاءَ الرَّيْبِ عَنْ مِشَابَهَتِهِ لَهُ ، وَتَقْيِيلَهُ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُ لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ مِنْ صُلْبِهِ ، فَيَقُولُ : حَفِظْتُ أَطْهَارَ أُمِّهِ عَنِ الزُّنَاةِ ، لِأَنِّي اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْتِ الْعَفَّةِ ، وَأَرْوَمَةِ الْكَرَمِ ، وَمَغْرَسِ النَّجَابَةِ ، وَالْعِتْقِ وَالشَّهَامَةِ (١) وَدَعَاوَى حَقًّا ، وَبَعْضُ دَعَاوَى الْمُدَّعِينَ كَالَّذِي يَعْطُو السَّيْلَ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ سَقَطِ الْأَرْضِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : وَبَعْضُ دَعَاوَى الرَّجَالِ ، لِحَذْفِ الْمُضَافِ وَأَقَامِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَالْمُهَّارُ وَالْمُهُورُ : الْفَجُورُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « حَمِيَّتُ عَلَى الْمُهَّارِ » مَا أَرَادَ اسْمُ وَالْقَيْسِ بِقَوْلِهِ :

* وَأَمْنَعُ عَرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الْخَالِي (٢) *

أَيُّ بَقْرَطٍ غَيْرَتِي وَكَمَالِ رُجُولِيَّتِي وَتَمَامِ مُحَاسِنِي . وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَطْهَارَ لِأَنَّهَا فِي الْحَيْضِ مِنَ الْإِعْتِزَالِ ، وَكَأَنَّهَا الْآخِرُ (٣) :

* دُونَ النَّسَاءِ لَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ (٤) *

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ جُفَاءً : وَبَعْضُ الرَّجَالِ مَحْمُولٌ دَعِيًّا ، فَهُوَ كَالْجُفَاءِ لَا يُعْنَدُ بِهِ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ .

٣ - فَجَاءَتْ بِهِ سَبَطَ الْعِظَامِ كَأَنَّهَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّجَالِ لِوَأَدِّ

(١) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّمَا وَصَفَ الشَّاعِرُ ابْنَ أُمِّهِ . يَقُولُ : لَمْ أُسْبِهَا كَمَا تَسْبِيبُ الْإِمَامِ فَجَاءَتْ بِهِ لِرَشْدَةٍ . وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى قِصَّةِ الْبَيْتِ عَرَفْتَ مُصَدِّقًا مَا قُلْتَهُ . أَكْتَبْنَا أَبُو النَّدِيِّ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَنَابٍ مِنْ بَلْقَيْنَ عِنْدَهُ ابْنَةٌ عَمٌّ ، لَهُ مِنْهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ سِيَارٌ ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مِنْ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ دَمَلِجٌ ، فَكَانَتْ الْحَرَّةُ إِذَا رَأَتْهُ يَلْطَفُ دَمَلِجًا بِبَعْضِ اللَّطْفِ لِأَمْتِهِ وَغَضِبَتْ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

الأنمي في دملج إن دملجا وشركة سيار إلى سواء

شغلت عن العشاق أطهار أمه وبعض الرجال المدعين زناة

(٢) صدره : * كذبت لقد أصبى على المرء عرسه *

(٣) هو الأخطل . ديوانه ١٢٠ وشرح شواهد المغني ٢٢١ .

(٤) صاره : * قوم إذا حاربو شدوا مآزرهم *

يقول : جاءت الأم بهذا الولد وهو تأمُّ العظام مديدُ القامة ، فكانَّ قامتَه رَمَح ، وكانَّ عمامته إذا تَوَسَّطَ الرَّجَالُ لَوَاهِ مَحْمُولٍ عَلَيْهِ . وَأَحْسَنُ صِنْعَةً مِنْهُ قَوْلُ مُسْلِمٍ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا سَلِيمًا مِنَ الْعَيْبِ .

يَقُومُ مَعَ الرَّمْحِ الرَّدْبِيُّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نَجَادٍ
وفي طريقته قولُ الآخر (١) :

* يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ (٢) *

٧٦

وقال آخر (٣) :

١ - إذا كان أولادُ الرَّجَالِ حَزَازَةً فَأَنْتَ الْخَلَالُ الْخُلُوعُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ (٤)

إذا يتضمَّن معنى الجزاء ، ولهذا احتجَّ إلى الجواب فجعل بالفاء . فيقول : إذا كان الأولاد تقطيعاً في الصدور وتمخراً في القلوب ، لعقوقهم واستعمالهم الجفاء في موضع البرِّ مع آبائهم ، فأنت العسل مشوباً بالماء العذب . وقد وصف بعضهم كلاماً فقال : « هو السَّحْرُ الْخَلَالُ ، وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ » . ويشير الشاعر إلى سهولة جانبه ، وحسن طاعته ، ودماثة خلقه . وقال الخليل : الحزازة : وجعٌ في القلبِ من غَيْظٍ أو أدَّى . والحزاز أيضاً كذلك ، وأنشد بيت الشَّامِخِ :

(١) هو فرعان بن الأعراف ، يقوله في ابنة منازل . الحاسية ٦٠٣ .

(٢) صدره : * لربيبته حتى إذا أضَّ شيطاناً *

(٣) قال أبو ريش : هولاءُ الشَّغْبِ الْعَبْسِيِّ ، وقال أبو عبيدة : للأقرع بن معاذ القشيرى .

(٤) أول المقطوعة عند التبريزي :

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ . وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَسْرِهِ عَتَبٌ

قال : « ليس في بره عتب ، أى ليش فيه فساد . قال أبو هلال : الوجه أن يقال إنه لا يمن بيره فينكر منه ذلك ، يقال عتبت على الرجل عتياً ، إذا أنكرت عليه شيئاً من فعله . ويجوز أن يقال : إنه يعم بالبر جميع أهله فليس يعتب عليه أحد منهم ، أو يقوم بجميع ما يحتاج إليه أبوه فلا يعتب عليه في شيء » .

* وفي الصدر حَزَّازٌ من اللّومِ حَامِزٌ (١) *

٢ - لنا جانبٌ منه دَمِيثٌ وجانبٌ إذا رَامَهُ الأعداءُ مُتَمَنِّعٌ صَعْبٌ

خاطب في الأول ثم عدل في الثاني إلى الإخبار ، وهذا عادتهم إذا افتنوا في كلامهم ، نظموا أو نثروا ، لِمَا في التحول من سهولة تجاوب الألفاظ ، وتلاؤم طرائق النظام . فيقول : لنا من هذا الولد خلقٌ سَجِيحٌ ، ومذهبٌ في البرِّ فسيحٌ ، فهو هَيِّنٌ لَيِّنٌ معنا ، وللأعداء منه إذا طلبوه أو جربوه جانبٌ خَشِنٌ مِدْفَعٌ ، وطريق صعبٌ مُتَلَفٌ ، وخلقٌ وعَرٌّ شَرِسٌ . ولم يقل وللأعداء جانبٌ ولكن عَطَفَ الثاني على الأول ، بمعنى أن أحدهما لاجتذاب الخير ، والآخر لدفع الشرِّ . فكان التقدير : ولنا منه جانبٌ مُعَدُّ للأعداء ذلك صفته ، فصار الجانيان لهم في اللفظ ، والقسمه ثابتة في المعنى . والدَّمانَةُ : سهولة الخلق ولين الجانب . ويروى « مُتَمَنِّعٌ صَعْبٌ » ، و « مُتَلَفَةٌ صَعْبٌ » ، والمعنى ظاهر .

٣ - وتأخذه عند المكارمِ هَزَّةٌ كما اهتزَّت تحت البارحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ البارحُ : ريحٌ حارةٌ تجيء من قِبَلِ اليمين . فيقول : تملكه عند اكتساب المكارم أريحيةٌ يهتزُّ عندها اهتزازَ الغُصْنِ الرَّطْبِ ، الذي جرى الماء فيه ، إذا هبت عليه البارح . و « كما اهتزَّت » أراد كاهتزاز . وقوله « تحت البارح » حسنٌ جداً ، لأنَّ الرِّيحَ تعلو الغُصُونُ في سرورها . وقد نسبوا البارح إلى النجوم إذا ذكروا الأنواء . قال :

أيا بارحَ الجوزاءِ مالَكَ لا تَرى عِيالَكَ قد أمساوا صاميلَ جُوعاً (٢)

(١) صدره في ديوان الشباخ ٤٩ واللسان (حز ، حمز) :

* فلما شراها فاضت العين عبرة *

(٢) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوق (١ : ٢١٦) ومجالس ثعلب ٤٩٠ .

هذا يقوله بعض المتلصّصة . وعيالها : الشّراق ، وذلك أن البارح تحمّل الغبار وتدرّس الآثار ، فتجسّر المتلصّصة على السّعى ، وتمكّنهم السرقة .

٧٧

وقال آخر ^(١) :

١ - وفارقتُ حتّى ما أبالي من النّوى وإنّ بآن جيرانٍ على كرام ^(٢)

يروى : « من انتوى » وهو افتعل من النوى ، وهي الوجهة المنووبة للقوم ، أو البعد . يقول : ألفتُ مفارقة الوطن والإخوان شيئاً بعد شيء ، واعتدتُ التّباعد عنهم يوماً بعد يوم ، حتّى لا أبالي من انتوى منهم أو نأى ، وإن كرموا على عند المجاورة . ومن روى : « لا أبالي من النّوى ^(٣) » فمعناه لا أحتفل به ، والأوّل أحسن . فإن قيل : كيف تعلق « حتّى » بفارقتُ ؟ وما معناه ؟ قلت : أراد تكرّرت للفارقة على وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال ، إلى أن صيرتُ لا أبالي بالفراق . فمعنى حتّى : إلى أن . وقوله « فارقتُ » مستصاحٌ للقليل والكثير ، فانصرف إلى الكثير ، بدلالة أن المتمرّن بالبلاء قديماً ، والمتحكّم به كثيراً ، هو الذى يستهين به كثيراً ، دون من مارسه يسيراً ، وعالجه حديثاً .

٢ - فقد جمّلتُ نفسى هي النّأى تنطوى وعيني على فقد الصديق تمام

جمّلتُ نفسى ، بمعنى طفقتُ وأقبلتُ ، ولذلك لا يتعدّى . فيقول : أخذتُ نفسى تصبرُ على النّأى ، وتنطوى على الفراق ، فلا يظهر منها جزعٌ ، ولا تبوحُ بشكوٍ ، وعيني تمام على فقد الصديق منهم فلا تسهر ، ولا تبكى

(١) التبريزى : « وذكر أنه لعبد الصمد بن المعدل ، وقيل للحسين بن مطير . »

(٢) التبريزى « ويروى : وفارقت حتّى ما أحن من النوى » .

(٣) كذا في النسختين مع اتفاقهما في صلب البيت أنه « ما أبالي » .

فتذرف . وهكذا النفسُ إذا وُطِنَتْ على الشدائد ، وتمرّنت بالمصائب . وقوله -
« تنطوي » أصلُ الطّيّ الثنيّ والقبضُ ، ومنه الطاوي والطيّان .

٧٨

وقال آخر^(١) :

١ - رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاغِلُهُ وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي
يقول : فُرِّعْتُ بِالْفِرَاقِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى ، حَتَّى صِرْتُ
لَا أَرْتَاغِلُهُ ، وَوَاظَبَتِ الْمَصَائِبُ عَلَيَّ وَاتَّصَلَتْ فِي الْأَهْلِ تَارَةً ، وَالْإِخْوَانَ
أُخْرَى ، حَتَّى صَارَتِ الرَّزَايَا بِالْإِلْفِ كَأَنَّهَا مِرَازِيٌّ وَعَطَايَا . وَالْكَلَامُ فِي حَتَّى
وَإِتصَالِهِ وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

٢ - لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضْنُ بِهِ إِلَّا اصْطَفَاهُ بِنَائِي أَوْ بِهِجْرَانِي
يقول : لَمْ أَدْخِرْ لِنَفْسِي عِلْقًا نَافَسْتُ فِيهِ إِلَّا زَا حَتَّى الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَاسْتَأْثَرَ بِهِ ،
إِمَّا بِإِيْقَاعِ بَعْدِ بَيْنِنَا ، أَوْ إِحْدَاثِ هِجْرَانِ تَوَسَّطْنَا . وَأَصْلُ الْعِلْقِ : الْمَالُ
الْكَرِيمِ ، وَجَمْعُهُ أَعْلَاقٌ وَعُلُوقٌ . وَاسْتَمَارَهُ هَاهُنَا .

٧٩

وقال طفيل الغنوي^(٢) :

١ - وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكَرِ الْبَيْنِ إِنِّي بِذِي لَطْفِ الْجِيرَانِ قَدِمًا مُفْجِعٌ

(١) التبريزي : « قال أبو العلاء : هذا يروى مؤرّج السديسي ، وكان مؤرّج يكنى أبا قيد . »

(٢) هو طفيل بن عوف ، أو هو طفيل بن كعب الغنوي . كان من أوصاف الناس الخيل وكان يقال له في الجاهلية المخبر ، لحسن شعره . وطفيل شاعر جاهلي فحلل كان أكبر من النابغة وليس في قيس فحلل أقدم منه . الأغاني (١٤ : ٨٥ - ٨٧) والنازلة (٣ : ٦٤٢ - ٦٤٣) والعي (٣ : ٢٤ - ٣١) والاشتقاق ١٦٥ والمؤتلف ١٤٧ ، ١٨٤ والاقتراب - ٣٢٧ والشعر والشعراء ٤٢٢ .

يقال : نَكَرَ وَأَنكَرَ وَاسْتَفْكَرَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . فيقول : أَنَسْتُ بِفِرَاقِ
الْأَحَبَّةِ بَعْدَ نَفَرْتِي ^(١) ، وَبِيعُدُ ذَوَى اللَّطْفِ عَقَبَ ^(٢) قَلْتِي ، وَذَلِكَ لِأَنِّي
فُجِّعْتُ بِالْخُلَطَاءِ وَالْجِيرَانِ قَدِيمًا ، حَتَّى صَارَ كَالْمَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ . وَقَوْلُهُ « بَدَى
لَطْفِ الْجِيرَانِ » أَرَادَ بِلَطِيفِ الْجِيرَانِ ، أَيْ بِاللَّطِيفِ مِنْهُمْ . وَقَدَّمَ
ظَرْفَ لِمُفْجَعٍ .

٢ - جَدِيرُ بَعْضِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحْبَتُهُمْ إِذَا أَنَسُ عَزُّوا عَلَى تَصَدَّعُوا

يقول : أَنَا خَلِيقٌ بِالْبَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَجَاوِرُهُمْ إِذَا اسْتَوْقَفْتُ قُرْبَهُمْ ،
وَاسْتَحْلَيْتُ السَّكُونَ مِنْهُمْ ، حَتَّى لَا يَعْزُّ عَلَى أَنَسٍ إِلَّا تَقَرَّبُوا عَنْ كَتِّبٍ .
وَالْأَنَسُ : اللَّطَائِفَةُ مِنَ النَّاسِ . يَقَالُ : رَأَيْتُ مَعَهُ أَنَسًا كَثِيرًا ، أَيْ نَاسًا .
تَصَدَّعُوا : تَفَرَّقُوا . وَمِنْهُ يَقَالُ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ بِفُلَانٍ ، إِذَا تَفَيَّبَ هَارِبًا .

٨٠

وقال الراعي ^(٣) :

١ - وَقَدْ قَادَنِي الْجِيرَانُ حِينَمَا وَقَدْتُهِمْ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَحْنُ جَمَالِيَا

يقول : جَدَّنِي الْخُلَطَاءُ زَمَانًا وَجَدَّتْهُمْ ، حَتَّى كُنْتُ فِي حُكْمٍ مِنْ لَا يَصْبِرُ
عَنْهُمْ ، وَلَا يَفْنَكُ مِنْهُمْ ، كَالْقَائِدِ لِلشَّيْءِ وَهُوَ مَقْوَدٌ لَهُ ، لِأَنَّ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ
مَعَ شَيْءٍ فَهُوَ يَلْزِمُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ . وَالْآنَ فَارَقْتُهُمْ فَلَا أَحْنُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْزِعُ نَحْوَهُمْ .

(١) م : « نفرى » .

(٢) كذا بسكون القاف في النسختين ، وهي لفة صحيحة .

(٣) الراعي لقب له ، واسمه عبيد بن حصين بن معاوية ، أو حصين بن معاوية النمرى .
وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف الإبل في شعره . وهجاه جرير لأنه كان أتهمه بالميل إلى
الفرزدق . الأغاني (٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣) والمؤتلف ١٢٢ والخزانة (١ : ٥٠٢ -
٥٠٤) والاشتقاق ١٧٩ والنقائض في مواضع كثيرة . والشعر والشعراء ٣٧٧ - ٣٨١ -

(٤) البيتان في معجم البلدان (وهين) .

وَنَسَبَ الْحَنِينَ إِلَى جِمالِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ النَّفْسَ ، لِأَنَّهَا فِي الْحَنِينِ أَقْلُ صَبْرًا
حَتَّى رُبَّمَا تَهَيَّمْ عَلَى وَجْهِهَا ، وَتَنَدُّ عَنْ صَوَاحِبِهَا ، طَلَبًا لِلإِلفِ ، وَجَرِيًّا مَعَ
النَّهْوِ . وَعَلَى هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ فِي مَخَاطَبَةِ رَاحِلَتِهِ وَقَدْ رَأَاهَا :

فإني مثل ما تجدينَ وَجدي ولكن أصحبتَ عنهم قروني^(١)
٢- رجأوك أنساني تدكر إخوتي ومالك أنساني بوهبين ماليا
يقول: أملي فيك أنساني الفكر في إخوتي وأهل بيتي ، وطمعي في مالك
أنساني مالي بوهبين . وهذا قاله لأنه يرى أن رجاءه فيه لتتحققه صار مؤثرا
على ذكر وطنه وعشيرته ، وأن ما طمِع فيه من مالها كان أكثر مما ملكه
بوهبين صار مُنسيًا له .

* * *

وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظ والقسوة ، وذِكْرُ قلة
الفكر في الأوطان والأحبة ، وتناسي المهود والأدمة ، ومفارقة الأماكن
المألوفة . والحلال المورودة ، وشكوى النفس إلى التناهي والغربة ، دخلت
في باب الحماسة . وبمثل هذه المناسبة دخل فيه كثير من نظائرها . وسندل
عليها إذا اتهمنا إليها .

٨١

وقال آخر :

١- وإنا لتصبح أسيافنا إذا ما اضطبحن بيوم سفوك

يروى « تُصْبِحُ » بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ، فيكون المعنى : إنا
لتسقى أسيافنا الصبوح بيوم سفوك إذا ما اضطبحن . ومن روى « لتصبح »
بكسر الباء فخبير تصبح في لاني ، وهو « منابرهن بطون الأكتف » .
والمعنى : إنا لتصير أسيافنا إذا شربت الصبوح في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة .

(١) في اللسان (قرن) : « أسحمت عنهم قروني » . والبيت لرجل من بني كليب . انظر ص ٢٩٥ .

ونسبته السفك إلى اليوم مجازاً لما كان يقع فيه ، فهو كقولهم : نهارة صائم .

٢- مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَعْمَادُهُنَّ رِءُوسُ الْمُلُوكِ

أراد أنها تُنْتَضَى فتخطبُ واعظةً للأعداء زاجرةً ، ومُنْذِرَةً للكُفَّاءِ محذرةً ، لكن مَنَابِرُهُنَّ أَكْفُ الضَّارِبِينَ ، وَأَعْمَادُهَا إِذَا أُعْجِدَتْ رِءُوسُ الْمُلُوكِ الْمُعْظَمِينَ . وهم يتبجَّحون بقتل الملوك وقتالها . ويقربُ من هذا قوله :

* يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ *

وقوله :

من عهدٍ عاديٍّ كان معروفاً لنا أُسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

والمَنَابِرُ : مواضع النَّبْرِ ، وهو الصوت ، لأنها نُصِبَتْ لِلخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالتَّحْمِيدَاتِ .

٨٢

١- لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي دَعَاةٍ نِزَاعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ (١)

يقول : لَا يُزْهَدَنَّكَ اشْتِيَاقُكَ إِلَى السَّكَنِ ، وَحَنِينُكَ إِلَى الْوَطَنِ ، فِي إِبْشَارِ سَعَةِ الْعَيْشِ وَرَعْدِهِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالشُّكُوفِ . وَيُرْوَى : « نَزُوعُ نَفْسٍ » وَالنِّزَاعُ اشْتِهَارُهُ فِي الْكَفِّ عَنِ الشَّيْءِ ، وَالنِّزَاعُ فِي الشُّوقِ ، وَإِنْ كَانَ جَانِزاً وَقُوعٌ أَحَدُهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي التَّشْوِيقِ . وَيُقَالُ نَاقَةٌ مَنَازِعُ وَنَزُوعٌ . وَقَدْ أَنْزَعُوا ، إِذَا حَفَّتْ إِبْلَهُمْ . وَالنِّزْعُ : الْجَذْبُ ، وَيُقَالُ : خَرَجَ نَازِعَ يَدٍ ، إِذَا خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ .

٢- تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلِ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

(١) جعل التبريزي الرواية الأولى : « نزوع نفس » ، ثم نبة على رواية « نزاع » .

هذا تسليةٌ للنفس عن الأهل . يقول : تجدُ بكلِّ بلدٍ تنزلُ به أهلاً بدلاً من أهلك ، وجيراناً بدلاً من جيرانك . والعربُ تقولُ : هذا بذاك ، أى هو عوضٌ منه . وإنما ضمَّن أبو تمام هذه الأبياتَ بابَ الحماسة ، لما قدَّمته من أنها صادرةٌ عن قسوةٍ شديدةٍ ، وقلةٍ فِكْرٍ في التحوُّل عن الإلْف والعادة ، ولأن تركَ الوطن والإخلال بالعشيرة يُضمُّ إلى القتل وتلف النفس ، فالصبر عليه كالصبر على القتل . ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ .

٨٣

وقال بمض بنى أسد^(١) :

١ - إِلَّا أَكُنْ تَمَنُّ عِلِمَتِ فَإِنِّي إِلَى نَسَبِ تَمَنُّ جِهَتِ كَرِيمِ

يقول : إن لم أكن ممن عرفتهم بالشرف ، فإنى أنتهى إلى شرفِ كريمٍ من جهتهم . كأنه يريد : ليس الاعتبارُ بما تعدَّينه شرفاً أو تعرفينه نسباً ، لكن الاعتبارُ بمحصول الكرمِ على أى وجهٍ حصل ، وحوزِ المجدِ وإن جهله من جهل . وقوله « إلى نسب » يتعلّقُ بفعلٍ مضمرٍ ، كأنه قال : فإننى أنتهى إلى نسب .

٢ - وَإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلْمَاءِ غَيْرُ شَتِيمِ

يقول : إن لم أكن النهايةَ فى الجودِ فإنى لا أشتُمُ بسببِ الزادِ فى الليلةِ المظلمةِ ، فلا أدُمُّ لصرْفِ الضيفِ عن نفسى بالمللِ الكاذبةِ فى الشُّتوةِ القحِطَةِ . وقد اشتمَل قولُه « على الزادِ فى الظُّلْماءِ » على ما بيَّنا وأكثر منه . وهذا الذى خبرَ

(١) التبريزى : « قيل لعبد العزيز بن زرارة » .

به عن نفسه هو الجُودُ ، لكنه أراد أن يُرى من نفسه ترك ادعاء النهايات ، والأخذ بالاعتقاد في الحالات ، وإن كان تنافى من حيث اقتصد . ويقال زِيدُ الشُّجاع كلُّ الشُّجاع ، والمعنى أنه الكامل في معناه . ومن هذا الباب قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ﴾ . وهذا كلامٌ من نظر لنفسه وغيره ، وتبين ما عليه وله ، فأثبت ما أثبت في أحسن معرض ، ودفع ما دفع بالطف تعريض . وتعلق على من قوله : « على الزاد » بشتم وإن كان مضافاً إليه ، لأنه أُجْرِي غير مَجْرِي لا ، لأنهما للنفي ، فحُمِلَ الكلام على المعنى فكأنه قال : إِنِّي على الزادِ لا أُشتمُ . ونزيد هذا شرحاً فيما بعده .

٣- وإلا آكن كل الشُّجاعِ فإني بضربِ الطُّلى والهامِ حقُّ عليم

هذا كالميت الذي قبله . يقول : إن لم أكنِ النَّهاية في الشُّجاعة ، والمعنى إن لم يكن فعلي النَّهاية فيما يفعله الشُّجاع ، فإني عالمٌ حقاً بضربِ الروسِ والطُّلى . والمتناهي في الشُّجاعة لا يتعدى فعله هذا ، لكنه سلك طريقته فيما قبله . الطُّلى : الأعناق وأعراضها ، والواحدة طُليّة . والباء من قوله « بضربِ الطُّلى » تعلق بقوله عليم .

فإن قيل : كيف ساع ذلك والمُضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ؟ قلت : لما كان قوله « حقُّ عليم » لازيادة فيه إلا التوكيد لم يُعْتَدَّ بالمُضاف ، فحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ ، فكأنه قال : إِنِّي بضربِ الطُّلى عليمٌ جداً . ويجرى هذا المَجْرِي إجازتهم لقول القائل أنت زيداً غير ضاربٍ ، مع امتناعهم من إجازة أنت زيداً مثل ضاربٍ ، لما كانت معنى غير معنى لا ، فحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ ، حتى كأنه قيل : أنت زيداً لا ضاربٌ . فاعلمه ، وبالله التوفيق .

٨٤

وقال عمرو بن شأس^(١) :

١- أَرَادَتْ عِرَارًا بِالهُوَانِ وَمَنْ يُرْدُ عِرَارًا لَعَمْرِي بِالهُوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ

المُضْمَرَةُ فِي أَرَادَتْ رَابِعَةً عِرَارٍ ، فَقَالَ وَالِدُهُ عَمْرُوٌ : أَرَادَتْ امْرَأَتِي إِهَانَةً عِرَارٍ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فِي مِثْلِهِ فَقَدْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تَفْصِيلُ بَيْنَ قَوْلِهِ أَرَادَتْ عِرَارًا بِالهُوَانِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ أَهَانَتْ عِرَارًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، لِأَنَّ مَعْنَى أَرَادَتْهُ بِالهُوَانِ أَرَادَتْ كَوْنَهُ لَهَا وَصَحْبَتَهُ إِيَّاهَا بِاسْتِعْمَالِ الْهُوَانِ مَعَهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهُوَانُ وَاقِعًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ وَاقِعٍ . وَمَعْنَى أَهَانَتْهُ : ابْتَدَلْتَهُ وَأَذَلْتَهُ . فَهُوَ إِخْبَارٌ لَوْ قُوعِ الْفِعْلِ بِهِ فِيمَا مَضَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ظَلَمَ : تَحْيِيفَ حَقِّهِ وَبُخْسَهُ .

٢- فَإِنْ كُنْتُ مَنِّي أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي فَكُونِي لِي كَالسَّمَنِ رُبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ

نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ ، عَلَى عَادَةِ تَفَنُّهِمْ . يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ تَهْوِينِ هَوَايَ ، أَوْ تُرِيدِينَ الْكَوْنَ مَعِي وَمِصَاحِبَتِي ، وَإِنْ انْطَوَيْتِ فِي حُبِّهِ عَلَى مُحَالَفَتِي ، فَكُونِي لِي فِي تَصْنَعِكَ كَأَنَّكَ مُوَافِقَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ ، جَارِيَةٌ مَعَهُ عَلَى الْحَدِّ الْوَاحِدِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَإِظْهَارِ اللَّيْلِ وَالْمَوَدَّةِ . وَالسَّمَنُ

(١) عمرو بن شأن الأسدي ، قال الجهمي : « كثير الشعر في الجاهلة والإسلام ، وهو أكثر طبقة شعراً » . وأسلم في صدر الإسلام وشهد القادسية . وقال ابن قتيبة : « وهو أبو عرار ، وفيه يقول عمرو لامرأته » . وأنشد الأبيات . الشعر والشعراء ٣٨٩ والجهمي ٤٦ - ٤٧ والمرزباني ٢١٢ - ٢١٣ واللكلبي ٧٥٠ - ٧٥١ والأغاني (١٠ : ٦٠ - ٦٣) . وقال التبريزي : « هو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، وكانت له امرأة من قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار ، فكانت تعيره إياه وتؤذيه ويؤذيها ، فأكثر عمرو إذاها له » .

إِذَا رُبَّ نَحِيهٌ لَمْ يَتَغَيَّرْ . يريد فلا تتعمري أنتِ أيضاً . ومعنى رُبَّتْ له أى من أَجَلِهِ ، وَالْأَدَمُ : جمعٌ ، يقالُ أَدِيمٌ وَأَدَمٌ . وله نظائرٌ قليلةٌ : إِهَابٌ وَأَهَبٌ ، وَأَفِيقٌ وَأَفَقٌ ، وَعَمُودٌ وَعَمَدٌ .

٣- وَإِنْ كُنْتِ تَهْوِينَ الْفِرَاقَ ظَمِينَتِي فَكُونِي لَهُ كَالذَّئِبِ ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ يقول : وَإِنْ كُنْتِ تُؤَثِّرِينَ مَفَارِقَتِي وَتَمِيلِينَ إِلَى التَّبَايُنِ عَنِّي فَأَسِئِي عِشْرَتَهُ وَكُونِي لَهُ كَالذَّئِبِ ضَاعَتْ الْغَنَمُ مِنْ أَجْلِ وَقُوعِهِ فِيهَا . والمعنى عَاشِرِيهِ عِشْرَتُهُ أَمَا . ويجوز أن يريد بقوله « ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ » فَاتَتْهُ الْغَنَمُ بَعْدَ أَنْ أَمْكَنْتَهُ . وَالسَّبْعُ إِذَا شَارَفَ فَرِيستَهُ ثُمَّ فَاتَهُ كَانَ ذَلِكَ مُهَيِّجًا لَهُ ، وَدَاعِيًا إِلَى الْفَسَادِ فَمَا يُمَكِّنُهُ (١) .

٤- وَإِلَّا فَسِيرِي مِثْلَ مَسَارِ رَاكِبٍ تَجَشَّمْ خِمْسًا لَيْسَ فِي سَيْرِهِ أَمٌّ هذا كما يقال على طريق الوعيد أو إظهار الزهد لمن يُؤمَرُ شَيْئًا : اَعْمَلْ كَذَا وَكَذَا وَإِلَّا فَدَعَهُمَا وَلَا تَعْمَلْ أَحَدَهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ . يقول : وَإِلَّا فَلَا تُحْسِنِي إِلَيْهِ وَفَارِقِينِي مِنْ وَقْتِكَ . وهذا إظهارُ زهده فيها ، وَأَطْرَاحَ تَسْكُفِ الْأَشْرَاطَاتِ مَعَهَا . ثم قال : لَيْسَ سَيْرُكَ سَيْرَ الرَّاكِبِ تَكَلَّفَ وَرُودَ الْمَاءِ نِلْمِيسَ ، وَلَيْسَ فِي سَيْرِهِ قَصْدٌ وَلَا قُرْبٌ . وقوله « مِثْلَ مَسَارِ رَاكِبٍ » أى سَيْرًا يُشَابِهُ سَيْرَهُ . وقوله « تَجَشَّمْ » مِنْ صِفَةِ رَاكِبٍ . وَالْأَمُّ : الْقُرْبُ ، وَيُقَالُ أَمْرِي مِنْ أَمْرِكُمْ أُمَّمٌ . وَيُرْوَى : « لَيْسَ فِي سَيْرِهِ يَتَمُّ » أى إِبْطَاءٌ (٢) .

٥- فَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ ذَا شِكِيمَةٍ تُلَاقِيهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشِّيمَ يقول : إِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ ذَا سُوءِ خُلُقٍ تُتَمَتِّنِينَ بِهِ وَتَشْقَتِينَ بِمَقَاسَاتِهِ ، فَإِنِّي

(١) زاد التبريز : « وهذا تهديد منه لها ، وليس هو على حقيقة الأمر » .

لَا أَمْلِكُ تَغْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَالخَلَائِقِ . وَكَأَنَّهُ جَوَابٌ لِعِظَارِهَا مِنْ قَلَّةِ الْمَلَامَةِ بَيْنَهُمَا . وَالشَّكِيمَةُ : الخَدُّ والشَّدَّةُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَشَدِيدُ الشَّكِيمَةِ ، أَيْ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَكِيمَةُ اللُّجَامِ - وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الْمَعْرِضَةُ مِنْهُ فِي الْقَمِّ - مَأْخُودًا مِنْهُ ، وَالْجَمِيعُ الشَّكَّامُ .

٦- وَإِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجُونَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمِّ

يَقُولُ : وَإِنْ وُلِدِي عِرَارًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضِيءَ الْوَجْهِ مَسْوُوحًا بِالْجَمَالِ ، فَإِنِّي أَحِبُّهُ عَلَى سِوَاةِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ . وَهَذَا كَأَنَّهُ إِسْتِقْطُ لِقَوْلِ مَنْ يُزَيِّفُ ابْنَهُ وَيُعَيِّرُهُ الْقُبْحَ وَالذَّمَامَةَ . وَكَانَ عِرَارٌ هَذَا أَحَدَ الْفَضْلَاءِ ، وَتَوَجَّهَ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ إِلَى الْحِجَّاجِ رَسُولًا فِي بَعْضِ فُتُوحِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْحِجَّاجِ لَمْ يَعْرفْهُ ، وَازْدَرَاهُ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبَانَ وَأَعْرَبَ مَا شَاءَ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمُرَادَ فِي كُلِّ مَا سَأَلَ ، فَأَنْشَدَ الْحِجَّاجُ : « أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ ... » . الْأَبْيَاتُ مَتَمَثَلًا ، فَحَقَّالُ عِرَارٌ : أَنَا أَيْدَى اللَّهِ الْأَمِيرِ عِرَارٌ ! فَأَعْجِبَ بِهِ وَبِذَلِكَ الْإِتْفَاقِ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْمَأْمُونِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ :

إِنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ فَبَيَاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِي
وَالْعَمِيمُ وَالْعَمَمُ : الطَّوِيلُ التَّامُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْجُونَ الْأَسْوَدُ هَاهُنَا ،
وَيُجْعَلُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

٨٥

وَقَالَ آخِرُ (١) :

١- لَوْلَا أُمَيْمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ . وَلَمْ أَقَاسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظَّلَمِ .

(١) التبريزي : « وهو إسحاق بن خلف » .

رَوَى : « ولم أَجِبْ في الليالي جِنْدِسَ الظُّلْمِ » . والمبتدأ بعد لولا يُحذفُ خَيْرُهُ أَبَدًا ، وَيُسْتَفْنَى بجواب لولا عنه . والتقدير : لولا أُمَيْمَةُ مانعةٌ لم أَجْزَع . فيقول : لولا ابنتي أُمَيْمَةُ لم أَخَفِ الفقر ولم أَرْحَلْ في طَلَبِ المال ، ولم أَرْكَبِ الليل ، فكنت أجوبُ ظَمَاءَهُ ، وأُكابدُ أهوالَهُ . والجِنْدِسُ : شدة الظلمة ، وقد اشتق منه الفعل ، فقيل : حَنَدَسَ الليلُ فهو مُحْنَدِسٌ ^(١) . ومعنى لم أَجِبْ : لم أَقْطَع . وقاطع المواضع المظلمة كأنه قاطعٌ للظلمة . ومن رَوَى « ولم أَقاسِ الدُّجَى » يريدُ أهوالها . وإضافة الجِنْدِسِ إلى الظلمِ كإضافة البعض إلى الكل ، أي في الشَّدِيدِ من الظلمِ . ويقال تَحَنَدَسَ الرَّجُلُ ^(٢) ، إِذَا ضَعُفَ وَسَقَطَ .

٢ - وزادني رَغْبَةً في العَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الأَيْتِمَةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ . يقول : زادني حِرْصًا على الدنيا ورَغْبَةً في العَيْشِ فيها ، عَلِمِي بذلَّ الأَيْتِمَةِ . وقد جَفَاها أَقاربُها ، وأطْرَحَها أَهلُها . وموضع « يَجْفُوها » من الإِعْرَابِ نَصَبٌ على الحال للَيْتِمَةِ ، والعامِلُ فيه ذُلَّ الأَيْتِمَةِ . والتقدير : زادني مَعْرِفَتِي بذلَّ الأَيْتِمَةِ إِذَا جَفَاها ذَوُوها رَغْبَةً في العَيْشِ ومُهَلَّةَ العُمُرِ .

٣ - أَحاذِرُ الفَقْرَ يَوْمًا أن يُلِمَّ بها فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عن نَحْمِ على وَضْمِ . قوله « أن يُلِمَّ بها » موضعه نَصَبٌ على البَدَلِ من الفقر . والمعنى : أَحاذِرُ إِلمامَ الفَقْرِ بها فَيَكْشِفُ السِّتْرَ عَمَّنْ لا دِفَاعَ به ، فتناولَهُ من شاء بما شاء . والعربُ تَقُولُ : « النساءُ نَحْمٌ على وَضْمِ إِلا ما ذُبَّ عَنْهُ » . والوَضْمُ : خِوَانُ الجِزَارِ والخَلْبِازِ ، وموضِعُهُ مِيضَمَةٌ ، والجميعُ المَوَاضِمِ .

٤ - تَهَوَّى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا والمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ على الحَرَمِ .

(١) هذا الفعل ومشتقه مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) ورد في القاموس ، ولم يرد في اللسان .

يقول : تحبّ ابنتي بقائى لها ، وأنا أودُّ موتها إشفاقاً عليها ، وخوفاً من ابتدال يَلْحَقُهَا ، وابتلاء بمن لا يَعْرِفُ لها ما يَعْرِفُ لمثلها ، ثم قال : والموتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَمْرِ ، كما قيل : « نَعِمَ الْخَلَاتِنُ الْقَبْرِ » و « دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ » . وانتصب شَفَقًا على أنه مفعول له .

٥ - أَخَشَى فِظَاظَةً عَمَّ أَوْ جَفَاءً أَخٍ وَكُنْتُ أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ

هذا تفسير قوله « أَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا » يريد : أَشْفِقُ مِنْ مِغَالِظَةٍ عَمَّ لَهَا ، أَوْ جَفْوَةٍ أَخٍ تَلْحَقُهَا ، وَأَنَا كُنْتُ ^(١) أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ إِذَائِهَا بِالْكَلِمِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ . يُقَالُ : رَجُلٌ فَظٌّ ، إِذَا كَانَ قَاسِي الْقَلْبِ غَلِيظَ الْقَوْلِ . وَالْكَلِمُ : جَمْعُ كَلِمَةٍ . وَمَعْنَى : « أَدَى الْكَلِمِ » الْأَدَى الَّذِي يَلْحَقُ مِنَ الْكَلِمِ .

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما ضادت ما قبلها في تضئنها رقة القلب ، والتعطف على الولد والأهل ، أتبعها بها . وكل ذلك كالعارض ثم يعود إلى ما بنى عليه الباب . وهذا عادة أبي تمام في أبواب هذا الاختيار . ويشبهها قول الآخر ^(٢) :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبِّي بِنَاتِي لِمَنْنٍ مِنَ الضَّعَافِ
أَحَازِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنَقًا بَعْدَ صَافٍ ^(٣)
وَأَنْ يَعْرَيْنَ إِنْ كَسَى الْجَوَارِي فَتَذْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمٍ مِجَافٍ

(١) م : « وإنما كنت » .

(٢) هو أبو خالد القناني ، كما في الكامل ٥٢٩ لببببب واللسان (كرم) .

(٣) الكامل : « أن يرين الفقر » .

٨٦

وقال خطابُ بنُ المعلِّ (١) :

١ - أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ قَالٍ إِلَى خَفْضٍ
يقول للدَّهْرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ، وطَرِيقٌ مألُوفٌ، في رَفْعِ الوَضِيعِ، وحرطٌ
الرفيع، فأجرى حُكْمَهُ عَلَيَّ، وَأَنْزَلَنِي عَنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ إِلَى مَنْزِلَةٍ مُنْخَفِضَةٍ،
وَأَخْفَضُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ المَفْعُولِ. يريدُ إلى
مكان منخفض.

٢ - وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي
يرَوَى: غَالَنِي «ومعناه غلبني»، ويروى: «غالني» ومعناه أهلكتني
بارتجاع عَوَارِيهِ مِنَ المَالِ، واستلاب ما كُفْتُ وَفِرْتُ^(٢) به مِنَ العِتَادِ، فمَالِي
مَالٌ سِوَى نَفْسِي، وليس النَّفْسُ مِنَ المَالِ فِي شَيْءٍ. وَمَوْضِعُ «سوى» نَصْبٌ
على أنه استثناءٌ خارجٌ، وهذا الاستثناء يتأكد به انتفاء الغنى. ومثله قوله:
ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الكِتَابِ^(٣)
ويجوز أن يكون المعنى: ليس لي غنى سوى غنى نفسي، فحذف المضاف، والمعنى:
إِنَّ نَفْسِي غَنِيَّةٌ فَلَا تَطْمَعُ فِي المَكَايِبِ الوَضِيعَةِ، ولا تتدنس بالمآكل الخبيثة.
وقوله «بوفري الغنى» أي بسلب وفري الغنى، فحذف المضاف. ويتعلق الباء منه
بقوله غالني. والوفرُ: كثرة المال، وأضافه إلى الغنى، لأن المراد المال الذي يحصلُ

(١) كذا باتفاق النسختين. انشوريزي: «حطان بن المعلِّ» وذكر عن اشتقاقه
عن أبي العلاء: «حطان فعلان من الحط».

(٢) م: «وقرت» بالقاف.

(٣) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه ٦.

به الغنى . وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما ، سواء كان له أو عليه ، أو معه أو فيه ، أو من أجله ، أو مما يليه . ويجوز أن يكون مَوْضِع « بوفر الغنى » نَصَبًا على الحال للدَّهْر ، كما تقول : فاتى فلانٌ بكذا ، والمعنى قَاتِنِي مستَضْحِبًا لَهُ . ومثله : جاء في أطَارِ ، أى لايسًا لها . ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى ، فَعَدَى غَالِي تَمْدِيَةً فَجَعَنِي ، لأنه في معناه ، فكأنه قال : فَجَعَنِي بوفر الغنى وأصابني .

٣ - أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَارُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

قوله « بما يُرْضِي » يدلُّ على أنه أضمَرَ مع قوله أبكاني الدهر شيئًا يكون في مقابله ، وحذف لأن المراد مفهومٌ . والمعنى أبكاني الدهرُ بما يُسْخِط . وقوله « يارُبَّمَا » المُفَادَى فيه محذوف ، كأنه قال : يا قومِ رُبَّمَا . وهذا النداء على وجه التَحَشُّر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تَقَلُّه . وقوله « رُبَّمَا » « ما » هذه دخلت كافةً لِرُبِّ عن العمل ، ومخرجةً لها إلى أن تصيرَ مشتركةً حتى جازَ وقوعُ أضْحَكَنِي بعده . ومثله قوله تعالى : ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(١) ﴾ . ومعنى البيت : أبكاني الدهر بما أسخَطَنِي ، ويا قومِ رُبَّمَا أضْحَكَنِي الدهرُ فيما مضى بما أرضاني . وفي طريقته قولُ الآخر ^(٢) :

فإن تكُنِ الأيامُ أحسنَ سمرَةً إلى فقد عادتْ لهنَّ ذُوبُ

٤ - لَوْلَا بُنْيَاتٌ كَرُغِبِ القَطَا رُدِدْنَ من بَعْضٍ إلى بَعْضٍ

(١) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء في ربما ، والباقون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ . وقد وردت في النسختين بتشديد الباء . ونما يجدر ذكره أن « رب » لم تقع في القرآن إلا في هذه الآية من سورة الحجر على كثرة وقوعها في لسان العرب . تفسير أبي حيان (٥ : ٤٤٢) .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوي . أمالي القنالي (٢ : ١٤٩) .

بُنَيَّاتٌ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ ، وَجَازَ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ لِكَوْنِهِ مَحْدُودًا^(١) بِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ . وَجَوَابُ لَوْلَا « لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ » وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَاسْتَفْنَى بِهِ عَنِ خَيْرِ الْمَبْتَدَأِ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ صِفَاتُهُنَّ هَذِهِ مَانِعَةٌ لِي لَفَعَلْتُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ لِي صَغِيرَاتٌ كَفِرَاحِ الْقَطَا الَّتِي عَلَيْهَا الزَّغَبُ — وَهُوَ الشَّعْرُ اللَّيِّنُ لَصَفْرَهُنَّ — اجْتَمَعْنَ لِي فِي مُدَّةٍ سِيرَةٍ ، فَبِنِّ ثَانِيَةٍ بَعْدَ أُولَى ، وَوَاحِدَةٍ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى فَكَثُرْنَ — لَكَانَ كَذَا . وَمِثْلُهُ :

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَوَاحِدَةً حَتَّى اجْتَمَعْنَ ثَمَانِيًا

أَي جِئْنَ مَتَوَالِيَابَ . وَيُرْوَى : « رَدَدْنَ مِنْ بَعْضِي إِلَى بَعْضِي » ، بِفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ رَدَدْنَ وَإِضَافَةِ الْبَعْضِ ، وَالْمَعْنَى : قَوَّسَنِي وَحَتَّيْنِ ظَهْرِي . وَيَجُوزُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْبَنَاتِ زُوجُنَ فَرُدَدْنَ مَعَ بَنَاتٍ لَهُنَّ صَفَارٌ . وَيُقَالُ : ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ ، أَي مَطْلَقَةٌ . وَإِلَى فِي مَوْضِعٍ مَعَ ، يُقَالُ هَذَا إِلَى ذَلِكَ أَي مَعَهُ . وَيَكُونُ « مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَي رَدَدْنَ مَعَ غَيْرِهِنَّ . وَقَدْ شَبَّهَ خَطِيئَةُ وَغَيْرُهُ الْأَوْلَادَ بِزُغَبِ الْقَطَا ، فَقَالَ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَدِي صَرَخِ زُغَبِ الْحَوَاصِلِ لِأَمَاءٍ وَلَا شَجَرُ

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « رَدَدْنَ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ . وَ« مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » مُضَافَيْنِ . وَالْمَعْنَى : كُنَّ فِي صُلْبِي ، فَلَمَّا وَلَدْتُهُنَّ صِرْنَ فِي كَيْدِي فَهِيَ تَحْتَرِقُ عَيْنَهُنَّ لِفِرَاطِ شَفَقَتِي .

٥ - لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ

الْمُضْطَرَبُ يَكُونُ الْإِضْطْرَابَ ، وَيَكُونُ مَوْضِعَ الْإِضْطْرَابِ . يَقُولُ : لَوْلَا خَوْفِي مِنْ ضِيَاعِهِنَّ وَإِبْقَائِي عَلَيْهِنَّ ، لَكَانَ لِي جَبَالٌ وَاسِعٌ ، وَمَذْهَبٌ فَسِيحٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَخْنُوفًا » ، صَوَابُهُ فِي مِ وَالنَّبْرِي يَزِي .

في الأرض الطويلة العريضة . وإنما تلوّمتُ وازمّتُ مكانى هذا لمن وبسببهن .

٦ - وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض^(١)

يقول : محلُّ أولادنا من أنفسنا فيما بيننا وإن كانت ماشيةً على الأرض . محلُّ الأكباد من الأجواف . ويقال « الولد فِلْدَةٌ من الكبد » ، أى قِطْعَةٌ . وقوله « تمشى على الأرض » فى موضع الحال للأولاد ، وبيننا ظَرَفٌ لتمشى . والتقدير : أولادنا وهى ماشيةٌ على الأرض بيننا أكبادنا . وقوله « إنما » يدخل لتحقيق الشيء على وجه مع نفي غيره عنه .

٨٧

وقال حيان بن ربيعة^(٢) :

١ - لقد علمَ القبائلُ أنّ قَوْمِي ذُوو جِدِّ إِذَا لَيْسَ الْحَدِيدُ^(٣)

يقول : شهِدَتِ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي يَجِدُّونَ فِي الْحَرْبِ إِذَا تَدَجَّجَ أَهْلُهَا فِي
الأسلحة ، وَيُبْلَوْنَ فِيهَا وَلَا يُقَصِّرُونَ . و « إِذَا لَيْسَ الْحَدِيدُ » ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ
« ذُوو جِدِّ » كَأَنَّهُ قَالَ : لِيَهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَأَنَّ قَوْمِي مَعَ
مَا بَعْدَهُ سَدَّ مَسَدِّ مَفْعُولِي عِلْمٍ .

(١) بعده عند التبريزي :

لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنْ الضُّمْرِ

(٢) التبريزي : « قال أبو هلال : هكذا قال أبو تمام . ونحن نقول : هو حيان بن
عليق بن ربيعة الطائي ، أخو بني أخزم ثم أحد بن عدى بن أخزم بن أبي أخزم بن عمرو بن ثعل .
حرفى نسخة أبي أحمد : جبار بن ربيعة ، وهو غلط ، وليس فيهم جبار بن ربيعة ، إنما هو جبار
بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشباخ ، وجبار بن مالك بن حمار الشمخى من فزارة ، وجبار
بن عمرو بن عميرة الطائي ، ويعرف بالأسد الرهيص . وأما جبار بن ربيعة فليس بمعروف
ولا مذكور . »

(٣) التبريزي : « ويروى : ذوو حد . والحد : السلاح . »

٣- وَأَنَا نَعِمَ أَحْلَاسُ الْقِرَافِي إِذَا اسْتَعْرَبَ التَّنَافِرُ وَالنَشِيدُ

يقول: ويشهدون أيضاً أنه نعم أصحاب القوافي وأربابها نحن، إذا التهبت غمارُ التفاخر والتناشد والتحاكم. والحلس، أصله البرذعة وما يلي الظاهر تحت الرّحْل، ثم يُستعمل على طريق التشبيه على وجهين: يقال في الذمّ: فلان كالحلس الملقى، فيمن لا غناء عنده ولا كفاية إذا حَزَبَهُ أمرٌ. ويقال فيمن لَزِمَ ظهورَ الخليل: هم أحلاسُها؛ وهذا إذا مَدَحُوا بالفروسيّة. ثم قالوا: ما هذا من أحلاسِ فلانٍ، أى ليس من آلاته. وقد مرّ بي أيضاً أنه يقال للكفل الذى ليس بفارسٍ: هو كالحلس. وأحلاسُ البيت: ما يُلْقَى تحت حُرِّ مَتَاعِهِ:

٣- وَأَنَا نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُوَلِّيَ وَالسِّيُوفُ لَنَا شُهُودٌ^(١)

يقول: وشهدوا أيضاً أنا نضاربُ الكتيبة البيضاء لكثرة سلاحها فنقلبهم حتى تُوَلِّيَ منهزمةً، وسيوفنا لها حاضرةٌ نكسحُهم بها في الحرب أيضاً، والمَلْحَاءُ من المَلْحِ، وهو البَيَاضُ. يقال: كَبِشْتُ أَمْلَحُ. ويُرْوَى «نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ» بضمّ الراء. ويقال: ضاربتُهُ فضرّبتُهُ أَضْرَبُهُ، أى غلبتُهُ في الضراب.

٨٨

وقال الأعرجُ المعنى^(٢):

١- أَنَا أَبُو بَرْزَةَ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ^(٣)

(١) م: « لها شهود ».

(٢) التبريزى: « معنى طيى ». وقيل الصحيح أنها لعمر بن يثرب. والأعرج المعنى هو عدى بن عمرو بن سويد بن زيان الأعرج الطائى المعنى، وقيل اسمه سويد بن عدى. وهو شاعر مخضرم. معجم المرزبانى ٢٥١.

(٣) التبريزى: « ويروى: أنا أبو بردة ». وقد روى التبريزى الأشرار الخمسة الأولى بترتيبها هنا، ثم روى بعدها الشر السابع ثم شرطاً آخر لم يروه المرزوق، وهو: =

٢ - خُلِقْتُ غَيْرَ زُمَلٍ وَلَا وَكَلٍ

يريد أنا الذي لشهرته تُغنى كُفَيْتُهُ عن صفاته وذكر أَحْوَالِهِ ، وقت اشتداد الخوف . فإن قيل : ما العاملُ في قوله « إِذْ جَدَّ » ؟ قُلتَ : ما دَلَّ عليه قوله أنا أبو بَرَزَةَ من المعنى الذي بَيَّنَّتُهُ هو العَاملُ - ومثله :

* أنا أبو النَجْمِ وشِعْرِي وشِعْرِي *

وقوله « خُلِقْتُ غَيْرَ زُمَلٍ » ، أى غير ضعيف ولا جبان يتكل على غيره . فيما ينوبه . والزَّمَلُ^(١) والزَّمَالُ والزَّمَيْلَةُ^(٢) : الضعيف . والوَكَلُ : الذى يتكل على غيره .

٣ - ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُقْتَبِلٍ

٤ - لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلِ

٥ - الْمَوْتُ أَحَلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

يقول : خُلِقْتُ قُوِيًّا مُقْتَبِلَ الشَّبَابِ ، لم تُبَيِّنِ السَّنُونَ ، ولم يُضَمِّني ما مَسَّنِي من النَّوَابِ والمُوم . فإن قيل : ما الزيادة في قوله « ذَا قُوَّةٍ » على قوله « غير زُمَلٍ » ؟ قات : يجوز أن يكون ذا قوة مصروفاً إلى الرأى ، وغير زُمَلٍ مصروفاً إلى البِنْيَةِ . ويجوز أن يكون المراد بذا قوة الجِلَادَةِ ، لأنه ليس من كان غير ضعيف كان جَلْدًا . واقتبالُ الشَّبَابِ : ألا يُرَى أثرٌ من الكِبَرِ معه .

وقوله « لَا جَزَعَ الْيَوْمَ » يقول : استَقْتَلْنَا يَوْمَنَا ، فلا نَجزع على دُنُوِّ الْأَجَلِ

* نحنُ بَشَرُ الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ *

ثم الشطر الثامن ثم الشطر السادس .

(١) يقال بتشديد الميم وتخفيفها .

(٢) وهذا أيضاً بتشديد الميم وتخفيفها .

فيه إن دَنَا ، لأنَّ الموت إذا غَشِينَا فيما نطلبه ، أحمَلِي طَعْمًا عندنا من طعم العسل ، وقوله « اليوم » ظرف لقرب الاجل ، وعلى قُرْبِ الأجل ، خَبْرُ اللَّاءِ . ويمجوز أن يجعل اليَوْمَ خَبْرًا « على قرب الأجل » تبيينًا له أو حالاً . وإن جعلته خَبْرًا بعد خَبْرٍ ، كما نقول : هذا حلوةٌ حَامِضٌ ، جاز أيضا . وذكر بعضُ المتأخرين أنه لا يجوز أن يكون معنى « على » هنا معناها في قولك جَزَعْتُ على كذا ، أى أشفقت عليه ، لأنه غيرُ الغرض المقصود . ألا ترى أنَّ معناها لا جَزَعَ اليومَ من الموت على أن الأجل قريبٌ مِنَّا ، فإذا قُرِبَ مِنَّا فلم نجزع منه فما ظنك بنا إذا بعدَ عنا . وأنا أقول : وإنَّ من البيان لِسِحْرًا ، وإنَّ مِنَ النَّوْصِ عَلَى المَعَانِي لِمِثْلِهِ دُرًّا .

٦ - رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ

٧ - نَحْنُ بَنِي صَبِيَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ

٨ - نَنَمَى ابْنُ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الإِسْلَمِ

يعنى بالشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه . المعنى : إنا طالبون بدمه ، فإذا أدركنا ثأره فحسبنا ذاك . وهذا معنى قوله « ثم بَجَلْ » . وموضع بَجَلْ رَفَعٌ على الابتداء وخبره مُضَمَّرٌ ، كأنه قال : « ثم بَجَلْنَا ذلك » ، أى حَسَبْنَا ذلك . وثُمَّ غَاطِفَةٌ جَلْمَةٌ على جملة . وقال لبيدٌ :

* بَجَلِي الْآنَ مِنَ العَيْشِ بَجَلٌ ^(١) *

وحكى الأَخْفَشُ أنَّ بَجَلٌ ساكنةٌ أَبْدَاءً . يقولون بَجَلْكَ ، كما يقولون قَطَّكَ . وَقَدْكَ ، إلا أنهم يقولون بَجَلِي ولا يقولون بَجَلْنِي كما يقولون قَطَّنِي وَقَدْنِي ،

(١) صدره كما فى ديوان لبيد ١٧ طبع ١٨٨١ :

* فتي أهلك فلا أحنله *

وهو القياس مع مجيئه على السكون . وانتصاب « بنى ضَبَّة » بفعلٍ مُضمر ،
والقصد فيه للدح والاختصاص . وخبر المبتدأ الذي هو نحنُ « أصحابُ » ،
والتقدير : نحنُ - أذكرُ بنى ضَبَّة - أصحابُ الجَمَل . وهذا الكلامُ يُنبئُ به
على أنهم مُجِدِّون في طلب دم عثمان رضى الله عنه ، لأن الذين خرجوا مع عائشة
رضى الله عنها وقاتلوا يومَ الجَمَلِ كان دعواهم طلبَ النار . ولو قال نحن بنو
ضَبَّة لكان يسقطُ نِجامةُ اللدح وتعظيمه ، وكان بصير أصحابُ صفةً وبنو خبراً ،
وكان يجوز أن يكونا جميعاً خبرين ، ويجوز أن يكون أصحابُ بدلاً من بنو .
وقوله « نَنَقَى ابن عفان » كان عادتهم إذا مات رئيسٌ فيهم عظيمُ الشأن
والمحل أن يطوفَ واحدٌ منهم على القبائل ، ويصعدُ الرّوايَ المِطلةَ عليهم ،
والآكامَ المرتفعةَ بمحالتهم ويقول : نَعَاءُ فلاناً ! يريدون تشهيرَ اسمه ، وتعظيم
الفجع به ، وربما أرخوا بموته . فيقول : نحن نجعلُ بدلَ هذا الفعل أن نطلبَ
دمه بأطرافِ الرّماح . وهذا معنَى حَسَن .

٨٩

وقال آخر^(١) :

١ - داوِ ابْنَ عَمِّ السَّوِّءِ بِالنَّأْيِ وَالغَنَى كَفَى بِالغَنَى وَالنَّأْيِ عَنْهُ مُدَاوِيَا
يقول : عاج ما بينك وبين ابن عمِّ السَّوِّءِ من التضاغن والتباين ، والتغايبُ
والتحاسدُ ، بالبُعدِ منه ، والاستغناء عنه . ثم قال : وكفى بهما من مُداوٍ معه .
وهذا يجرى مجرى الالتفات ، وهو تنبيهٌ على أنهما الغاية فيم يُحَسِّمُ به شرُّهُ ،
ويُدْفَعُ به ضيرُهُ . وموضعُ بالغِنَى : فَعُ بَكَفَى . ومداوياً يجوز أن يكون حالاً ويجوز
أن يكون تمييزاً ، وهو أحسنُ ، ومثله : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ . والكلامُ يجرى

(١) التبريزى : « وقيل إنه لرجل من بنى أسد . »

أيضا مجرى التأكيدي فيما دعا إليه ، والتحقيق لغنا ما أشار به .

٢ - جَزَى اللهُ عَنَّا مَحْصَنًا بِيَلَانِهِ وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ الْقَرِيبَ وَخَالِيَا
مَحْصَنٌ الْمَذْكُورُ ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ الَّذِي تَأَذَّى بِهِ فِدَعًا عَلَيْهِ . يَقُولُ : جَزَاهُ
اللَّهُ بِفَعْلِهِ فِينَا ، إِنْ خَيْرًا نَخِيرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِلَ النَّسَبِ
بَطَرَفِي أَبِي وَأُمِّي .

٣ - يَسْأَلُ الْغَنِيَّ وَالنَّائِيَّ أَدْوَاءَ صَدْرِهِ وَيُبْدِي التَّدَانِيَّ غِلْظَةً وَتَقَالِيًا
السَّلُّ : النَّزْعُ ، وَالْأَدْوَاءُ : جَمْعُ الدَّاءِ . وَهَذَا مِثْلُ مَا رُوِيَ : « أَنْ مُرُ
ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا ^(١) » ، وَزَادَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِمَا شَفَعَ النَّائِيَّ ^(٢)
بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْغَنِيِّ . وَتَبَّهَ أَيْضًا عَلَى أَنْ فِي التَّدَانِيَّ تَحَاوُذًا يَبْدُو مَعَهُ الْقَلْبِيَّ وَالنَّفْسَوِيَّ
لَأَنَّ الْكَلَامَ كَالْتَعْلِيلِ لِلْأَمْرَيْنِ الَّذِينَ رَغَبَ فِي أَحَدِهِمَا وَزَهَّدَ فِي الْآخَرِ ، وَهَذَا
التَّدَانِيَّ وَالتَّنَائِيَّ . وَالْمِثْلُ السَّائِرُ : « فَرَّقَ بَيْنَ مَعَدَّةٍ تَحَابُّ » مِثْلُ الْبَيْتِ .

٤ - أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكَهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتَهُ بِي كَافِيًا ^(٣)
هَذَا الْكَلَامُ شِكَايَةٌ مِمَّا عَامَلَهُ بِهِ مَحْصَنٌ ، وَتَعْرِيجٌ بِأَذَاهُ ، فَيَقُولُ : لَمْ يَرْضَ
بِالْقَعْدِ عَنِّي وَإِسْلَامِي لِلدَّهْرِ حَتَّى صَارَ عَوْنًا لِي عَلَيْهِ ، لَمَّا أَخَذَ يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهُ ،
وَيُلْقِي كُلَّكَلِّهِ وَجِرَانَهُ . ثُمَّ قَالَ مُنْتَمِلًا عَنِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ إِلَى مَخَاطَبَتِهِ ، إِظْهَارًا
لِلْجَزَعِ مِنْ فَعْلِهِ . لَوْ اتَّخَذَتِ الدَّهْرَ وَكَيْلًا وَعَاطَمَتِ عَلَيْهِ ، دُونَ أَنْ تُبَاشِرَ
مَسَاءَتِي بِفِعْلِكَ لَكَفَاكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ ، أَعْنِي كَفَى الدَّهْرُ ، بِسَمَى النِّفَاتَا .
وَقَوْلُهُ « كَافِيًا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ ،

(١) هذا من كتاب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري . انظر مجمع الأمثال
في (فرق بين معدة تحاب) .

(٢) في الأصل : « الثاني » ، صوابه من م .

(٣) التبريزي : « ويروي : إذ حل بركة » . وكتب في نسخة الأصل : « حل » بحيث
تقرأ باللام والكاف أيضاً . وذلك بتقدير اللام وإلحاق علامة الكاف من جانبها الأيمن .

أراد : كَفَى الدَّهْرُ لو وَكَلَّتُهُ بى كَفَايَةً . واسمُ الفاعل يقع موقع المصدر كثيراً كما يقع المصدر موقع اسم الفاعل . ومثله قول بِشْرِ :

* كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافٍ (١) *

فقوله كَافٍ فى أحد الوجوه مَصْدَرٌ لسكنه لم يَنْصِبْهُ ، وجعله كقول الآخر :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالقَاعِ القَرِقِ (٢) *

فى ترك إعراب المعتل فى موضع النصب أيضاً ، إذ كان من العَرَبِ من يستنقل الفتحة فى الياء ، والتقدير : كَفَى النَّأْيُ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِيَا ، أى كِفَايَةً . وقد جاء فى المثل : « أُعْطِيَ القَوْمَ بَارِيهَا » ، بسكون الياء فى باريها ، ولم يَرَوْا أَحَدًا بَارِيهَا بالفتح ، فليس يجوز إلا ما حُكِيَ ، لأنَّ الأمثال لا تُغَيَّرُ .

٩٠

وقال رَجُلٌ من بني كُليب (٣) :

١ - وَحَنَّتْ نَاقَتِي طَرَبًا وَشَوْقًا إِلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تَشَوَّقِي

انتصب « طَرَبًا » على أَنَّهُ مَصْدَرٌ فى موضع الحال ، أو على أَنَّهُ مفعولٌ له . وأوَّل البيت خبرٌ عن راحلته ، وآخره خِطَابٌ لها . وقوله « تَشَوَّقِي » حذف نونه استئقالا لاجتماع نونين ، والأصل تشوَّقِي . ومثله فى الحذف قول الآخر (٤) :

* يَسُوهُ الفَالِيَاتِ إِذَا قَلْبِي (٥) *

(١) عجزه فى مختارات ابن الشجرى ٧٥ :

* وليس لها إذ طال شاف *

(٢) انظر اللسان والمقاييس (قرق) وإصلاح المنطق ٤٦٤ .

(٣) التبريزى : « من بني كلب » .

(٤) هو عمرو بن معد يكرب ، كما فى اللسان (فلا) .

(٥) صدره : * تراه كالثغام يعل مسكا *

يريد فليننى . والمعنى : اشتكت ناقتى حانةً لطرهها وشوقها . ثم أخذ
يخطبها مُنكرًا عليها ما ظهر منها فقال : تُشوقينى بحنينك إلى من ؟ أراد أنه
مع حصول اليأس يجبُ الأتحنُّ ولا تُشوق . ويجوز أن يكون المعنى تعظيم
المشاق إلىه ، فكأنه قال : تشوقينى إلى من بحنينك ؟ أى إلى إنسانٍ وأى
إنسان ؟ ومن من قوله « إلى من » فى هذا الوجه يكون نكرةً غير موصوفة
وإن كان الكلام خبرًا ، وفى المعنى الأوّل يكون من استفهامًا . وتقول :
مررتُ بما صالح ، ومررتُ بمنّ كريم ، تريدُ بإنسانٍ كريم . وقد حُملَ قوله
عز وجل : ﴿ مَثَلًا ما بَعُوضَةٌ ﴾ ، على أن معناه مَثَلًا شيئًا بَعُوضَةٌ .
والطربُ : خفةٌ تمرى لعارضٍ سُرورٍ أو همٍّ :

٣٣ - فإنى مثلُ ما تجدىنَ وَجدى ولكن أصحبتُ عنهم قرونى
هذا الكلام اعترافٌ بالحبِّ ، وتسويغٌ لحنين الناقة وإن كره التذكير
الحاصل منه . والشجْوُ المُنتجِعُ عنه . وقوله « مثل ما تجدىن » يجوز أن يكون
خبرًا مقدمًا والمبتدأ وَجدى ، فيكون التقدير : إنى وَجدى مثلُ ما تجدىن ،
والجملة خبرُ إن . ويجوز أن يكون مثلُ خبرٍ إن ، وَوَجدى بدلٌ من ياء الضمير
المتصل بإنى ، كأنه قال : إن وَجدى مثلُ ما تجدىن . وما بمعنى الذى ، وتجدىن
من صلتِهِ ، والضمير العائد إليه محذوف ، كأنه قال : مثلُ ما تجدىنهُ ، أى
مثلُ الوجدِ الذى تجدىنهُ . ويجوز أن يكون ما مع الفعل فى تقدير مصدرٍ ،
كأنه قال : إنى وَجدى مثلُ وَجديك . والأصلُ فى إنى إئننى ، لكنّه حُذِفَ
نونه لاجتماع ثلاث نونات ، ويجوز أن يكون لم يأت بنون العباد كما لم يؤت
به فى آعلى ولئيتى ، والمعنى إن وَجدى مثلُ وَجديك ، ولكن تابعتنى نفسى
باليأس منهم ، وأنت لا تعرفين اليأس . والإصحاب : الانقياد . والقرون

وَالْقَرُونََةُ: النَّفْسُ. وَيَقُولُونَ: أَخَذْتُ قَرُونِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، أَيْ رَفَضْتُهُ
وَاطَّرَحْتُهُ.

٣ - رَأَوْا عَرْشِي تَتَلَمَّ جَانِبَاهُ فَلَمَّا أَنْ تَتَلَمَّ أَفْرَدُونِي
يقول: رَأَوْا عِزِّي قَدْ تَهَدَّمْ جَانِبَاهُ، وَانْهَدَّ رُكْنَاهُ، فَلَمَّا صَارَ أَمْرِي
كَذَلِكَ تَرَكَونِي وَحِيداً، وَقَعَدُوا عَن مَشَابِعِي وَمُتَابِعِي، فَدَعَعْتَنِي الْحَالَ إِلَى
مَفَارِقِهِمْ، وَالتَّحْوِيلِ عَنْهُمْ. وَالْعَرْشُ: سَرِيرُ الْمَلِكِ، وَقِيَامُ أَمْرِ الرَّجُلِ
وَعِزُّهُ، فَإِذَا زَالَ قِيلَ: نُلَّ عَرْشُهُ وَتَتَلَمَّ. وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا بِقَوْلِ أَوْسٍ:
* وَهُمْ لِمَقِيلِ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ^(١) *

وبقوله:

* بنو أمّ ذى اللال الكثير^(٢) * (البيتان)

٤ - هَنِئْنَا لابن عمّ السوء أنى مجاورة بني نعل لبوني
أنى فى موضع الفاعل لهنيئاً، ومجاورة ارتفع على أن يكون خبر أن،
ولبوني فى موضع الرفع على أنها فاعلة لمجاورة، وبني نعل مفعول به. والمعنى:
ليهنى ابن العمّ السوء بعدى عنهم، ومجاورة لبوني لغيرهم. واللّبون: الناقة
التي بها لبن. ويجوز أن يرتفع مجاورة على أنه خبر مُقَدَّم، والمبتدأ لبوني
والجملة كما هي تكون خبر أن. ويجوز أن يكون لبوني بدلاً من الضمير المتصل
بأنى، والخبر مجاورة. والمعنى والتقدير: أن لبوني مجاورة بني نعل. وهذا
الكلام إنباء أن ما حصل من بعده عن العشيرة كانوا يتمنونوه، فقال هنا الله
أبناء عمى ما أرادوه وغازوا به. ويجوز أن يكون وعيداً وتهكماً.

(١) عجزه: * وإن كان محضاً فى العمومة محولاً *

(٢) هو بئامه:

بنو أم ذى اللال الكثير يرونه - وإن كان عبداً سيد الأمر جحظلاً

٩١

وقال رجلٌ من بني أسدٍ :

١- وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّيِّ وَلَا الذِّي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ

النَّكْسُ أَضْلُهُ فِي السَّهْمِ ، وَنُقِلَ إِلَى الضَّعِيفِ مِنَ الرَّجَالِ . يُقَالُ نَكَسْتُهُ نَكْسًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمَنْكُوسُ نِكْسًا ، كَمَا يُقَالُ نَقَضْتُهُ نَقْضًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمَنْقُوضُ نِقْضًا بِكسر النون . كَانَ السَّهْمُ انكسر فَوْقَهُ فَنِكْسَ فَمُسَمًّى نِكْسًا . فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِالْمُسْتَضْعَفِ اللَّئِيمِ ، وَلَا الذِّي إِذَا انْحَرَفَ عَنْهُ مَنْ يُؤَادُّهُ دَعَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ فَقَالَ : وَاحْرَبَاهُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ .

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا خَلَّةٌ صَرَمَتْ يَا وَجَّحَ نَفْسِي مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقٍ (١)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحْرَبُ : اِعْتَاظُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَفْرُورُ حَرَبَنِي *

وَهَذَا أَسْلَكْتُ فِي طَرِيقَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَلَا الذِّي إِذَا صَدَّ عَنْهُ ذُو الْمَوَدَّةِ يَحْرَبُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الْعِلَّةِ مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الْإِخْبَارِ إِلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، لَمْ يُبَالِ بِرَدِّ الضَّمِيرِ عَلَى الْأَوَّلِ وَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَمْنِهِ مِنَ الْإِلتِبَاسِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَبِيحٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ ، حَتَّى إِنْ أَبَاعَثَانَ الْمَازِنِيَّ قَالَ : لَوْلَا اِشْتِهَارُ مَوْدِهِ وَكَثْرَتُهُ لَرَدَدْتُهُ . وَمِثْلُهُ :

* أَنَا الذِّي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ (٢) *

(١) لتأبط شرأ . المفضليات (١ : ٢٦) .

(٢) لعلى بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) . وقد سبق في ص ١١٥ .

٣- ولكنني إن دَامَ دُمْتُ وإن يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فلي عنه مَذْهَبٌ^(١)

يقول: أَمَلِكُ نَفْسِي وودَّي في مَصَادِقَةِ الْأَخْلَاءِ، فَإِن دَامُوا لِي عَلَى التَّهْدِ دُمْتُ لَهُمْ، وَلَزِمْتُ الْوَفَاءَ مَعَهُمْ، وَإِن رَأَوْا ذَهَابًا عَنِّي وَمِيلًا إِلَى غَيْرِي ذَهَبْتُ عَنْهُمْ، وَمِلْتُ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَيُرْوَى: «وَلَكِنِّي مَا دَامَ دُمْتُ» وَيَكُونُ مَوْضِعُ مَا دَامَ ظَرْفًا، وَخَيْرٌ لَكِنَّ دُمْتُ. وَفِي الْأَوَّلَى يَكُونُ الْجَزَاءُ وَجَوَابَهُ خَبْرًا. وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ لَبِيدٍ:

فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلَّهُ وَخَيْرٌ وَأَصِيلٌ خُلَّةٌ صَرَامُهَا
٣- أَلَا إِن خَيْرَ الْوُدِّ وَدُّ تَطَوَّعَتْ بِهِ النَّفْسُ لَا وَدُّ آتَى وَهُوَ مُتَعَبٌ

يقول: خَيْرُ الْوُدِّ مَا جَاءَ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ، وَلَا إِكْرَاهٍ نَفْسٍ وَطَبْعٍ، بَلْ يَبْعَثُهُ اللَّيْلُ، وَيَحْكُمُهُ الْخُلُوصُ؛ فَأَمَّا الْمُتَعَبُ مِنَ الْمَوَدَّاتِ، الْمَشُوبُ بِالتَّعْمَلِ وَالتَّكْلِيفِ، فَلَا طَائِلَ فِيهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ اسْمِي مُتَّكَرِهِ عَلَيْكَ وَلَا فِي صَاحِبِ لَا تَوَافِقِهِ^(٢)
وقول الآخر:

إِذَا أَنْتَ لَا يَشْنِيكَ إِلَّا شَفَاعَةٌ فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ بِشَافِعٍ

٩٢

وقال أبو حنبل الطائي^(٣):

١- لَقَدْ بَلَغَنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدِيثٍ عِنْدَ اخْتِلَافِ زِجَاجِ الْقَوْمِ سَيَّارُ

(١) كتاب بخط مخالف قبل هذا البيت:

ولست إذا ولي الصديق بوجه بمكتئب أحنو إليه وأندب

(٢) أنشده التبريزي، مع بيتين بعده، وقال: «قالوا هو لمسلم بن الوليد».

(٣) هو جارية بن مر، أبو حنبل الطائي، شاعر جاهلي فارس. ذكره في المؤلف ٩٩.

التبريزي: «ويقال إن هذه الأبيات لعامر بن جوين، حين أجاز سيار بن موالة بن عامر =

ارتفع « سَيَّارٌ » بقوله بلانى . واللام فى « لقد » تُؤذِنُ بِيَمِينٍ . يقول :
لَقَدْ خَبَرَنِي هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ حَدِيثٍ ، وَاعْتَرَضَ مِنْ شَرٍّ ، فَعَرَفَ
حُسْنَ بِلَانِي عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقِنَا بِالطَّعْنِ . وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ ، وَالْمُرَادُ الرَّمَّاحُ
بِكَالِهَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ (١) :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نَعَالِهِمْ (٢) *

وَلِإِنَّمَا يُوطَأُ النَّعْلُ كُلُّهَا . وَيُقَالُ : زَجَجْتُهُ بِالرَّمْحِ ، إِذَا زَرَقْتَهُ .

٣ - حَتَّى وَفَيْتُ بِهَا دُهِمًا مَعْقَلَةً كَالْقَارِ أُرْدَفُهُ مِنْ خَلْفِهِ قَارًا

يقول : صَبَرْتُ لِمَا عَزَّ مِنْ أَمْرٍ ، وَتَمَسَّرْتُ مِنْ وِفَاءٍ وَأَدَاءٍ ، لِأَخْرَجَ مِمَّا بِهِ
تَكَلَّفْتُ ، مِنَ الْمُهْدَةِ الَّتِي فِيهَا دَخَلْتُ . وَقَدْ كَانَ أَبُو حَنْبَلٍ تَضَمَّنَ لِسَيَّارٍ إِبِلًا
لَهُ بِأَعْيَانِهَا أَوْ شُرُوهَا ، أَى مِثْلِهَا ، فَيَقُولُ : أَخَذَ سَيَّارٌ يَنْتَظِرُ مَاذَا يَكُونُ مِنِّي
فِيمَا تَضَمَّنْتُ حَتَّى وَفَيْتُ بِإِبِلِهِ سُودًا مُشْدُودَةً بَعْقَلِهَا ، كَأَنَّهَا فِي سَوَادِهَا قَارٌ عُولِي
بِقَارٍ . وَهَذَا يَرَادُ بِهِ تَأْكِيدُ السَّوَادِ . وَيُقَالُ رَدَّ فُتُهُ وَأُرْدَفْتُهُ ، إِذَا جِثَّ بَعْدَهُ .
وَرَدَّ فِكْمٌ وَرَدَفَ لَكُمْ ، أَى تَبِعَكُمْ وَجَاءَ بَعْدَكُمْ . وَانْتَصَبَ « دُهِمًا » عَلَى
أَنَّهُ حَالٌ لِلْإِبِلِ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ « كَالْقَارِ » تَصْوِيرٌ لِلْإِبِلِ بِأَلْوَانِهَا . وَمَعْنَى لَقَدْ
بِلَانِي حَتَّى وَفَيْتُ ، أَى انْتَظَرْتُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي وَفَائِي عِنْدَ مَا ضَمَّنْتُ ،
وَصَارَ يُحَرِّبُنِي إِلَى أَنْ وَفَيْتُ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ مُعْقَلَةً ، أَنَّهُ سَلَّمَهَا فِي مَبَارِكِهَا أَمِنَةً .

- بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وكان سيار جاراً لرجل من بني ثعل يقال له عدى بن أفلت ،
فمر عامر بن جوين بعدى بن أفلت وقد قامره سيار بن موالة بالقداح فقمراه عدى حتى غلق مال
سيار ، فظعن الحى فقال سيار لثينين له : تخلقا بأهلكما بعد الحى حتى ينزلوا ، فإذا نزلوا
فانطلقا برحلكما حتى تفسدا إلى رحل عامر بن جوين ، ففعلتا فجاء عدى بن أفلت فأراد أن
ينقلهما ورحلهما ، فأبى ذلك عامر بن جوين وقال : قد جاورنى الرجل ! فلما خرج امرؤ
القيس بن حجر عند عامر بن جوين فنزل على أبى حنبل جارية بن مر ، تهادى أبو حنبل
وعامر الشعر ، فقال عامر : لقد بلانى . . . » .

(١) هو الأعشى . الكامل ٣٥ ليسك واللسان (دفن) .

(٢) عجزه : * يمشون فى الدفنى والأبراد *

ويجوز أن يكون أراد إبلاً متقدماتها ومتأخراتها سُودٌ ، فلذلك قال كالتقار
أردفَ بقارٍ ، ويجوز أن يكون أراد بالتقار جمع قارةٍ ، وهي الجبال ، فشبهها بها
في عظمتها .

٣- قَدْ كَانَ سَيْرٌ فَحُلُوا عَنْ تَحْمُولَتِكُمْ إِنِّي لَكُلُّ امْرِئٍ مِنْ جَارِهِ جَارٌ
يقول : وجبَ السَّيْرُ للخوفِ والحذرِ قبلَ هذا الوقتِ ، وأما الساعةُ وقد
بَلَغْتُمُ اللَّأْمَانَ فِي جِوَارِي فَحُلُوا عَنْ أَجْمَالِكُمْ ، إِنِّي لَكُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَارٌ بَدَلًا
مِنْ جَارِهِ الْأَوَّلِ . والعربُ تقول : هذا من ذاك ، وهذا بذاك أي عِوَضًا .
وفسَّرَ قولُ الشاعر :

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبْرَدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ (١)

على أن المعنى لَيْتَ لَنَا بَدَلًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً . ويقولون : فلان لك
من الجارِ جَارٌ ، ومن النديمِ ، ومن الأكيلِ أَكِيلٌ . ويحتمل أن يكون
معناه : إِنِّي لِكُلِّ رَجُلٍ مُجِيرٌ مِنْ يَجَاوِرُهُ ، أي ممن يدانيه بسوءٍ ، والأول
أجود وأضوب . والحُمولةُ : جَمْعُ حَمَلٍ ، ودخلتِ الماءُ فيه توكيداً لتأنيث
الجمع . والحُمولةُ : الأبلُ التي يُحْمَلُ عليها ، وهي فَعُولَةٌ كالتقْتُوبَةِ ،
والرَّكُوبَةِ ، ولا يَجْرِي على الموصوفِ ، لا يقال دَابَّةٌ حُمُولَةٌ .

٩٣

وقال يزيد بن حمان السكوني (٢) :

١- إِنِّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدْتَ نَيْرَانَ قَرَمِي وَفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ

(١) للأحول الكندي كما في معجم البلدان (الطهيان) . وهو اسم قلة جبل باليمن .

(٢) كذا في النسختين . وعند التبريزي ومعجم المرزباني ٤٩٣ أنه « يزيد بن حمان

السكوني » . قال المرزباني : « حليف بني شيبان ، وكان له بلاء ورأى يوم ذى قار ، فقال يمدح =

الحمد : الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرغوبة . وبهذا المعنى فارق الشكر ، لأن الشكر لا يكون إلا على صديعة . فيقول : لما رأيت بني شيبان عند انحلال الأرض وإجدابها ، واقتار الناس وإضاعتهم ، يوقدون نار ضياقتهم ويقومونها ، وإن كانت نيران غيرهم خامدة متروكة إشعالها ، أثبتت عليهم ، ونشرت فضيلتهم . وقال « نيران قومي » وإن أراد غيرهم معهم ، تفضيلاً لهم على قومه ، وإيداناً بالصدق في تحبّره ، فبدأ بذكر قومه وذويه . ويروى : « نيران قوم » ، والأول أجود .

- ٢ - ومن تكرّمهم في المحل أنهم لا يعلم الجار فيهم أنه الجار^(١)
 ٣ - حتى يكون عزيزاً من نفوسهم أو أن يبين جميعاً وهو مختار^(٢)

يقول : من تكلفهم الكرم كأنهم لا يرضون في مثل ذلك الوقت بما طبعوا عليه وجبوا ، حتى تكلفوا أكثر منه ، أنهم يحلون جارهم من العناية به والاتحاف^(٣) والإحسان إليه والاصطناع ، محلاً يتشكك من بعد في نفسه : هل هو جارهم أم من صميمهم . وعلى هذا يتعلّق حتى من قوله « حتى يكون عزيزاً » بالمعنى الذي دلّ عليه قوله لا يعلم الجار فيهم أنه الجار ، أى يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرانيهم ، أو يختار مفارقتهم . والمعنى : ذلك له فيهم ، ما اعتزّ بجوارهم ، أو مال إلى فراقهم . ويجوز أن يكون

= بنى شيبان : إني حدث وقال التبريزي : هكذا قال أبو تمام - أى في نسبة الشعر - والصحيح أنه على بن يزيد بن حمار ، بعد الألف راء ، بن عباد بن مسلمة بن عوف بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن سكون . وعلى جاهلي ، ويعرف بالجون ، وكان نازلاً في شيبان .

(١) المرزبانى : « لا يشعر الجار فيهم » .

(٢) المرزبانى : « فى نفوسهم » .

(٣) فى النسختين : « والاتحاف » ، ولم نجد لها وجها .

قوله « من نفوسهم » في موضع الحال ، وعزيراً خبر كان . وإن جعلت « عزيراً » في موضع الحال ومن نفوسهم خبراً جاز . والمعنى : حتى يكون كأنه من أصلهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، والمعنى من جنسكم ومن بطانتكم . ويجوز أن يكون البيت مضمناً ، ويكون معنى لا يعلم الجارُ فيهم أنه جار ، أن الجار لا يكون قد أحسَّ بمجاورته لهم حتى يتفقدوه هذا التفقد ، ويحلوه هذا الحل . وقوله « أو أن يبين جميعاً » انتصب جميعاً على الحال ، والمعنى أو أن يفارق وهو مجتمع الحال غير منشريها ، ومختاراً لذلك غير مضطرٍ إليه . ومثلُ هذا بيتُ زهير :

ضَمِنَا مَالَهُ وَغَدَا جَمِيعًا عَلَيْنَا نَقْضُهُ وَلَهُ النَّمَاءُ

وقبل بيتِ زهيرِ هذا قوله :

وَجَارٍ سَارٍ مَعْتَمِدًا إِلَيْنَا أَجَاءَتْهُ الخَافَةُ وَالرَّجَاءُ

فَجَاوَرَ مُكْرَمًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَا الضَّيْفُ وَانْقَطَعَ الشَّتَاءُ

ضَمِنَا مَا لَهُ وَغَدَا جَمِيعًا

فقد علمت اشتغالها على ما ذكره هذا الشاعر وتفردها بما زاد عليه من المعنى . ويجوز أن يكون « حتى » بمعنى كفى ، فيكون المراد لا يعلم الجار لحسن توفيرهم عليه ، وتوخيدهم إياه باتخاذ الصنائع لديه أنه جار ، لكني يكون عزيراً مدةً مُقَامِهِ ، أو يفارقهم مُخْتَارًا ، موفور المال ، مَصُونَ الحَالِ .

٤ - كَأَنَّهُ صَدَعٌ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارٌ^(١)

يقول : كأن الجارَ لثمنه بهم ، وتعززه حين استظهر على الزمان بمكانه فيهم ، وعلَّ احترز عن طلابه في رأس قُلَّةٍ شامخةٍ أو كَارُ عِتَاقِ الطَّيْرِ دُونَهُ ، وهو

(١) في معجم المرزباني : « ودونه » .

أرفع منها وأحصن . فالتشبيه تناول ما ذكرتُ من التمتع والتحصن . ويعنى
بعتاق الطير : العقبان وما أشبهها من أحرار الطير ، وما يتخذ الوكور في
الجبال . وإلى هذا أشار الهذلي^(١) في قوله :

حتى اتهمتُ إلى فراشِ عَزْبَرَةٍ سَوْدَاءَ رَوْنَةٌ أَنْفَهَا كَالْمِخْصَفِ

يعنى وكر عَقَاب . وَالصَّدَعُ وَالصَّدِيعُ : الفتى من الأوعال ، وقيل هو
للربوع وقد استعمل في الرَبْعَةِ مِنَ الرَّجَالِ .

٩٤

وقال آخر^(٢) :

١ - نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًّا غَرِيْبًا عَنِ الْوِطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلِّ^(٣)

يقول : أَوَيْتُ لِمَا تَغَرَّبْتُ عَنْ أَوْطَانِي دَاخِلًا فِي الشِّتَاءِ ، مُتَمَحِّنًا بِالْجَدْبِ
وَالْقَحْطِ ، مُأَجَّبًا إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الزَّمَانِ بَغَيْرِي ، إِلَى آلِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ
وَنَزَلْتُ فِيهِمْ . نَمِ أَخَذَ بِقَتَصُ مَا رَأَى فِيهِمْ . وَيُقَالُ زَمَنْ مَحَلًّا ، وَصِيفُ
بِالْمَصْدَرِ ، وَزَمَنْ مَاحِلًّا وَزَمَنْ مُمَجِّلًا . وَالْأَصْلُ فِي الْحُلِّ : انْقِطَاعُ الْمَطَرِ وَيُبْسُ
السَّكَلِ . وَيُقَالُ أَرْضٌ مَحَلٌّ وَأَرْضٌ مُحْوَلٌ ، وَصِيفَ بِالْجَمْعِ ، كَأَنَّهُ أُجْرِيَ عَلَى
أَقْطَاعِ الْأَرْضِ ، كَمَا يُقَالُ : ثَوْبٌ مِرْقٌ .

٢ - فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٤)

(١) هو أبو كبير الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١١٠) .
(٢) هو بكير بن الأخنس ، كما في البيان والتبيين (٣ : ٢٣٣) . على أن المقطوعة
بدون نسبة في ترجمة المهلب بن أبي صفرة من وفيات الأعيان ، وكذا في عيون الأخبار
(١ : ٣٤١) .

(٣) في البيان : « فقير أبعيد الدار » .

(٤) البيان : « لإطافهم واقتفادهم وإكرامهم » .

يقول: لم يزالوا يؤثرونني بالإحسان والحسنى، ويختصونني بإسداء الجميل والثغنى، ويلتزمون لي من الإكرام والتقريب، والإدناء والترحيب، حتى ظفنتهم عشيرتي، وتشككت في اغترابي منهم، وبعد نسي عنهم. ومن الافتاء القفي، وهو المسكرم من الضيوف والسكن، والقفاوة. قال:

* يُفْطَى دَوَاءَ قَفِيِّ السَّكَنِ مَرْبُوبٍ ^(١) *

٩٥

وقال جابر بن ثعلب الطائي ^(٢):

١ - وَقَامَ إِلَى الْعَاذِلَاتِ يُلْمَنِي يَقْلَنُ أَلَا تَنْفَكُ تَرْحَلُ مَرْحَلًا ^(٣)

يقول: انتصب اللوامم عاتبات علي، ساقات العنق إلى قائلات: ألا تزال ترحل ارتحالاً فلا تستقر بك دار، ولا يُقرَّبُ لك مزار، ولا يُحطُّ عن راحلة رحل. ومرحلاً انتصب على الصدر، كما تقول: أما تنفك تخرج تخرجاً وتبعد مبعداً. ومعنى ترحل تشد الرحل. وموضع « يلمني » موضع الحال، « ويقلن » في موضع البدل من يلمني.

٢ - فَإِنَّ الْفَتَى ذَا الْحَزْمِ رَامَ بِنَفْسِهِ جَوَاشِينَ هَذَا اللَّيْلِ كَيْ يَتَمَوْلَا

في الكلام اختصار، كأنه قال: فأجبتهن فقلت: إن الفتى الحازم يحمّل نفسه المشتات، ويرمي بنفسه المتالف الصعبات، ويمتطي الأهوال، كنى بفناله

(١) لسلامة بن جنبل السعدي، كما في اللسان (قفا). وصادره:

* ليس بأسنى ولا أفنى ولا سعل *

(٢) التبريزي وابن جني: « جابر بن الثعلب ». وفي الكامل ٢٩٩ ليسك: « جابر

بن ثعلبة ». وانظر ما سبق في ص ٢١٥.

(٣) التبريزي: « ويروي: ألا يا ارحل لأهلك مرحلاً ».

بالأموال ، غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي ظِلْمَةِ لَيْلٍ ، وَلَا مُسْتَضْعِبٍ لِرُكُوبِ خَطْبٍ . وقوله :
« جواشِنَ هَذَا اللَّيْلِ » يَعْنِي صُدُورَهَا وَأَوَائِلَهَا . وَاللَّيْلُ بِإِزَاءِ النَّهَارِ فِي الِاسْتِعْمَالِ ،
وَاللَّيْلَةُ بِإِزَاءِ الْيَوْمِ . وَالْإِشَارَةُ بِـ « هَذَا » عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ . وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ
الْجَوَاشِينَ وَالْهُوَادِيَّ وَالصُّدُورَ وَالنُّحُورَ وَالْأَعْنَاقَ وَالرُّءُوسَ لِأَوَائِلِ الْأُمُورِ ،
كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْأَعْجَازَ وَالْأَدْبَارَ وَالْأَعْقَابَ وَالْأَذْنَابَ لِأَوَاخِرِهَا .

٣- وَمَنْ يَفْتَقِرَ فِي قَوْمِهِ بِحَمْدِ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَسِطَ الْعَمِّ مُخَوَّلًا (١)
أَفْتَقَرَ فَعَلُ مُفْتَقِرٍ وَقَفِيرٍ جَمِيعًا ، اسْتَعْنَى بِهِ عَنْ فَقْرٍ . يَقُولُ : مَنْ نَالَهُ
الْفَقْرُ بَيْنَ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِيهِ حَمْدَ الْغِنَى ، وَصَارَ عِنْدَهُ الْمَطْلُوبُ وَالْمَتَمَنَّى ، وَإِنْ كَانَ
مَمْطُوقًا عَلَيْهِ مُكْرَمًا ، وَمُعَمًّا فِيهِمْ مُخَوَّلًا . وَقَوْلُهُ : « وَسِطَ الْعَمِّ » سِطَةٌ
الْحَسَبُ : كَرَمُهُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ وَسَطَ . قَالَ :

* وَقَدْ وَسَطْتُ مَالِكًا وَحَنْظَلًا (٢)

ويقال : فلانٌ وسيطٌ في قومه : جليلٌ ، وفلانٌ وسيطُ القومِ ، وهو
أوسطُهُمْ أَيْ أَشْرَفُهُمْ .

٤- كَانَ النَّفْيُ لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صَعْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا

هذا الكلامُ بَعَثُ عَلَى التَّجَوُّالِ ، وَتَحْضِيضُ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ ، فَيَقُولُ :
إِذَا أَقْتَنَيْتَ بَعْدَ فَقْرِكَ ، وَاكْتَسَيْتَ عَنْ عُرْيِكَ ، فَكَأَنَّكَ مَا كُنْتَ قَطُّ
مَقْتَرًا وَلَا عُرْيَانًا . وَالْمَعْنَى : إِنْ مِنْ اسْتَبْدَلَ بَعْسَرِهِ يُسْرًا ، وَنَالَ عَقَبَ ضَيْقِهِ

(١) ضبَطَ «مُخَوَّلًا» بِفَتْحِ الْوَاوِ فَقَطُّ فِي النَّسَخَتَيْنِ ، وَهِيَ لُغَةٌ صَوِّحِيَّةٌ . يُقَالُ أَخْوَلَ
الرَّجُلَ وَأَخْوَلَ ، بِالْبَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَالْمُجْهُولِ ، فَهُوَ مُخْوَلٌ وَمُخْوَلٌ بِكَمْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِهَا . وَمِثْلُهُ الْمَعْمُ
وَالْمَعْمُ ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْأَعْمَامِ . وَرَوَاهُ ابْنُ جَنِّي :

ويزرى بظرف المرء قلة ماله وإن كان أقوى من رجال وأحولا

(٢) أَرَادَ : وَحَنْظَلَةٌ . وَهِيَ الْقَبِيلَةُ . وَالرَّجَزُ لَغِيْلَانُ بْنُ حَرِيثَ . اللَّسَانُ (وَسَطَ) .

جاء بعده : * صيابها والعدد الجملجلا *

رخاء ، فكأنه ما سبق إليهما ، ولا زوحِمَ فيهما . وفي طريقته ما بعده ، وهو :
« ولم يكُ في بوسٍ » . والصُّلوك : الفقير .

٥ - ولم يكُ في بوسٍ إذا باتَ لَيْلَةً يُنَاغِي غَزَا الأَسَاجِي الطَّرْفَ أَكْحَلًا^(١)

يقول : وإذا استمتع لَيْلَةً بمناجاة إنسان كأنه غزالٌ في طَرَفِهِ فَتْرٌ ، وفي
عَيْنِهِ كَحَلٌ ، فكأنه ما كان ذا بوسٍ قَطُّ . أي تُعَفِّي النِّعْمَةَ على آثارِ الضَّرِّ ،
وَتَمْحُوها حتى تُنْسَى . وقوله « ولم يكُ في بوسٍ » قد مرَّ الكلامُ في حذفِ
النونِ مِنْهَا تخفيفًا . والمناغاة : المغازلة ، وأصلُهُ من النُّغْيَةِ ، وهي الصوت اللطيف ،
والنِّعْمَةُ الحسنة الخفيفة ، ولذلك يُقَسَّرُ لِلْمَنَاغَاةِ على الأَسَارَةِ . والساجي : الساكن ،
يقال آيِلٌ سَاجٍ . قال :

* يا حَبِذَا القَمَرَاءِ وَاللَّيْلُ السَّاجِ^(٢) *

٩٦

وقال بعض بني طيء :

١ - إن أدع الشُّعْرَ فَلَمْ أُكْذِهِ إِذْ أَزَمَ الحَقُّ عَلَى الباطِلِ

قوله « إِذْ أَزَمَ » ظرفٌ لقوله أدع . وتقدير الكلام : إن أدع الشُّعْرَ
إِذْ أَزَمَ الحَقُّ على الباطلِ فَلَمْ أُكْذِهِ . ويريد بالحق كِبْرَتَهُ وشيخوخته ، وما أخذَ
به النَّفْسَ عِنْدَهُ من مراعاة الحق ، والرجوع عن الهزل إلى الجد . وأراد بالباطل
الصِّبَا واللَّهْوَ وما يَتَّبِعُهُمَا مما يَبْدَ سَفْهًا وقوله « فَلَمْ أُكْذِهِ » أصله من حَفَرَ

(١) التبريزي : « فاطر الطرف » ، ثم أشار إلى رواية « ساجي الطرف » . وأنشد

بعده بيتا لم يروه المرزوقي ، وهو :

إذا جانبٌ أعيانك فاعميد بجانب فإنك لاقٍ في بلادٍ معمولًا

(٢) في الأصل : « ساجي » ، صوابه من م واللسان (قمر) . وبعده :

* وطرق مثل ملاء النساج *

فَأَكْدَى ، إِذَا بَلَغَ الْكُدْيَةَ ، فَمَعَدَّرَ عَلَيْهِ الْحَفْرُ وَإِنْبَاطُ الْمَاءِ . وَالْكُدْيَةُ : مَكَانٌ صُلْبٌ يُعْنِي الْحَافِرَ . وَيُقَالُ أَيْضًا : حَفَرَ فَأَجْبَلَ ، إِذَا بَلَغَ جَبَلًا . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : أَكْدَى فِي الشَّعْرِ وَالْعَطَاءِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ . وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَانٌ بَلَغَ النَّاسُ كُدْيَتَهُ ، أَيْ كَانَ يُعْطَى ثُمَّ أَمْسَكَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ تَرَكَتُ الشَّعْرَ حِينَ تَحَلَّمْتُ ^(١) وَارْعَوَيْتُ ، وَصَارَ الْحَقُّ عَاصًا عَلَى بَطَالَتِي ، وَالْحِلْمُ ^(٢) مَانِعًا مِنْ جَهَالَتِي ، فَلَمْ أَتْرُكْهُ عَنْ عَجْزٍ لَاحِقٍ ، وَإِلْخَامٍ حَاصِلٍ . وَالْأَزْمُ : الْعَضُّ ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ ، فَمَقِيلٌ : « نَعْمَ الدَّوَاءُ الْأَزْمُ » ، يَرِيدُونَ الْحِمِيَّةَ .

٢ - قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَأَكْثَرُ الْوَصْدِّ عَنِ الْجَاهِلِ
 يقول : كُنْتُ أُجْرِي الشَّعْرَ عَلَى حَقِّهِ وَكُنْهِهِ ، وَأَقْرَضُهُ مُسْتَمِرًّا فِيهِ عَلَى حَدِّهِ أَيَّامَ شَبَابِي ، وَقَبْلَ ارْتِدَاعِي ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَكْثَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجُهَالِ ، وَأَتَصَوَّنُ عَنْ مَكَائِلَتِهِمْ وَمَوَازِتِهِمْ . وَهَذَا يَجْرِي تَجْرِي قَوْلِ الْآخَرِ :
 إِنِّي أَسْرُؤُ مُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَثِدٌ مِّنْ أَنْ أَقَادِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا ^(٣)
 والمعنى أَرْبَابًا بِقَدْرِي عَنْ مَقَارِضَةِ الشُّعْرَاءِ ، وَمَجَازِبَةِ الشُّفَهَاءِ ، وَلَكِنْ إِنْ دَعَتِ الْحَالُ مَعَهُمْ ، وَالضَّجْرُ بِهِمْ ، إِلَى الْمَجَازَاةِ مَعَ مَرَاجِمَةِ الْحِلْمِ ، فَبِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ ، وَعَلَى هَذَا كُنْتُ قَبْلَ هَذَا الْأَوَانِ مَعَ الْجُهَالِ .

٩٧

وقال آخر :

١ - زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبِ خَبْتِ عُرَيْتٍ وَأُجِمَّتِ ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَكَّمَتْ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَكْمُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) مِنْ الْهَمْزِيَّةِ ٧٤ . ص ٢٦٧ .

(٤) « جُنُوبٌ » فِي النَّسَخَتَيْنِ بِضَمِّ الْجِيمِ : جَمْعُ جَنْبٍ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ بِفَتْحِ الْجِيمِ -

يقول : قال اللوام عاتبة على جندب ، ومُنْكَرَةً لتودُّعِهِ ومَيْلِهِ إِلَى
الراحة والخَفْضِ وَتَرْكِ السَّفَرِ : إِنَّ نَاقَتَهُ حُطَّ عَنْهَا رَحْلُهَا ، وَأُزِيلَ كَلَالُهَا ،
فَهِ جَائِمَةٌ بِجُنُوبِ خَبْتٍ : وَالْخَبْتِ ، أَصْلُهُ مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ (١) .
وَيُقَالُ أَخْبَتَ الرَّجُلُ ، إِذَا صَارَ فِي الْخَبْتِ ؛ وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ لِمَتَّالِهِ الْخَاشِعُ :
هُوَ مُخْبِتٌ .

٢ - كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْرَائِنَ مُنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قَلْنَ لَجَّ وَذَلَّتْ
أَبْطَلَ قَوْلَهُنَّ فَذَكَرَ أَنَّهُنَّ لَوْرَائِنَ مَنَزِلَنَا وَمَبْرَكَنَا بِهَذَا الْبَلَدِ ، لَقَلْنَ
لَجَّ جُنْدَبٌ فِي السَّيْرِ وَذَلَّتِ النَّاقَةُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « مُنَاخَنَا »
لَمْ يُشِيرْ بِهِ إِلَى إِيْنَاخَةٍ وَإِلَى مَوْضِعِهَا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَقَوْلِهِ :
* فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً وَرُكُوبٌ (٢)

فَيَكُونُ الْمَعْنَى : لَوْرَائِنَ مَا جُعِلَ بَدَلًا لِقَاتِنَا فِي مَوْضِعِ الْإِيْنَاخَةِ لَقَلْنَ
ذَلِكَ . وَمِثْلُهُ :

* تَغْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ *

أَي جُعِلَ الْإِسْرَاجُ بَدَلًا مِمَّا كَانَ يُعَلَّقُ عَلَيْهِ . وَيَقْرَبُ مِنْهُ قَوْلُهُ :
لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالْدَيْرَيْنِ أَرَقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ (٣)
وَإِنَّمَا شَاهَدَ وَقْتَهُمَا فَذَكَرَهُمَا بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَمِّمُ دَجَاجٌ وَلَا نَوَاقِيسٌ .

(١) ذَكَرَ يَاقُوتُ أَنَّ « خَبْتًا » عِلْمٌ لِمِصْحَرَاءَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَمَاءَ لِكَلْبِ ، وَقَرْيَةٌ مِنْ
قَرْيِ زَبِيدَ بِالْيَمَنِ .

(٢) لَعَلِّمَةُ النَّمَلِ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (٢ : ١٩٤) وَاللِّسَانُ (نَدَى) . وَصَدْرُهُ :

* تَرَادَى عَلَى دَمَنِ الْحِيَاضِ فَإِنَّ تَعَفَّ *

وَرُكُوبٌ : مَصْدَرُ رَكَبَ ، وَيُرْوَى : « وَرُكُوبٌ » بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَهُوَ اسْمٌ هَضْبَةٌ . وَفِي

اللِّسَانِ : « رِحْلَةُ وَرُكُوبٌ : هَضْبَتَانِ » .

(٣) . جَرِيرٌ فِي دِيْوَانِهِ ٢٢١ وَالْحَيَوَانَ (٢ : ٣٤٢) .

٩٨

وقال الراعي (١) :

١ - كَفَانِي عِرْفَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ
كُلُّوْءُ النَّجْمِ وَالنُّعَاسُ مُعَانِقُهُ (٢)

عِرْفَانُ : اسم صاحبه . فيقول : نام هذا الرجل وكفاني الاشتغال بالنوم ،
وكَلَّاتُ النجومَ وارْتَقَبْتُهَا ، وكَفَيْتُهُ السهر ، وقد لازمَ النُّعَاسَ وعَانِقُهُ . فإن
قيل : كيف كَفَاهُ الْكَرَى ؟ قلتَ : هذا على مطابقة الكلام ، فلما قال
كَفَيْتُهُ مُرَاعَاةَ النجوم ونُبْتُ عنه فيها ، قال : كَفَانِي الْكَرَى ، وإن كانت
نيابةً ذلك عنه في الْكَرَى لا يَصِحُّ . وَيُرْوَى : « كَفَانِي عِرْفَانُ الْكَرَى
وَكَفَيْتُهُ » ، أى مِعْرِفَةَ الْكَرَى ، وليس بِمُرْتَضَى .

٢ - فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ
وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ مَخَافِقِهِ

هذا تَطْنُزٌ مِنَ الْقَوْلِ (٣) ، لَأَنَّ السَّاهِرَ لَا يَعْلَمُ مِنْ حَالِ النَّائِمِ أَنَّهُ يَحْلُمُ
أَوْ لَا يَحْلُمُ . وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِحْكَامِ نَوْمِهِ وَتَلَدُّدِهِ بِهِ ، إِذْ كَانَتْ
الْأَحْلَامُ لَا تَحْصُلُ لِلنَّائِمِ إِلَّا عِنْدَ ذَلِكَ . وَلَمَّا قَالَ بَاتَ يُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ مَخَافِقِهِ
وَأَوْلَادِهِ ، قَالَ فِي مَقَابَلَتِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ .
وَهَذَا الْجِنْسُ يَكْثُرُ فِي كَلَامِ الْبُلْغَاءِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى
عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ . وَ ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .
وقول الشاعر (٤) :

* دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا *

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٨٠ .

(٢) التبريزي : « قال أبو العلاء : ويروى عِرْفَانُ . مسمى بالعرفان ، وهو

دوية ، وقيل ضرب من الجراد . »

(٣) التطنز ، أراد به السخرية والتهكم . والمعروف « الطنز » .

(٤) هو شهل بن شيبان . انظر ما مضى في ص ٣٥ .

وقد مرَّ جميعه مُسْتَقْصَى .

٩٩

وقال آخرُ :

١ - فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمَّتْ بِرَحْلِي أَوْ خَيَّأَتْهَا الْكَذُوبُ^(١)

حَذَفَ مَفْعُولٌ نَازِلٌ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا أُنْزِلُ مَنْزِلًا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ، أَيْ الْعَذَابَ . وَالْإِلْمَامُ : زِيَارَةٌ لَا لَبَثَ مَعَهَا . يَقُولُ : لَا أُنْزِلُ مَحَلًّا إِلَّا رَأَيْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ مُلَمَّةً بِرَحْلِي ، أَيْ مَتَصَوِّرَةً لِي بِهَذِهِ الصُّورَةِ ، تَشَوُّقًا مِنِّي وَتَحَقُّقًا . هَذَا فِي حَالِ الْيَقِظَةِ وَعِنْدَ فِرَاقِ الْبَالِ وَالِاشْتِغَالِ بِحَالِ النَّفْسِ . أَوْ رَأَيْتُ خَيَّأَتْهَا الْكَذُوبُ الْقَلِيلَةَ الْوَفَاءَ إِذَا نِمْتُ . وَيُقَالُ خَيَّالٌ وَخَيَّالَةٌ ، كَمَا يُقَالُ مَكَانٌ وَمَكَانَةٌ . وَجَعَلَهَا كَذُوبًا لَمَّا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِعْلُهَا وَقَوْلُهَا . وَالْمَعْنَى : إِنِّي لَا يُخَلِّينِي مِنْهَا لَا النَّوْمَ وَلَا الْيَقِظَةَ ، وَلَا يَلْفِتُنِي عَنْهَا لَا الرَّخَاءَ وَلَا الشَّدَّةَ ، وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا

بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرُ عَالٍ

وقال الأصمعي في قول الآخر :

أَلْبَسَ بَصِيرًا مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ

بِمَكَّةَ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَبِرُونَا

هو على التشويق والتحقني .

٢ - فَقَدْ جَعَلَتْ قَلُوصَ ابْنِي مُهَيْلٍ مِنْ الْأَكْوَارِ مَرْتَمَهَا قَرِيبٌ^(٢)

(١) ابن جني : « عطف على المضمر المرفوع المتصل بغير توكيد ، ولو أكد فقال أَلَمَّتْ هِيَ لَكَانَ حَسَنًا ، غَيْرَ أَنَّ الْكَلَامَ طَالَ بِقَوْلِهِ : بِرَحْلِي ، فَجَاءَ طَوْلُهُ عَنِ تَوْكِيدِهِ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ، لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ فِيهِ بَلَا » .

(٢) البيت من شواهد الخزائن (٤ : ٩٢) . ويروي : « ابني زياد » .

جَعَلَتْ هَاهُنَا بِمَعْنَى طَفَقَتْ وَأَقْبَلَتْ ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى . وَالْقُلُوصُ :
الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَرَمَزَتْهَا قَرِيبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ (١) . يَقُولُ : أَقْبَلْتُ قُلُوصُ
هَذَيْنِ الرَّجْلَيْنِ قَرِيبَةَ الْمَرْتَعِ مِنْ رِحَالِهِمْ ، قَصِيرَةَ الْمَسْرَحِ فِي رَوَاحِهِمْ ، لِأَنَّهُ لِمَا
لَحِقَهَا مِنَ الْكَلَالِ وَالْإِعْيَاءِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّبَاعُدِ فِي الْمَرْعَى وَالْإِرْتِيَادِ .

٣ - كَأَنَّ لَهَا بِرِخْلِ الْقَوْمِ بَوًّا وَمَا إِنْ طِبْهَا إِلَّا اللَّغُوبُ

يقول : كَأَنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ وَلَدًا بِرِخْلِ الْقَوْمِ ، تَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتْبَاعِدُ
عَنْهُ ، وَمَا دَاوَّهَا إِلَّا الْإِعْيَاءُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ :

مِنَ الْكَلَالِ لَا يَذُقْنَ عُودًا لَا عُقْلًا تَبْنِي وَلَا قِيُودًا

وَالطَّبُّ أَصْلُهُ الْعِلْمُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الدَّاءُ الَّذِي يُعْلَمُ وَيُعْرَفُ . وَالْبَوُّ ،
أَصْلُهُ : جِلْدُ فَصِيلٍ يُحْشَى تَبْنًا لِتُدْرَأَ الْأُمُّ عَلَيْهِ .

١٠٠

وقال آخر (٢) :

٦ - إِنْ كُنْتُ لَا أُرْمِي وَتُرْمِي كِنَانَتِي

تُصِبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشْحِي وَمَنْكِبِي (٣)

(١) التبريزي : « وقال أبو العلاء : ويروى : فقد جعلت قلووص ابني سهيل . وكثير
من الناس يرفع القلووص ، وهو وجه رديء ، لأن القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن
من إتيانه بالفعل ... وليست جعلت في هذا الوجه في معنى المقاربة ، وإنما هي بمعنى صيرت فلا تقتصر
إلى فعل ، ويكون قوله مرتعها قريب ، جملة في موضع المفعول الثاني » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر وضرب بنو عم له اسمه حوشب - والحوشب :
«العظيم البطن - ويقال إن هذا لجنندل بن عمرو » .

(٣) م : « جانحات » فقط . وكتبت في نسخة الأصل كما أثبتنا لتقرأ « جانحات »
و« جانحات » بوضع همزة تحت النون ، وكتب فوقها كلمة « معا » .

هذا مثلٌ . والمعنى : إذا لم أقصد في خاصٍّ أمري ، ثم قُصِدْتُ فيمن يشمله
 عِنَايَتِي ، عاد ذلك القصدُ بالشرِّ والسَّاءَةِ عَلَيَّ ، وصرتُ كأنِّي أنا المقصودُ .
 و « الجَانِحَاتُ » : المائلاتُ ، ورَوَى بعضهم « جَانِحَاتُ النَّبْلِ » وهي
 للمستأصِلَاتُ المَهْلِكَاتُ . ويقالُ جَا حَهُ واجتَا حَهُ بمعنَى . وليست هذه الروايةُ
 بِجَيِّدَةٍ ، لأنَّ الغرضَ ما ذكرتهُ من أن من يَمَسُّهُ أمرُهُ إذا قُصِدَ كان كَنَفْسِهِ .
 فإن قيل : فَلِمَ خَصَّ الجَانِحَاتِ ؟ قلت : المرادُ فيما ضربَ المثلُ له : إني
 رُمِيتُ^(١) إِذْ رُمِيتِ الجَعْبَةُ المعلقةُ^(٢) عَلَيَّ ، لأنَّ بعضَ السَّهَامِ يصبِيه وبعضها
 يصبِيني . وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجَانِحَاتِ . و « النَّبْلُ » : اسمُ
 صَيْغٍ لَلجَمْعِ . والكِنَانَةُ : ما يُعْطَى به الشَّيْءُ في الأَصْلِ ، واخْتَصَّ بها الجَعْبَةُ
 وهو من الكَنِّ ، كَالسَّتَارَةِ مِنَ السَّرِّ . وفي القرآن : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ .
 وقد فُصِّلَ بين كَنَنْتُ وَاكْتَنَنْتُ ، فجعلنا كَتَنَنْتُ لما يُضْمَرُ في القَلْبِ من
 الحديثِ والسَّرِّ ، وكَنَنْتُ لما يُسْتَرُّ بشيءٍ . وذكر الدرَيْدِيُّ أن الكِنَانَةَ
 لا يكونُ إلا للنَّبْلِ ، ويكونُ من أَدَمٍ ، فإذا كانت من خَشَبٍ فهو جَفِيرٌ ،
 وإن كانت من قطعَتين مقرونتين فهي قَرْنٌ ، والجَعْبَةُ تكونُ للنَّبْلِ
 والنشَابُ جميعاً .

٢ - أفيقوا بني حزنٍ وأهواؤنا مَعًا وأرحامنا موصولةٌ لم تُقَصَّبِ^(٣)
 يقول : احموا بني حزنٍ من سكرةٍ جهلكم ، وانتهبوا من رقدةٍ

(١) م : « إني مري » . (٢) في الأصل : « المعلقة » ، صوابه في م .

(٣) روى قبله التبريزي :

فقلْ لبي عمى فقدْ وأبيهمُ متَّوا بهريرتِ الشَّدقِ أشوسَ أغلبِ

وفي تفسيره : « الهرت : سعة الشدق . ويقال منى له كذا ، أى قدر له كذا . وقوله :

متوا ، أى بلوا بمن هذه صفته ، وهى من صفات الأسد . وروى بعده :

ولا تبعثوها بعد شدِّ عقالها ذميمةً ذكرى الفيبِّ في المتعقبِ

وفي تفسيره : « هذا مثل ، أى لا تبعثوا الحرب بعد السلم » .

غفلتكم ، الأهواء بعد متفكة ، وأسباب الرحيم موصولة ، لم يتسلط عليها العقوق ، ولم يقطعها الجفاء والثبؤ . والمعنى : كُفُوا عما أنتم عليه من سيئات التقاطع والتدابير ، قبل تفاقم الخطب ، واستفحال الشأن . والقضب : القطع ، ومنه قيل للسيف القضب والقضب . وقوله « معاً » في موضع الخبر ، أى مجتمعة .

٣ - فإن تبعثوها تبعثوها ذميمة قبيحة ذكر الغب للمتعبب يقول : إن هيئتم الحرب هيئتموها مذمومة قبيحة ذكر العاقبة لمن يتتبع العواقب فيتدبرها ، ويتعهد المصائر فيتاملها . ويقال تغببت الأمر كما يقال تعقبته ، أى تفقدت عاقبته وغبته . والغب أصله فى ورود الماء والزيادة ، وهو يثوب فى أسماء الأظاء وغيرها عن الثلث . فأما قولهم : زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا « فالهامة فيه أوسع .

٤ - سأخذ منكم آل حزن لحوشب وإن كان مولى لى وكنتم بنى أبى إنما قال هذا لأن بنى عمه ضربوا مولى له ، فيقول : سأنتقم منكم يا آل حزن وإن كنتم بنى أعمام ، وكان حوشب مولى محالفة وجوار . وفى طريقته قول الآخر :

فإن غضبت فيها حبيب بن حبتير فخذ خطة ترضاك فيها الأبعد وروى بعضهم : « وإن كان مولائى وكنتم » ، والبصريون لا يجوزون مد القصور ، لأنه إدخال زيادة على كلامهم ، ويجوزون قصر الممدود ، لأنه حذف للتخفيف ، ورد إلى الأصل ^(١) . وحوشب عدل للنحويين أنه

(١) التبريزى : وىروى : « وإن كان مولائى وكنتم بنى أبى . عمل الزحاف الذى هو الكف ، وليس فى الهامة بيت مكفوف غيره . وىروى : مولى لى ، فعل هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء . ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولائى وبنى أبى . فلنا : والرواية بالكف هى رواية ابن جنى فى التبيينه .

[مما^(١)] لم ينجي إلا بزيادة الواو، وأنه مثل كوكب. وحكى الخارزنجي أن حشبا اسم رجل، وأنه يقال أحشبنى كذا، أي أحشمني^(٢).

١٠١

وقال جميل^(٣):

١ - أَبُوكَ أَبُوكَ أَرَبْدُ غَيْرَ شَكِّ أَحَلَّكَ فِي الْمَخَازِي حَيْثُ حَلَّا

ارتفع أبوك بالابتداء، وكرره تأكيداً، وأربدُ بدلٌ منه، وخبرُ المبتدأ أَحَلَّكَ. وانتصب «غير» على المصدر، وهو مما يؤكِّدُ به ما قبله. ومثله حقاً وما أشبهه. والمعنى أن لؤمَ أبيه موروث، وأنه اقتداءً بسلفه قد أنزل ابنه منزله في المخازي والقبائح، حقاً لا مزياً فيه.

٢ - فَمَا أَنْفِيكَ كَيْ تَزْدَادَ لَوْمًا لِلْأَمِّ مِنْ أَبِيكَ وَلَا أَدْلًا

يقول: لا أبرئك من أبيك طلباً لأن أنسبك إلى من هو الأمام منه وأذاك لتزداد دلاً ولوماً؟ لأن أباك النهاية في هذين. وانتصب «لؤماً» على التمييز، واللام من «لألام» تتعلق بفعل مضمير، كأنه قال: ما أنفيك من أبيك وأدعوك لألام منه، لأنه إذا نفاه من أبيه فقد جملة لغيره. ويجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى، فیتصوّر أنفيك بأدعوك، ويُعدى تعديته. ومثله

(١) هذه من م فقط.

(٢) م: «أحشبنى كذا في معنى أحشمني، أي أغضبني».

(٣) عند التبريزي وابن جنى: «وقال آخر» وعكس الأمر في المقطوعة التالية، إذ نسبها التبريزي إلى جميل، على حين نجد عبارة الإنشاد فيها في النسخين: «وقال آخر». وهو جميل بن عبد الله بن معمر، أحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبه بشيئة، وهما جميعاً من عذرة. وجميل شاعر إسلامي معاصر لبحرير والفرزدق وكثير عزة. الشعر والشعراء ٤٠٠ - ٤١٢ والأغاني (٧: ٧٢ - ١٠٤). والمؤتلف ٧٢، ١٦٨ وابن سلام ٢٠٨ والمخزاة (١: ١٤٣ - ١٤٦) وابن خلكان في رسمه.

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ . وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

* قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زَيْدًا عَنِّي ^(١) *

لَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ صَرَفَهُ اللَّهُ عَنِّي . وَمِنْ أَبْيَاتِ الْكِتَابِ ^(٢) :

إِذَا تَفَنَّى الْحَمَامُ الْوُرْقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ ^(٣)

لَأَنَّهُ تُصَوَّرُ هَيَّجَنِي أَنَّهُ ذَكَرَنِي ، فَعُدِّي تَعْدِيَتَهُ .

١٠٢

وقال آخر ^(٤) :

١- أَبُوكُ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَاحَجَّاجُ فَارِسُ شَمَّرَا

يقول : أبوك الذي سرق برد ضيفه وغدر به وخانه ، وجدى فارس هذا الفرس المعروف . وسارق الضيف برد ، أصله سارق برد الضيف ، لكنه أضافه إلى الضيف بناء على قولهم سرقت الضيف برد ، والمراد سرقت من الضيف ، لكنه لما حذف الجار تخفيفاً وصل الفعل لعمل فيه ، ثم أضاف اسم الفاعل إليه . وعلى هذا يقال اخترت الرجال زيدا : وشمر فعل في الأصل سمي به الفرس ، لأنه ليس في الأسماء شيء على فعل . ومثله خصم ، وهو لقب للعنبر بن مازن ^(٥) . وحباب يجوز أن يكون بدلاً وسارق الضيف خبراً ،

(١) ديوان الفرزدق ١٨١ . قاله حين خرج من المدينة بعد موت زياد . وقبله :

* كيف تراني قالبا مجي *

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

(٣) للناطقة الذبياني من معلقة في رواية جمهرة أشعار العرب ٥٣ . والرواية فيها : « واو

تغربت » ، وكذا في كتاب سيبويه .

(٤) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « قال جميل » .

(٥) التبريزي : « وشمر اسم فرس ينشد بفتح الشين وكسرهما ، فإذا فتحت الشين فهو

مسمى بالفعل الماضي ، كما سمي الرجل خصم لكثرة أكله ... وإذا كسرت الشين فهو اسم

فعل ، مثل الإمر والطلع ، ويجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أنثى ، وهو علم المؤنث

كأمارة نسميها بقنب ودنب . هذا ما ذكره أبو العلاء في هذه الكلمة » .

ويجوز أن يكون حُبَابُ خَبْرًا وسَارِقُ الضيف صَفَةً ، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فارسِ شَمْرٍ . كأنَّ المراد : أبوك المعروف بهذا الاسم ، وجَدِّي المعروف بِذَا . ورواه بعضهم « فارسِ شَمْرٍ » بكسر الشين ، وقال : هو عَلَمٌ مؤنث مثل امرأة تُسَمِّيها قَتب ودَتَب .

٢- بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لِآبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَمِيرًا

كما فضل جَدَّهُ على أبيه في البيت الأوَّل فضلَّ نفسه عليه في البيت الثاني . والمعنى أن المرء يتقيل أباه ، فإذا كان جَدِّي صالحًا فأنا صالح ، وإذا كان أبوك صالحًا فأنت صالح . وقوله « وَمَنْ يَكُنْ لِآبَاءِ صِدْقٍ » يُرِيدُ مَنْ كَانَ وَلَدَ آبَاءِ كِرَامٍ عُرِفَ بِهِمْ حَيْثُ ذَهَبَ ، ولقيهم أَنَّى سَارَ وظَعَنَ . واللام دَخَلَ فِي قَوْلِهِ لِآبَاءِ صِدْقٍ لِهَذَا الْمَعْنَى . ومِثَالُهُ :

لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِائِقٍ وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءِ التِّي عِنْدَ حَارِبٍ (١)

أى إن كان ولدها . وصِدْقٍ يُضَافُ إِلَيْهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ ، وَالْمُؤنثُ وَالْمَذَكَّرُ ، وَيُرَادُ بِهِ الْمَدْحُ . فَإِذَا قُلْتَ ثَوْبٌ صِدْقٍ وَرَجُلٌ صِدْقٍ ، فَالْمَعْنَى نِعْمَ الشَّيْءُ ذَلِكَ ، أَى هُوَ صَادِقٌ فِيمَا يُحْمَدُ فِيهِ لَا كَاذِبٌ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَهُ نِعْمَةً فَتَحْتَ الصَّادَ مِنْهُ فَقُلْتَ : هُوَ الرَّجُلُ الصِّدْقُ ، وَيُنْدَى وَبُجْمَعُ وَيُؤنث . قال :

* مَقْدُودَةٌ الْأَذَانُ صَدَقَاتُ الْحَدَقِ (٢) *

٣- فَإِنْ تَفَضُّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهُ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرًا

يقول : إن تسخطتم ما قسمه الله ، تعالَى جَدَّهُ ، لَكُمْ ، وجعله نصيبكم ،

(١) للنايئة الديباني في ديوانه ص ٣ .

(٢) لرؤية في ديوانه ١٠٤ واللسان (صدق) .

فَلَا تُهٗ كَانَ أَعْلَمَ بِكُمْ وَبَقَدَّرَ اسْتِحْقَاقَكُمْ ، لَمَّا لَمْ يَرِكُمْ أَهْلًا لِأَكْثَرِ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى :
 إِنْ مَا حَصَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخْسِ فِي الْقِسْمَةِ ، وَالنَّقْصِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ . وَالتَّأَخَّرَ فِي
 الْمَنْزِلَةِ ، حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَفَةً ، وَلَوْ زَادَ مَسْتَحَقُّكُمْ عَلَيْهِ لِأَعْطَاكُمْ ،
 فَإِنَّهُ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ فِي أِفْعَالِهِ وَأَقْضَيْتِهِ . وَالْبَصِيرُ فِي صِفَةِ اللَّهِ ، تَحْقِيقُهُ الْعَالِمُ .

١٠٣

وقال أبو النشاش (١) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرُخْ سَوَامًا وَلَمْ يَرْحُ سَوَامًا وَلَمْ تَعْمُطْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ (٢)

يُقَالُ سَرَحْتُ لِلْمَاشِيَةِ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا بِالْغَدَاةِ إِلَى الْمَرْعَى ؛ وَأَرْحَيْتُهَا ، إِذَا
 رَدَدْتَهَا بِالْعَشِيِّ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لَمْ قَالَ « وَلَمْ يَرْحُ سَوَامًا » وَالنَّكِرَةُ إِذَا
 أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تَعْرِيفُهَا ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتُ رَجُلًا بِمَكَانٍ كَذَا ، فَقَالَ لِي
 الرَّجُلُ كَذَا ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكَرُهَا لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ الْمُرَاحَ بِمَا دَخَلَهُ مِنَ
 التَّنَاقُصِ وَالتَّزَايُدِ ، [بِالْأَخْذِ (٣)] مِنْهُ وَالرَّدُّ إِلَيْهِ غَيْرَ الْمَسْرُوحِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 فَالتَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّوَامُ التَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَثِيرِينَ
 مِنْهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ رِعَاءَهُمْ بِأَنْ يَمْتَضِبُوا قِطْعَةً مِنَ الْمَالِ كَيْفَ اتَّفَقَتْ (٤) ، لِيَجْبِسُوهَا
 عَلَى الْحَقُوقِ الْعَارِضَةِ ، سِوَى الْمُوْنِ اللَّازِمَةِ ، فَكَانَتِ الْغَادِيَةَ لِمَا يَقِيمُونَهَا مِنَ النَّوْبِ

(١) كان أبو النشاش من لصوص بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ عن العرب
 بين طريق الحجاز والشام ، فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده ، ثم هرب فلقى في طريقه
 غرابا على شجرة بان ، ينتف ريشه ، فلجأ إلى رجل من بني لب فقال له : إن صدقت الطير يعاد
 إلى حبسه وقيده ويقتل ويصلب . فقال أبو النشاش هذه الأبيات . الأغاني (١١ : ٤٢-٤٣) .

(٢) الأغاني : « ولم يبسط له الوجه صاحبه » .

(٣) التكملة من م والتبريزي .

(٤) في الأصل : « اتفقتها » ، صوابه في م .

في ذلك غير الرائحة ، والرائحة غير الغادية . وإذا كان كذلك فالسؤال ساقط .
والمعنى : إذا الرجل لم يكن ذا مال يسرّح بعضه ويراح عليه بعضه ، على
حسب ما يتفق ، ولم يكن له أقارب يتعطفون عليه ويرون من الفروض^(١)
الواجبة الإحسان إليه ، فالموت خير له . وجواب إذا في البيت الثاني . ويجوز
أن يكون المراد بقوله ولم تعطف عليه أقاربه تعطف النصرة والإعزاز ، فيكون
المعنى إذا لم يكن غنياً ولم يكن مؤيداً بدوياً فيعتز بهم ، فاموت أصلاح له من
الحياة . وهذا المعنى أحسن .

٢ - فَلَـمُوتٌ خَيْرٌ لِّلْفَتَى مِنْ قُـعُودِهِ عَدِيمًا وَمِنْ مَوْتِي تَدِبُّ عَقَابِيهِ^(٢)

فلموت جواب إذا ، لتضمنه معنى الجزاء . يقول : إذا الرجل لم يكن
على ما وصفت فورود الموت عليه خير له من قعوده راضياً بفقره ، وبإفضال
مولى يؤذيه بالمن ، ولا يخاص النعمة عنده من الشوائب . وديب العقاب
كناية عن فعل الأذى والتحمّد بالكلمات المكدرّة . وانتصب « عديماً »
على الحال . ويجوز أن يكون المعنى في قوله « ومن مولى تدب عقابيه » أن
يحصّل الفساد بين العشيرة ، والتدابير والاختلاف ، فكلُّ يقصد صاحبه بالسوءة ،
ويبغى له العوائل . وهذا المعنى يتلفق مع المعنى الثاني في البيت الذي قبله .

٣ - وَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الصَّوَى خَدَتْ بِأَبِي النَّشَاشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ^(٣)

انجرت « نائية » بإضمار رب ، والواو داخلة للعطف ، ولم يصير بدلاً من رب

(١) م : « المنراض » .

(٢) الأغاني : « تعاف مشاربه » .

(٣) الأغاني : « ودوية فقر يجار بها القطا » . وبعد البيت عند التبريزي :

لِيَكْسِبَ مَجْدًا أَوْ لِيُدْرِكَ مَغْنَمًا جَزِيلاً وَهَذَا الدَّهْرُ جَمٌّ مَجَابِلُهُ
وعند أبي الفرج :

لِيُدْرِكَ ثَأْرًا أَوْ لِيَكْسِبَ مَغْنَمًا أَلَا أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَرَى مَجَابِلُهُ

بَدَلَالَةٍ وَقُوعِ الْفَاءِ الْعَاطِفَةِ مَوْقِعِهِ وَبَلٍ فِي نَحْوِ :

* فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ^(١) *

و : * بَلٍ بَلْدِ ذِي عُقْدٍ وَإِحْبَابٍ^(٢) *

يقول : وَرُبَّ مَفَازَةٍ بَعِيدَةٍ الْأَطْرَافِ ، دِرَاسَةِ الْأَعْلَامِ ، سَارَتْ بِأَبِي
النَّشَاشِ فِيهَا رَوَاحِلُهُ يَطْلُبُ الْمَالَ ، وَيَكْتَسِبُ الْمَجْدَ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَجُّحٌ
مِنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذِ الْفَقْرَ ضَجِيعًا ، وَلَا الدَّعَةَ حَلِيفًا ، بَلْ رَمَى بِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمِرَامِيِّ
الْمُتَلَفِّةِ ، وَطَوَّحَهَا فِي الْمَوَاحِي الْمُعْطَبَةِ . وَالْأَرْجَاءُ وَاحِدُهَا رَجَاءٌ . وَالطَّامِسُ :
الدَّارِسُ . وَيُقَالُ طَمَسَ وَطَسَمَ . وَالضُّوَى : الْأَعْلَامُ ، وَالوَاحِدَةُ ضَوْءٌ ،
وَمِثْلُهُ قُوَّةٌ وَقُوَى . وَمَعْنَى خَدَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَمَضَرَهُ اخْتَدَيَانَ . وَالرَّكَائِبُ :
جَمْعُ الرَّاكِبَةِ ، وَهِيَ الْمُرْكُوبَةُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمُوصُوفُ ، بَلْ يُسْتَعْمَلُ عَلَى
انْفِرَادِهَا ، وَمِثْلُهَا الْخُلُوبَةُ .

ع - وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٌ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ^(٣)

يقول : رُبَّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ سَأَلَا عَنِّي بظَهْرِ الْغَيْبِ ، لِمَا تَدَاخَلَ الْقُلُوبَ
مِنْ هَيْبَتِي ، وَالْإِشْفَاقِ مِنْ وَقَعَتِي . ثُمَّ قَالَ مُسْتَفْهِمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ : وَمَنْ
يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ ، أَيْ يَجِبُ أَلَّا يُسْأَلَ الصُّعَالِيكَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، لِأَنَّهَا
لَا تُعْلَمُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقَرُّ بِهِمْ مَوْضِعٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَّخِذُهُمْ بَلَدًا وَمَذْهَبًا يَلْزَمُونَهُ
أَوْ يَخْتَصُّونَ بِهِ . وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الصُّعْلُوكِ
لِيَكُونَ وَفَّقَ قَوْلُهُ « وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي » ، لِسُكُونِهِ عَدَلًا عَنْهُ إِلَى مَا قَالَهُ
تَأْكِيدًا لِلْمُرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ سَوْأَلُ نَفْسِهِ عَنْ مَذْهَبِهِ مُنْكَرًا لِاسْتِبْهَامِهِ
عَلَيْهِ ، فَسَوْأَلُ غَيْرِهِ عَنْهُ أَيْدٌ مِنَ الصَّوَابِ .

(١) لَا مَرَى الْقَيْسِ فِي مَعْلَقَتِهِ ، وَهُوَ بَتَامَةٌ :

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرَضِعُ فَالْهِتَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مَحْمُولٌ

(٢) فِي م : « بَلْ بَلْدَةٌ » فَقَط . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « بَلْ بَلْدٌ » فَقَط .

(٣) الْأَعْنَى : « وَسَائِلَةٌ أَيْنَ ارْتَحَالِي » .

٥ - فلم أرَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاغِعَهُ أُنْفَتَى وَلَا كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ
 يُرَوَى « مِثْلَ الْهَمِّ » ، هُوَ مَصْدَرُ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ ، أَى إِذَا هَمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ
 أَنْ يُفَنِّدَهُ وَلَا يُؤَخَّرَهُ . وَيَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْفَقْرِ يَتَّخِذُهُ الْفَتَى ضَجِيعًا ، أَى يَرْضَى
 بِهِ وَبِلِزُومِهِ لَهُ وَلَمْ أَرَ كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَكْدَى رَاكِبُهُ وَالطَّالِبُ فِيهِ . وَالْمَعْنَى :
 يَجِبُ أَلَّا يَحْضُلَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، لَا الرِّضَا بِالْفَقْرِ ، وَلَا الْإِخْفَاقَ مَعَ رُكُوبِ اللَّيْلِ .
 وَيُقَالُ ضَجِعَ ضَجْعًا وَضَجُوعًا وَاضْطَجَعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْعَاجِزِ الضُّجْعِيُّ
 وَالضُّجْعَةُ . وَتُسَمَّى الْكَوَاكِبُ الَّتِي لَا تَسِيرُ : الضَّوَاجِعُ . وَالْإِخْفَاقُ : أَنْ
 يَفْزُوَ فَلَا يَفْعَمُ ، أَوْ يَرْجُوَ فَيَخِيبُ . قَالَ عَنَتْرَةَ :

فِيخْفِقُ مَرَّةً وَيُصِيبُ أُخْرَى وَيَفْجَعُ ذَا الضَّفَائِنِ بِالْأَرَبِ
 وَقَوْلُهُ « أَخْفَقَ طَالِبُهُ » ، أَى الطَّالِبُ فِيهِ . وَهَذَا مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ
 لِكُونِهِ فِيهِ .

١٠٤

وقال آخر^(١) :

١ - أَلَا قَالَتْ أَنْخَنَسَاهُ يَوْمَ سُوَيْقَةِ

عَهْدَتُكَ دَهْرًا طَاوِيَّ الْكَشْحِ أَهْضَمًا

يقول : قالت هذه المرأة يوم اجتماعنا في سوَيْقَةِ : عهدتُك زمانًا ممتدًّا صغيرًا
 البطنِ ، مطوًى الكَشْحِ والجَنْبِ . وإنما أنكرت سِمْنَهُ وكثرة لحمه ، فأجابها
 بالبيت الثانى . والهَضْمُ : انضمام الضلوع ، وتقارب الجنبين .

٢ - فإِذَا تَرَيْتَنِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ بِأَدِنَا لَدَيْكَ فَقَدْ أَلْتَنِي عَلَى الْبُزْلِ مَرَّجَا

(١) وردت هذه الحماسية عند التبريزى بعد المقطوعة التالية إذ تقدمت المقطوعة التالية
 عليها عنده .

يقول : إن كنت تريذني اليوم - وهو إشارة إلى يومه وما يقرب منه - أصبحت مُثقل النفس ، مُبدن الخلق لديك ، أي في منظرِك ومعتقدِك ، فإني إذا ركبت البزل وجدتُ عليها مرجما . والمرجم : الذي كأنه آلة في رجم الأرض بأخفاف الإبل ووطء الأقدام . وينتصب « مرجما » على الحال . وقيل المرجم في السقر : البعيد في الغاية . وكما قيل رجلٌ مرجمٌ ، قيل يدٌ مرجمٌ ، ورجلٌ مرجمٌ ، ولسانٌ مرجمٌ ، قال الشاعر :

* شديداً الرجم باللسان وباليد *

و « إتما » ، في أكثر الأحوال يلزم الفعل الواقع بعده إحدى الفونين الثقيلة والخفيفة ، لأنه كما أكد حرف الشرط ب « ما » أكد الفعل المشترط به بالثون أيضاً . وهاهنا جاء خالياً من الفون .

١٠٥

وقال آخر (١) :

١ - أَلَا قَالَتِ الْعَصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا (٢)
هذا في طريقة ما قبله . فيقول : قالت هذه المرأة لما التقيت معها : أعلمك عن قريب ناعم الحال ، تام شعر الرأس ، لم يتسأط عليك صلغٌ ، ولا يحدث انحسارٌ شعري ، ولا شحوبٌ لون ، فكيف تغيرت مع قرب الأمد . وانتصب « حديثاً » على الظرف . وناعم البال ، مفعول ثانٍ من أراك . والأفرع : التام شعر الرأس ، وجمعه فرعان . والأصلغُ خلافه .

(١) انظر ما سبق من الكلام على الترتيب في الحماسة السابقة ، وقد روى هذه الحماسة صاحب الخرافة (١ : ٤٨٢) ، وذكر أن أحداً لم يعرف نسبتها .

(٢) وقع هذا العجز في شعر متمم بن نويرة في قصيدته التي رثى بها مالكا :

تقول ابنة العمري مالك بعدما أراك - حديثاً ناعم البال أفرعاً

المفضليات (٢ : ٦٨) .

٢- فَقُلْتُ لَهَا لَا تُنْكِرِي بِنِي فَقَلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعًا

يقول: أَجَبْتَهَا وَقُلْتُ: لَا تُسَنِّكِرِي مَا رَأَيْتِ مِنْ شُحُوبِ لُونِي، وَانْحِسَارِ الشَّعْرِ عَنِ رَأْسِي، فَمَا يَنَالُ الْفَتَى السِّيَادَةَ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِشَيْبَتِهِ شَيْبًا، وَوُفُورِ شَعْرِهِ^(١) صَلَعًا، وَإِلَّا بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ، وَاسْتِنْفَادِ الْعُمُرِ فِي اكْتِسَابِ الْمَجْدِ . وَقَوْلُهُ « قَلَّ مَا » يَفِيدُ النَّفْيَ هُنَا، وَمَا تَكُونُ كَافَةً لِقَلَّ عَنْ طَلَبِ الْفَاعِلِ، وَنَاقِلَةً لَهُ عَنِ الْاسْمِ إِلَى الْفِعْلِ، فَإِذَا قُلْتَ: قَلَّ مَا يَقُومُ زَيْدٌ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ مَا يَقُومُ زَيْدٌ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَأُجْرِي مَجْرَى مَا يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقَالُوا أَيْضًا: أَقَلُّ رَجُلٍ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَنَّهُمْ أَجْرَوْا خِلَافَهُ مَجْرَاهُ، فَيَقُولُ: كَثُرَ مَا يَقُولُ زَيْدٌ. وَعَلَى ذَلِكَ بَيْتُ الْكِتَابِ:

..... وَقَلَّ مَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ^(٢)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « مَا » مِنْ قَلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى، مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَلَّ سِيَادَةُ الْفَتَى، أَيْ يَنْزُرُ اسْتِكْهَاهَا إِلَّا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

قَلَّ مَا عَرَّسَ حَتَّى هَمِجْتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ

لأنه ليس يريد نفي التعريس رأساً؛ إذ كان يعتاده قطاع الفلاة، ورُكَّابُ الظلام، بل يريد عرَّس تعريساً قليلاً فهجته. ويقال: صَلَعَ صَلَعًا وَصَلَعَةً، وَهُوَ أَصْلَعُ وَصَلِيعٌ.

٣- وَلِلْقَارِحِ الْيَعْبُوبِ خَيْرٌ عِلَالَةً مِنْ الْجَذَعِ الْمُرْخِي وَأَبْعَدُ مَنْزَعًا

هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ فِي تَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ وَقَدْ أَدَّبَهُ الْكَبِيرُ، وَنَازَعَ

(١) فِي الْأَصْلِ: « وَوُفُورِ شَيْبِهِ »، صَوَابُهُ فِي م.

(٢) فِي الْأَصْلِ: « وَصَالَ يَدُومُ عَلَى الصَّدُودِ »، صَوَابُهُ فِي م وَسَيَبُوه.

(١: ١٢: ٤٥٩). وَنَسَبَةُ سَيَبُوهِ إِلَى عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالتَّنْمِرِي إِلَى الْمَرَارِ الْفَقْمَسِيِّ.

وَصَدْرُهُ: * صَدَدَتْ فَاطَوَاتُ الصَّدُودِ وَقَلِمَا *

الدَّهْرَ وأبْنَاءَهُ أطرافَ أُلْطُوبٍ ، ومرائرُ السَّيَادَةِ والمُلُوكِ على الأحداثِ الذين لم يَجْرِبُوا الأمورَ ، والأغمارِ الذين لم يُجَاذِبُوا الشَّدَائِدَ ، فيقول : لِلْفَرَسِ المُتَنَاهِي في القُوَّةِ والسَّنِّ ، الذي يَجْرِي جَرِيَّةَ المَاءِ سُهولةً ونَفَاقًا ، خَيْرُ إِبْقَاءٍ وأَبْعَدُهُ غَايَةَ من ابنِ سنتين وهو مُهْمَلٌ لم يُسْتَعْنَبْ به في رُكُوبٍ ونزُولٍ ، ولم يُرَضَّ (١) بِإِسْرَاجٍ وإِلْجَامٍ . واليعبوب : الفرسُ الكثيرُ الجَرِي (٢) ، والجَدُولُ الكثيرُ المَاءِ . والعَلَالَةُ : البَقِيَّةُ من الجَرِيِّ وغيرِهِ ، وهاهنا يريدُ الجَرِي . قال الشاعر (٣) :

إِلَّا عُلَالَةٌ أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَةِ

فألبداهة : أولُ الجَرِيِّ ، والعَلَالَةُ : آخِرُهُ . وقوله « من الجَدَعِ المُرْخِي » يُرْوَى للمُرْخِي بكسرِ الخاءِ ، والإِرْخَاءِ : لينٌ في العَدْوِ . قال :

* وإِرْخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٍ تَنْفُلٍ (٤) *

وإذا رُوِيَ بفتحِ الخاءِ فهو المُرْسَلُ المَهْمَلُ النَّزْوِعُ إلى الغَايَةِ . وانتصابُ « عُلَالَةٌ » و « مَنزَعًا » على التَّمْيِيزِ .

١٠٦

وقال شبيب بن عوانة (٥) :

١ - قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أُمْسٍ قَضِيَّةً فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إِلَّا تَنَاثِيَةً

(١) م : « ولم يؤدب » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « الكَرِيمُ الجَرِي » .

(٣) هو الأَعْشَى . ديوانه ١١٤ .

(٤) لامرئ القيس . وصدرة :

* له أَيْطَلَا ظَلْبِي وَسَاقَا نَمَامَةَ *

(٥) التَّبْرِيْزِيُّ : « قال أبو هلال : ورواه بعض علماء البصرة للكرويس الطائي ، وهو الكرويس بن زيد بن الأَخْزَمِ بن مصاد بن معقل بن مالك بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة - وفطرة هو جديلة - . وخاصم ابن عم له إلى مروان بن الحكم ، فحبسه مروان .

يقولُ : قَضَى بَيْنَنَا هَذَا الرَّجُلَ بِحُكُومَةٍ تَسَخَطْنَاهَا ، وَلَمْ نَرْضَ بِهَا ، إِذْ لَمْ يُقْصِدْ بِهَا صَلاَحَ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَلَا تَلْفَافِي جَمْعِ الشَّمْلِ ، فَازْدَدْنَا بِهَا تَبَايُنًا عَنِ الْإِصْلَاحِ وَالْمِرَاجِعَةِ وَاخْتِلَافًا وَتَنَائِيًا عَنِ الْإِلْتِمَامِ وَالْمُوَافَقَةِ وَتَبَاعُدًا . وَقَوْلُهُ « أَمْسٍ » تَقْرِيبُ لُزْمَانِ فِعْلِهِ ، وَلَمْ يُرِدِ الْيَوْمَ الَّذِي وَلِيَ يَوْمَهُ . وَهَذَا كَمَا تَقُولُ : فَلَانُ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا وَأَمْسٍ مَعْرِفَةٌ ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ .

٢ - فلو كنتُ في الأرضِ الفضاءِ لَعَقْتُهَا وَلَكِنْ أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِيَا^(١)

يقول : لو كنتُ بالبدوِ لرددتُ حكومته وأبدتُ كراحتي لها ، ولكني كنتُ أسيرًا إذ كنتُ في الحضْرِ حاصلًا في داره ، وداخلاً تحت ملكته . ومعنى « أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِيَا » أى حالتُ مسالِحُه ومراصِدُه بيني وبين مرادى . ووراء بمعنى قُدَّامَ هنا ، ومثله في القرآن : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ .

١٠٧

وقال جميل^(٢) :

١ - فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دِمِّي وَهُمْوَا بَقَتْلِي يَا مُبْتِنَ لِقُونِي

فِيكَ أَى فِي مَعْنَاكَ وَبَسْبِيكَ . وَقَوْلُهُ « قَدْ نَذَرُوا » مِنْ صِفَةِ رِجَالًا ، وَلِقُونِي خَبَرَ لَيْتَ . وَالْمَعْنَى تَمَنَّيْتُ أَنْ رِجَالًا فَعَلُوا فِي مَعْنَاكَ مَا فَعَلُوا مِنَ الْهَمِّ بِقَتْلِي ، وَعَقْدِ النَّذْرِ فِي سَفْكَ دِمِّي ، التَّقْوَا مَعِي ، مَاذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِيهَامٌ أَنَّهُمْ لَا يَجْسُرُونَ عَلَى التَّعَرُّضِ لَهُ ، وَفِيهِ اسْتِهَانَةٌ بِأَقْوَالِهِمْ

(١) م والنبريزى : « بالأرض الفضاء » .

(٢) فى الأصل : « وقال آخر » وأثبت ما فى م . وعند النبريزى : « وقال جميل

بن عبد الله بن محر العذرى » . وقد سبقترجمة جميل فى الحماسية ١٠٢ .

ومكايدهم ، وإن كانوا قد بذلوا من القول ما بذلوا ، وأضمرُوا فيه ما أضمرُوا .
وقد فسَّرَ تَمَّيَّهِمْ له ، ونُكَّوَصَهُم عن الإقدام عليه في البيت الثاني .

٢ - إذا ما رأوني طالعًا من ننتية يقولون من هذا وقد عرفوني

يقول : إذا ما أبصروني ^(١) مُقْبِلًا عن عَقْبَةٍ ، طالعًا عليهم من طريق
إليهم مُفْضِيَّةً ، يتساءلون فيما بينهم بقولهم : مَنْ هذا ، وإن كانوا عارفين بي .
أى يتجاهلونني جُبْنًا وإحجامًا .

٣ - يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحبًا ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

نَبَّهَ بهذا الكلام على تَمَلُّقِهِم وإظهارِهِم بالتَّفَاق ما لا يوافقُ باطنَهُم ،
عَجْزًا وِضْعَفَ كَيْدٍ . والمعنى يستقبلونني بالتأهيل ويتلقونني بالترحيب عند
الالتقاء ، ولو أعطوا الظفر لَأَتَوْا عَلَيَّ وما أَبَقَوْا .

٤ - فكيف ولا تُوفِّي دِمَاؤُهُمْ دِيَّ ولا ما لَهُمْ ذُو كَثْرَةٍ فَيَدُونِي ^(٢)

يقال : أَوْفَيْتُهُ وَوَفَيْتُهُ له بكذا وأَوْفَيْتُ ، وفي هذا بيانُ عُدْرِهِم في
تَرْكِ الوَفَاءِ بالنَّذْرِ ، وتعجُّبٌ من أفعالِهِم عند اختلاف أحوالِهِم . فيقول :
كيف يُقَدِّمون عليّ وليس في دِمَائِهِمْ كلِّهِم وفاءٌ بديّ ، ولا في مالِهِم اتِّسَاعٌ ،
فإذا عَجَزَت دِمَاؤُهُم عن دِيّ فكيف يُعْطُونَ دِيَّتِي .

ويقال وَدَيْتُهُ أُدِيه دِيَّةً وَوَدِيَا .

(١) في النسختين : « أبصروا بي » .

(٢) التبريزي واللسان (نده) : « دو ندهة » . والندهة ، بفتح النون وضمةا :

كثرة المال .

١٠٨

وقال يحيى بن منصور (١) :

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِلْدَةِ سِوَى بْنِ قَيْسِ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْفِزْرِ

سِوَى فِي مَوْضِعٍ جَرَّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْبِدَةِ . وَالْمَعْنَى وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ بِلْدَةِ
مَتَوَسِّطَةً لِدِيَارِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَسَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ . وَالْمَعْنَى حَلَّ بَيْنَ مُضَرَ
وَنَائِي عَنِ رِبِيعَةَ ، لِأَنَّ قَيْسًا وَالْفِزْرَ مِنْ مُضَرَ . وَالْفِزْرُ : لَقَبٌ لِسَعْدِ بْنِ زَيْدِ
مَنَاةَ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : سِوَى وَسَوَاءٌ فِي مَعْنَى الْعَدْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ﴾ (٢) ، أَي مَكَانًا عَدْلًا .

٢ - فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَذْنَا فَحَالَفْنَا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

٣ - فَمَا أَسْمَتْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَعْنُ أُغْضِينَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرٍ

يَقُولُ : لَمَّا خَذَلْتَنَا عَشِيرَتُنَا - وَهِيَ رِبِيعَةُ - فِيمَا نَابَتْنَا ، وَتَبَاعَدَتْ بِنُصْرَتِهَا
وَمَعُونَتِهَا عَنَّا ، وَتَرَخَّصَتْ فِي الْقُعُودِ عَنْ مُسَاعَدَتِنَا ، اِكْتَفَيْنَا بِأَنْفُسِنَا فَأَقَمْنَا بَدَارَ
الْحِفَازِ وَالصَّبْرِ ، وَأَنْخَذْنَا سِوْفًا حُلَفَاءَ عَلَى الدَّهْرِ ، فَمَا خَذَلْتَنَا فِي يَوْمِ حَرْبٍ
وَعِنْدَ مُدَاقَعَةٍ وَجَهْدٍ ، وَلَا نَحْنُ عَمَّضْنَا (٣) جُفُونَنَا عَلَى وَتَرٍ وَحَقْدٍ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا
وَسِوْفَانَا تَوَاقِفِينَا فِيمَا عَلَيْهِ تَعَاقَدْنَا ، وَتَوَازَرْنَا فِيمَا لَهُ تَحَالَفْنَا (٤) ، فَابْتَلَيْنَا نَحْنُ أَقْصَى

(١) البربري : « وقال يحيى بن منصور الحنفي . قال أبو ريش : هذا غلط من أبي تمام .

يحيى بن منصور هر ذهل ، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي » .

(٢) كذا بكسر السين في النسختين . وهي إحدى القراءات ، وقرئ « سوى » بضم

السين في أخرى . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٥٣) .

(٣) م : « أغضينا » .

(٤) في الأصل : « وتوازننا له له تحالفنا » ، صوابه في م .

المبالغ في طلب الأوتار ، و انتهت هي إلى أبعد النهايات في المعاونة والإحلاب .
وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعدد دم وعُدَّتْهم ، وبلائهم وصبرهم
واستغنائهم عن القاعدين عن التحمل معهم والذَّبَّ عنهم من عشييرتهم . وقوله :
« أَنْخَنَا » كِنْيَاةٌ عَنِ الْإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا
إِلَى الْمَرَادِ .

١٠٩

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

١- رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجَّرُ بِالرَّمَاحِ^(٢)

جعل القرشي جنساً لا عينا . والمعنى : رأيت فضيلة القرشيين حين
قسَّمْتهم إلى غيرهم عند اشتجار الخيل بالرماح ، وانتظامها بها للطعن الختلف
بينهم ، المتردد فيهم . وجواب لَمَّا مُقَدَّمٌ ، وهو « رَأَيْتُ » في صدر البيت .
يريد : عند هذا الأمر بان فضلهم على الناس ، وقوله « تُشَجَّرُ » كلُّ شَيْءٍ
دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فَقَدْ تَشَاجَرَ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمِشْجَبُ مِشْجَرًا ، وَتَشَاجَرَ
الْقَوْمُ بِالرَّمَاحِ : تَطَاعَنُوا .

٢- وَرَنَقَتِ الْمَنِيَّةُ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةَ الْجَنَاحِ

(١) هو عبد الله بن سلم السهمي الهذلي ، شاعر إسلامي ، من شعراء الدولة الأموية ،
كان متعصباً لبي مروان مواليا لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة ، وروى
أبو الفرج خيراً كثيراً له مع عبد الله بن الزبير إذا حبسه في سجن عارم ، بعد مقابلة أدبية
بينهما ، ثم أطلق سراحه . الأغاني (٢١ : ٩٤) والخزانة (١ : ٥٥٥) .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن هذه المقطوعة لم ترد في أشعار الهذليين أو دواوينهم .
وذكر التبريزي رواية أخرى أيضاً ، وهي « فضيلة » بهيئة التصغير ، جعله علما ، وقال :
« رأيت فضيلة ، أي ضربت رثته . ويجوز أن يكون من رؤية العين ، أي رأيت في مشجر
الرماح ، وكان شهد هذا الشاعر وفضيلة الحرب ، فعاد ولم يعد فضيلة ، فسئل عنه فجمع
في الجواب » .

انعطفَ « رَنَقَتْ » على الفِعْلِ الذِي تَنَاولَهُ لَمَّا . فيقول : ولما استدارت .
 المنيَّةُ وحَلَقَتْ على رموس الأبطال ، فهي ظِلُّ دانيةِ الجَنَاحِ من قِعمِ رموسهم .
 وهذا مثلٌ . والمعنى : لَمَّا أشرَفَتِ المنيَّةُ عليهم إشرافَ الطائرِ على ما يريد
 انكداره عليه ، بانَتْ فضيلتُهُم . ويقالُ : رَنَقَ الطائرُ في الهواءِ ، إِذَا حَلَقَ .
 واستدار ، وجعل للمنيَّةِ ظِلًّا تحميها^(١) للاستعمارةِ من الطائرِ ، لأنه يُوقِعُ ظِلَّهُ
 في تلكِ الحالةِ . وجعل الجَنَاحِ دانيةً نأ كيداً لطمع الموتِ في الفوزِ بالأرواحِ
 الاختلاس . وكذا الطائرُ في التحليقِ عند الانقضاءِ . وارتفع « دانيةُ
 الجَنَاحِ » و « ظِلُّ » جميعاً على أن يكونان خبرين لقوله هي ، كما تقول : هذا
 حُلُوٌّ حامِضٌ . ويجوز أن يكون دانيةً صفةً للظلِّ ، وأنتها على المعنى . ويجوز
 أن يُروى « دانيةً » بالنصبِ على أن يكونَ حالاً .

١١٠

وقال بعضُ بني عبسِ :

١ - أرقُّ لأرحامِ أراها قريبةً حارِ بن كعبٍ لا جرمٍ وراسبٍ

يقولُ : يرقُّ قلبي بما تمكَّك^(٢) من الرحمةِ ، فانعطفَ^(٣) من أجلِ أو اصبرَ
 أراها قريبةً مشتبكةً بيننا ، من جهةِ الحارثِ بن كعبٍ ، لا من جهةِ جرمٍ
 وراسبٍ . والحارثُ بن كعبٍ في نزارٍ ، وجرمٌ وراسبٌ من قضاةٍ ، وهم من
 اليمنِ ، وكان الحارثُ بن كعبٍ انتقلت إلى اليمنِ ، ولم تكن منهم ، فهذا قال ما قال .

(١) في الأصل : « تخفيها » ، صوابه في م

(٢) م : « بما يملكه » .

(٣) م : « فانعطف » .

وقيل : عَيْسُ وَضَبَّةُ والحارثُ بن كَعْبٍ إِخْوَةٌ لِأُمِّ . [ورخم الحارث في غير النداء وذلك في الشعر جائز^(١)] .

٢- وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ وَأَنْفَقْنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ^(٢)

ذَكَرَ الْمَشَابِهَ الْحَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ تَأْكِيداً لِلْقُرْبَى وَالْقَرَابَةِ ، الْمَوْجِبَةَ لِمَا ذَكَرَ مِنَ الرَّقَّةِ وَالشَّقَقَةِ ، عَلَى مَا حَدَّثَ فِيهِمْ مِنْ وَقُوعِ الْفُرْقَةِ ، وَسُقُوطِ التَّجَاوُرِ وَالْخِلَاطَةِ . فيقول : أَرِقُّ لِلرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ ، وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَهُمْ فِي النَّعَالِ كَأَقْدَامِنَا^(٣) ، وَأَنْفَقَهُمْ بَيْنَ لِحَامِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ كَأَنْفَقْنَا . وقال بين اللّحى ولم يقل لِحَامِهِمْ ، لَأَنَّهُ بِإِضَافَةِ الْأَقْدَامِ وَالنَّعَالِ اكْتَفَى . وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لِأَنَّهَا تَظْهَرُ لِلْعُيُونِ ، وَالْمَشَابِهَ تَعَلَّقُ بِهَا أَكْثَرَ .

٣- وَأَخْلَقْنَا إِعْطَاءَنَا وَإِبَاءَنَا إِذَا مَا أَبِينَا لَا نَدِرُّ لِعَاصِبِ

جَعَلَ الشَّبَهَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي الْخِلَاقِ وَهَاهُنَا فِي الْخُلُقِ ، تَأْكِيداً لِلأَمْرِ . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ وَأَخْلَقْنَا أَخْلَاقَهُمْ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى قَوْلِهِ أَقْدَامَنَا يَدُلُّ وَيُبْنَى - لِمَا يُفِيدُهُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ - مَا يُعْنَى فِي قَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرُو ، وَإِنْ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو . فَكَانَتْهُ قَالَ : وَأَنَا نَرَى أَخْلَاقَنَا كَأَخْلَاقِهِمْ ، إِذَا أُعْطِينَا أَوْ أَبِينَا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى تَشَدُّدِهِمْ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ فَقَالَ : وَإِذَا أَبِينَا لَا نَنْسَهَلُ .

(١) التكملة في م . ونحوها في التبريزي . وقال ابن جني : « رخم حارثا في غير النداء كقوله :

* وأضحت منك شاسعة أماما *

وغیره . وسبب جواز ذلك عندي في الضرورة كثرة ما تنادى هذه الأسماء ، فإذا نوديت رخت كثيراً ، فلما ألف فيها ذلك وكان فيه أيضاً ضرب من التخفيف جنحوا إليه عند الضرورة .

(٢) م : « فلإنا نرى » .

(٣) في الأصل : « كأقدامهم منا » ، صوابه في م .

لمن يُريدُ قَهْرَنَا . وَأَصْلُ الْعَصَبِ الشَّدَّةُ ، وَمِنْهُ الْعِصَابَةُ . وَضَرَعُ الْحُلُوبَةِ إِذَا
اشْتَدَّ الزَّمَانُ بِهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا فَرَفَعَتِ اللَّبْنَ ، بَشُدًّا وَيُحْتَلَبُ وَإِنْ ضَجِرَتْ ،
لِمَسَاسِ الْحَاجَةِ ، وَاسْتِيلاءِ الْفَاقَةِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِثْلُ هَاهُنَا . وَمِثْلُ الْبَيْتِ
قَوْلِ الْآخِرِ (١) :

لَا يُخْرِجُ الْكِرْهُ مَنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَبْتَنِي لِيَنِي
يُرِيدُ : إِنْ الْإِكْرَاهُ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا امْتِنَاعًا ، وَالْإِفْتِسَارَ لَا يُحْصَلُ مِنَّا إِلَّا إِهَابًا .
وَيُشَبَّهُ مِنْ حَيْثُ النَّظْمُ قَوْلُهُ : « إِذَا مَا أَبَيْتُنَا لَا نَدْرُ لِعَاصِبٍ » الْإِلْتِفَاتِ . أَلَا تَرَى
أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَطْرُقُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَصَارَ كَأَنَّهُ التَّفَتُّ فَقَالَ ذَلِكَ .

١١١

وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ حَمِيرٍ (٢) :

١ - مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ إِذَا التَّفَّ صِيْقَهُ بِدِمَةٍ
ذُكِرَ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَعَبْدِ مَأَةَ وَكَلْبٍ ، وَكَانَتْ عَلَى
حَمِيرٍ ، وَقُتِلَ فِيهَا عَلْقَمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ . وَقَوْلُهُ « مَنْ رَأَى » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ
التَّنْفِطِيعُ وَالتَّنْعِظِيمُ . وَأَرَادَ بِالْيَوْمِ الْوَقْعَةَ ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا صَلَحَ أَنْ يَكُونَ إِذَا ظَرَ فَا لَهُ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمٌ مِثْلُ يَوْمِ عَسِيرٍ ﴾ . أَلَا تَرَى

(١) هُوَ ذُو الْإِصْحَعِ الْمِدَوَانِي . الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ١٦١) .

(٢) ذَكَرَ التَّبْرِيْزِيُّ عَنِ أَبِي رِيَّاشٍ خَبَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهُوَ خَبَرٌ طَوِيلٌ آثَرْنَا الْإِشَارَةَ
إِلَيْهِ . وَمُلَخَّصُهُ أَنَّ الْحَرْبَ وَقَعَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَصَحَارٍ ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ صَحَارٌ ، وَقَتَلُوا مَلَكًا مِنْ
مُلُوكِهِمْ يَدْعَى « ذَا ثَاتٍ » ، فَجَمَعَتْ حَمِيرٌ لَصَحَارٍ ، فَارْتَحَلَتْ صَحَارٌ مِنَ الْبَيْدَاءِ فَلَحَقَتْ بِيَلَادِ مَعَدٍ
فَفَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى كَلْبٍ تَطْلُبُهُمْ بِدَمِ الْمَلِكِ - وَكَلْبٌ إِخْوَةُ صَحَارٍ - فَاسْتَنْجَدَتْ كَلْبٌ بِتَيْمِ الرِّيَّابِ
فَأَنْجَدَتْهُمْ عَلَى حَمِيرٍ ، ثُمَّ ظَهَرَ بَنُو تَيْمٍ مِنَ الْبَيْدَاءِ فَلَحَقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَوْا بِيَوْمِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَمِيرٍ ،
ثُمَّ صَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى التَّيْمِ وَعَدَى وَعَكَلَ بَنُو وَبَرَةَ ، فَظَهَرَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ وَكَلْبٌ عَلَى حَمِيرٍ وَقَتَلَتْ
التَّيْمِ عَلْقَمَةَ بْنَ ذِي يَزَنَ ، فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ حَمِيرٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ .

أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ مَعْنَى فِعْلٍ ، فَصَارَ يَوْمُهُ ظَرْفًا لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَذَلِكَ النَّقْرُ يَوْمُهُ نَقْرُ يَوْمِ عَسِيرٍ . فَيَقُولُ : مَنْ شَاهَدَ يَوْمَنَا مَعَ بَنِي التَّيْمِ حِينَ التَّمَفِّ غُبَارُ الْجَوِّ بِالدَّمِّ ، وَتَنَدَّى بِهِ وَابْتَلَّ ، حَتَّى قَلَّ . وَالصِّيقُ : الْغُبَارُ الْجَائِلُ فِي الْجَوِّ . وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَوْمِ لِكَوْنِهِ فِيهِ ، وَالتَّنَافُهِ كَانَ بَرَشَاشِ الدَّمِّ الْقَاطِرِ مِنَ الْجِرَاحِ . وَيُقَالُ صَيْقَةً أَيْضًا : قَالَ [رَوِيهِ ^(١)] :

* يَتَرُكُنْ تَرُبَّ الْأَرْضِ مَجْنُونِ الصِّيقِ *

وَصَيْقٌ : جَمْعُ صَيْقَةٍ .

٢ - لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشْبُ شَدُّوا حِيَازِيَهُمْ عَلَى أَلَمِهِ

قَوْلُهُ أَشْبُ أَي كَثِيرُ الْجَلْبَةِ ، صَيْقُ الْإِخْتِلَاطِ ، وَالْمَكَانُ الْأَشْبُ فِيهِ شَجَرٌ مُلْتَفٌّ . وَجَوَابُ لَمَّا «شَدُّوا» . يَقُولُ : لَمَّا أَحَسَّ بَنُو التَّيْمِ بِنِظَاعَةِ الْأَمْرِ وَإِخْتِلَاطِ الشَّانِ ، وَتَضَائِقِ الْجَمَالِ وَالْمَكْرِ ، وَطَنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَلَمِ ، وَشَدُّوا حِيَازِيَهُمْ لِلجَهْدِ ، وَهَيَّئُوا لِلصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتَلَوْا بِهِ وَشَقُّوا لَهُ . وَالْحِيَازِيَةُ : الصَّدْرُ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْحِزْمِ وَالْعِزْمِ ، لِأَشْتِمَالِهِ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُمَا . وَيُسَمَّى حِيَازِيَةً أَيْضًا ، كَأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُشَدُّ بِالْحِزَامِ . وَالْحِزَامُ مِنَ الْحِزْمِ أَيْضًا . وَشَدُّ الْحِيَازِيَةِ مَثَلٌ لِلصَّبْرِ عَلَى مَا لَحِقَهُمْ . وَرَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حِيَازِيَتِكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَكُفُّ ^(٢)

يُرِيدُ : أَشَدُّ حِيَازِيَتِكَ .

٣ - كَأَنَّمَا الْأَسَدُ فِي عَرِيَّتِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قِمَمِهِ

(١) التُّكْلَةُ مِنْ مٍ وَالتَّبْرِيْزِيُّ وَانظُرْ دِيْوَانَ رُوْبِيَّةِ ١٠٦ .
(٢) يَرُوْى أَيْضًا : « أَشَدُّ حِيَازِيَتِكَ لِلْمَوْتِ » ، وَهُوَ أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْحِزْمِ . انظُرْ الْعَمْدَةَ (١ : ٩٢) وَالْأَغَانِي (١٤ : ٣٣) .

يقول : إن هؤلاء القوم يتمنعون على الأعداء ، ويبطشون بهم ، تمنع الأسد في أجمتها وبطشها منها ، ونحن كالليل ، يريد نحن في كثرتنا وهواننا وإحاطتنا بهم ، وإدراكنا إياهم كالليل إذا جاش ظمته ، وتراكم سواده . والقتام والقتم والقتمة ، يحىء في الظامة والغبار والريج ، وجاء الفعل منه فقيل قتم يقتم قتما وقتاما . وذكر بعضهم أنه أراد بالقتم القتام فحذف الالف ، كما قال غيره ورواه قطرب :

ألا لا بآرك الله في سهيل إذا ما الله بآرك في الرجال
ومصدر ما كان على فعل الفعل في الأكثر ، فلا أدري لم أنكره حتى
اعتذر بما ذكره . والعرين : الأجمة ، أجمة الأسد ، ثم يسمى مقتتل القوم عرينا .
ويقال للرجل : هو عرنة لا يطاق ، إذا كان خبيثا . وقوله « عرينهم » موضعه
موضع الحال ، والأسد خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال كأنما هم الأسد في
مقتتلهم ، ونحن كالليل في هواننا وإدراكنا ، ويكون قوله جاش في قتمه ،
في موضع الحال أيضا ، والأجود أن يكون قد معه مضمرة ، أي كالليل
وقد جاش .

ع - لا يسلمون الغداة جارهم حتى يزل الشرك عن قدمه
مدحهم بحسن الحمامة على الجار . وترك الإسلام له مدة بقائه فيهم .
وقوله « الغداة » أشار بها إلى غداة اللقاء ، أو صباح الغوار . وقوله « حتى
يزل الشرك عن قدمه » فيه قلب ، والأصل زلت القدم عن الشرك .
وهذا مثل لموته ، لأنه لا يلبسها بعده . واحتمل الكلام القلب لأن المعنى
لا ينجيل^(١) كما لا ينجيل في قولهم : أدخلت الخف في رجلي ، والعلسوة في

(١) لا ينجيل : لا يشبه ولا يلتبس . وفي اللسان : « وأحال الشيء : أشبهه . يقال :
هذا الأمر لا ينجيل على أحد ، أي لا يشكل » وفي الأصل : « لا ينجيل كما لا ينجيل » ،
صوابه في م .

رأسى . وهذا كما يُقال هُرَيْقٌ جِفَانُهُ ، وَصَفِرَ وَطَابُهُ ، وَطَوَى حَصِيرُهُ ،
 وَخَلَّى مَكَانَهُ . والمعنى لا يُسَلِمُونَ الجَارَ إِلَى أن يموتَ فيهم . ويجوز أن يكون
 الهاء من قَدَمِهِ راجعاً إلى الشَّرَاكِ ويكونُ الكلامُ مَثَلًا لتفطيع الأمرِ ، وهذا
 كما يقالُ : « زال السَّرْجُ عن المَعْدِ »^(١) و « بَلَغَ الحِرَامُ الطُّبْيَيْنِ » وما
 أشبههُمَا . والمعنى إلى أن يَزَلِقَ الرَّجُلُ عن مَقَرِّهِ فلا يثبتُ في النعلِ ، والمعنى
 إلى أن يَبْلُغَ الأمرُ كلَّ مَبْلَغٍ فَطِيعَ .

٥ - ولا يَخِيمُ اللِّقَاءُ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصَّفُوفَ من كَرَمِهِ

يقول : ولا يَجِبُنْ عن اللِّقَاءِ فَارِسُهُمْ فَيُخْجِمَ ، ولا يَضَعُ دُونَهُ فَيَحَارَ ،
 بل يُقَدِّمُ إِقْدَامًا تُخْرَقُ^(٢) الصَّفُوفُ به عِزَّةَ نَفْسٍ ، وَكَرَمَ عِرْقٍ . واللِّقَاءُ
 ينتصبُ على المفعول ، الأصلُ عن اللِّقَاءِ ، فلَمَّا حَذَفَ حَرْفَ الجِرِّ تَخْفِيفًا وَصَلَ
 الفِعْلُ فَعَمِلَ . ويجوز أن يكونَ ظَرْفًا كَمَطْعِ الشَّمْسِ ، أَرَادَ وقتَ اللِّقَاءِ .
 وقوله « حَتَّى يَشُقَّ الصَّفُوفَ » يريدُ إلى أن يَشَقَّهَا كَرَمًا مِنْهُ ، كَأَنَّهُ لا يَرْضَى
 بِأَدْوَنِ المَنْزِلَتَيْنِ في اللِّقَاءِ لِنَفْسِهِ ، بل يَأْتِي إِلاَّ النِّهَايَةَ وَالغُلُوتَ . ويُقالُ خَامَ
 الرَّجُلُ يَخِيمُ ، إِذَا كَادَ كَيْدًا فَلَمْ يُفْلِحْ فِيهِ ، أو تَقَدَّمَ في الحَرْبِ فَانْكَصَ
 ولم يَظْفَرْ . قال الشاعر ، وَأَنشَدَهُ الخليل :

رَمَوْنِي عن قِسِي الزُّورِ حَتَّى أَخَامَهُمُ الإِلَهَ بِهَا فَخَامُوا^(٣)

ويجوز أن يكون قولهم خِيمَ خَيْمًا بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ، وَالخَيْمَةُ وَاحِدَةُ الخِيَامِ ،
 مِنْهُ أُخْدًا .

٦ - وما بَرِحَ التَّيْمُ يَغْتَزُونَ وَزُرُ قِ الخَطِّ تَشْنِي السَّقِيمِ مِنْ سَقَمِهِ^(٤)

(١) المَعْدُ : واحد المَعْدِينِ ، وَهِيَ مَوْضِعٌ دَقِيَ السَّرْجِ .

(٢) م : « يَخْرَقُ » . (٣) أَنشَدَهُ في اللِّسَانِ (خَيْم) .

(٤) كَذَا جَاءَ البَيْتُ في الأَصْلِ بِالخِزْمِ ، أَي بزيادةِ حَرْفٍ في أولِهِ . وَفي م وَالتَّبْرِيزِيِّ :

مَا بَرِحَ وَمَا زَالَ بِمَعْنَى ، وليس هذا من البراح من المكان . ألا ترى
 أن الله قال : ﴿ لا أبرحُ حتى أبلغَ مجمعَ البحرينِ ﴾ ، ومحال أن يبلغَ هذا
 الموضع ، وهو لم يبرح من مكانه . وكانَ الكَلِمَةُ في اللغة تدلُّ على معنى
 المجاوزة ، ولذلك قيل :

* أُبْرِحْتَ رَبًّا وَأُبْرِحْتَ جَارًا ^(١) *

أى جاوزت ما يكون عليه أمثالك من الخلال المرصية . والمعنى : ما زال
 بنو التيم ينسبون ويدعون بيالفلان معتزين ، أو يخذ الطعنة وأنا فلان
 مدعين ، والرماح المحمولة من الخط الزرق في ألوانها تشفى المتكبر من كبره ،
 والعدو المختل من دأبه . وقوله « السقيم » يجوز أن يكون كناية عن المنافق
 المداحي ، كما قال الله تعالى لما وصفهم : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ . ويجوز أن
 يكون يراد به الصلف التباه ، كما يقال عند صفته : في طرفه شوس ، وكما
 جاء في صفة الشيوف :

* يُدَاوَى بِهَا الصَّادُ الَّذِي فِي النَّوَاطِرِ ^(٢) *

ويجوز أن يكون المعنى : والرماح في اختلافها تشفى المتوربين من أوتارهم
 وذخولهم . وجعل الفعل للرماح على الجاز والسعة . وقوله « وزرق الخط »
 الواو واو الخلال . ويعتزون خبر ما برح .

٧ - حَتَّى تَوَلَّتْ مُجُوعٌ حَمِيرٌ فَأَلْفُ سَرِيحٍ يَهْوِي إِلَى أَمِيَّةٍ ^(٣)

يريد : ما زالوا بهذه الحالة إلى أن انهزمت جيوش حمير ، فصار المقول
 المنهزم مبادرًا في الشرعة إلى مقصده . وقوله الفل مصدر في الأصل وصِفَ في

(١) الأضفى في ديوانه ٣٧ . وهو بتمامه :

تقول ابنتي حين جد الرحيه * لى أبرحت ربا وأبرحت جارا

(٢) التبريزى : « والفل » .

(٣) سبق في ص ٢٤٤ .

وهو مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ المَفْعُولِ ، ولذلك جاز أن تقولَ رَجُلٌ فَلَئِنْ وَقَوْمٌ فَلَئِنْ وَنِسْوَةٌ فَلَئِنْ . ومِثْلُهُ رَجُلٌ فَرْتٌ ، إلا أنه موضعٌ مَوْضِعَ فَاٍ ، ويقع للواحد والجميع .

٨ - وَكَمْ تَرَكَنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَالٍ تَسْنِي عَلَيْهِ الرِّيَّاحُ فِي لِمِينِهِ مَوْضِعٌ كَمْ نَضَبُ عَلَى المَفْعُولِ مِنْ تَرَكَنَا . يقولُ : وكثيراً تركنا في تلك المعركة من الأبطال وهم مُصَرَّعُونَ مُعَفَّرُونَ في تلك المعركة ، بادُونَ للضياءِ والظلمةِ ، تأتي الرياحُ بسفاهها وتجعله في لِمِينِهِمُ والحائِمُ . وأشار بقوله هناك إلى مُعْتَرِكِ القَوْمِ ومُزْدَحِمِ الطَّعْنِ والضَّرْبِ .

١١٢

وقال حسان بن نشبة^(١) :

١ - وَنَحْنُ أَجْرُنَا الحَيَّ كَلْبًا وَقَدَأْتِ لَهَا حَمِيرٌ تُرْجِي الوَشِيحَ المَقْوَمَا^(٢)

يقول : أدخلنا في جوارنا هذه القبيلة ، وضمنا لها الذب عنها وسلامتها على ما يعرض لها ، وقد قصدت لها حميرٌ بعددها وعدتها ، تسوق نحوها التليل المطهمة ، والرماح المذقفة . والوشيح أصله عروق ، ثم جعل للرماح أنفسها . وجعلها مثقفة ، ليرى عنايتهم بإعداد الآلة لزمان المقاتلة .

٢ - تَرَكَنَا لِمَ شَقَّ الشَّمَالِ فَأَصْبَحُوا جَمِيمًا يُرْجُونَ المَطِيَّ المَخْزَمًا

(١) التبريزي : « وقال حسان بن نشبة العنودي في ذلك - أي في الحرب التي سبق الكلام عليها - أخو بني عدي بن عبد مناة بن أد . قال أبو محمد الأعرابي : هذا الاسم مصحف ، والصواب جساس بن نشبة ، مثل عساس . قال جرير يهجو جندب بن خرعب التيمي :

أجندب أشبهت التي كان بظرها كطرثوث أرض غير ذات أناس
لقد شهدت تبم على أم جندب وكان سراة التيم رهط جساس
يعنى جساس بن نشبة التيمي » .

(٢) م والتبريزي : « نحن أجرنا » بالخدم في أوله .

لَهُمْ يَمْنَى لِحَمِيرٍ . وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الشَّمَالَ كِفَايَةً عَنِ الشُّؤْمِ . فَمِنْ أَمْثَالِهِمْ :
* صَبَّخْنَاهُمْ فَعَدَوْا شَأْمَةً *

ويقولون : خَلَيْنَاهُمْ وَالْجَانِبَ الْأَشْأَمَ ، وَخَلَيْنَاهُمْ وَالنَّاحِيَةَ الشُّؤْمَى ، فَكَانَهُمْ
يَقُولُونَ ذَلِكَ لِلْمَنْهَزِمِ وَإِنْ كَانَ مَأْخُذُهُ فِي الشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، لِأَنَّ الشُّؤْمَ مَعَهُ
وَالْإِدْبَارَ ، أَيْ طَرِيقَ أَخْذٍ ، وَمَسَلَّكَ تَوَجُّهٍ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ مَنِي
بِالْيَمِينِ ، وَفُلَانٌ بِالشَّمَالِ ، وَفُلَانٌ بَعْلِيَاءَ عِنْدِي ، وَفُلَانٌ فِي الْهَابِطِ ؛ إِذَا جَعَلْتَ
مَنْزِلَتَهُ عَلِيَّةً أَوْ مُتَسَفِّلَةً . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : خَلَيْنَاهُمْ فِي الْإِنْهَزَامِ شِقَّ الشُّؤْمِ
وَجَانِبَهُ ، فَأَصْبَحُوا يُرْجُونَ مَطَايِمَ مُحْزَمَةَ حَسْرَى كَالَّةَ^(١) لَا يُبْقَى عَلَى
وَجَاهَا ، وَلَا يُتَقَى حَفَاها وَالْحَزْمُ : الشَّدُّ وَالْقَطْعُ . وَيُقَالُ شِرَاكٌ مُحْزُومٌ ،
أَي مَقْطُوعٌ .

٣ - فَلَمَّا دَنَا دَنَا صَلْنَا فَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ سَحَابُنَا تَنْدَى أَسْرَتَهُمْ دَمًا^(٢)

يقول ، لَمَّا قَرُبُوا فِي الْإِتْقَاءِ ، صَلْنَا عَلَيْهِمْ وَبَطَشْنَا بِهِمْ ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ
جَيْشِنَا الَّذِي كَانَهُ سَحَابَةٌ تَنْدَى طَرَائِقُهَا دَمًا . جَعَلَ السَّحَابَةَ تَرَشُّحًا بِالْدَمِ لَمَّا
كَثُرَ سَفْكُهُمْ لَهُ . وَتَنْدَى فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَاتَّصَبَ دَمًا عَلَى التَّمْيِيزِ .
وَيُقَالُ : نَدَى بِنَدَى نَدَى . وَالْأَسْرَةُ : الْأَوْسَاطُ وَالطَّرَائِقُ ، وَاحِدُهَا
سِرْرٌ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ أَيْضًا .

٤ - فَنَادَرْنَ قَيْلًا مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرٍ كَأَنَّ بِحَدِيثِهِ مِنَ الدَّمِ عِنْدَمَا

بِقَوْلٍ : تَرَكْتَ الْخَيْلُ فِي تَجْوَالِهَا مِنْهُمْ رَيْسًا مَصْرُوعًا ، قَدْ سَالَ الدَّمُ
عَلَى حَدِيثِهِ فَكَانَتْهُمَا خَضْبًا بِالْعَنْدَمِ ، وَهُوَ دَمُ الْأَخْوَيْنِ . وَالْمَقُولُ بَلْغَةُ أَهْلِ
الْيَمَنِ : الْقَيْلُ ، وَالْمَقَاوِلُ وَالْمَقَاوِلَةُ جَمْعُهُ ، وَهُمْ الْأَقْوَالُ وَالْأَقْبَالُ . وَقَيْلٌ مُخَفَّفٌ

(١) كَذَا فِي م ، وَفِي الْأَصْلِ : « فَالَةٌ » .

(٢) م وَالتَّبْرِيْزِيُّ : « تَنْدَى أَسْرَتَهَا » .

من قَيْلٍ ، فهو من الواو أيضا ، ومعناه هو الذي يَفْذُ قَوْلُهُ ، وَيُقْتَمِدُ أَمْرُهُ
وَنَهْيُهُ . وَوُصِفَ بِهِ الْمَلِكُ كَمَا وَصِفَ بِالْهَمَامِ ، لَمَّا كَانَ إِذَا هَمَّ بِالشَّيْءِ فَفَعَلَ ،
لَا يَرُدُّ وَلَا يُدْفَعُ . وَقِيلَ لِلْسَانَ مَقُولٌ لَمَّا كَانَ آلَةً فِي الْقَوْلِ .

٥- أَمْرٌ عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطَاعِمَنَا يَمْجِجُنَ صَابَا وَعَلَقْمَا

يقول: صارت مَطَاعِمَنَا مُرَّةً عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ ذَاقَهَا ، حَتَّى إِنهَا تَمْجُ بَعْدَ
ذَوَاقِهَا صَابَا وَعَلَقْمَا ، وَالصَّابُ : شَجَرَةٌ لَهَا لَبَنٌ إِذَا أَصَابَ الْعَيْنَ حَلَبَهَا . وَالْعَلَقْمُ :
شَجَرَةٌ مُرَّةٌ ، وَقِيلَ هُوَ الْحَنْظَلُ . حُكِيَ أَنَّ الْعَلَقْمَةَ الْمُرَّةَ . وَيُقَالُ عَلَقْمَ الْحَنْظَلُ .
إِذَا أَدْرَكَ مَرَارَتَهُ . وَقَوْلُهُ : « يَمْجِجُنَ » حَالٌ لِلْأَفْوَاهِ ، وَالتَّقْدِيرُ أَمْرٌ مَطَاعِمَنَا
عَلَى أَفْوَاهِ الذَّائِقِينَ طَعْمَهَا ، مَا جَاءَ صَابَا وَعَلَقْمَا ، أَيْ إِذَا ذَاقَتْ رَمَتْ بِمَا هُوَ
كَهَذَيْنِ . وَالْمَعْنَى : إِذَا خَبِرْنَا حُصِلَ مَنَا عَلَى مَا هُوَ كَذَلِكَ . وَجَازَ فِي « طَعْمَهَا »
الإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ نَبِيَّةَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، لَمَّا كَانَ رُتْبَةُ
الْفَاعِلِ وَهُوَ مَطَاعِمَنَا التَّقْدِيمِ ، وَرُتْبَةُ الْمَفْعُولِ وَمَا يَجْرِي سَجْرَاهُ التَّأْخِيرِ ، وَهُوَ
عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهَا . وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

فَإِنْ تَغَمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أُنَامِلٍ مِنْ يَصُولِ

وَالطَّغْمُ : الذُّوقُ ، وَالْمَطَاعِمُ : جَمْعُ الْمَطْعَمِ . وَيُقَالُ هُوَ حَسَنُ الْمَطْعَمِ ، أَيْ
طَيِّبُ الطَّعَامِ .

١١٣

وقال في ذلك أيضا :

١- وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفِدْ حَيًّا سِوَاكُمْ فِدَاءِ لَتَيْمٍ يَوْمَ كَلْبٍ وَجَمِيرَا
يقول: أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرْبَابًا بِقَدْرِي ، وَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ أَجْعَلَهَا فِدَاءً لِعَمِيرِي ،

(١) هو عمرو بن مسعود . انظر الحماوية ٦١ .

أَفْدَى تَنْبَأَ بِهَا؛ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاءِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ كَلْبٍ وَحَمِيرٍ لِلْقِتَالِ .
وَجَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « إِنْ لَمْ أَفْدِ » قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى :
[إِنْ ^(١)] لَمْ أَفْدِ غَيْرَهُمْ تَرْفَعًا ، فَإِنِّي أَفْدِيهِمْ تَشَكُّرًا .

٢- أَبَوَا أَنْ يُبَدِّحُوا جَارَهُمْ لَعَدُوَّهُمْ وَقَدْ نَارَ تَفْعُ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُونُوا ^(٢)

أَبَوَا ، الْفِعْلُ لِبَنِي التَّمِيمِ . يَقُولُ : امْتَنَعُوا مِنْ أَنْ يُخَلُّوا بَيْنَ جِيرَانِهِمْ قَبِيلَةَ
كَلْبٍ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ حَمِيرٍ ، وَقَدْ ارْتَفَعَ غُبَارُ الْمَوْتِ حَتَّى التَّفَّ فِي الْجَوِّ . وَأَرَادَ
بِالْجَارِ وَالْعَدُوِّ الْكَثْرَةَ ، إِذْ كَانَ الْمُرَادُ مِهْمَا الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ التَّفْعُ إِلَى
الْمَوْتِ تَهْوِيلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَوْتِ الْحَرْبَ . وَتَكُونُ : تَفَوَّعَ مِنْ
الْكَثْرَةِ ، يُرِيدُ تَرَاكُمُ الْغُبَارِ وَالتَّفَافُهُ . وَهَذَا الَّذِي أُشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَكُونُ
مِنَ التَّرَاكُمِ ، جَمَلَهُ بَعْضُهُمْ كَالسَّحَابِ ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ حَتَّى
ظَهَرَ لَهُ الْكَوَاكِبُ ، وَحَتَّى صَارَ النَّهَارُ بِسَبَبِهِ كَاللَّيْلِ . وَتَجَاوَزَ الْمُتَنَبِّئِيُّ ^(٣) جَمِيعَ
ذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَ حَدًّا مِنَ الْإِفْرَاطِ مُسْتَنْشَعًا فَقَالَ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّعَنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمْكَنَا ^(٤)
وَإِذَا أَرَدْتُ بِالْمَوْتِ الْمُنْتَهَى يَكُونُ الْمُرَادُ : كَأَنَّ الْمَوْتَ أَثَارَ الرَّهْجِ فِي سَلْبِ
الْأَنْفُسِ حَتَّى كَشَفَ فِي الْهَوَاءِ . وَهَذَا مَثَلٌ .

٣- سَمَوْا نَحْوَ قَبِيلِ الْقَوْمِ يَبْتَدِرُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرَا

بِعَنَى بَنَى تَمِيمٌ . يَقُولُ : ارْتَفَعُوا نَحْوَ رَئِيسِ الْقَوْمِ مُسْتَبِقِينَ إِلَيْهِ بِأَسْيَافِهِمْ
فَتَنَاوَلُوهُ حَتَّى سَقَطَ . وَمَعْنَى تَقَطَّرَ : وَقَعَ عَلَى أَحَدٍ قَطْرَتُهُ . وَالْقَطْرَانِ : الْجَانِبَانِ .

(١) بِهَا يَلْتَمُ الْكَلَامُ ، وَارْتَفَعَتْ فِي إِحْدَى النُّسخَتَيْنِ .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « وَيُرْوَى : تَكُونُوا . مِنْ كَوْرِ الْعَامَةِ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ » .

(٣) كَذَا بِالْهَمْزِ فِي الْأَصْلِ ، وَبِالتَّسْهِيلِ فِي م .

(٤) رِوَايَةُ الْدِيوَانِ بِشَرْحِ الْعَكْبَرِيِّ : « عَلَيْهَا أَمْكَنَا » .

وفي الكلام اختصاراً، كأنه قال: ابتدروه بالأسياف وضرُّوه حتى سقط، فحذف ضرُّوه. وموضع يتدورنه نصبٌ على الحال، وتعلق حتى بالمحذوف الذي بينته.

٤- وكانوا كأنف اللئيم لاشم مرَّعماً ولا نال قط الصيد حتى تعفراً^(١)

الأسد أحمى الحيوان أنفاً، ويبلغ من عُجبه بنفسه أنه لا يتواضع لأكل صيِّدٍ غيره. ونُسب الأنفة إلى الأنف كما يُنسب الحميَّة إليه. يقال: هو أحمى أنفاً من فلان، وأنف أنفاً منه، وحمى فلان أنفه من كذا، أى أنف منه ولم يرض به. وحسن في الكتابة عن الإباء والتصون عن الدناءة والمذلة قوله: « لاشم مرَّعماً » بعد ذكر الأنف. فيقول: وكان بنو التميم في التمتع كاللئيم الذي لا يغمض على قدى، ولا يشم مرَّعماً ومذلاً، ولا يضر لشيء على هوان، ولا يعطف على مكره وصغار، ولا ينال الصيد قط حتى يكون هو المعفّر. والعفّر: التراب. هذا إذا روي « قط الصيد حتى تعفراً^(٢) » وقال ذلك لأنه فيما يتصيده لا يرضى بالاختلاس، ولا يعتمد على صيِّدٍ غيره والإصابة منه. ويروى: ولا نال قط الصيد حتى تعفراً^(٢). والفظ: ماء الكرش. ويقال افتظت الكرش، إذا استخرجت ذلك الماء منه. والمعنى: ولا نال للفظ من بطن الصيد حتى يتعفّر أى يسقط في العفّر ويتمكن منه. والأسد يبدأ من الصيد بحشو بطنه، فلذلك خصّ الفظ. والشميلة خلاف الفظ، لأنه اسم لما يبقى في البطن من العلف والرطب. وقط في الماضي كأبدًا في المستقبل،

(١) م فقط: « يعفراً »

(٢) م: « يعفراً ». وزاد التبريزي رواية: « قصّ الصيد » عن عبد السلام

وهو معرفة مَبْنِي كَأَمْس ، وأبداً نِكْرَةً كَغَدَا . ولا نَالَ ولا شَمَّ في مَعْنَى
لم يَشَمَّ ولم يَنْبَل . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ .

١١٤

وقال هلال بن رزين^(١) :

١ - وبالبَيِّدَاءِ لَمَّا أَنْ تَلَقَّتْ بِهَا كَلْبٌ وَحَلَّ بِهَا التُّدُورُ

يقول : لما تلاقى كلبٌ وخَيْرٌ بالبَيِّدَاءِ وأدركوا الأوتار ، فَحَلَّ بها
التُّدُورُ وسقطت الأقسامُ عن الخالفين بها لإدراكِهِم الآنار^(٢) . وجوابُ
لما يجوز أن يكون ما دلَّ عليه قوله « فَحَانَتْ حَمِيرٌ » أو قوله « وَحَلَّ بها
التُّدُورُ » . ويجوز أن يكون قوله « أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ » ، وهو أول البيت
الرابع ، وعند من يُجَوِّزُ زيادةَ الحُرُوفِ في مثل هذا المكان يكون « حَلَّ بها
التُّدُورُ » أو « حَانَتْ » الجواب ، فيكون الفاء والواو مُقْحَمَةً ، وهكذا
يقولون في قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ عندهم الواو
زائدة ، والمراد فَتِحَتْ^(٣) ، وقول امرئ القيس :

* فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأُنْتَجَى^(٤) *

(١) التبريزي : أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد . وعند ابن جنى : « وقال هلال
بن رزين الربابي » . وذكره المرزباني في المعجم ٤٨٢ وقال : « هلال بن رزين أحد بني ثور
بن عبد مناة بن أد . جاعلي . يقول في وقعة كانت لبني عبد مناة وكتب على حمير » . وأشد
بعض هذه الحماسية .

(٢) كذا في الأصل ، وهو على القلب ، حكاه يعقوب ، والمألوف في جمع ثار أنار كما في م .
(٣) كذا ورد في النسختين بتخفيف التاء هنا وتشديدها في التلاوة قبلها . وقراءة
التخفيف هي قراءة عاصم وحزمة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش ، والباقون بالتشديد .
إتحاف فضلاء البشر ٣٧٧ .

(٤) عجزه : * بنا بطن خبت ذى حفاف عقتقل *

يقولون : المراد انتحى ، والواو زائدة .

٢ - فَحَانَتْ حَمِيرٌ لِمَا التَّقِينَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ^(١)

يقول : هَلَكَتْ حَمِيرٌ عِنْدَ الْإِتْقَاءِ ، لِأَنَّ الدَّبْرَةَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ بِالْمَبِيدَاءِ يَوْمٌ صَعْبٌ . وَيُقَالُ : يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِيرٌ وَعَسِيرٌ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَسُرَ بِالضَّمِّ وَعَسِرَ بِالْكَسْرِ ، وَيُقَالُ هُوَ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ ، وَالْعُسْرَى وَالْيُسْرَى .

٣ - وَأَبَقَنْتِ الْقِبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ وَعَامِرٌ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرٌ^(٢)

يقول : وَتَيَقَّنَتْ جَابٌ وَعَامِرٌ بَطُونُ بَنِي كَلْبٍ^(٣) أَنَّهُ سَيَذُبُّ عَنْهَا نَصِيرٌ ظَهِيرٌ ، وَمُعِينٌ قَوِيٌّ . وَيَعْنَى بِالنَّصِيرِ بَنِي التَّيْمِ . وَجَعَلَ اللَّفْظَ نَكِيرَةً لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي تَعْظِيمِ النُّصْرَةِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَصِيرٌ مِنَ النُّصَارِ ، أَيْ كَامِلٌ فِي مَعْنَاهُ . وَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ نَصِيرًا لِانْتِفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَأَهْوَانِهِمْ . وَقَوْلُهُ «أَنْ سَيَمْنَعُهَا» أَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ مَحذُوفٌ ، يُرِيدُ : أَنَّهُ سَيَمْنَعُهَا وَالسَّيْنُ فِي الْفِعْلِ لِثَلَاثٍ تَلْتَبَسُ الْمُخَفَّفَةَ بِالنَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ . وَالْهَاءُ الَّتِي أَظْهَرْتَهُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ .

٤ - أَجَادَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبٌ سَارِيَةٌ دَرُودٌ^(٤)

(١) المرزبانى : « تحابت » .

(٢) أبى جنى : « وىروى وعامر ، عطفاً على القبائل . ولم يصرف عامر لأنه عنى بها القبيلة ... وقد يجوز أن تكون الرواية : وعامرٍ أن . على تخفيف الهمزة وإلقاء حركتها على تنوين عامر » .

(٣) التبريزى : « وقال أبو رياش : يعنى عامر الأجدار ، وهم بطن عظيم من كلب ، وإنما لقب بالأجدار لأنه ولد فى أصل جدار ، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . وجناب بن هبل بن عبد الله من كلب » .

(٤) التبريزى : « وىروى : صوب سارية - يعنى بالرفع - قال أبو رياش : أنت صوب لأنه أراد الدفعة » . وقده نبه إلى هذه الرواية ابن جنى ، بل جعلها الرواية الأولى .

يُقَالُ : هذا يَوْمٌ دَجِنٌ ، أَى يَوْمٌ إلباس غيمٍ . والدُّجِنَةُ : الظُّلْمَةُ ، وليلةٌ مُدْجَانٌ . فيقول : أتت سحابةُ الجِيشِ بِمَطَرٍ جَوْدٍ ، فَوَبَلَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ - أَى سَحَابَةٌ لها ظِلَامٌ ، لكثافتها وَقُرْبُها مِنَ الأَرْضِ - فَصَبَّتْ عَلَيْهِمُ المُنَايَا دَرًّا سَارِيَةً ، أَى سَحَابَةٌ تَسْرِي لَيْلًا . والدَّرُّورُ ، هِيَ السَّكِينَةُ الدَّرُّورُ . ويرتفع على أَنه فاعل دَرَّتْ . وَصَوَّبَ مَصْدَرٌ من غير لَفْظِهِ ، كأنه قال صَابَتْ دَرُّورٌ صَوَّبَ سَارِيَةً . وَجَعَلَ ما فى العَجْزِ من هذا فى مقابلة ما فى الصدر ، من قوله « أَجَادَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ » كأنه قال : أَجَادَتْ الخَيْلُ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ دَرُّورُ المَوْتِ دَرًّا سَارِيَةً ، فَالسَّارِيَةُ بِإِزاءِ المُدْجِنَةِ لا غير . وكلُّ ذلك مَثَلٌ لتكثير الشرِّ ، وَتَفْطِيعِ البلاءِ والقتل . وفى هذه الطَّرِيقَةِ قولُ النابغة :

وَمُعَلِّقِينَ عَلَى الجِيَادِ حُلِيِّهَا حَتَّى تَصُوبَ سَمَاوَهُم بِقَطَارٍ

وذا كَرَّ بَعْضُهُم أَنَّ أَجَادَتْ وَدَرَّتْ فِعْلَانِ مُجْمَعًا لِلدَّرُّورِ ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ قَامَ وَقَعَدَ زَيْدٌ . قال : والدَّرُّورُ : حَرْبٌ تَدْرُثُ بِالدِّمَاءِ . ويُقالُ : جَادَتْ وَأَجَادَتْ بِمعنى واحِدٍ ؛ وَالمُرَادُ جَادَتْ دَرُّورٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمُ كَوَبَلٍ مُدْجِنَةٍ ، وَكَصَوَّبٍ سَارِيَةٍ . والأوَّلُ أَقْرَبُ وَأَكشَفُ وَأَصَحُّ .

٥ - فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرًّا تَكْبُهُمُ المَهْمَةُ الذُّكُورُ

يقول : انهزمت حَيْرٌ مُسْرِعِينَ تَحْتَ صِفَارِ البَرْدِ ، ولم يَصْبِرُوا إِلَى كِبَارِهِ ، وَالسُّيُوفُ المِهْنَدِيَّةُ تُسْقِطُهُمْ لوجوههم . وَيُقَالُ هَنَدْتُ السَّيْفَ ، إِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى المِهْنَدِ . وقال أبو عمرو : وَهَنَدْتُ السَّيْفَ ، إِذَا أَحَدَدْتَهُ . وَذَكَرَ الدَّرِيذِيُّ فى القِطْقِطِ أَنَّهُ ضَرَبٌ مِنَ المَطَرِ ، ولم يَحْدِثْ . ومَوْضِعُ « تَكْبٌ » نَصَبٌ عَلَى الحِجَالِ ، وما قَدَّمَنا فى القِطْقِطِ قولُ الخليل .

١١٥

وقال جزء بن ضرار^(١) :

١- أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقُنْتَيْنِ عَجِيبٌ

تقديره : أتاني حديث عجيب بأعلى القنيتين^(٢) ، فلم أسرر به حين جاءني .
 وإنما استعجب من الحديث لتضمنه ما كرهه ، فكان يرده بما يقوى في
 أماله من ضده . وقد اجتمع فعلاَن أتاني وجاءني ، فأعمل الأول . ومثله
 قول الآخر^(٣) :

وَأَمْ دَخَّ لَأَرْضِيَهُ بِشَعْرِي لَيْمًا.....^(٤)٢- تَصَامَمْتُ حَتَّى أَتَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعٌ مِنْهُ مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ^(٥)

تصاممته ، أراد تصامت عنه ، حتى أتاني يقينه ، أى الجلي الواضح منه .
 وأفزع يجوز أن يكون معناه صادف الفرع فلا يقتضى مفعولا ، ويجوز أن
 يكون أفزع الغير فيكون مفعوله محذوفا . ومعنى البيت : تكلفت الصم عن

(١) جزء بن ضرار ، أخو الشهاخ بن ضرار ، قال ابن حجر في الإصابة ١٢٨١ :
 « ذكره المرزباني في معجمه وقال : هو شاعر مخضرم . وهو القائل يرثي عمر بن الخطاب :
 جزى الله خيرا من أمير وباركت يد الله في ذلك الأديم المعزق . »
 وانظر الأغاني (٨ : ٩٨) .

(٢) التبريزي : « القنطان : جبل أسود مشرف بعض الإشراف » .

(٣) هو ذو الرمة كما في التنبيه لابن جنى .

(٤) تمامه كما في التنبيه :

« لئيمًا أن يكون أصاب مالا »

وعند التبريزي : « أن يقال أصاب » .

(٥) جعل التبريزي الرواية الأولى عنده : « وأفرع » بانراء المهملة ، وقال :
 « وأفرع معناه صادف الفرع ، وإذا كان هكذا فلا يقتضى مفعولا . ويجوز أن يكون معناه
 أفزع الغير ، فيكون مفعوله محذوفا » .

ذلك الخبر حتى جاء ما لم يمكن رده ، لكون الشبه (١) منتفياً عنه ، وانفق الخطى والمصيب على تصحيحه ، وصادفاً الفرع فيه ، أو أفزعا الغير منه .
ومثل قوله « تصامته » في انحذف حرف الجر (٢) منه قول الآخر :

* وأخفى الذى لولا الأسي لقضاني (٣) *

يريد: لقضى على . وفي القرآن: ﴿ وَإِذَا كَأْلُومُ أَوْ وَزَنُومٌ ﴾ ، يريد كألوا عليهم أو وزنوا عليهم . وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المتيقن منه .

٣- وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبٌ
٤ - فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي فِيهِمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنْوِبُ

قوله « حُدِّثْتُ » يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، فالأول قام مقام الفاعل وضميره التاء ، والثاني قومي ، والثالث أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ أَحْدَانًا . وكأ قال الآخر (٤) :

* وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَبَلَّتْ (٥) *

يريد تبَلَّتْ كَلَامَهَا . ويجوز أن يكون أَجْرِي قَوْلَهُ « أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ » مَجْرَى نَكِي الدَّهْرُ فِيهِمْ ، فاستغنى عن المفعول . وقوله : « وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبٌ » يجوز أن يكون من جملة ما بُلِّغَ وَأُنْبِيَّ بِهِ ، ويجوز أن يكون الواو للحال ، كأنه نَكِي الدَّهْرُ فِيهِمْ وَحَالُهُمْ قَرَبُ الْعَهْدِ بِجَوَادِثِهِ ، ويجوز أن يكون جارياً مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده ، وحقيقة معناه تصديقه لما خبر به ،

(١) م : « الشبهة » .

(٢) م : « بجذف حرف الجر » .

(٣) لرجل من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ لبيسك . وصدوره :

* تحن فتبدي ما بها من صباية *

(٤) هو الشنفرى . المفضليات (١ : ١٠٧) .

(٥) البيت بتمامه :

كان لها في الأرض نسياً تقصه على أمها وإن تكلمك تبلت .

وَأَنَّ قَوْمَهُ مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ لَا يَسْلَمُونَ عَلَى الدَّهْرِ ، بَلْ يُوَلِّعُ بِالتَّأثيرِ فِيهِمْ
كَمَا قَالَ :

أَرَى الدَّهْرَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ (١)
وَإِذَا عُزِلَ هَذَا الْاِعْتِرَاضُ بِكُونَ الْكَلَامِ : وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَحَدَثَ الدَّهْرِ
فِيهِمْ ، فَإِنَّ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي . وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ : أُنَبِّئُ أَنَّ قَوْمِي نَكَى الدَّهْرِ
فِيهِمْ ، وَحَلَّ أُنْقَالَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ كَانَ مَا بُلَغْتُ حَقًّا مِنْ إِخْنَاءِ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ ،
وَسُوءِ تَأثيرِهِ فِيهِمْ ، فَإِنَّ أَخْبَارَهُمْ كَرِيْمَةٌ فِي النُّوَابِ إِذَا نَابَتْهُمْ ، وَنَفْسَهُمْ عَزِيْزَةٌ
تَأْتِي الْاِتْقِيَادَ لِمَا لَا يَحْسُنُ ، وَالْمَطَاوَعَةَ فِيمَا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ . وَجَوَابُ « فَإِنَّ يَكُ
حَقًّا » مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ فَإِنَّهُمْ يَصْبِرُونَ صَبْرَ الْكِرَامِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : فَإِنَّكَ تَمْلِكُهُمْ
وَتَقْدِرُ عَلَيْهِمْ .

٥ - قَقِيرُهُمْ مُبْدِي الْغِنَى وَغْنِيَّتُهُمْ لَهُ وَرَقٌ لِّلسَّائِلِينَ رَطِيْبٌ

يَقُولُ : مَحْتَاجُهُمْ مُتَجَمِّلٌ ، وَبِمَا لَا تَنَالُهُ مَقْدُرَتُهُ وَلَا يَنْهَضُ وَسْعُهُ مُتَكَثِّرٌ ،
وَظَاهِرُهُ الْغِنَى اِكْتِفَاءً بِمَا يَمْلِكُهُ ، وَتَضَنُّعًا لِمَنْ يَرْمُقُهُ ؛ وَغْنِيَّتُهُمْ لَهُ إِفْضَالٌ عَلَى
الْعُقَاةِ ، وَمَعْرُوفٌ عِنْدَ السُّؤَالِ ، يَحْيُونَ فِي جَنَابِهِ ، وَيَعِيشُونَ فِي كَنَفِهِ وَظِلَالِهِ .
وَقَوْلُهُ « لَهُ وَرَقٌ » مِثْلُ ضَرْبِهِ لِلنَّدَى ، وَأَصْلُهُ هَاهُنَا وَرَقُ الشَّجَرِ ، وَبِهِ عَيْشُ
الْمَالِ : الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ . وَإِذَا لَمْ يَمْتَنِعُوا مِنَ الْوَرَقِ عَاشَ النَّاسُ فِي فِنَائِهِمْ . هَذَا
الْأَصْلُ ، ثُمَّ يَتِمَثَّلُ بِهِ بَعْدُ لِغَيْرِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَنَافِعِ ، وَوَجْوهُ الْمَرَاذِي . وَسَلَكَ
فِي هَذِهِ الْاِسْتِعَارَةِ وَالتَّمثِيلِ مَسَلَكَ زَهْرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ يَوْمًا وَلَا مُعَدِّمًا مِنْ خَائِطٍ وَرَقًا

(١) البيت لطرفة في سلفته .

ويقال: وَرَقَّتْ^(١) الشَّجَرَةُ وَأُورَقَتْ، وشجرة وَرِيقَةٌ، إذا كثر ورقها
والوراق: زمن خروج الورق، كالصَّرام والجِداد.

٦- ذَلُّهُمْ مَصْعَبُ الْقِيَادِ وَصَعِبُهُمْ ذَلُّهُ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ رَكُوبٌ^(٢)

يقول: من كان سهل الجانب منهم تراه متمسراً إذا سيم الضم، متصعباً
في التزام الظلم والجور؛ والأبج الخشن أخلق منهم مُعْتَرِفٌ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ،
يُرْكَبُ به ولا يمنع، ويُقَادُ له ولا يأبى. وقوله رَكُوبٌ، هو في معنى مفعول
ها هنا. والذَّلُّ: الوطء الظهر، والذُّكُّ والذُّلُّ يَرُجَعَانِ إلى السهولة والوطءة،
وإن كان كلٌّ تفرَّدَ بمعنى يتميَّزُ عن صاحبه بما يضافه. ألا ترى أنَّ الذَّلَّ
بالضم العز، وضد الذَّلَّ بالكسر الضعوبة.

٧- إِذَا رَنَقَتْ أَخْلَاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ تُصَنَّفِي بِهَا أَخْلَاقُهُمْ وَتَطْيِبُ^(٣)

يقول: إذا كدَّرتِ المصائب أخلاق الناس فتغيَّرت، حتى لا يبصر عليها
تحمل، ولا إليها من النوائب ملجأ، فإن أخلاق هؤلاء تُصَنَّفِي بِهَا [ولها^(٤)]
وتطيب عند تحاملها؛ كأنهم كلما ازدادوا امتحاناً بالدهر ازدادوا إطلاقاً وهشاشةً،
ولين معطفٍ ولدونةً، ونهوضاً بالاعباء، وصبراً لدى الأواء. ويقال مالا
رَنَقٌ وَرَنَقٌ، وما في عيشه رَنَقٌ أى كدر.

٨- ومن يَغْمُرُوا منهم بفضلٍ فإنه إذا ما أتممتي في آخري نَجِيبٌ

أصلُ الغمر التغطية، ومنه قولهم: دخل في غمار الناس. والنَّجِيبُ:
الكريم من الناس والخليل والإبل، ولذلك قيل للمختار من كلِّ شيء المُنْتَجَبُ،
وقد نَجَبَ الرَّجُلُ نَجَابَةً، وأنجَبَ: أتى بأولادٍ نجباء. يقول: والمغمور

(١) ضبط في الأصل بتشديد الراء، وفي م بفتحها فقط. وهما لغتان صحيحتان.

(٢) م: «لحق الراغبين». (٣) التبريزي: «تصنف لها». (٤) هذه من م.

الخامل منهم ، لظهور الفضل عليه ، إذا انتسب في قوم آخرين عدًّا نجيبًا .
ومثله قول الآخر^(١) :

يَسُودُ ثَمَانًا مِنْ سِوَانَا وَبَدُونَنَا يَسُودُ مُعَدًّا كُلَّهَا مَا تَدَافِعُهُ
وإن كان هذا زائدًا على ذلك . وحذف مفعول « يَقْمُرُوا » لأنه
لا يَلْتَبِسُ . أراد ومن يَقْمُرُوهُ ، أي المفضول^(٢) فيهم إذا انتفى في غيرهم
كان فاضلاً .

١١٦

وقال القطامي^(٣) :

١ - من يَكُنِ الحِضَارَةُ أَعَجَبْتَهُ فَأَيُّ أَنَاسٍ بِأَدِيَةِ تَرَانَا
الحِضَارَةُ تُكْسِرُ منه الحاء وتُفْتَحُ ، وكذلك البداوة تُكْسِرُ منه الباء
وتُفْتَحُ . والمراد بالحِضَارَةُ أهل الحِضَارَةِ ، فحذف المضاف ، يدلُّ على ذلك
قوله « فَأَيُّ أَنَاسٍ بِأَدِيَةِ » ، لأن التفضيل إنما يصحُّ بين الحضريين والبدويين .
وأى هذه تُضَافُ إلى النَّسْكِرة ، ولا تُضَافُ إلى أكثر من الذي جعلته خبرًا ،

(١) هو حجر بن خالد النعلبي ، كما سيأتي في الحماسية ١٧٠ .

(٢) في الأصل : « المقصود » ، صوابه في م .

(٣) القطامي ، بضم القاف وفتحها : لقب غلب عليه . قالوا سمى به لتوله :

يحطهن جازياً فجانبا صك القطامي قطا قواربا

واسم، عمير بن شبيب النعلبي ، شاعر إسلامي مقل ، وله ديوان مطبوع . وكان قبل إسلامه
نصرانيا ، وكان الأخطل يعجب به كثيراً . وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابي لأنه كان
أسره ثم من عليه ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه . الشعر والشعراء ٧٠١ - ٧٠٥ وابن
سلام ١٢١ - ١٢٢ والاشتقاق ٢٠٤ - ٢٠٥ والمؤتلف ١٦٦ والمرزبانى ٢٤٤ - ٢٤٥
والأغاني (٢٠ : ١١٨ - ١٣١) والخزانة (١ : ٣٩١ - ٣٩٤ / ٣ : ١٨٨ -
١٩٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٤) م والتبريزى : « من تكن » بالتاء .

لأنك تريد صِفَتَهُ . ألا تَرَى أنك تقول مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، وَأَيْ رَجُلٍ أَخُوكَ إِذَا جَمَلْتَهُ خَبْرًا يَكُونُ مَخْرَجَ الْكَلَامِ الْمَدْحِ وَالْتِعْجَبِ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : نِهَائِي فِي الرَّجُولِيَّةِ أَخُوكَ . فَعَلِيَ هَذَا قَوْلُهُ فَأَيُّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ . فَيَقُولُ : مَنْ أَعْجَبُهُ رَجَالُ الْحَضَرِ ؛ فَأَيُّ رَجَالٍ بَدُّوْا نَحْنُ ، إِذَا حُصِّلَتِ الرَّجَالُ . وَالْمَعْنَى : أَيُّ أَنْاسٍ نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ . وَالْمُرَادُ التَّمَدُّحُ وَالْتِعْجَبُ .

٢ - وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَدًّا سَلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَانًا (١)

يقول : وَمَنْ ارْتَبَطَ الْحُمْرُ واقتناها ، وكان عَيْشُهُ مِنْهَا ، فَإِنَّا أَرْبَابُ الْغَزْوِ ، وَالْأَتْنَا رِمَاحَ طِوَالٍ ، وَخَيْلٌ رَائِقَةٌ عِنَاقٌ . وَالْجِحَاشُ مِنْ أَوْلَادِ الْحُمْرِ كَالْمُهْرِ فِي الْخَيْلِ ، وَالْجَمْعُ الْجِعَاشُ وَالْجِحَشَةُ . وَالسَّلْبُ : الطَّوَالُ ، وَالْوَاحِدُ سَلُوبٌ .

٣ - وَكَانَ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

يَقَالُ : عَوَزَ الرَّجُلُ كَذَا عَوَزًا ، مِثْلَ عَدِمَ ، وَأَعْوَزَهُ الدَّهْرُ : أَفْقَرَهُ . وَأَعْوَزَ الرَّجُلُ : سَاءَتْ حَالُهُ ، وَهَذَا لَا يَتَعَدَّى . يَقُولُ : كَانَتْ هَذِهِ الْخَيْلُ إِذَا أَغَارَتْ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقَبَائِلِ فَبَدَّدَتْ شَمْلَهَا ، وَخَوَّفَتْ آمِنَهَا ، وَصَارَتْ تَأْخُذُ حِذْرَهَا ، وَتَتَّقِيهَا بِالْبُعْدِ عَنْهَا ؛ حَتَّى أَعْوَزَهَا النَّهْبُ حَيْثُ كَانَ النَّهْبُ ، لِمَعَاوَدَتِهِمْ الْغَارَةَ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَإِدَامَتِهِمْ إِيَّاهَا ، وَالْحَاحِمُ بِهَا . وَقَوْلُهُ « إِذَا أَعْرَنَ » ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ أَعْرَنَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَهُوَ جَوَابٌ لَهُ ، وَالْجَمَلَةُ خَيْرٌ كُنَّ .

٤ - أَعْرَنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا

(١) أشار ابن جنى في التنبيه إلى رواية « سلبا » بالتحريك . قال : « ومن روى سلبا وصفه بالواحد ، كقول الله سبحانه : من الشجر الأخضر ، وأعجاز نخل منقمر . ومن قال سلبا وصفه بالجمع ، كقول الله تعالى : وينشئ السحاب الثقال . وقد جاء الشعر بهما جيها ، وذلك فيما كان بينه وبين واحده الماء » .

٥ - وأحياناً على بكرٍ أحياناً إذا ما لم نجد إلا أئناناً
 الصَّبَابُ يشتمل على ضَبَّةٍ وَضُبَيْبٍ ، وَحِسْلٍ وَحُسَيْلٍ ، فلذلك سُمُّوا
 الضَّبَابُ . يقولُ : أغارت على أقاربهم وعلى الحِلَّاتِ النازلةِ حَوْلَهُمْ وفيهم ، لأنَّ
 من قَدَّرَ له الحَيْنُ فقد أدركه . والمعنى : إنهم لاعتيادهم القارة لا يَصْبِرُونَ عنها ،
 حَتَّى إِذَا عَوَزَهُمُ الأَبَاعِدُ عَطَفُوا على الأَقْرَابِ . ألا تَرَى أَنَّهُ تَمَّ ذلك بقوله :
 وأحياناً على بكرٍ أحياناً إذا ما لم نجد إلا أئناناً
 وقوله : « إِنَّهُ من حان حاناً » يُسَمَّى الالتفات ، كأنه التفت إلى إنسانٍ
 فقال : إِنَّهُ من هَلَكَ بَعَزُونَا فقد هَلَكَ . وقوله « على بكرٍ » تَعَلَّقَ بفعلٍ
 مضمَرٍ دلَّ عليه ما تقدَّم فيما قبله ، كأنه قال : وأحياناً أغرَّن على بكرٍ .

١١٧

وقال الأعرجُ المعنى^(١) :

١ - أرى أمَّ سهلٍ ما تزالُ تَفَجَّعُ تلومُ وما أذري علامَ توجَّع
 يقول : أرى هذه المرأة تتفجع تارةً وتتوجع أخرى ، تَعْتَبُ على وتلومُ ،
 وما أذري من أي شيء شكواها ، وفي أمرٍ توجه على عتبتها ، لأنني لا أتعاطى
 مُنْكَرًا فاستحقَّ به ذلك : وقد مرَّ الكلامُ في علامَ وأشباهه^(٢) . وقوله :
 « ما زال » يريدُ به اتِّصالُ تلك الحالةِ منها ، لأنَّ ما زال لدوامِ الماضي ، وما يزال
 هو مُسْتَقْبَلُ ما زال ، فيصير لامتدادِ الحال . فإن قيل : أليس زال ضدَّ دام

(١) التبريزي : وهو رجل من الحوارج . وذكره المرزباني في المعجم ٢٥١ ، وقال :

« عدى بن عمرو بن سويد بن زبَّان الأعرج الطائي المعنى ، وقيل سويد بن عدى ، وهو مخضرم ،
 أدرك الجاهلية والإسلام » وذكره ابن حجر في الإصابة ٣٧١٣ ، ٦٤٠٩ . وأنشده له :

تركت الشعر واستبدلت منه	إذا داعى صلاة الصبح قاما
كسباب الله ليس له شريك	وودعت المدامة والنسداما
وحرمت الخمر وقد أراي	بها سدكا وإن كانت حراما

(٢) انظر ص ١٩٥ .

فكيف يُفِيدُ وهو اللَّفْنَى معنى الدوام ؟ قُلْتَ لِمَا دَخَلَ مَا النَّافِيَةُ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ
معناه إلى الإيجاب ، لأنَّ نَفَى اللَّفْنَى إيجاب ، فعاد إلى معنى الدوام . وقوله :
« تَلُومٌ » في موضع الحال ، أَى تَفَجَّعُ لِأُمَّةٍ ، وقوله : « وما أَدْرِي عَلامَ » ،
يريدُ وما أدرى ما يقتضى هذا السُّؤال .

٢ - تَلُومٌ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ لِقِحَّةً وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْرَعُ

يقول : تعيبُ علىَّ في إثبارى فرسى الورد بلبنٍ لِقِحَّتِي - وهى الناقاة التى
بها لبَنٌ - وما تَسْتَوِي هِىَ مع الورد ساعة الفَرَعِ ووقت الغارة . وقوله
« وَالْوَرْدَ » منصوب على أنه مفعولٌ مَعَهُ . يريد : لا تَسْتَوِي هِىَ مع الورد .
ولو أراد ما تستوى هِىَ وما يستوى الورد لم يكن يجوز إلا الرفع ، والعاملُ فى هذا
المعمول^(١) لا يعمل بتوسط الواو بينهما . وإذا أردت تجريد الفعل على ما يدلُّ
عليه قوله تستوى ، يكون تقديره إذا أظهرتهُ عاملاً فيه : وما تُساوى الورد . وعلى
هذا قولهم : استوى الماء والخشبة لأن المعنى ساوى الماء الخشبة . فإن قيل :
كيف قال ولا أدرى علامَ نوجعُ ، ثم أنبَعَهُ بقوله تَلُومٌ على أَنْ أُعْطِيَ الورد
لِقِحَّةً ، وهل كذَّبَ نفسه ؟ فالجواب أن قوله ما أدرى إنكارٌ وتفطیحٌ للشأن ،
والتضجُّرُ بالشئ . يقول ذلك وإن كان عالماً . وروى بعضهم « وَالْوَرْدُ » بالرفع
وكان الأجود أن يقول : وما تستوى هِىَ والورد ، لأنَّ عطفَ الظَّاهِرِ على المضمَرِ
المرفوع ضعيفٌ حتَّى يُؤكِّدَ . ويكون المعنى : وما تستوى أمُّ سَهْلٍ وفرسى
فى ذلك الوقت ، لاختلاف غنائهما ، ولأنَّ قِصارى تلك المرَبِّ والدَّهَشِ ،
وغنائها فرسى كونه عُدَّةً للدِّفاعِ والدِّبِّ . والأوَّلُ أجودُ وأفصحُ وأسلمُ .

٣ - إِذَا هِىَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَةً نَخِيبَ الْفَوَادِ رَاسَهَا مَا تَقْنَعُ^(٢)

(١) م : « المفعول » . (٢) البريزى : « رأسها ما يقنع » ثم أشار إلى الرواية الأخرى .

هذا بيان الحال ساعة الفزع ، وموضع إذا نصب على أنه بدل من ساعة تفزع ، ويكون على ذلك قوله « هنالك يجزيني الذي كنت أصنع » من البيت الذي يليه منقطعاً ، وإن كان بيان علة إثاره باللبن وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة . والمعنى : ما تساوى هذه المرأة الفرس إذا هي قامت بلا قناع ، جادة في العدو ، منخوبة القاب ، طائفة اللب ، لا خمار عليها ولا قناع ، لدهشها في احتارها ، وذهابها عن عادتها وإفها . وقوله « مشعلة » أي جادة في العدو . وانتصب « رأسها » لأنه مفعول مقدم . ويجوز أن يكون « إذا هي قامت » استئناف كلام ، وحينئذ يكون جواب إذا قوله هنالك يجزيني الذي كنت أصنع .

٤ - وقمت إليه باللاجام ميسراً . هنالك يجزيني الذي كنت أصنع . يقول : وقمت إلى فرسى في تلك الحال ، مهيتاً له باللاجام ، للدفاع والقتال . ثم قال : في ذلك الوقت يجزيني ما أعامله به الساعة من إيثار بلبن ، وتضمير وصنعة . وقوله « ميسراً » أي مهيتاً . وفي القرآن : ﴿ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴾ . هنالك إشارة إلى الوقت ، ويستعمل في السكان . ويقال هناك أيضاً فيهما . والعامل فيه هاهنا يجزيني .

١١٨

وقال حجر بن خالد^(١) :

١ - كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا مَا إِنْ تَزَالَ تَرَى لَهَا أَهْوَالَآ

(١) التبريزي : « وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة » . وحجر شاعر جادلي كان معاصراً لعمر بن كلثوم ، وكان أشد شعراً بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر ، أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٥٨) . وانظر الحماسية ٧١٨ .

يقول: علق الفؤاد بذكر امرأة كلبية، لا تزال تُقاسى من أجلها أهوالاً، وتتحمّل مشقات. قوله «علق الفؤاد بذكرها» يجوز أن يكون أراد علق ذكرها بالفؤاد فقلّب، لأن المراد مفهوم، ويكون كقول الآخر:

* علق الأحشاء من هندی علق *

وكما يقال علق بقلبه علافته. ويجوز أن يكون جعل الفؤاد تابعا للذكر فكأنه تعلق به. وكل شيء وقع موقعه قبل علق معاقته. وجعل صدر البيت على الإخبار عنها، ثم نقل الكلام إلى مخاطبة نفسه. ويجوز أن يكون استمر في الإخبار عنها ويكون المعنى: علقها الفؤاد فلا تزال هي تُقاسى أنت بسببها أهوالاً. و«إن» من قوله «ما إن» زيدت لتأكيد النفي.

٢ - فأقنى حياءك لا أبالك إننى فى أرض فارس موثقٌ أخوالاً

أقبل يخاطب المرأة فقال: أزمى حياءك، أى لا تفعل ما يقال نسي الحياء معه وأطرح، إننى محبوس فى أرض فارس سينب لا أبالك. وقوله «لا أبالك» بعث وتحضيض، وليس بنفى للأبوة، وخبر لا محذوف، لأن المعنى لا أبالك، ودخلت اللام مؤكدة للإضافة، لأن هذه إضافة لا تخصص، فساغ تأكيدها باللام، ولو كانت الإضافة مخصصة لكان لا يعمل فى أبالك. وتقدير الخبر: لا أبالك موجود. ويقال: قنى بقنى، وأقنى: أمر منه. وقنا يقنو. قال المتنسى:

* كذلك أقنو كل قطٍ مضلل^(١) *

وإنما قال إننى موثق ولم يكن قد أسر وأوثق، لعلمه بما يؤول إليه فى

* فألقيتها بالنفى من جنب كافر *

(١) صدره :

مَقْصِدِهِ أَمْرُهُ ، كَأَنَّهُ لَمَّا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ التَّحَايِي وَالِاتِّقَاءِ عَلِمَ أَنَّ أَحْسَنَ الْعَاقِبَتَيْنِ فِيهِ الْأَسْرُ ، فَذَكَرَهُ . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

* قَدْ يَتِمَّتْ بِنْتِي وَأَمْتُ كَنَّتِي *

فهذا وجهٌ ، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر .

٣- وَإِذَا هَلَكْتَ فَلَا تُرِيدِي حَاجِزًا غُسًّا وَلَا بَرَمًا وَلَا مِعْزَا لَا

ليس قصده في هذه الوصاة إلى أن يبعثها على تخيير الرجال ، أو يرشدها لوجوه الانتخاب^(١) ، وإنما المراد : اطأبي مثلي . وهو يعلم أنها لا تظفر بمن يماثله أو يقاربه . والنس : الضعيف . قال :

* فَطَعْنُهُ لَا غُسِّ وَلَا بِمَعْمَرٍ^(٢) *

والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، لضيق صدره وتبرمه بما يلتزم في مثله . والمعزال : الذي لا يحمل السلاح ، ويتناهى اعتزاله ورفضه إياه . والأعزل مثله . ومثل هذا قول ابن أحرر :

فإِذَا زَالَ سَرَجٌ مِنْ مَعْدِي وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا

فَلَا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينَا

إِذَا شَرِبَ الْمَرِيضَةَ قَالَ أَوْكِي عَلَى مَا فِي سِقَانِكَ قَدْ رَوِينَا

٤- وَاسْتَبْدَلِي خَتْنًا لِأَهْلِكَ مِثْلَهُ يُعْطَى الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

يقال : اعتاصي مني لأهلك ختنًا مثل ذلك الختن ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا ، وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ بَطْلًا فَبَطْلًا . ومثله يرتفع بالابتداء ، وما بعده في موضع الخبر لهُ ، والجملة في موضع الصفة للختن ، ولا يجوز نصب « مثله » .

(١) م : « الانتخاب » .

(٢) لزهير بن مسعود ، في اللسان (غسس) . وصدده :

* فلم أرقه إن ينج منها وإن يمت *

٥- غير الجدير بأن تكون لقوحوه رباً عليه ولا الفصيل عيالاً

هذا أيضاً من صفة الخنن . يقول : لا يكون خليفاً بأن يكون مملوكاً للملح^(١)
لا مالسكاً ، ويحل الفصيل منه محل العيال لا محل المال . وهذا كما قال الآخر :

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبِنِي بَرَبٍ وَلَا لَحِمِي عَلَى وَلَا سِلَابِي^(٢)

واللقوحو صفة ، يقال ناقه لقوحو إذا كان بها لبن ، وجمعه لقوحو قال
الخليل : فإذا أرادوا استعمالها على حد الأسماء قالوا لقوحة ، يقال : هذه لقوحة
فلان ، للناقة الحلوب - ولا يقال ناقه لقوحة - والجمع لقوحو .

١١٩

وقال ابن رميظ العنبري^(٣) :

١- باتوا نياماً وابن هنيدي لم ينم

٢- بات يقاسيها غلام كان لم

يقول : مكث الناس نائمين في ليلهم ، وهذا الرجل لم ينم ، لأنه كان يبيت
للغارة ، ثم قال « بات يقاسيها » ، أي يعانى الغارة كيف يوقعها ويدبرها متى

(١) في الأصل : « بماله » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) سبق البيت في ص ٢٤٠ .

(٣) هو رشيد بن رميظ ، بهيئة التصغير فيهما . في الأصل : « ربيظ » ، تحريف صوابه
في م والعنبري ، وكذا وقع في نسختي المرزوقي ، والصواب « العنبري » ، نسبة إلى بني عنز
ابن وائل ، أو بني عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) ، والأرجح أنه من بني عنزة . انظر
أمالى القاتلى (٢ : ١٢٦) وتحقيق اسمه في حواشى الحيوان (٥ : ٤٣٤) وسبط اللالكى ٧٢٩ .
وقال التبريزي : قال أبو رياش : هذه قاهلا في غارة الحطم ، وهو شريح بن شرحبيل بن عمرو
ابن مرثد ، أغار على اليمن فقتل وليمة بنى معديكرب ، أخا قيس ، وسبى بنت قيس بن معديكرب
أخت الأشعث بن قيس ، فبعث الأشعث يعرض في فدائها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل ،
فلم يفعل الحطم ، وماتت عنده عطشاً .

يأخذ فيها ، غلامٌ مُدْمَجُ الخَلْقِ خَفِيفٌ تَقَفُّ مُشْمَرٌ ، كأنه قِدْحٌ . يعني ابن هِنْدٍ .
والزَلَمُ بفتح الزاء وضمها : القِدْحُ كان يُسْتَقْسَمُ به . قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسِقٌ ﴾ . ويجوز أن يكون المضميرين في باتوا
المغار عليهم .

٣ - خَدَلَجُ السَّاقَيْنِ خَفَاقُ الْقَدَمِ

٤ - قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطْمٍ

يصفه بأنه غليظ الساقين ، ولو طئته الأرض صوتٌ ، ولقدمه خَفَقٌ ، وهو
سُرْعَةُ الخَطْوِ . مع ضَرْبِ الأرض بها ، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل
والسير ، وشدة بلائه وصبره على الكدِّ . وقوله « قد لَفَّهَا » يريد الإبل .
وجعل الفعل لليل على الجاز . والمعنى : جمعها برجلٍ مُتَنَاهَى القُوَّةِ ، عَنيفِ
السَّوْقِ ، يَكْسِرُ الطرائدَ بَعْضًا ^(١) على بعضٍ ، لثقله رِفْقَهُ وكثرة عَسْفِهِ ، ولأنه
قليل الفِكْرِ فيها إذ كانت حُصِّلَتْ بالغازة ، فإن سَلِمَتْ فهي غَنَمٌ ، وإن تَلَفَّتْ
فليست بغنمٍ ، فالعوضُ منها بالقربِ . وقوله « حُطْمٌ » بناءٌ للمبالغة ، وهو من
الحطْمِ الكسرِ .

٥ - لَيْسَ بِرَاعِيِ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

٦ - وَلَا بِحِزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الوَاضِمِ

يقول : لا يَرْفُقُ هذا الرجل بوسائمه رِفْقَ الرِّعَاةِ ، ولا رِفْقَ الجِزَّارِ ،
وذلك أن الراعي مُكْتَرَى لاستصلاح مرعيه ، وحفظ ما ضمَّ إليه بجهدِهِ ،
والجِزَّارُ لا يستهلك ماله ولا يعنفُ عُنْفَ مَنْ لا يبالي به . وهذا صِفَةُ المغوارِ

القليل النِّكَر في فساد ما يَحْوِيه منها ، الذَّاهِب عن استبقائها ، لا يبالي كيف استوسقت ، وعلى أيِّ حالَةٍ تَحَصَّلَتْ .

١٢٠

وقال جَعْفَرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثي (١) :

١ — ألا لا أبالي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا (٢)

يقول : اشتَفَيْتُ من أعدائي يومَ سَحْبَلٍ — وهو اسم وادٍ — وأدركتُ آثارِي (٣) عندهم فلا أبالي بَدُنُوِّ موتي بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يُعَذِّبْنِي اللهُ تعالى تبارك اسمه ، إذ كنت نلتُ أَمْنِيَّتِي ، وَقَضَيْتُ مَأْرَبَتِي . والذي تَفَاوَلَهَ قوله « لا أبالي » هو أن يجيء حِمَامِيَا . ويقال لا أبالي كذا ولا أبالي بكذا . وإِذَا لَمْ أُعَذَّبْ ظَرَفْتُ للآبالي ، أي لا أبالي بالموت إِذَا سَلِمْتُ من عذاب الله عزَّ وجلَّ . وإنما أتى بِإِذَا رجاءً أن يكون الأمر كذلك . وقد مَضَى القولُ في أبالي وأصله وما استقرَّ عليه في الاستعمال ، وأنَّ قَوَاهِمَ لا أباليه بالَّةٌ أصله عند سيبويه باليةٌ فُخِّفَ . وقد ذهب غيره إلى أنها مقلوبة ، ويقول في بالَّةٍ إنها فَعْلَةٌ ، وإن ألقها منقلبة عن واو ، وأن أبالي كان أباول أي لا أكثر ، ثم وُضِعَ موضع لا أَحْفَلُ ولا أكثر . وللترجيح والنظر في المسألة موضعٌ غير هذا .

٢ — تَرَكَتُ بِجَنَبِي سَحْبَلٍ وَتِلَاعِهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرِحُ الذَّهْرَ ثَاوِيَا

أخذ يقتص ما هوّن عليه اللوت من فَعْلِهِ ، فيقول : تركت بجانبِي هذا الوادي

(١) سبقت له الحماسية الرابعة . التبريزي : « وقال جعفر بن عليّة الحارثي حين

لقى بني عقيل » .

(٢) التبريزي : « يوم بسجل » .

(٣) الآثار : جمع ثار بالقلب ، ومثله الآثار .

ومسائل مياهه مَصُوبَ دَمٍ ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح . وقوله « ثَاوِيَا » مِنْ ثَوَى بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ . يُقَالُ ثَوَى وَثَوَى جَمِيعًا . وقوله « مُرَاقَ دَمٍ » يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ مَوْضِعًا أُرِيقَ بِهِ دَمٌ ، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ دَمًا مُرَاقًا ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الْمَوْضِعُ يَكُونُ لَا يَبْرَحُ مِنْ صِفَةِ الدَّمِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ رَجُلًا أُرِيقَ دَمَهُ وَيَكُونُ كَقَوْلِكَ هُوَ حَسَنٌ وَجْهٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لِلرَّادِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَزَالُ ذَكَرُهُ بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ فَخَذَفَ الْمُضَافُ . وَالتَّلَاعُ : جَمْعُ تَلَعَةٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ مُرْتَفِعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّبِيلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي . وَمِنْ الِاسْتِعَارَةِ الْحَسَنَةِ : فَلَانَ لَا يُوثِقُ بِسَبِيلٍ تَلَعْتَهُ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي أَخْبَارِهِ .

٣ - إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَانَعْنِي لَهْنٌ وَخَبْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

هذا كلامُ رجلٍ يُوَسِّسُ أَحِبَّتَهُ مِنْ نَفْسِهِ لِاسْتِقْتَالِهِ ، أَوْ لِأَنَّهُ مُنِي بِمَا لَمْ يَرَجُخْ اخْتِلَاصَ مِنْهُ . فَقَالَ : إِذَا زُرْتِ نِسَاءَ بَنِي حَارِثَةَ فَأَذْكَرُ مَوْتِي لَهْنٌ ، وَأَعْلَمُهُنَّ أَنَّهُ لَا التَّقَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ . فَقَوْلُهُ « أَنْ لَا تَلَاقِيَا » أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنْ أَنْ الثَّقِيلَةَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ ، وَتَلَاقِيَا نَصَبٌ بِبَلَا وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ ، الْمُرَادُ لَا تَلَاقِي لَنَا ، وَالْمَاءُ فِي أَنَّهُ ضَمِيرُ الشَّانِ وَالْأَمْرُ ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرٌ أَنْ . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ مَا بَعْدَهُ لِمَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ^(١) فِيمَا أَظُنُّ ، وَانضَمَّ إِلَى آيَاتِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيَّةَ عَلَى سَبِيلِ الْغَلَطِ .

٤ - وَقَوْدٌ قَلْوَصِي فِي الرَّكَابِ فَإِنَّهَا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا

يَقُولُ : وَأَكْثَرُ قَوْدٍ نَاقَتِي حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ يَشْتَمُونَ إِذَا اسْتَدَلُّوا بِهَا وَيَضْحَكُونَ سُرُورًا ، وَالْأَصْدِقَاءُ ذَوَاتُ الشَّفَقَةِ يَغْتَمُونَ فَيَبْكُونَ تَوَجُّعًا^(٢) . وَهَذَا الْكَلَامُ تَمْزِينٌ وَتَحْسُرٌ . وَقَوْلُهُ « سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي

(١) انظر الخزانة (١ : ٣١٧ - ٣١٩) . (٢) كذا في النسختين .

بواكيا» من باب وصف الشيء بما يؤول إليه ، ومثله قولهم : خرجت جوارجه . وقول الفرزدق :

* قَتَلَتْ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ *

والقأوص ، قال الخليل : هي الناقة الباقية على السير ، لا تزال قلوصاً حتى تبزل^(١) . وإنما سميت قلوصاً لطول قوائمها ولم تجسّم بقد .

١٢١

وقال آخر^(٢) :

١ - لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بِقِيَّةٍ عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرَّ كَبِ
خَبْرٍ « لَعَمْرِي » مُضْمَرٌ وَلَا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ ، وَهُوَ قَسَمٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا
فِيهِ إِلَّا فِتْحَ الْعَيْنِ ، وَلَرَهْطٌ جَوَابُهُ . وَالرَّهْطُ يَقَعُ عَلَى مَا دُونَ الْعَشْرَةِ ، وَهَذَا
دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَحَادِ فُقِيلٌ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ . وَمِثْلُهُ نَفَرٌ ، وَلَوْ كَانَ يَقَعُ
عَلَى الْكَثِيرِ لَمَا جَازَكَ فِيهِ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ ثَلَاثُ إِبِلٍ . وَانْتِصَابُ
« بِقِيَّةٍ » عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَمَوْضِعُ « وَإِنْ عَالَوْا بِهِ » نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ لِلرَّهْطِ ،
وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « خَيْرٌ بِقِيَّةٍ » . وَقَوْلُهُ « كُلَّ مَرَّ كَبِ »
يُرِيدُ بِهِ كُلَّ مَرَّ كَبٍ مَذْمُومٍ . وَعَالَيْتُ بَقْلَانٍ بِمَعْنَى أَعْلَيْتُهُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ :
وَبَقَائِي ، لَعْتَرَةُ الرَّجُلِ أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ حَشْمَةٍ لَهُ ، وَإِنْ أَرَادَ كِبُوهُ
صَرَاحًا صَعْبَةً مَكْرُوهَةً ، وَأَنْزَلُوهُ مَنَازِلَ حَزَنَةٍ مَذْمُومَةٍ .

٢ - مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ دَاغِنِي جَزِيلٍ وَلَمْ يَخْبِرْكَ مِثْلُ مُجْرَبٍ
تَعَلَّقَ « مِنْ » بِقَوْلِهِ خَيْرٌ بِقِيَّةٍ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ مِنْ . يَقُولُ : هُمْ

(١) البازل : التي استكملت الثامنة وطغنت في التاسعة .

(٢) هو خالد بن نضلة ، كما في الحيوان (٣ : ١٠٣) والبيان (٣ : ٢٥٠) .

أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرِيبِ الْأَبْعَدِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مَحْتَشِمًا فِي نَفْسِهِ غَنِيًّا ،
وَمُعْظَمًا مَهِيئًا . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ كَانَ ذَاغَتِي » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا . وَالْجَانِبُ يَرَادُ
بِهِ الْجِنْسُ لَا الْوَاحِدَ بَعِيْنِهِ . وَقَوْلُهُ « وَلَمْ يُخَيِّرْكَ مِثْلُ مُجْرَبٍ » يَجْرِي مَجْرَى (١)
الائْتِنَاتِ ، وَهُوَ تَوْكِيدٌ لِلْخَبَرِ الَّذِي أوردَهُ ، وَتَحْقِيقٌ لِمَا أَنْبَأَ بِهِ وَشَرَحَهُ ، وَأَنَّ
مَا قَالَهُ قَالَهُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَخَبْرَةٍ ، لَا عَنْ سَمَاعٍ وَخَبَرٍ .

٣- إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْبِثٍ وَطَيْبٍ

هَذَا الْكَلَامُ تَحذِيرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْأَجَانِبِ ، وَالِاسْتِنَامَةِ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ ،
وَبَعَثٌ عَلَى طَلَبِ مَوَافَقَتِهِمْ وَتَرْكِ الْخِلَافِ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ الْحَصُولِ فِيهِمْ ، وَأَنَّ
اسْتِعْمَالَ الْإِدْلَالِ مَعَهُمْ ، وَالْأَخْذَ بِالْمُضَآيِقَةِ فِي إِيفَائِهِمْ وَالِاسْتِيفَاءِ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاجِبٍ .
وَيُرْوَى : « فِي قَوْمٍ عِدِّي لَسْتُ مِنْهُمْ » وَيَكُونُ مَعْنَى لَسْتُ مِنْهُمْ : وَأَنْتَ
لَا تَهْوَى هَوَاهُمْ . وَالْعِدِّي يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ ، يُقَالُ رَجُلٌ عِدِّي ، وَقَوْمٌ
عِدِّي ، أَيْ بَعْدُ غُرْبَاءَ . وَقَوْلُهُ « كُلُّ مَا عُلِفَتْ » مِثْلُ . وَمِثْلُهُ .

* وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَعْلِفُونَكَ *

وَكَأَنَّ الْعُلْفَ مَخْتَصٌّ بِهَذَا الْمَعْنَى ؛ فَإِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي غَيْرِهِ .

١٢٢

وَقَالَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ (٢) :

١- فَتَنَّمِ الْحَيُّ كَلْبٌ غَيْرُ أَنَا رَأَيْتَا فِي جَوَارِهِمَ هَنَاتٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِثْلُ » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي مِ وَالْتَبْرِيْزِي .
(٢) هُوَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهِرِ بْنِ جَلَّاسٍ ، أَحَدُ بَنِي جَدِيدَةَ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي طَرِيفِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ شِمَامَةَ
بِنِ مَالِكِ بْنِ جَدْعَاءِ بْنِ ذَهْلِ بْنِ رُومَانَ . وَهُوَ مِنْ مَعْمَرِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ قَدْ جَاوَرَ كَلْبًا أَيَّامَ
حَرْبِ الْفَسَادِ فَلَمْ يَحْمَدْهُ . الْمُؤْتَلَفُ ٦١ وَفُرْحُ التَّبْرِيْزِي عَلَى الْحِمَاسَةِ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ . وَانظُرْ
لِحَرْبِ الْفَسَادِ شَرْحَ التَّبْرِيْزِي وَالْأَغَانِي (١١ : ١٢٧) وَالْمِيدَانِي (٢ : ٣٥٨) .

هذا الكلام تهكمٌ وسخريةٌ . وجاز أن يأتي به بلفظ المدح لأنه بما بعدهُ
تبيينَ الفرض ؛ فيكون أبلغ في الهزء . والهنات : الأمور المنكرة ، ولا تستعمل
إلا في الشر^(١) ، وهي جمعُ هنةٍ ، وإنما يُكنى بها عن المحقرات ، كأنه يرى
الإبقاء والمجاملة ، ويجرى الأمر على اللداجة وترك المجاهرة . وقد يُجمعُ هنةٌ
على هنواتٍ ، فن ردّ اللام في الجمع ردهُ في النسبة أيضاً ، ومن لم يردهُ فهو في
النسبة بالخيار ، إن شاء قال هنيٌّ وإن شاء قال هنويٌّ . فيقول : قبيلة كلبٍ
محمودةٌ في الأحياء ، غير أننا مُنيباً في جوارهم بدواهٍ وبليناً بمنكراتٍ . والاستثناء
في هذا المكان يكون منقطعاً . وكان فارق قومه طيئاً مرانغاً وجاور كلباً فلم
يحمد جوارهم فقارقهـم ذاماً لهم .

٢ - ونعم الحى كلبٌ غير أنا رزينا من بنين ومن بنات

يريد مثل ما أراد في البيت الأول من السخرية . ومعنى رزينا : أصبنا
بنين وبنات . ويقال فلانٌ مرزاً في ماله فيكون مدحاً ، وفلانٌ مرزاً في أهله
فيكون ترشحاً وتوجعاً . ومثل هذا التهكم قول الآخر^(٢) :

فدى لىسى ثوبى إذ دنس ال قوم واذ يدسون ما دسموا

فالتفدية هاهنا كالمدح بنعم ثم . وقوله « من بنين » من دخل للتفضيل ،
كأنه قال : رزينا أناساً من بنين ومن بنات ، ومفعول رزينا محذوف ، ويجوز
أن يكون ذاد من في الواجب على ما أجازهُ الأخفش وحكاه عنهم من قولهم :
« قد كان من مطرٍ نفلٌ عنى^(٣) » ، فيكون المراد رزينا بنين وبنات .

(١) ذكر التبريزى أن بعض الحديثين ، قد استعملها في الخير ، وهو قوله :

وعشرة محمودة تحتها مساعدات وهنات عذاب

(٢) هو الجمع الأسدى . المفضليات (١ : ٤٠) .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « على ما أجاره الأخفش وحكاه عنه كان من مطر » ،

وفيه تحريف ونقص .

٣- فَإِنَّ الْعَدْرَ قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِمًا بَيْنَ خَبْتِ إِلَى الْمَسَاتِ (١)

يقول زارياً عليهم ومبيناً : إِنَّهُ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ لِأَنَّ الْعَدْرَ مُقِمٌ فِيهَا بَيْنَ دِيَارِهِمْ ، وَمِمَّا انطوى عليه أحشائهم : وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ أَمْسَى وَأَضْحَى بَيَانُ اتِّصَالِ الْوَقْتِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنَّ الْعَدْرَ » الْفَاءُ رَبَطَ الْجُمْلَةَ الَّتِي بَعْدَهَا بِمَا تَقَدَّمَ وَرَتَّبَهَا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَاتَسُوا مَا قَاتَسُوهُ فِي جِوَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ غَادِرُونَ . وَخَبْتٌ وَالْمَسَاتُ : مَاءٌ أِنْ لَسَكَبٍ . يَقُولُ : الْعَدْرُ مُقِمٌ فِي كَلْبٍ بَيْنَ هَذَيْنِ ، أَيْ فِي أَوَّلِ دِيَارِهِمْ وَأَخِيرِهَا .

٤- تَرَ كُنَّا قَوْمًا مِنْ حَرْبِ عَائِمٍ أَلَا يَا قَوْمِ لِلْأَمْرِ الشَّتَاتِ

هذا الكلام اقتصاصٌ لحالِهِ ، وإظهارٌ للتأشُّفِ عَلَى مجاورَةِ كَلْبٍ ، وَالتندُّمِ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ مَفَارِقَةِ الْعَشِيرَةِ : وَقَوْلُهُ « يَا قَوْمِ لِلْأَمْرِ الشَّتَاتِ » تَعْجَبٌ . وَالشَّتَاتُ : مَصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ . وَاللَّامُ فِي الْأَمْرِ لَامُ الْإِضَافَةِ ، لَكِنْ فَائِدَتُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّعْجَبِ ، وَأُتِيَ بِهِ مَعَ الْمَدْعُوِّ . وَقَدْ يُقَالُ يَا زَيْدُ فَيَكُونُ الْمُنَادَى مَحذُوفًا . وَهَذِهِ اللَّامُ تَدْخُلُ مَفْتُوحَةً فِي الْمُنَادَى وَيُرَادُ بِهِ الْاِعْتِزَاءُ (٢) ، كَقَوْلِكَ يَا لَبَّكَرٍ وَيَا لَتَمِيمٍ . فَيَقُولُ : انْتَقَلْنَا عَنْ قَوْمِنَا وَفَارَقْنَاهُمْ مُنْذُ زَمَنِ الْحَرْبِ الَّتِي اتَّفَقَتْ بَيْنَنَا عَامًا أَوَّلًا . ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَعْظِمُهُمْ ، وَيَتَدَمَّرُ مِنْ سِرَاعَتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَقْبِلُوا لِمَا تَشْتَتُّ مِنْ أَمْرِنَا ، وَاخْتَلَّ مِنْ حَالِنَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ حَرْبِ عَائِمٍ » جَعَلَ مِنْ بَدَلٍ مُنْذُ ، لِأَنَّهُ فِي الْمَكَانِ مِثْلُهُ فِي الزَّمَانِ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

(١) المسات ، كذا ضبط في النسختين بفتح الميم ، وضبطه ياقوت بضمها .

(٢) الاعتزاء : الادعاء والانهاء في الحرب ، ومثله التعزى . وفي الحديث : « من لم

يتعز بغير الله فليس منا . أى من لم يدع بدعوى الإسلام فيقول يا لله أو يا للإسلام أو يا للمسلمين » .

* أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ^(١) *

٥- وَأَخْرَجْنَا أَيَّامِي مِنْ حُصُونٍ بِهَا دَارُ الْإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ
يقول: أَخْرَجْنَا النِّسَاءَ اللَّاتِي صِرْنَ أَيَّامِي مِنْ مَقَرِّ عَزْهِنَ، وَدَارِ أَمْنِهِنَّ،
إِلَى جِوَارِ كَلْبٍ، حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَا اتَّفَقَ، وَمِنْ حُلُولِ الرَّزَايَا
وَمُقَاسَاةِ الْهِنَاتِ بَهِنَّ مَا أَتَقَلَّى. وَوَصَفَ النِّسَاءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَسْرُهُنَّ مِنَ الْإِيْمَةِ،
وَإِنْ كُنَّ وَقْتُ الْإِخْرَاجِ ذَوَاتِ بُعُولٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٢) :
* سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُسْكِي بَوَاكِيَا ^(٣) *

وفي القرآن: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعِصْرُ خَمْرًا﴾. وَأَيَّامِي: جَمْعُ أَيِّمٍ، وَيُقَعُّ عَلَى
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ. وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَمَّ، أَيْ بَقِيَ بِلا زَوْجٍ. وَهُوَ مِنَ الْفِعْلِ فَيَعْلُ،
وَجَمْعُهُ أَيِّمٌ عَلَى فَيَاعِلُ. وَأَيَّامِي مَقْلُوبٌ كَأَنَّهُ قُدِّمَ اللَّامُ عَلَى الْعَيْنِ فَصَارَ أَيَّامِي
عَلَى فَيَالِعُ، ثُمَّ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا.

٦- فَإِنْ نَزَجِعْ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا نَصَالِحُ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ

هَذَا إِظْهَارُ رَغْبَةٍ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْعَشِيرَةِ، وَمَعَاوِدَةِ الْوَطَنِ وَالْمَحَلَّةِ.
يقول: إِنْ اتَّفَقَ لَنَا عَوْدَةٌ إِلَى بِلَادِنَا تَرَكْنَا الْخِلَافَ عَلَى ذَوِينَا، وَأَقْنَابَهَا
إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ، وَاسْتِنْفَادِ الْمَهْلِ. وَيَعْنِي بِالْجَبَلَيْنِ أَجَا وَسَلْمَى: جَبَلِي
طَيِّبِي ^(٤). وَقَوْلُهُ «حَتَّى الْمَمَاتِ» أَرَادَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ.
وَالْمَمَاتُ يَكُونُ مُصَدَّرًا، وَإِنْ جَعَلْتَهُ اسْمًا لِلْحِينِ فَلَا حَذْفَ.

(١) صدره كما في الديوان ٨٦ طبع دار الكتب :

* لمن الديار بقية الحجر *

(٢) هو مالك بن الربيب . الأماي (٣ : ١٣٨) والخزاعة (١ : ٣١٩) . وانظر

الأغاني (١١ : ١٤٢) .

(٣) صدره : * وعطل قلوصى في الركاب فإنها *

(٤) وكان أجبا لبني ثعل ، وسلمى لبني نهبان .

١٢٣:

وقال موسى بن جابر^(١):

١ - لا أَسْتَهِي يا قَوْمَ إِلَّا كَارِهًا بَابَ الْأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

يصف بهذا الكلام مَيْلَهُ إلى البَدْوِ ، وتفضيلَهُ رِجَالَهُ على رِجَالِ الحَضَرِ ، فيقول : لا أَسْتَهِي وروِدَ بَابِ الْأَمْرَاءِ ، ومُدافَعَةَ الْحِجَابِ ، ولا أَعْلَقُ شَهْوَتِي بهما إلا على كَرِهٍ وعن دَاعِيَةٍ عَارِضَةٍ ؛ إذ كُنْتُ أَلْفَتُ الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي ، وصاحِبَتِ بهما مَنْ لا تَمْلِكُنِي معه حِشْمَةٌ ، ولا يَصُدُّنِي دُونَهُ عِزَّةٌ . وانتصَبَ « كَارِهًا » على الحال .

٢ - ومن الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ ومزَنَدُونَ شُهُودُهُمْ كَالغَائِبِ

يقولُ : مِنَ الرِّجَالِ رِجَالٌ كَالْأَسِنَّةِ الْمَطْرُورَةِ ، أَى بِمَضُونِ فِي الْأُمُورِ وَيَفْصِلُونَهَا نِفَادَ الْأَسِنَّةِ ؛ وَمِنْهُمْ مَزَنَدُونَ . وَالْمَزَنَدُ : الْمُبْخَلُّ الْمَقْلَلُ . وَقِيلَ الزَّنْدُ ضَرْبٌ بِهِ الْمَثَلُ فِي الثَّقَلَةِ . يُقَالُ : « زَنَدَانِ فِي مَرْقَعَةٍ ^(٢) » ، ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَزَنَدٌ مُشْتَقًّا مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « شُهُودُهُمْ كَالغَائِبِ » أَى لَا غَنَاءَ عِنْدَهُمْ ، وَلَا دِفَاعَ بِهِمْ ، فَحُضُورُهُمْ كَغَيْبَتِهِمْ . وَأَرَادَ بِالغَائِبِ الْكثْرَةَ لَا التَّوْحِيدَ . وَكَانَ مِنْ حَقِّ التَّقْسِيمِ أَنْ يَقُولَ :

(١) هو موسى بن جابر بن أرقم بن مسلمة بن عبيد الحنفى البياهى ، شاعر نصرانى جاهلى كبير الشعر ، فيما ذكر الآمدى والمرزبانى ، وكان يلقب أزيرق اليمامة ، ويعرف بابن ليلى وهى أمه . وكان يقال له أيضاً : ابن الفريعة ، كما يقال لحسان بن ثابت . وقال أبو العلاء فيما نقله عنه التبريزى : « موسى منقول من العبرانية ، ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمان الجاهلية ، وإنما حدث هذا فى الإسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك » . وقول أبى العلاء هذا معترض بما ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٧٦ . وانظر المؤلف ١٦٥ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٨٠ .

ومنهم مزندون ، لكنه اكتفى بِمِنِ الْأَوَّلِ . ومثله قول الله تعالى : ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ . وسمعتُ أبا عليٍّ الفارسيَّ رحمه الله يقول : كلُّ صِفَتَيْنِ تَتَنَافَيَانِ وتندافمان فلا يصحُّ اجتماعهما لموصوفٍ لا بُدَّ لإضمارٍ مِنْ مَعَهُمَا إِذَا فَصِّلَ جُمْلَةً بهما ، متى لم يجيء ظاهرهما ، ثم أنشد :

وما زودوني غيرَ سَخِيحِ عِبَاءَةٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ مِنْهَا قَسِيٍّ وَزَائِفٍ^(١)

وقال : يريد ومنها زائف . وهذا كما تقولُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُوٌّ ، والمعنى وعمرُو منطلق ، فحذف اكتفاءً بالخبر عن الأول ، وعلماً بأن المنعطف ذلك حاله . قال : فإن أمكن اجتماع الصفتين لموصوفٍ واحد استغني عن إضمار من ، ذلك كقولك صاحبك منهما ظريفٌ وكرمٌ .

٣ - مِنْهُمْ لِيُوثُّ لَاتُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتْ وَضَمَّ حَبْلُ الْخَاطِبِ

يقول : من الرجال رجالٌ كالأسود عِزَّةً وَأَنْفَةً ، لا يُطْلَبُ اقْتِسَارُهُمْ ، واهتضامُهُمْ ، ومنهم متقاربون كالقماش واللفائف ، جُمِعُوا عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . كأنه لم يُقْنِعْهُ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَتِلْكَ الْقِسْمَةُ ، فَاسْتَأْنَفَهُمَا عَلَى وَجْهِ آخَرَ . وقوله « وبعضهم مما قمشت » ينوب فيه ذكر البعض عن قوله « ومنهم » ، لأنَّ مِنْ للتبعض فاستغني به . وقوله « وضَمَّ حَبْلُ الْخَاطِبِ » كقول الآخر :

* وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ^(٢) *

قال الأصمعي : لأنَّ بَيْتَ الْأَدَمِ يَجْمَعُ الْجَيِّدَ وَالرَدِيءَ ، عَلَى تَقَارُبِ بَيْنِهِمَا ، فففيه من كلِّ جِلْدٍ رُقْعَةٌ . وكذلك الخاطب يجمعُ في حبله^(٣) الجيِّدَ والرديءَ ،

(١) البيت لمزرد ، كما في اللسان (سحق ، قسا ، مأي) .

(٢) قبله في اللسان (أدم) :

* الناس أضياف وشقى في الشيم *

(٣) في الأصل : « صدره » ، صوابه في م والتبريزي .

والرطب واليابس ، على تدان بينهما . فإن قيل : وما الفائدة في إعادة التقسيم والتشبيه ؟ فالجواب أن يقال : كأنه صنفهم ^(١) في الأولى من حيث اختلفوا عنده في الأعمال والأخلاق ، وعلى توهم تباعد بينهم ، بدلالة قوله من الرجال أسنة ومنهم مزنون لا يُمتدَّ بحضورهم . وبين الصفتين تفاوتٌ عظيم ، وتباين شديد . وصنفهم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهم تقارب بينهم ؛ لأن فيمن يُقَمَّش من لا يبينُ المباينة الفاحشة ، ولا يُخالفُ المخالفة المنكرة .

١٢٤

وقال آخر :

١ - أقولُ لنفسي حين خَوَدَ رَأُلُهُ مكانَكَ لَمَّا تُشْفِقِي حين مُشْفَقِي

يقال : خَوَدَ رَأُلُهُ ، المذعور المرتاع : والرَأُل . فَرَحَ النَّعَامِ . وهذا مَثَلٌ .
والتخويد : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ . وَالتَّخْوِيدُ وَالتَّخْوِدُ وَالتَّخْدِيُّ مَتَقَارِبُهُ
المعنى ، في أنها تفيد ضروراً من المشى ، وَيُوصَفُ بِجَمِيعِهَا لِلنَّعَامِ . ويقال في هذا
المعنى « زَفَّ رَأُلُهُ » ، لأن الزفيف ضربٌ من العُدُوِّ سَرِيعٌ أَيْضاً . وفي هذه
الطريقة قولهم « طار طائرُهُ » . ويقولون : « هو أَفْرَأُ مِنَ نَعَامٍ » ، و« أَشْرَدُ
مِنَ ظَلِيمٍ » . ومعنى البيت : إني أُثَبِّتُ نَفْسِي عِنْدَ مَا يَبْدَهُ مِنْ دُعْرِ الحَرْبِ ،
وَيَنْجَأُ مِنْ رَوْعَةِ القِتَالِ ، فَأَخاطِبُ نَفْسِي إِذَا هَمَّتْ بِالإِحْجَامِ ، أَوْ وَسْوَسَ إِلَيْهَا
وَجُوبُ الإِنْهَامِ : الزَّيْمِيُّ مَكَانَكَ لَمْ تُدْعِرِي وَتِمْ دُعْرِي . وقوله « مكانَكَ »
أَمْرٌ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مَوْضِعَ الفِعْلِ الَّذِي عَمِلَ فِيهِ ، وَمَكْتَفِيٌّ ^(٢) بِهِ عَنْهُ ، فِهَذَا
إِحْبَابٌ . وقوله « لَمَّا تُشْفِقِي حين مُشْفَقِي » تَأْنِيسٌ ، أَيْ لَمْ تَخَافِي وَتِمْ مَخَافَتِي .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « وصنفهم » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « ومكتف » .

فهما كلامان . والإشفاق : الذُّعْرُ ، وقد يختلط بالثُّصْحِ ويتجرَّد عنه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ .

٢ - مَكَانَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي عَمَايَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَأْتِي (١)

يقول : أَسْتَأْنِي وَأَتَرْفَّقُ ، وَأَقُولُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، تَمَسَّكِي يَا نَفْسُ وَاحْفَظِي مَكَانَكَ إِلَى أَنْ يَتَّبِينِ لَكَ عَنْ أَى شَيْءٍ تَنْكَشِفُ لَكَ ظِلْمَةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمُنْتَشِقِ بِالْبَرْقِ . وَالْعَارِضُ ، أَصْلُهُ فِي السَّحَابِ ، وَهَاهُنَا أَرَادَ بِهِ الْجَيْشَ . وَجَمَلَ التَّأْتِي مِثْلًا لِلْمَعَانِ الْأَسْلِحَةِ . وَيُقَالُ اتَّقَى الْبَرْقُ أَى تَلَاؤًا ، وَتَأْتَى . وَالْعَمَايَةُ : الظُّلْمَةُ وَالْهَبُوتَةُ . وَيُرْوَى : « غَيَاةُ هَذَا الْعَارِضِ » وَهِيَ فِي طَرِيقِ الْعَمَايَةِ لِأَنَّهَا مِنَ الْغَيِّْ وَالْعَمَى ، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِيهِمَا . وَإِنَّمَا طَلَبَ مِنَ النَّفْسِ الصَّبْرَ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَّتَ فِي الْحَرْبِ إِلَى انْكَشَافِ الْحَالِ فِيهِ فَقَدْ أَعْطَاهَا حَقَّهَا .

١٢٥

وقال موسى بن جابر (٢) :

١ - وَقَلْتُ لِزَيْدٍ لَا تُتْرَتِرْ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي (٣)

التُّرَتِرَةُ : الْعَجَلَةُ . وَحِكْيُ الدَّرِيدِيُّ أَنَّهَا كَثْرَةُ الْحَرَكَةِ (٤) ، فَهِيَ كَالثَّلْتَلَةِ . وَرُويَ الْحَدِيثُ : « تَلْتَلَوْهُ وَمَزْمَزُوهُ » بِالرَّاءِ (٥) وَاللَّامِ جَمِيعًا . وَبُرُويَ

(١) ذكر التبريزي أن بعد البيتين :

وكوني مع التالى سبيل محمد
إذا قال سيف الله كروا عليهم
وإن كذبت نفس المقصر فاصدق
كررنا ولم نخفل بقول المعوق

(٢) سبقته ترجمته في الحماسية ١٢٣ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « قلت لزيد » بالحرم .

(٤) انظر الجمهرة (٢ : ١٣) .

(٥) في النسختين : « بالزاي » ، تحريف .

« لا تُبْرِزُ » ، والبُرْزَةُ ؛ كثرة الكلام ، وكذلك الثَّرْثَرَةُ بالناء ، ورجُلٌ
 ثرثارٌ . ويقال : ما أكثرَ بَرَبْرَتهم ، إذا ماجوا في الكلام . ومنه سُمِّيَ
 البَرَبْرُ : جنسٌ من المغاربة^(١) ، وكذلك البُرْبُرَةُ بالزاي : كثرة الحركة . وقد
 رُوِيَ : « لا تُبْرِزُ » . ويقال ما أكثرَ بَرَبْرَتهم ، ورجلٌ بَرُّبازٌ وبزَابِزٌ ،
 إذا كان يكثرُ حركاته ويخفُّ^(٢) فيقول : لا تَعَجَلْ يا زَيْدُ ، أو لا تُكثِرْ
 كلامَكَ ولا تَضْطَرِّبْ ، فإنَّ القومَ يَرَوْنَ الصبرَ على المنايا ويخفُّ عليهم ويقلُّ
 عندهم إذا ثبت فيه قَتْلُك أو قَتْلِي لهم^(٣) . واتهمزوا في تحصيل أحدهما فُرْصهم .
 ويكونُ « يَرَوْنَ » في هذا الوجه من الرَّأْيِ ، كما يقال فلانٌ يَرَى في دينه
 أو في سرِّه كذا ، أي يتَّخِذُه مَذْهَبًا وبدومٌ عليه . ويجوز أن يريدَ يَرَوْنَ
 للمنايا : يُقاسون الشَّدائدَ ، ويدوقون المنايا ، ولم يَصِلُوا بَعْدُ إلى قَتْلِي أو قَتْلِكَ .
 ويكون معنى « دون قَتْلِكَ » كما يقال « دُونَ هذا الأَمْرِ خَرَطُ القَتَادِ » ،
 وكما قال بِشْرٌ :

* وَمِنْ دُونَ لَيْلِي ذُو بَحَارٍ وَمَنُورٍ^(٤) *

ومعنى يَرَى كما يُقال لو عَلمتَ ماذا رأيتُ من فلانٍ ، يراد أي شئٌ
 مارستُ وكأيدت . والكلام في المعنى الأول تصويرٌ لحال القوم في عداوتهم ،
 ونَهَى عن المعالجة^(٥) مَعَهُمْ ، وبعثٌ على مصابرتهم ومحاذرتهم . وعلى المعنى
 الثاني يكون تثبيتها لصاحبه وتشجيعها ، وتسكيننا منه وتصبيراً ، فيكون مثل قوله :

(١) ومنه سمي البربر ، إلى هنا ساقط من م .

(٢) م : « إذا كان يكثر حركاته وتخفُّ » .

(٣) أي إذا ثبت لهم . وكلمة « لهم » في م نقط .

(٤) صدره كما في معجم البلدان (٢ : ٦٥) :

* الليل على بعد المزار تذكر *

وبحار في النسختين بفتح الباء ، وهي لغة فيه نص عليها ياقوت ، وأورد لغة أخرى ، وهي

كسر الباء . وقد جاء مصروفا في م ومثوعا من الصرف في الأصل .

(٥) كذا في م . وفي الأصل : « المعالجة » ، تحريف .

* أقولُ لنفسِي حينَ خَوَدَ رَأُهَا (١) *

وكانَ أبا تمامٍ تَصَوَّرَ هذا المعنى ، فلذلك أَلْحَقَ الأبيات بما يليها .

٢- فَإِنْ وَضَعُوا حَرَبًا فَضَعَهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعَرَضَهُ عَضَّ الْحَرْبِ مِثْلَكَ أَوْ مِثْلِي

يقول : إن حَطُّوا الحربَ أو أَطْرَحُواها ، وراموا المسألةَ والنتاركةَ فيها ، فَاتَّبَعَهُمْ في ذلكَ وَأَقْتَدَ بِهِمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّرَّ فَالْقَوِيُّ عَلَى عِضَاضِ الْحَرْبِ وَالصَّبُورُ عَلَى لِزَامِهَا مِثْلَكَ أَوْ مِثْلِي ، والمعنى : أنا وأنت . وهذا كما يقال : مثله لا يفتاضُ منه ، والمعنى هو لا يُفْتَاضُ منه . ويقول : فلانٌ عَرَضَهُ الشَّرَّ ، إذا كان قوياً عليه .

٣- وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشُبَّ وَقُودَ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ

جَعَلَ الرَّفْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْوَضْعِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَلِلْعَنَى : إِنْ هَيَّجُواها . وَالْعَوَانَ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَتَقَادَمَ وَتَطَاوَلَ لَبُّهَا ، وَاتَّصَلَ هَيْجَانُهَا ، وَاتَّسَعَ نَفْيَانُهَا . وَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْعَوَانَ مِنَ النَّسَاءِ . فَهِيَ كَمَا وَصَفَهَا غَيْرُهُ - لَمَّا أَرَادَ ابْتِدَاءَها وَجِدَّتْها - بِأَنَّها فَتَاةٌ وَبِكُرٌّ ، فَقَالَ :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فُتْيَةً تَسْعَى بِبِرْتِنِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ (٢)

وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا الْبِكْرَ وَالْعَوَانَ فِي الْحَاجَاتِ أَيْضًا ، فَقَالَ : هِيَ بِكْرٌ حَاجَاتِي ، وَحَاجَتِي بِكْرٌ ، وَحَاجَتُكَ عَوَانٌ . يَقُولُ : وَإِنْ أَجْجُوا نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَشَاهِدُ وَاسْتَجَاشُوا لَهَا ، وَأَنَارُوا كَوَامِنَهَا ، فَاسْتَجِشَّ أَنْتَ أَيْضًا وَأَوْقِدْ نَارَهَا بِالْحَطَبِ الْغَالِظِ الْجَزَلِ .

(١) البيت الأول من الحماسة السابقة . وقد روى في م كاملا .

(٢) لعمر بن معديكرب . انظر شروح سقط للزند ١٦٧٨ .

١٢٦

وقال أيضاً :

١- إذا ذُكِرَ ابنا العنبرية لم تضيق ذراعي وألقى باسْتِه من أفاخر^(١)

قوله : « لم تضيق ذراعي » مثل ، ويقال ذرعي . قال الخليل : الذراع اسم جامع لكل ما يُسَمَّى يَدًا من الروحانيين^(٢) . يقول : إذا ذُكِرَ هذان للرجلان من آبائي اتسع نطاق افتخاري ، ورحب بحالي وبأعي ، ولم تُعيني غلبته من أساجله ، ولم يعمد بي ذكرها عن الارتقاء في الفخر إلى ما لا يطلع له من أوزنه وأكاليه ، حتى ألقاه باسْتِه دون وجهه لتولييه وإعراضه . وذُكِرُ الاست تقيح لفعله عند النكوص والانزمام ، وتشنيع عليه في التولي والإذبار .

٢- هالان حمالان في كل شتوة من الثقل ما لا تستطيع الأباعر

يقول : هما في الاشتهار واعتلاء الشان ، واستضاءة الناس بنورها ، والانتفاع بمكانهما ، بمنزلة هالائين ؛ ويتكلمان عند كل جذبٍ ومحلٍ ، من الأثقال والأعباء ، ما لو صارت أجزاماً لعجز عن النهوض بها وتحملها البعران . فإن قيل : إذا كان قصده في تحمّل الأثقال إلى قرى الضيف ، ونخر الجزور وقسمتها في المنبر ، والصبر على المؤمن ، والنهوض بالكلف ، فكيف قال حمالان من الثقل ما لا يستطيع الأباعر ؟ وكيف مثل ما يتحمل على القلوب من الغرامات والحقوق ، بالأوقار التي تتحمل على الظهور ؟ قلت : إنما يريد أن تلك المؤمن والتكاليف التي يلتزمها ، ويسعى بها وفيها ، لو جسمت ثم حملت ، لكانت

(١) في الأصل : « من يفاخر » ، وصواب الرواية المتساق مع التفسير من م والتبريزي .

(٢) في اللسان (ذرع ٤٨) : « من الروحانيين ذوى الأبدان » .

الجمال لا تستقلُّ بها ، ولا تقوى عليها^(١) ، فهذا وجهه . ويجوز أن يكون لما قال
 حمَّالان في كل شتوةٍ من الثقل ، جعلَ لفقته ما لا تستطيع الأباعر ، إذ كانت
 الجمالُ وأشباهها هي التي لحمل الأثقال خلقت^(٢) ، وبها اشتهرت ، وليكون في
 اللفظ توافقٌ ، مع الأمن من عارضِ الالتباس . ويكون هذا كما قال غيره^(٣) :

ألا هلكَ امرؤٌ ظَلَّتْ عليه بِجَنبِ عُنَيْزَةٍ بَقَرٌ هُجُودُ
 سَمِعْنَ بِمَوْتِهِ فَظَلَّيْنَ نَوْحًا قِيَامًا مَا يَحِلُّ لهنَّ عُودُ

ألا ترى أنه لما كان قد كفى عن النساء بقوله « بقرٌ هجود » عبر عن
 إمساكهن عن الطعام تحزُّنًا بقوله « ما يحلُّ لهنَّ عود » إذ كانت البقرُ
 وما يجانسها من البهائم تعتلف العود وما يكون كالعود . وليس ذلك إلا
 لطلبِ الموافقة في اللفظ ، مع الأمن من اللبس . فأما قولُ لبيدٍ :

فإذا جُوزيتَ قرصًا فاجزِهِ إنما يجزِي الفتى ليس الجمَلُ

فمعناه إنما يعرفُ النعمَ وما يجب لها من شكرِ المنعمِ أربابُ العقول
 وذوو التَّمييز ، لا البهائم . فتى أزلتَ إليك نعمةً فكُن من المجازاة عليها
 بمرصدي ، فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوجبهُ المميزون وأولو
 الحِجَى ، لا غيرهم مما لا تميز له ، ولا معرفة بذلك عنده . وذكرَ الجمَلُ مكثفياً

(١) م : « بجملها » .

قال التبريزي : « هذا قول المرزوقي . وقال الفري : أي هذان الرجلان يحملان من أعباء
 المغارم وأثقال الصنائع ما لو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حملاً ، وأكثره
 صبراً . قال أبو العلاء : قد تناول الفري له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد ، وإنما ينبغي
 أن يحمل الشيء على ما أكثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قري
 الأضياف ومن نحر الإبل ما لا تستطيعه الأباعر ، أي إنها لا تقوى عليه لأنه يهاكهما » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « هي التي تحمل الأثقال لها خلقت » .

(٣) هو امرأة من بني حنيفة توفى يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفي . الفضليات

(٢ : ٧٢) .

وإن كان القصدُ جِنْسَهُ أو أَجْنَاسَ مِثْلِهِ . وفي طَرِيقَةٍ مَا نَحْنُ فِيهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ
إِلَّا أَنَّهُ فَصَّلَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ ، وَهُوَ :
وَالصَّبْرُ بِالْأَرْوَاحِ يُعْرَفُ فَضْلُهُ صَبْرُ الْمَلُوكِ وَلَيْسَ بِالْأَجْسَامِ

١٢٧

وقال (١) :

١ - أَلَمْ تَرَيَا أَنِّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي وَبَاشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ وَالْمَوْتَ دُونَهَا

الحقيقة : التخلصة التي يحقُّ على الإنسان حمايتها . وقال الخليل : الحقيقة :
ما بصير إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وقوله « أَلَمْ تَرَيَا » تقريرٌ للغير على ما كان
من بلائه . يقول : أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي ذَبَبْتُ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الذَّبِّ عَنْهُ ، وبأشرت الموت
بفسي ، والموتُ دونَ حماية الحقيقة . يريد أنَّ المحافظةَ على الشرفِ أشقُّ من
اقتحامِ الموتِ والاستقتال ، لأنه يحتاج أن يُصبرَ فيه من المكارِه على ما لا يُحَدُّ
ولا يُحْضَرُ ، ويُتَكَفَّفُ له من المشاقِّ ما لا يُعَدُّ ولا يُضبط . فهذا وجه . والضَّميرُ
من قوله « دُونَهَا » يرجع إلى ما دلَّ عليه حَمَيْتُ من الحماية والحِفْظِ . ويجوز أن
يكون قوله « والموت دونها » أي قريبٌ من الحقيقة التي دفعتُ عنها أو من
الحماية التي التزمْتُها ، وحائلٌ بيني وبينها ، ويكون هذا بياناً لكيفية مباشرته
لحدِّ الموت ومشافهته إتياءً على سَمْتِ القُرْبِ ، والواو من قوله « والموت »
واو الحال . وإذا جَمَعَتِ المعنى الأول فيكون الكلامُ بياناً لتفضيل حماية
الحقائق على مباشرة المنايا .

(١) كذا في م . وعند التبريزي : « وقال أيضاً » . وعبارة م والتبريزي تدل على
أن الحماسية لموسى بن جابر . وفي الأصل : « وقال آخر » .

٢- وَجَدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اطْمَئِنِّي حِينَ سَاءَتْ ظُنُونُهَا

يصف ابتذاله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشرة إلى بقائها ، وحلولا من القلوب محل ما يُصَنُّ بها ، فيوجبُ صيانتها . يقول : تسخَّيتُ بنفسٍ لَا يُنْسَخِي بِمِثْلِهَا كَرَمًا وَعِزَّةً ، وَشَرَفًا وَأَهْبَةً ، وَقُلْتُ تَنْبِيئًا لَهَا : اسْكُنِي وَاصْبِرِي عِنْدَ اسْتِيْلَاءِ الرَّعْبِ عَلَيْهَا ، وَاخْتِلَافِ الظُّنُونِ بِهَا . وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَأْحُقُ النَّفْسَ فِي الْأَوَّلِ مِنَ الْإِلْتِقَاءِ ^(١) ، لِلْوَهْلَةِ الْعَارِضَةِ ، وَالْفَجْعَةِ الْمُرَوِّعَةِ . وَمِثْلُهُ : أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْيُهَا مَكَانَكَ لَمَّا تُشْفَقِي حِينَ مُشْفَقٍ ^(٢)

٣- وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَقِي الذَّمَّ رَبَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يَهِينُهَا ^(٣)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار الذي يجري مجرى النفي . يقول : أَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ لَا يَصُونُ صَاحِبَهُ مِنْ ذَمِّ وَعَارٍ ، وَلَا يَحْمِيهِ مِنْ أُحْقَاقِ تَهْجِينٍ وَشَنَارٍ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ غَنَاهُ نَفْسٍ لَا يَبْتَدِلُهَا صَاحِبُهَا فِي اسْتِيفَاءِ حَقُوقِهَا ، وَلَا يُتَعَبُّهَا فِي الدَّفَاعِ دُونَ حَقَائِقِهَا ؟ وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّؤٌ مِنَ التَّحَمُّدِ ^(٤) بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ إِفْتَاقِ الْمَالِ ، وَابْتِدَالِ النَّفْسِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ طَائِعًا إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَالَهَا ^(٥)

(١) م : « في أول الالتقاء » .

(٢) انظر الحماسية ١٢٤ .

(٣) التبريزي : « بنفس امرئ » .

(٤) هذا ما في م . وفي الأصل : « التحمل » ونراه تحريفاً .

(٥) م : « المصونة نفسه » ، وقد سبق البيت في ص ١٤١ برواية م .

١٢٨

وقال :

١ - ذَهَبْتُمْ فَلَدْتُمْ بِالْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكَنَا أَحَادِيثًا وَلَحَمًا مَوْضِعًا^(١)

بِحَاطِبُ قَوْمِهِ وَيَلُومُهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقَعُودِ عَنْ نُصْرَتِهِ ،
وَالنُّكُوصِ عَنْ مَشَايِعَتِهِ ، وَاعْتِلَالِهِمْ عِنْدَ اعْتِدَارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَعَاذِيرِ الْمَشُوبَةِ
بِالْكَذِبِ ، التَّجَاؤُكُمْ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكَنَا قَوْمَنَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ، وَعِنْدَ
تَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُمْ وَلَا يَدَافِعُونَ ، فَهِيَ كَاللَّحْمِ الْمُبْضَعِ عَلَى
خَوَانِ الْجَزَارِ ، تَمْتَدُّ الْأَيْدِي عَلَى تَوْضِعِهِ إِلَيْهِ ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْعَامُ بِتَنَاوُلِهِ
وَأَخْذِهِ^(٢) . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَضُوا بِصِفَاتٍ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ

هَذَا إِذَا رَوَيْتَ « تَرَكَنَا » بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَإِنْ رَوَيْتَ بِضَمِّ التَّاءِ كَانَ
الْمَعْنَى : ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا فِيمَا نَابِنَا ، وَعِنْدَمَا هَمَّمْتُمْ بِهِ مِنْ مَفَارِقَتِنَا وَخِذْلَانِنَا ، أَنَا
تَرَكَنَا أَحَدُوهُ لِلنَّاسِ قَبِيحَةٌ ، يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ بِذِكْرِنَا ، وَأَذْلَاءٌ مُهْتَضِمِينَ
لَا دِفَاعَ بِنَا ، وَلَا امْتِنَاعَ مِنْ مَدْمَةٍ فِي طِبَاعِنَا . وَالْمَوْضِعُ : الْمَقْطَعُ الْمَفْرَقُ فِي
مَوَاضِعِ^(٣) .

٢ - فَمَا زَادَنِي إِلَّا سِنَاءٌ وَرِقْمَةٌ وَمَا زَادَكُمُ فِي النَّاسِ إِلَّا تَخَضُّعًا

يقول : لَمْ يَزِدْنِي فِعْلَكُمْ وَقَوْلَكُمْ عِنْدَ اعْتِلَالِكُمْ فِي مَفَارِقَتِكُمْ إِلَّا ارْتِفَاعَ

(١) أُشِيرُ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهُ فِي نَسْخَةِ أُخْرَى : « مَبْضَعًا » . وَالْمُبْضَعُ : الْمَقْطَعُ

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « تَمْتَدُّ الْأَيْدِي إِلَيْهَا ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْعَامُ بِتَنَاوُلِهَا وَأَخْذِهَا »

(٣) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمُبْضَعُ : الْمَقْطَعُ الْمَفْرَقُ » .

مَحَلِّ ، وُسُومٍ حَالٍ ، وَجَلَالَةَ قَدْرٍ ، وَلَمْ يَزِدْكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَرَاجُعًا وَتَذَلُّلًا ،
وَتَصَوُّورًا بِالْقَبِيحِ وَتَسْقُطًا ، لِأَنَّ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِعَشِيرَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ
وَذَوِيهِ ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ الْبَعِيدَ الَّذِي يُؤْوِيهِ ، وَالْمُسْتَعَانَ بِهِ لِمَا يَرْتَجِيهِ .

٣- فَمَا نَفَرَتْ جَنِّيُّ وَلَا فُلٌّ مَبْرَدِيُّ وَلَا أَصْبَحَتْ طَيْرِيُّ مِنَ الْخَوْفِ وَقَمَّا

وهذا يحتمل وجوها : يجوز أن يريد لم ينخزل - لما أتيتم وأخبرتكم -
أصحابي الذين هم كالجن ، ولا فُلٌّ لسانی الذي هو كالمبرد ، ولا ذِعْرَ جاشي
فصار طيرى واقعة . ويكون الأول كقول الآخر :

* عَلَيْنِهِنَّ فِتْيَانٌ كَجَنَّةِ عَمْبَرٍ *

وتشبيه اللسان بالمبرد وحدّ السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد .
وقد قيل في « نَفَرَتْ جَنِّيُّ » إنه مثلٌ لِقَلَنَاتِهِ وَبَدْرَاتِهِ ، ويكون هذا كما
وصف امرؤ القيس فرسه بالمرج وحِدَّةِ الْقَلْبِ فَقَالَ :

* بِهِ طَائِفٌ مِنْ جَنَّةٍ غَيْرِ مُعْقَبِ *

وإنَّ ذِكْرَهُ الْمَبْرَدَ مَثَلٌ لِصَلَاحِهِ ، وَإِنْ ذِكْرَهُ الطَّيْرَ مَثَلٌ لِصَبِيئِهِ وَذِكْرَهُ
الذَّاهِبِ فِي النَّاسِ . ويجوز في هذا الوجه أن يريد به ذكاهه ونشاطه وشهامته ،
فقد قيل في ضده : هو ساكنُ الطائر ، وكان على رءوسهم الطير . ويجوز أن
يشير بالجنُّ إلى ما يدعيه الشعراء من أن لكل واحدٍ منهم تابعًا من الجن
يستعين به فيما يحزمُ به ، ويُجملُ المراد بالمبرد في هذا الوجه اللسان لا غير .
ويجوز أن يريد بالطير سرّايه وطوائف خيله التي يطيرها للغارات والارتبَاء ،
وتجشس^(١) الأخبار وغيرها .

(١) م : « وتجشس » بالحاء المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد ، وهو البحث .

١٢٩

وقال حُرَيْثُ بْنُ جَابِرٍ^(١) :

١- لَمَمَرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي حِينَ سَمَّيْتَنِي هَوَاكُمَعَ الْمَوْلَى وَأَنْ لَاهَوَى لِيَا

العَمْرُ والعُمَرُ لغتان ، ولا يُستعمل في القَسَمِ إِلَّا بفتح العين . وَأَنْصَفْتَنِي :
أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ والنِّصْفَ . ويقال انْتَصَفْتُ مِنْ فُلَانٍ ، أى اسْتَوْفَيْتُ حَقِّي
منه كاملاً حَتَّى صرْتَ أَنَا وهو على النِّصْفِ سواءً . ومعنى سَمَّيْتَنِي : جَسَمْتَنِي
حُطَّةً مِنَ الشَّرِّ . ويقال أيضاً : سَامَ فُلَانٌ فُلَانًا ، إِذَا دَاوَمَ عَلَيْهِ وَأَلْحَ فِي شَيْءٍ .
يقول : وبِقَائِكَ مَا أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ الرِّضَا بِأَنْ يَكُونَ لَكَ
هَوَى مَعَ مَوْلَاكَ ، حَتَّى تَنْتَقِمَ لَهُ وَتَذُبَّ دُونَهُ ، وَأَلَّا يَكُونَ لِي هَوَى مَعَ مَوْلَايَ
وَأُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ . قوله « وَأَنْ لَاهَوَى لِيَا » أراد : وَأَنَّهُ لَاهَوَى لِيَا .

٢- إِذَا ظَلِمَ الْمَوْلَى فَرَعْتَ لِظْلَمِهِ فَحَرَّكَ أَحْشَائِي وَهَرَّتْ كَلَابِيَا

يُبَيِّنُ كَيْفَ يَتَعَصَّبُ لِمَوَالِيهِ ، وَكَيْفَ يَأْتِي مِنَ اهْتِضَامِ يَلْحَقُهُمْ ، يَقُولُ :
إِذَا اهْتَضِمَ حَلِيفٌ لِي أَوْ ابْنُ عَمٍّ ، ذُعِرْتُ لِامْتِهَانِهِ وَاهْتِضَامِهِ ، فَاضْطَرَبَ أَحْشَائِي
وَنَبَحَتْ كَلَابِي . والمعنى : لَمْ أَعْتَدِ الْمُهْزِيْمَةَ فِيمَنْ يَتَّصِلُ بِي ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيَّ ،
فَإِذَا اتَّفَقَ وَقَوْعُهَا صَارَتْ كَلَابِي تَنْبِجُ ، وَأَخَذَتْ نَفْسِي تَمَلِّقُ . فيجوز أن يكون
تَحَرَّكَ أَحْشَاؤُهُ لَوْجِيبِ قَلْبِهِ وَخَفْقَانِهِ ، وَنَبَحَتْ كَلَابُهُ لِتَهَيُّئِهِ لِلانْتِقَامِ ، وَتَدَجُّجِهِ
فِي السَّلَاحِ لَهُ ، وَتَجَمُّعِ أَصْحَابِهِ وَإِعْدَادِهِمُ الْخَيْلَ وَالرَّجُلَ لِإِغَاثَتِهِ . وَالْكَلْبُ
يُنْكِرُ أَصْحَابَهُ إِذَا رَأَاهُمْ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ فَيَنْبِجُ . أَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ فِي مَثَلِهِ :

(١) التبريزي : « وقال حريث بن جابر بن سري بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع
بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن لبيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل » .

أناسٌ إذا ما أنكر الكلبُ أهلهُ حَمَوْا جَارَهُمْ من كل شنعاءٍ مُظلمٍ (١)
 ووجهٌ آخر ، وهو أن يكون تحرّكت أحشاؤه لاضطرابه في جمع من
 يجمع ، وإعداد ما يُعَدُّ ، والمتمسّرع في الشيء يلحقه ذلك ، ومثله .
 أشارت له الحربُ العوانُ نجاءها يُقَمِّعُ بالأقرب أولَ من أتى
 فقمعة الأقرب كتحريك الأحشاء وأكثُر . ويكون معنى فزعتُ أغثتُ
 على هذا . ومثله قوله :

* حَلَلْنَا الكَثِيبَ من زَرُودٍ لِنَفْرَعَا (٢) *

أى لُنغِث . ويجوز أن يكون أراد بالكلام الأصحاب ، ويكون مثل
 قول المهذلي (٣) :

ولا هَرَّها كَلْبِي لِيَبْعُدَ نَفْرُها ولو نَبَحْتَنِي بالشَّكَاةِ كِلابِها
 فقد فُسِّرَ في بعض الوجوه على هذا . وكذلك قول تَابَطُ شراً :
 * لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي كِلابِهِمْ (٤) *
 فُسِّرَ على ذلك أيضاً .

١٣٠

وقال البعيثُ بن حُرَيْثٍ (٥) :

١ - خِيَالُ لَأَمِّ السَّلْسَبِيلِ ودُونِها مَسِيرَةُ شَهْرِ لِلْبَرِيدِ المَذْبَدِبِ

- (١) روى في الحيوان (٢ : ٧) مع نسبهته إلى طفيل الغنوي : « شنعاء مطلق » .
 وفي الأمال (١ : ٥٥) : « مضلع » ، وقال : « ويروى مقطع » .
 (٢) للسكلجة العرفى في المفضليات (١ : ٣٠) . وصدده :
 * وقلت لكأس أجمعها فإنما *
 (٣) هو أبو ذؤيب . انظر ديوان المهذلين (١ : ٨٠) .
 (٤) عجزه في المفضليات (١ : ٢٦) : * بالعيكتين لدى معلى ابن براق *
 (٥) هو البعيث الحنفي ، كما في المؤلف ٥٦ . وهو البعيث بن حريث بن جابر بن سري
 بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن لجم . وقد سبق ترجمة
 والده حريث بن جابر في الحماسة السابقة .

خير الابتداء محذوف، كأنه قال: خيالٌ لهذه المرأة أتاني أو زارني،
وبيني وبينها مسيرة شهرٍ للبريد للسرع المتعجل. كأنه استطرف من الخيال
ما كان يستطرفه من المرأة لو زارت. وقوله «البريد المذبذب» كما يُقال
للسائق الحاث طارداً. ألا ترى قوله يصف فرساً:

* وَيَسْبِقُ مطروداً وَيَلْحَقُ طارداً *

لأنَّ المذبذبَ والمذبَّبَ الأصل فيهما واحدٌ، يَرْجِعُ إلى الطَّرْدِ
والاستمجال. والمُسْرِعُ المُسْتَعْجِلُ يتذبذبُ، أي يضطرب. فأما قوله تعالى:
﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ فهو من صفة المناقين، ومعناه مطرودين بين المؤمنين
والكافرين، فليسوا بمقبولين عند واحدة من الفرقتين. ومثلُ ذبَّ وذذبَّ،
كَبَّ وكبكبَّ. فإن قيل: لم نكّر فقال خيالاً لأمّ الساسبيل؟ قلت:
يجوز أن يكونَ كان يرى خيالها على هيئاتٍ مختلفة، فاعتقدَ لاختلاف هيئته
أنه عدَّةُ خيال، فلذلك نكّره، كأنه قصدَ إلى واحدٍ منها، ومثله:

خَيْالٌ لَزَيْنَبَ قَدْ هَاجَ لِي نُكَّاسًا مِنَ الْحَبِّ بَعْدَ انْدِمَالٍ^(١)

٢ - فقلتُ لها أهلاً وسهلاً ومرحباً فردَّتْ بتأهيلٍ وسهليلٍ ومرحبٍ

حكى مادارَ بينه وبين الخيال. والخيالُ يُذَكَّرُ وَيؤنثُ. وثبّه بكلامه
على أنه أظهر لها قبولاً حسناً، وبشراً وطلاقةً، ففعل التثوِّفَ لها، التثوِّقُ
إلى لقاءها، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها، فأجابته بمثل ذلك.
وانتصبَ أهلاً بفعلٍ مُضْمِرٍ كأنه قال أتيتُ أهلاً لا غرباء، وسهلاً من
المنازل لا حزناً، ورحباً من الأماكن لا ضيقاً: والتأهيل: مصدر أهلتُهُ أي
قلتُ له أهلاً. وكان يجب أن يقول فردَّتْ بتأهيلٍ وتسهيلٍ وترحيبٍ، لو أتى

(١) لامية بن أبي عاتق في ديوان المهديين (٢: ١٧٣) برواية: «خيالٍ لجمدة».

بالكلام على حَدِّ واحدٍ ، لكنّه أتى في بعضه بحكاية اللفظ ، وفي بعضه ببناء الأخبار . وقال سيديويه : إذا قال الرَّادُّ وبك أهلاً ، فإنّما يقول : أنت عندي بمنزلة من يقال له هذا لو جِئْتَنِي . وإنما قال هذا لأنّ الحال لا تقتضى من الزائر أن يُصَادِفَ المَزُورَ عندهُ ذلك ، فحمل الكلام - وقد اعتيد فيه ما ذَكَرَهُ - على أنه يُرَادُ لو جِئْتَنِي لَكنتَ بهذه المنزلة .

٥- مَعَاذَ الإِلهِ أَنْ تَكُونَ كَطَبِيَّةٍ وَلَا دُمِيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةَ رَبْرَبٍ

مَعَاذَ انتَصَبَ عَلَى المَصْدَرِ . والمعنى أَسْتَعِيذُ بِاللّهِ أَوْ أَعُوذُ بِهِ مَعَاذًا . كَأَنَّهُ أَنْفَ وَصَارَ يَرَى بِأُصْدِيقَتِهِ أَنْ تَكُونَ فِي الحُسْنِ بِمِثِّ تَشْبَهُهُ بِالطَّبِيِّ أَوْ الطَّبِيَّةِ أَوْ بِالصُّورَةِ المَنْقُوشَةِ ، أَوْ بِكَرِيمَةٍ مِنْ بَقَرِ الوَحْشِ ، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الأَشْيَاءُ عِنْدَهُ دُونَهَا ، وَقَاصِرَةً عَنْ رُتْبَتِهَا . وَقَدْ سَلَكَ مِنَ المَتَقَدِّمِينَ اسْمَهُ القَيْسُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ فَقَالَ :

كَانَ دُمِي سَقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَامُزُ بَدِ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرًا^(١)
غَرَائِرُ فِي كِنٍ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُفَقَّرًا

فَشَبَّهَ الدُّمِيَّ بِالنِّسَاءِ ، لِأَنَّ النِّسَاءَ بِالدُّمِيِّ . وَمَا يَسْتَعْمَلُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

كَأَنَّمَا جَادَ مَعْنَاهُ فَفَسِيرُهُ دُمُوعُنَا يَوْمَ بَانُوا وَهِيَ تَنْهَمِلُ
لأنّه شَبَّهَ الأَمطَارَ المَغِيرَةَ لِرُسُومِ الدِّيَارِ بِدُمُوعِ العُشَاقِ . فِي إِثْرِ الأَحْبَابِ
يَوْمَ الفِرَاقِ . وَالعَقِيلَةُ : الكَرِيمَةُ مِنَ النِّسَاءِ [وَالدُّرُّ^(٢)] وَكُلُّ شَيْءٍ .
وَالرَّبْرَبُ : القَطِيعُ مِنَ البَقَرِ .

(١) يزيد الساجوم ، مبيض لها في نسخة الأصل ، وإثباتها من شرح ديوان امرئ القيس ٩٢ - ٩٣ . والساجوم : اسم واد . والمزيد : الذي علاه الزيد . وفي م : « مزيد للساجور » ، تحريف . (٢) هذه من م .

٤- ولكنّها زادت على الحُسنِ كُلهُ كمالاً ومِن طيبٍ على كلِّ طيبٍ
 يقال : زدته فزاد وازداد جميعاً . وكالاً يفتصب على التمييز ، والمعنى أنها
 يزيد حُسنُها على كلِّ حُسنٍ كمالاً ، لأنّه لا حُسنَ إلا وتدخُله نقيصةٌ ، سوى
 حُسنِها . وكذلك كلُّ الطيبِ يتخلله حَطيطةٌ إلا طيبِها . و « من طيبٍ » أى
 وزادت من طيبِها على كلِّ طيبٍ طيباً . والغرض أن يبيّن لم أنكر لها^(١) تشبيها
 بغيرها ، فقال : هى ترفع عن ذلك : إذ كانت جامعةً للمحاسِن ، مستحقةً للوصفِ
 بالكمال ، وإذ كان كل واحدٍ من تلك الأشياء استبدَّ بصفةٍ دون صفةٍ ،
 ويتفرّدُ بنوعٍ دون نوع .

٥- وإن مسيرى في البلادِ ومنزلى لِبِالمنزلِ الأقصى إذا لم أقرب
 يقول : مكاني الذي أسير فيه من البلاد ، وموضعي الذي أنزل فيه ، لا بُدَّ
 للمنازل ، وأوضع المسائر ، إذا لم يلحقني فيها تقريبٌ وتعظيم . وقوله « أقرب »
 بمعنى أكرم وأدنى ، على طريق الإعظام . وليس يريد تقريب^(٢) المسافة به .
 ويجوز أن يكون المعنى إذا لم أقرب كنت بمنزلة المطرودِ المنفي ، وإن كنت مقياً
 دانياً . وكان الواجب أن يقول لِبِالمنزِلِ والمسير ؛ فاكتمى بأحدهما . وآثرَ المنزلَ
 بالذِّكر لأنَّ النزولَ لا يكون إلا بعد السير . ودلَّ بهذا الكلام على أنه لا يرضى في
 متصرفاته إلا بما يقضى بتجليله ، ويُفضى إلى اصطفائه والرفع منه ؛ وأنه لا يصبر
 على الهوان والجفاء حيث سار ونزل ، بل يطلبُ إكرامه وإلا انتقل وتحول .
 ٦- وأنت وإن قرّبت يوماً ببائعِ خلاقٍ ولا قومي ابتغاءَ التَّحُجبِ

(١) كلمة « لها » ليست في م .

(٢) م : « تقليل » .

يقول : لستُ وإن أدنيتُ وبُجِّلْتُ ببائعِ نصيبي من شَرَفِي ، وموضعي ^(١) من عشيرتي ، طلبًا للتَّحْسِبِ إلى من أجاورُهُ وأعاشِرُهُ ، أو تهالكًا في تعليق الطَّمَعِ بمن أرجوه وآملُهُ . والخَلَّاقُ : الحِظُّ والنَّصِيبُ من الصَّلَاحِ . ويقال : ما لفلانِ خَلَّاقٌ ، إذا لم يكن له رغبةٌ في الاستصلاحِ واكتسابِ الخيرِ . وانتصب « ابتغاءَ التَّحْسِبِ » على أنه مفعولٌ له .

٧ - وَيَعْتَدُهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي

يقول : وَيَعْتَدُهُ ما تبرأتُ منه وَأَنْفَتُ من فعله كثيرٌ من الناسِ تجارةً رابحةً ، وصفقةً مفيدةً نافعَةً ، وأنا يدفعني عنه ويُرْهِدُنِي فيه شرفي وديانتِي . وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهاً لنفسه ، وتزكيةً لفعاله وخُلُقِهِ فَقَطْ ، وأن يكون القصد منه التعريضُ بغيره . وهذه الأبيات وإن كان في جملتها ^(٢) ما ليس من الباب فإنه كَرِهَ تَبْدِيدَهَا لسلامتها من العَابِ ، ووفورِ حِظِّهَا من الانتخابِ .

٨ - دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ وَعَبَسَ وَقَدَّكَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبٍ

ما قَدَّمَهُ تَوَصَّلُ إلى بيانِ سرايانه أمرَ العَشِيرَةِ ، والتعطفِ على القريبِ وقتَ الحاجةِ ، والتمسكِ بما يوجبُه الكَرَمُ والحِرْمَانَةُ . يقول : دعاني هذا الرجلُ وصاحبُه مستغِيثَيْنِ ، بعد سوءِ ظنِّه بعشيرته وبِي لما أسْلَفَ من الشرِّ ، وقَدَّمَ من العُقُوقِ والإيذاءِ ، وقد كانا أشرفًا على حَدِّ الهلاكِ . هذا إذا رويتَ بفتح الكافِ مَنْكَبٍ ، والمعنى : شافها حَدَّ الشرِّ وحَرَفُهُ ، ولا يأمنانِ اقتحامَهُ وتوسُّطَهُ . ويقالُ أصابَهُ نَكْبٌ من الدَّهْرِ وَمَنْكَبٌ وَنَكْبَةٌ وَنُكُوبٌ كثيرةٌ ، ومنه قيلَ حافرٌ نَكِيبٌ ومَنْكُوبٌ ، إذا أثرَ فيه حجرٌ أو غيره .

(١) م : « أو موضعي » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « من جملتها » .

ويروى « على حدِّ مَنْكِبٍ » بكسر الكاف ، والمعنى : كانا مهاجرينِ لى .
يقال : فلانٌ معى على حدِّ مَنْكِبٍ ، أى كلما رآنى ألتوى ولم يتلقنى بوجهه ،
وتنكَّبَ عَنى ؛ أى اجْتَدَبَنِى . والمَنْكِبُ من كلِّ شىءٍ : جانبُه وناحيئُه .
ومثله قولُه : فلانٌ يلقانى على حَرْفٍ ؛ وهو منحرفٌ عنى و متحرِّفٌ . ويجوز
أن يريد بقوله « بعد ما ساء ظنُّه » بعد تسلُّط اليأس والقنوط من الحياة عليه .

٩ - وقد علما أن العشيبة كلها سوى محضرى من خاذلين وغيب

دلَّ بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستعانة به ، والاستظهار
بدعوته وإجابته . يقول : استغاثا بى متيقنين أن كلَّ عشيبرتهما إذا لم أحضُرْ
من بين شاهدٍ لا ينضُرْ ، وغائبٍ لا يحضُرْ وأن الكفاية لا توجد إلا عندى ،
والنصرة لها لا تحصل إلا بسعفى . وقوله « من خاذلين وغيبٍ » أراد ومن
بين غيبٍ ، فاكتمنى بمن الأوّل عن الثانى ، وقد مرّ القول فى مثله
مشروحاً . ومعنى سوى هاهنا معنى بدلٍ ومكانٍ . وذكر المحضّر والمراد
النفس ؛ كأنه قال : وقد علما أن العشيبة كلها بدلاً منى ومكانى ، من
خاذلٍ وغائبٍ .

١٠ - فكنت أنا الحامى حقيقة وائل كما كان يحمى عن حقائقها أبى

يقول : أعنتهما على ضعف رجاها ، وتسلط الظنون السيئة عليهما ،
جارياً على الغاية الموروثة عن أسلافى ، ومقتدياً فى الذبّ عن العشيبة ، والمواظبة
على حماية الحقيقة ، بأبائى . ويقال : حميت الحقيقة وحميت عن الحقيقة ، وهو
يحمى عليه ويحمى عليه .

١٣١

وقال المثلّم بن رياح^(١) :

١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي سِنَانًا رِسَالَةً وَشِجْنَةً أَنْ قَوْمًا خُذُوا الْحَقَّ أَوْدَعَهُ

يقول : مَنْ يُوَدِّي عَنِّي رِسَالَةً إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، بَأَنْ أَرْضِيَا الْحَقَّ وَقَوْمًا وَاسْتَوْفِيَاهُ ، أَوْ أتركَاهُ فَمَا لِكُمَا غَيْرُهُ وَإِنْ تَسَخَّطْتُمَاهُ . وَهَذَا تَوَعُّدٌ وَاسْتِهَانَةٌ . وَقَوْلُهُ « أَنْ قَوْمًا » أَنْ مَخْفَقَةٌ مِنْ أَنْ النَّقِيلَةَ وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ قَوْمًا . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ فِي : أَمَّا أَنْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَنْ الْمَفْسَّرَةَ ، كَأَنَّهُ فَسَّرَ الرِّسَالَةَ بِقَوْمًا خُذُوا الْحَقَّ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : أَنْتَفَخْرُ عَلَيَّ أَنْ أَصْحَابِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَصْحَابِي . وَأَنْ هَذِهِ تَجْرِي تَجْرِي أَيْ فِي أَنَّهُ يُفَسَّرُ بِهِ . وَلَوْ قَالَ قَوْمًا وَخُذُوا الْحَقَّ ، فَأَتَى بِمَرْفِ الْعَطْفِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ كَانَ أَفْصَحَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ بِغَيْرِ الْعَاطِفِ كَثِيرًا . وَقَوْلُهُ « قَوْمًا » لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ فِعْلَ الْقِيَامِ ، لَكِنَّهُ وُضِعَ فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ فِيمَا مَضَى أَمْثَالَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خُذُوا الْحَقَّ عَلَى طَرِيقِ التَّهْكُمِ وَالسَّخْرِيَةِ . أَيْ إِنْ قَدَرْتُمَا عَلَى أَخْذِ الْحَقِّ الْمُدَّعَى فَخُذَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَرَى كَمَا مَا سَمِيتَاهُ حَقًّا ، وَطَلَبِكُمَا لَهُ عِنْدِي سِوَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

٢ - سَأَ كَفَيْكَ جَنِّبِي وَضَعُهُ وَسَادَهُ وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تَعْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَمًا^(٢)

(١) التبريزي : « المثلّم بن رياح بن ظالم المري » . وقال المرزباني في المعجم ٣٨٦ : « المثلّم بن رياح المري جاهل ، وله يقول سنان بن أبي حارثه وأجاره عليه : من مبلغ عن المثلّم آية وسهلا فقد نفرتم الوحش أجمها هم إخوتي دنيا نلا تقرّبهم أبا حشرج وافصح بلحك مضمجما فأجابه المثلّم :

من مبلغ عن سنانا رسالة وشجنة أن قوما خذا الحق أودعا

(٢) قال التبريزي : « هو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان » . وقال أيضا : « قال أبو هلال في قوله إن لم تعط بالحق : هكذا روى ، وهو تصحيف =

يقول: أ كفيك ما يَمْشِي ويخْضِي ، ولا أضايك فيما يرجع نغمه
 وضره إلى . وذكروا وضع الجنب والوساد مأخوذ من المثل السائر في المعنى
 بالشيء المتعهد له ، وهو قولهم : « أم قَرَشَتْ فَأَنَامَتْ » : والمعنى : لا أكلفك
 عنايةً بأمرى ، ولا أوأخذك بمصالح أسبأبي : ومتى لم تناول مولاى أشجع
 الحق ، ولم تعامله فيما بينكما بالحق والعدل ، غَضِبْتُ له وانتقمْتُ ؛ لأن في
 تضييع حق المولى والأخذ بالتغميض فيه لازم العار ، وفي استعمال التغابي فيما
 يتعلق بى وإطراحي المناقشة والمشاحة فيه باقى الصيت والجمال . قوله « إن لم
 تُعْطِ بالحق » قيل فيه مفعولٌ تُعْطِ الثانى محذوفٌ ، ومعنى بالحق : بالعدل
 والإنصاف . كأنه قال : تُعْطِ أشجع ما يجبُ له بالحق . وقيل أراد بتُعْطِ
 تعاملُ فعداءه تعديته . وقيل بالحق هو المفعول الثانى ، لكنه زاد الباء فيه
 تأكيداً ، كما قال الآخر (١) :

* سُوْدُ الحَاجِرِ لا يَقْرَأُ بِالشُّورِ (٢) *

ويقلب فى نفسى أن الشاعر قال وأغضبُ إن لم تعطيا الحق أشجعا ،
 لأنه بنى الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين : سِنَانٍ وشِجْنَةٍ . ومخاطبته
 من بعد أحدهما فى قوله سأ كفيك ، على عادتهم فى الافتنان والتصريف ، لا يمنع
 من الرجوع إلى ما بنى كلامه عليه من ذكر الاثنين . وهذا ظاهر لمن تأمله .

= قبيح ، والصحيح : وأغضب إن لم يفضب الحق أشجعا . يقول : سأ كفيك أمرى كله ولا
 أحلك شيئاً ، وأغضب لك ولحقك إن لم يفضب له أشجع .

(١) هو الراعى النيرى ، أو القتال السكلايى ، إذ ورد فى شعر لكل منهما . الخزانة

(٣ : ٦٦٧) .

(٢) صدره : * هن الحرائر لازبات أحره *

٣ - تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا

يريد : تختلف الرِّمَاحُ للنسوبة إلى هذه المرأة^(١) بيننا وبينهم بالطَّعْنِ ، فصياحها كصياح بنات الماء إذا جاءت . وهذا كما حكى الآخرُ وَقَعَ الْقَنَا وَالسَّيْفُ عِنْدَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، فقال :

* وَالطَّعْنُ شَفْشَفَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْعَةٌ^(٢) *

وَيَعْنِي بِنَاتِ الْمَاءِ طَيُورَ الْمَاءِ . وهذا كما يقال في الوحش : بنات النَّوْأِ ، وللنواثب : بنات الدَّهْرِ .

٤ - لَفَفْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّتْنَا مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا

يقول : استأنفنا حالةً جامعةً لنا ولعشيرتنا ، فاستقبلتنا بالتباين اجتماعاً ، وبالتزاييل اختلاطاً ، وبالتنافر تأنساً ، وبالتشارد تألقاً ، حتَّى صِرْنَا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى الْمُنَابِذِينَ ، ولساناً واحداً على المخالفين ، فمن رَمَى واحداً مِنَّا فَقَدَ رَمَى جَمِيعَنَا . هذا إذا رويت : « مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا » . ومن روى : « مِنْ يَرْمِيهِمْ يَرْمِنَا مَعَا » يكون المعنى في اجتماع الكلمة أبين . وفي هذه الطَّرِيقَةُ قَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

فَأَمْسَى كَعْبَهَا كَعْبًا وَكَانَتْ مِنَ السَّنَانِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابًا

(١) هي رديئة ، واسم زوجها سمهر ، كانا يقومان الرماح بخط هجر ، فانسبت إلى كل منهما . السان (سمهر ، ردن) .

(٢) البيت لبيد مناف بن ربيع الهذلي . السان (شغ ، هقع ، عول ، عضد) وبقية أشعار الهذليين ص ٣ . وقد سبق الاستشهاد به في ص ٣٧ . وعجزه :

* ضرب المول تحت الديمة المضدا *

(٣) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب . المفضليات (٢ = ١٢٥٨) .

١٣٢

وقال آخر^(١) :١- يازمِلُ إِنِّي إِنْ تَكُنْ لِي حَادِيَا أَعَكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُغْ لَا تَسْبِقُ^(٢)

يقولُ : إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنِّي حَتَّى يَكُونَ مَكَانَكَ مَكَانَ الْهَادِي مِنَ الْبَعِيرِ
أَعْطِفْ عَلَيْكَ . وَإِنْ تَقَدَّمْتَنِي هَارِبًا حَتَّى تُصِيرَ كَالْهَادِي لِي مُسْتَعْمَلًا الْخُدَاعِ
وَالرَّوَاغَ مَعِيَ لَمْ تَفْتُنِي . وَالْمَعْنَى : إِنِّي أُدْرِكُكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَقَدْ أَحْسَنَ النَّابِغَةُ
فِي قَوْلِهِ :

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
ويقال عَكَرَ وَعَتَكَرَ بِمَعْنَى عَطَفَ ، وَإِنَّهُ لَعَكَرٌ فِي الْفِتَنِ ، إِذَا كَانَتْ
ثَابِتَ الْقَدَمِ .

٢- إِنِّي أَمْرٌ وَتَجِدُ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

يقول : إِنِّي رَجُلٌ يَنَالُ أَعْدَائِي مِنْ عِدَاوَتِهِمْ لِي مَا يَنَالُ الْإِبِلَ مِنَ الذُّبَابِ
الْأَزْرَقِ ، وَهَذَا الْجِنْسُ مِنَ الذُّبَابِ يَتَأَذَى بِهِ الْإِبِلُ تَأَذَّى الْحُمْرُ بِالنَّعْرِ أَوْ أَشَدَّ .
وعداوتي ينتصب على المفعول . كأنه قال : يجد الرجال من عداوتي ، فحذف

(١) عند التبريزي فقط : « وقال ابن دارة » . وابن دارة هو سالم بن مسافع
ابن يربوع - ويربوع هو دارة ، وإنما سمي دارة لأن رجلا من بني الصادر قتل ابن عم
ليربوع ، فقتله به وأخذ ابنته ، ثم أرسلها فأنت قومهها ، فسألوها عن قتل أباهما فقالت : غلام
كأن وجهه دارة التمر . انظر الخزانة (١ : ٢٩١) والأغانى (٢١ : ٥٠) .

(٢) زمل هذا ، هو زميل بن أبيير ، أحد بني عبد الله بن مناف ، قاتل ابن دارة .
وفي ذلك يقول :

أنا زميل قاتل ابن دارة وغاسل الخزاة عن فزاره .
وكان سالم وزملا جميعاً في صدر الإسلام ، أدركا زمناً معاوية .

حَرَفَ الجَرَ ووصل الفِعلَ فَعَمِلَ . يَدُلُّ على ذلك قوله . « وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الذُّبَابِ » . ومثله :

* أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لستُ مُحْصِيَهُ (١) *

وقوله « عداوتي » يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل ، أى عداوتى لهم ، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول ، أى عداوتهم لى ومعنى تَجِدُ تَحَزَنُ ، ولذلك كان الوجدُ مَصْدَرَهُ . ويجوز أن يكون تجد بمعنى تَنَلَّمَ ، ويكون عداوتى المفعول الأول وَوَجَدَ الرَّكَّابُ المفعول الثانى . والمعنى : إن عداوتهم لى تُنْقِلُهُمْ وَتُنزِّيهِمْ ، فيعلمها الرِّجَالُ مثلَ وَجَدِ الرَّكَّابِ من هذا الجنس من الذُّبَابِ ؛ أى يغالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل فى البيت تجنيسٌ حينئذ .

١٣٣

وقال الحُصَيْنُ بنُ الحُمَامِ (٢) :

١- فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا

يقول : قلتُ لهؤلاء القوم : ما لكم تُحْجِمُونَ ولا تُقَدِّمُونَ ، فقدَّ بعضكم بَعْضًا ولا اهتدى أحدكم إلى الآخر . وهذا الكلام تَصَجَّرُ منه بهم لما تخاذلوا ولم يكونوا عند الظنِّ فيهم . وَوَضَعَ مُقَدِّمًا موضع الإقدام ، وساغ ذلك لأنَّ مصادِرَ الكلمات الصَّادِرة عن أَضْلٍ واحدٍ يوضعُ بَعْضُها موضعَ البعضِ لداعٍ يَدْعُو إِذَا لم يَكُنْ مِمَّ مَانِعٌ . وإنما قلتُ هذا لأنَّ قَدِّمَ يكون مرَّةً متمدِّيًا ،

(١) هو من أبيات سيبويه الحسين التي لا يعرف لها قائل . سيبويه (١ : ١٧)
والخزاعة (١ : ٤٨٦) . وعجزه :

* رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤١ .

وسمة يكون بمعنى تقدم ولا يتعدى ، ومُقدِّمًا هاهنا مصدر ما لا يتعدى ، فهو
مِثْلُ تَقَدَّمَ لَوْ قَالَهُ ، ومنه مُقَدِّمَةُ الحَيْشِ ، يُرَادُ مُتَقَدِّمَتُهُ . وقوله « تَقَادَّمْتُمْ »
اعتراضٌ بين ما لَكُمْ وبين لا تُقَدِّمُونَ ، وهو دعاءٌ عليهم . ومثله في الأمرين
جميعاً قولُ الآخر (١) :

إِن التَّمَانِينَ وَبُلَّغْتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمِيحِي إِلَى تَرْجُمَانِ
وَإِنْ كَانَ هَذَا دُعَاءَ خَيْرٍ .

٢ - مَوَالِيكُمْ مَوَالِي الْوِلَادَةِ مِنْهُمْ وَمَوَالِي الْيَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسِّمًا

إِنَّمَا قَسَمَ الْمَوَالِي هَذِهِ الْقِسْمَةَ لِأَنَّ الْمَوَالِي لَهُ مَوَاضِعٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ ، مِنْهَا الْمَوَالِي فِي
الدِّينِ : وَهُوَ الْوَالِيُّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا
وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ
فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَرْبِنَةٌ وَأَسْلَمٌ وَغِفَارٌ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ » .
وَمِنْهَا الْعَصَبَةُ وَبَنُو الْعَمِّ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ الشَّاعِرُ مَوَالِي الْوِلَادَةِ . وَمِنْهَا الْحَلِيفُ ،
وَهُوَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْكَ وَاعْتَزَّ بِعِزِّكَ وَامْتَنَعَ بِمَنْعِكَ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ مَوَالِي الْيَمِينِ ؛
لِأَنَّهُ يُقْسِمُ لَهُ عِنْدَ الْانْضِمَامِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ الْمُعْتَقُ لَكَ يَنْتَسِبُ بِنَسَبِكَ ، وَأَنْتَ
مَوْلَاهُ وَذَلِكَ مَوْلَاكَ . وَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الْمَوَالِي لَا يَكَادُ يَفْضُلُ الصِّمِيمِ ، قَالَ :

وَلَيْسَ أُبَيْرُكُمْ كَأُبَيْرِ سَوْءٍ وَمَا جُعِلَ الْمَوَالِي كَالصِّمِيمِ

يَقُولُ تَدَارَكُوا الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ بِالْوِلَاءِ ، وَوَالِي النَّسَبِ ، وَوَالِي الْحَلِيفِ
وَالنُّصْرَةِ ، فَكُلُّ مَنْهُمْ ذُو حَبْسٍ عَلَى الشَّرِّ مُتَقَسِّمٌ الْحَالِ ، ، مَتَوَزِعُ الْمَالِ مُفَارٌّ
عَلَيْهِ ، فَمَا لَكُمْ لَا تَمْتَعِضُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ .

وقوله : « حَابِسًا » فِي مَعْنَى مَحْبُوسٍ ؛ لَكِنَّهُ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النَّسَبِ ؛ أَيْ

(١) هو عوف بن محلم الخزاعي . الأمال (١ : ٥٠)

ذو حَبَسٍ ، وانتصابه على الحال . وقوله « مواليكم » على هذا انتصب بفعلٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : أغيثوا مواليكم وتداركوا . وَيُرْوَى « حَابِسٌ قَدْ تُقَسِّمًا » . وقيل هو اسمٌ عَلَمٌ ، وارتفاعه على أنه بدلٌ من مولى اليمين ، وقد تُقَسِّمًا في موضعِ الْخَبَرِ . واكتفى بالإخبار عن الْمَوْلِيِّينَ لِأَنَّ الْمَوَالِي انقسموا إليهما .

٣- وَقُلْتُ تَبَيَّنَ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهْيِ الْأَكْفِ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا^(١)

يُرْوَى « فَارِسًا غَيْرَ أَخْرَمًا » ، كأنه أقبل على واحد منهم فقال : تأمل هل ترى بين هذين الموضعين فارسًا غيرَ مُنْقَطِعٍ . المعنى : أنهم يتواترون أرسالاً في الصَّرَاحِ غير متجَمِّعين له ، بل يَتَّبِعُ بَقْضَهُمْ بَعْضًا فِي أَرْضِكُمْ وَدِيَارِكُمْ يَسْتَنْصِرُونَ فَلَا يُنْصَرُونَ ، فَمَا لَكُمْ لَا تَأْتِفُونَ . ومن رَوَى : « صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا » فمعناه مستفهِيًا لَا يُجَابُ ، فكأنه أعجم لا يفهم قوله . يريد : تَبَيَّنَ فَإِنَّكَ لَا تَرَى إِلَّا فَارِسًا أَخْرَمًا ، أَوْ صَارِخًا أَعْجَمًا . والأعجم : الذي لَا يُفْصِحُ . والصارخ والصَّرِيحُ واحد ، ويقال صرَّخَ فَاصْرَخَتْهُ ، أى استغث فَاغْتَثَهُ . وفي القرآن : ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ وَالصَّرِخَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْفَزَعِ وَالْمَصِيبَةِ . وفي المثل « لَهُ صَرِخَةُ الْحَبْلِ » . وَالْخَرْمُ : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ أَخْرَمُ الْكَتِفِ ، وَهُوَ مَحْزُورٌ فِي طَرَفِ عَيْرِهَا^(٢) .

٤- مِنَ الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا

أى ابتداء الأعداء يغيرون ويتهبُّون ، وهؤلاء يصرخون ويستغيثون ، من

(١) التبريزي ومعجم البلدان : « ونهى الأكف » ، ونص ياقوت على أن النهي بالكسر ويفتح . وذكر التبريزي في بعض رواياته : « غير أخزما » ، وقال : « و صارخ ، قبل منغيث . وأخزم : جبل . ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين المادين مفرع إلا هذا الجبل » .

(٢) في الأصل : « غيرهما » ، وفي م : « غيرها » ، والوجه ما أثبتنا . والعيير ، بفتح العين المهملة : كل عظم ذاتي .

وقت الغداة إلى أن غابت الشمس ، فلا ترمى من الخليل إلا ما خرج بنفسه لا أوتية له كمثلِه ، وقد أعلم بعلامة ليعرف بلاه صاحبه . وقوله : « من الضئج » ، وُضِعَ مِنْ فِيهِ مَوْضِعٌ مُنْذُ ، لِأَنَّ مُنْذُ فِي الْأَزْمَنَةِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي الْأَمْكَنَةِ . ومثله قول زهير :

* أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ^(١) *

وقال الأصمعي : الخارجي : كلُّ مُتَنَاهٍ فِي جَنْسِهِ ، فَاتَّقِ نَظْرَاهُ فِي مَعْنَاهُ .
والمسوم من السيام ، وهي العلامة ، وفي القرآن : ﴿ سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ .

٥ - عَلَيْنَ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادًا وَكَرَمًا

يقول : على هذه الخليل رجال كسَاهُمْ مُحَرَّقٌ ، أي دروعهم وسائر أسلحتهم مما كان يكسوم ، ويجعله خِلْمَةً : وكان مُحَرَّقٌ إِذَا كَسَا الْأَسْلِحَةَ أُنِي بِهَا جَيِّدَةً كَرِيمَةً . وَمُحَرَّقٌ : لَقَبٌ لِعَمْرُو بْنِ هَنْدٍ ، وَكَانَ أَحْرَقَ قَوْمًا مِنْ تَمِيمٍ حِينَ أَجَجَ النَّارَ بِأَوَارَةٍ ، فَلَقَّبَ بِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا عَاقَبَ عَاقِبَ بِالنَّارِ . وقوله « إِذَا يَكْسُو » اعتراضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَهُوَ يَكْسُو وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ بِهِ وَهُوَ « صَفَاحٌ بُضْرَى » مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَيُقَالُ أَجَادَ الشَّيْءِ بِمَعْنَى جَاءَ بِهِ جَيِّدًا ، وَبِمَعْنَى جَوْدَةً . وَكَذَلِكَ أَكْرَمَهُ يَكُونُ بِمَعْنَى أُنِي بِهِ كَرِيمًا ، وَبِمَعْنَى كَرَمَهُ . وَقَدْ تَوَسَّعُوا فِي كَسَا وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْكُسُوَةِ اللَّبَاسِ ، فَقِيلَ : اكْتَسَى الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ ، عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَقَالَ رُوْبَةُ يَصِفُ النَّوَرَ وَالْكَلابَ :

* وَقَدْ كَسَا فِيهِنَّ صَبْغًا بَرَزَا *

أى كسا الكلابَ دَمَا طَرِيًّا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ نَبَالٍ :

* وَرُزِقَ كَسَتْهَا رِبْشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ *

أى قَدْذُها من ريش مَضْرَحِيّ . فعلى هذا قوله « كسام مُحَرَّق » .

٦- صَفَاخُ بُضْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا وَمُطَرِدًا مِنْ نَسِيجِ دَاوُدَ مُبْهِمًا
صَفَاخُ انتَصَبَ على أنه مفعول ثانٍ من كَسَامَ مُحَرَّقٌ . وَبُضْرَى : قَرْيَةٌ
بِالشَّامِ تُطْبَعُ بِهَا الشُّيُوفُ . فيقول : كَسَامُ مُحَرَّقٌ سِيُوفًا بُضْرِيَّةً ، اتَّخَذَهَا
طَبَاغُوهَا مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ ، وَدُرُوعًا لَيْفَةً سَهْلَةً سَلِسَةً ، مُتَابِعَةَ السَّرْدِ ،
تَطَرَّدُ وَلَا تَحْتَلِفُ ، دَاوُدِيَّةً . وَالصَّفَاخُ : جَمْعُ صَفِيحَةٍ ، وَهِيَ كُلُّ سَيْفٍ عَرِيضٍ
أَوْ خَشَبِيَّةٍ عَرِيضَةٍ . وَيُقَالُ سَيْفٌ مُصَفَّحٌ أَيْضًا ، أَيْ عَرِيضٌ ، كَأَنَّهُ زَيْدٌ فِي
صَفْحَتَيْهِ ، أَيْ جَانِبَيْهِ . وَيُقَالُ أَصْفَحَ سَيْفَهُ ، أَيْ ضَرَبَ بِصَفْحِهِ . وَمَعْنَى
أَخْلَصَتْهَا : أَتَتْ بِهَا خَالِصَةَ الْحَدِيدِ . وَاسْتَعْمَلَ الْكِسْوَةَ فِي السَّيْفِ كَمَا يَسْتَعْمَلُ
فِيهِ الْبَرُّ . قَالَ :

* فَوَفَّرَ بَرٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ ^(١) *

يُرِيدُ السَّيْفَ . وَوَصَفَ الدَّرْعَ بِالْأَطْرَادِ لِتَتَابِعِ سَرْدِهَا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ ،
لَا اخْتِلَافَ فِي حَلْقِهَا ، وَلَا تَفَاوُتَ فِي نَظْمِهَا . وَجَعَلَهَا مُبْهِمًا لِإِحْكَامِهَا .

٧- فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا ^(٢)

يَقُولُ : لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ مُسْتَفْجِلًا ، وَالخَطْبَ عَظِيمًا مُسْتَفْظَمًا ، وَالصَّبْرَ
عَامًّا لَنَا كَغُنَّا ، مَغْلُوبًا عَلَيْهِ مَمْنُوعًا ، صَبْرًا نَأْمَنُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِنَا عَلَى عَادَتِنَا الْمَهُودَةِ
مِنَّا ، وَوَطْئًا أَنْفُسَنَا عَلَى الشَّرِّ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ « لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ
حِيلَ دُونَهُ » لَمَّا رَأَيْتُ الْوَقْتَ وَقَتًا يُعَالُ فِيهِ الصَّبْرُ ، وَيُحَالُ بَيْنَ طَالِبِيهِ وَبَيْنَتِهِ .

(١) لقيس بن عيزارة الهذلي ، في ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) . وصدوره :

* فويل أم بزجر شعل على الخصى *

(٢) م : « ولما رأيت » . التبريزي : « ولما رأينا الصبر » .

وقوله « وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلمًا » اعتراضٌ بين لمتا وجوابه ، وهو شرطٌ في وقوع الصبر منهم يُترجم عن الحال . أى صَبَرْنَا وإن كان اليومُ يوماً مُظلمًا ترى فيه الكواكب ظهراً ، لانسداد عين الشمس بغير الموت . وجوابُ الجزاء استغني عنه بجواب لمتا . وروى بعضهم : « وأن كان يوماً » بفتح الهمزة على أن يكون أن مخنفة من الثقلية ، والمرادُ وأنه كان اليومُ يوماً ذا كواكب . وهذا الراوى لعله لم يعرف الاعتراضاتِ والفصاحةَ فيها ، والتبسَ المعنى عليه أيضاً .

٨ - صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمًا^(١)

يقول : حملنا أنفسنا على المكروه ، وحبسناها في مجال الموت والشر ، وكان ذلك منّا عادةً وطبيعةً . وقوله « أسيافنا » يجوز أن يتعلق الباء منه بصَبَرْنَا ، واعتراض بينهما قوله « وكان الصبرُ منّا سجيّةً » ، إذ كان أراد أن يُبين أن ذلك الفعل ليس بمُستبدعٍ ولا مُستنكرٍ من أخلاقهم . ويجوز أن يتعلق بما دلّ عليه « وكان الصبرُ منّا سجيّةً » . وَيَقْطَعْنَ في موضع الحال للأسياف على الوجهين جميعاً . وفي طريقته قول نهشل بن حرّى :

وَيَوْمٍ كَانَ الْمُضْطَلِّينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارًا فَعُودًا عَلَى جَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يُبَوِّخَ وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامَ الْكَرْهَةِ بِالصَّبْرِ

٩ - نَفَلَتْ هَامًا مِنْ أَنَاسٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

يقول : نُشَقِّقُ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا وَيَعِزُّونَ ، لما يجمعنا وإياهم من الأحوال الوكيدة ، والحرم القويّة بالأنساب والأسباب ، وهم كانوا

(١) ابن جنّي : « يريد أكفا ومعاصم ، فوضع الواحد موضع الجمع وجاز ذلك لأنها إنما يقطعها كفا كفا ، ومعصا معصا ، فتصور هذه الحال فوجد » .

أشدَّ عقوقاً وأتمَّ ظلماً ، بما أطرحوه من مراعاة الحقوق ، وبدءوا به من تناسي العمود ، واستعجلوه من البني ، وسلكوه من سنن النبي . ويروى أن يزيد ابن معاوية لا رحمه الله^(١) تمثّل بهذا البيت لما وُضِعَ بين يديه رأسُ الحسين ابن علي رضي الله عنهما .

١٠- ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعي عمَدتُ إلى الأمر الذي كان أحزماً

١١- فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بِذِلَّةٍ ولا مُرتقٍ من خشيةِ الموتِ سُلماً

قوله « إلى الأمر الذي كان أحزماً » جعلَ الحزْمَ للأمر كما جعلَ له العزمُ في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ ﴾ ، فكلُّ ذلك مجازٌ واتساعٌ . وصَلَحَ أن يريد بقوله أحزَمَ ، أحزَمَ من غيره ، لوقوعه خبراً ، لأنه كما يجوز حذف الخبر بأسره إذا دلَّ دليلٌ عليه ، كذلك يجوز حذف ما يتمُّ به منه إذا لم يلتبس بغيره ، ولم يختلَّ الكلامُ بسببه . وقوله « لما رأيتُ الودَّ » حَذَفَ المضاف فيه وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : لما رأيتُ مراعاة الودِّ ومحافظةه ، أو إظهار الود وإبقائه . ومعنى البيت : لما رأيتُهم لا يترددون عن ركوب الرأس ، والمجازة إلى أقصى ما في الطوق من اللجاج والشر ، قصدتُ إلى ما كان أجمعَ للحزْمِ معهم من مكاشفتهم ، وتركِ الإبقاء عليهم ؛ لأن ظهور التعادى والتكاشف خيرٌ من ركوبِ الضرور^(٢) مع التشابك . ويُلاحظ هذا البيت قولُ الآخر :

إذا حاجةٌ عزَّتكَ لا تستطيعُها فدعها لأخرى آيين لك بابها

وقوله « فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبِّة^(٣) » ، يقال ابتاعَ الشيء بمعنى اشترى ،

(١) م : « لعنه الله » .

(٢) الرواية في متن البيت : « بذلة » . أما رواية « بسبة » فقد أشار إليها التبريزي .

(٣) كذا في النسختين . والوجه « الضرر » .

وإن كان بعثته بمعنى اشتريته وبعثته جميعاً . والشبّة : الخصلة التي يسب بها ،
فهي كالهجنة والعرة^(١) . يقول : فعلت ذلك ، فإنني لست ممن يطلب العيش مع
الذلّ ، ولا ممن يرتقى في الأسباب خوفاً من الموت ، بل الميتة الحسنه على
ما يتعقبها من الأحدوث الجميلة آثر عندنا ، وأوقع من هوأنا ، من العيشة الذميمة
على ما يحاطها من الرضا بالذنية .

١٣٤

وَقَالَ بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ^(٢) :

١- وَقَدْ غَضِبْتُ خِنْدِفَ وَلَقَيْسَهَا لَمَّا وَنَى عَنْ نَصْرِهَا خُدَّالَهَا

خِنْدِفٌ . لَقِبْتُ لِلَيْلى امْرَأَةَ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ ، لَقَوْلِهَا لَزَوْجِهَا يَوْمًا : مَا زِلْتُ
أَخْنِدِفُ فِي أَثَرِكُمْ - وَالْخِنْدَفَةُ : مَشِيَةٌ كَالْهَرَوَلَةِ - فَقَالَ لَهَا : وَأَنْتِ خِنْدِفٌ .
فَلَزِمَهَا ، فَصَارَتْ مُضَرُّ نَسْلِينَ : أَحَدُهَا وَلَدُ قَيْسِ بْنِ عِمْلَانَ ، وَالْآخَرُ خِنْدِفٌ .
وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ظَلِمَ . فَنَادَى : يَا خِنْدِفُ^(٣) . فَخَرَجَ
الزُّبَيْرُ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، وَهُوَ يَقُولُ : خِنْدِفُ أَيُّهَا الْخِنْدِفُ ، وَاللَّهِ لَئِنْ كَفَيْتَ مَظْلُومًا

(١) في الأصل : « والعرة » وفي م : « والغرة » ، والوجه ما أثبتنا ، والعرة
بوزن الهجنة : ما يعترى المرء من جنون .

(٢) جعل التبريزي هذه الحماسية لبشامة بن حزن : وقال : « قال أبو هلال : في
الشعراء رجلان يقال لهما بشامة ، أحدهما بشامة بن الغدير ، وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة
بن عوف بن سعد بن ذبيان . . . والآخر بشامة بن حزن الهشلي ، وهذا الشعر له . وقال
الأمدي : هو لبشامة بن الغدير » . وابن الغدير خال زهير بن أبي سلمى ، كما في المؤلف
للأمدي ص ٦٦ . وقد سبق لبشامة بن حزن الحماسية رقم ١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « خندف إليك أيها الخندف » ، وصواب
هذه الأخيرة : « أخندف إليك أيها الخندف » ، كما في اللسان (خندف) ، وقال : « يقول :
يا من يدعو خندفاً أنا أجيبيك وآتيك . قال أبو منصور : إن صح هذا من فعل الزبير فإنه كان
قبل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعزى بجزاء الجاهلية » .

لأنْصُرَنَّكَ . يقول : عَضِبْتُ لِنَسَلِي مُضَرَ خِنْدِفٍ وَقَيْسٍ ، لما وني عن معاوتها
والنُّهُوسِ لها نُصَارُهَا . ويقال وَنَى بِنِي وَنِيًا ، وهو وانٍ . وإنما قال : «خُذْهَا»
ولم يَقُلْ نُصَارُهَا ، لأنه وصفهم بما آل إليه أمرهم . وهذا كما يُقال قَتَلْتُ
قَتِيلَ بَنِي فلان ؛ وقد مَضَى له أشباهُ وأمثال . فكانَ الشاعرُ تبرعَ بما كان
منه من المدافعة دُونهم والمقاتلة عنهم ، فلذلك تَحَمَّدَ به . وقال غَضِبْتُ لَهُمْ لما
رَأَيْتُ مِنْ وَجَبِ نُصْرَتِهِمْ عَلَيْهِ خَذَلَمَ . وجوابُ لَمَّا وَنَى ، ما هو صدر البيت .

٢ - دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَتَنَعْتُهَا وَوَلَدَيْ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

هذا تفسير للفضب الذي ذَكَرَهُ وبيان نقيجته . والعَرِضُ : النَّفْسُ ،
وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْحَسَبِ . يقول : ذَبَبْتُ عَنْهَا وَمَنَعْتُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا ، وَوَلَدَيْ فِي
أَمْثَالِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ أَمْثَالُ هَذِهِ النَّصْرَةِ . هذا وَجِهٌ ، ويجوز أن يريد وَوَلَدَيْ فِي
أَمْثَالِ هَذِهِ النَّصْرَةِ أَمْثَالُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . والقرائن التي تسوِّغُ رَدَّ الضَّمِيرِ
إِلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ حَاضِرَةٌ فِي الْكَلَامِ قَوِيَّةٌ .

٣ - إِنِّي أَمْرٌ وَأَسْمُ الْقَصَائِدِ لِلْعِدَى إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

هذا يمكن الاستدلال به على صحّة المعنى الثاني ، ومعنى «أسمُ القصائد» :
أَعْلَمُهَا بما يصير كالسِّمَةِ عَلَيْهَا ، حتى لا تُنْسَبَ إِلَى غَيْرِي ، وَحَتَّى يُعْرَفَ مِنْهَا
السَّبَبُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ ، فَمَنْ سَمِعَهَا عَرَفَ قِصَّتَهَا ؛ ولهذا قال إِنَّ الْقَصَائِدَ
شَرُّهَا أَغْفَالُهَا ، أَيْ شَرُّ الشَّعْرِ مَا لَا مِيسَمَ لِقَائِلِهِ وَالْمَقُولُ فِيهِ عَلَيْهِ . ويقال
دَبَّةٌ غُفْلٌ ، إِذَا عَرِيَ مِنَ الْأَعْلَامِ . وسمعتُ من يقول في البيت إنه مقلوبٌ ،
والمرادُ أَسْمُ الْعِدَى يَقْصَائِدِي ، كما قال الآخر^(١) :

(١) هو المتلمس . ديوانه ص ١ نسخة الشنقيطي بدار الكتب والكمال ١٥٨ ليبسك .

* جعلت له فوق العرائن ميسماً^(١) *

والأول أ كَشَفُ وَأَصْحَ ، بِدِلَالَةٍ أَنْ الْفَعْلَ جَعَلَهُ مِنَ الْقَصَائِدِ ، فَكَذَلِكَ الْمَوْسُومُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا^(٢) .

٤ - قَوْمِي بَنُوا الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِجَمْعِهِمْ وَالْمَشْرِقِيَّةِ وَالْقَنَا إِشْعَالَهَا يُرْوَى « وَالْمَشْرِقِيَّةِ بِالْجُرِّ » وَيَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْمِي إِخْوَانُ الشَّرِّ الْفُطَيْحِ ، وَأَبْنَاءُ الْحَرْبِ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَصَارَتْ عَوَانًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَكْرًا ، أَيْ رُفِعَتْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَشَدَّ مِنْهَا ، وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخَرِ :

فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَاءَ بِكِرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَدِّ النَّقَالِ

وعلى ما ذكرنا يتم الكلام بقوله العوان؛ ثم قال «بجمعهم» أي باجتماع قومي واجتماع آلات الحرب اشتعلت نارها . والباء من بجمعهم يتعلق بقوله إشعالها . ويروي « والمشرقية » بالرفع ، ويكون على هذه الرواية تمام الكلام عند قوله بجمعهم؛ لأن الباء منه حينئذ يتعلق بقوله العوان^(٣) . والمعنى: قومي بنو الحرب التي عونت، أي صارت عواناً بهم ، وباجتماع جيشهم؛ ثم استأنف الكلام؛ فقال: « والمشرقية والقنا » ، والمراد واشتعال نارها بالرماح والسيوف المشرقية .

(١) صواب الرواية: « جعلت لهم » . وصدر البيت :

* ولو غير أحوالى أرادوا نقيضتي *

(٢) التبريوي: « قال أبو العلاء: أي أجعل فيها شيئاً تشهر به وتعرف ، كما تعرف الناقة بسمتها . وأما الشعراء اليوم فيجعلون الموسوم من الشعر ما ذكر في قافيته اسم المدوح ، كقول الأعشى :

قآليت لا أرثي لها من كلاله ولا من حتى حتى تلاقى محمداً .

(٣) ابن جنى: « والقنا إشعالها ، أي ذوات إشعالها ليكون الثاني الأول ، وهذا واضح . والباء في بجمعهم حال من قومي ، أي قومي في حال اجتماعهم بنو الحرب . وعمل فيها ما في بنى الحرب العوان من معنى الفعل . ألا تراه في معنى صبر ومقدمون » .

وهذا الكلام - أعنى والمشرقية - وإن استؤنف به فن صفة الحرب . وقيل في المشرقية إنها نسبت إلى المشارف ، وهي فِدَى معروفة تُجَلَّب منها وتُطَبَّع بها . ويقال : أشعلتُ النَّارَ في الحَطَبِ ، وأشعلتُ الخيلَ في الغارة ، وأشعلته غَضَبًا .

٥- مازالَ معروفًا لمرَّة في الوَعَى عَلَّ القَنَا وَعَلِيهِمْ إِنهَاهَا

ما زال لدوام الماضي ، وارتفع عَلَّ القَنَا على أنه اسمه ، وخبره معروفًا . والمعنى : سَقَى الرِّمَاحَ عَلَلًا بعد نَهَلٍ عَادَّةً معروفةً لهم ، فيما تقادم من الأيام إلى الآن إذا حضروا الحرب . والعَلُّ والعَلَلُ : الشَّرْبَةُ الثانية ، ويقال : عَلَّ إبْلَهُ يَعْطَلُهَا قَعَلَتْ هي . وَأَنْهَكَتُ الإِبِلَ ، إذا سَقَيْتَهَا أَوْلًا ، فَهَلَّتْ ، إذا شَرِبَتْ في أَوَّلِ الورد حتى رَوَيْت . ومثل هذا البيت قول الآخر :

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْهَلْنَا الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا

وتوسَّعُوا في الاستعمال حتى سَمَّوا منازل السَّفَرِ على المياه مَنَاهِلَ . وإنما قال : « وعليهم إنهاها » لأنه كأنه جعل ذلك واجباً عليهم .

٦- من عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

وَضَعَ مِنْ فِي قَوْلِهِ « مِنْ عَهْدِ عَادٍ » مَوْضِعٌ مُنْذُ لِقَوَّتِهَا وَكَثْرَةِ تَصَرُّفِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي بَابِ الْجَرِّ ، وَأَدَاءِ مَعْنَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ ﴾ ، وَقَوْلُ الرَّاجِزِ :

مِنْ غُدُوقٍ حَتَّى كَانَ الشَّمْسَا بِالْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ تَطَلَّى وَرَسَا

ومعنى البيت أنه تَبَّه على مجاذبتهم للملوك والعليّة ، لا للأذنان والسفلة . والقِتَالُ في ترتيب الفعل مُسَابِقٌ ^(١) للأسر والقتل ، لكنّه لم يُبَالِ بتأخيره في ترتيب اللفظ ، لأنَّ الواو لا يُوجِبُ في العطفِ ترتيبًا ، إنما هو مَوْضُوعَةٌ لِلجَمْعِ

(١) كذا في النسخين .

فقط ، وَتَبَجَّحَ أَيضًا بَأَنَّ ذَلِكَ قَدِيمٌ فِيهِمْ ^(١) منذ زمن عادٍ لا حَدِيثٌ .

١٣٥

وقال أرطاة بن سهبة ^(٢) :

١ - وَنَحْنُ بَنُو عَمِّ عَلَى ذَلِكَ بَيْنَنَا زَرَّابِي فِيهَا بَغِضَةٌ وَتَنَافُسٌ ^(٣)

يقول : نحن أبناء عمِّ ، وعلى ما بيننا من القُرْبَى والقَرَابَةِ فُرِشَتْ بَيْنَنَا بُسْطُ شَرِّ تَشْتَمِلُ عَلَى تَبَاغُضٍ وَتَحَاسُدٍ . وَذِكْرُ الزَّرَّابِيِّ مَثَلٌ هَاهُنَا ، وَهِيَ الْبُسْطُ ، وَاحِدُهَا زَرِّيَّةٌ وَزَرِّيٌّ ^(٤) ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهِيَ فِي لُغَةٍ أُخْرَى الشَّوَاذِكِينَ ^(٥) : وَأَنْشُدُ لَذِي الرُّمَّةِ :

تَرَدَّيْتَ مِنْ أَفْوَافِ نَوْرِ كَأَنَّهَا زَرَّابِي وَأُرْتَجَّتْ عَلَيْكَ الرَّوَاعِدُ

وفي القرآن : ﴿ وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ ؛ أَى مَفْرَقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَيُقَالُ : اطْوَيْتُ الشَّرَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَيَقُولُونَ أَيضًا : أَعْطَانِي فَلَانٌ فِي بَسَاطٍ كَلَامُهُ كَذَا ، أَى فِيمَا بَسَطَ مِنْهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي الزَّرَّابِيِّ : إِنَّهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَدِيمًا مِنْهُمْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمَبْجُحِ أَنَّ الْأَرطَاةَ وَاحِدَةُ الْأَرطَى ، وَأَنَّ سَهْبِيَّةَ تَحْقِيرِ سَهْوَةٍ ، يُقَالُ فَرَسٌ سَهْوَةٌ ، إِذَا كَانَتْ سَهْلَةً الْجَرَى . وَسَهْبِيَّةٌ أُمُّ أَرطَاةَ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، وَأَبُوهُ زُفَرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ . وَأَرطَاةُ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمِيَّةٍ لَمْ يَسْبِقْهَا وَلَا تَأَخَّرَ عَنْهَا ، وَقِيلَ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَعَاشَى إِلَى خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَهُوَ مِنْ بَنِي مَرْوَةَ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَانَ مِنْ وَفَدِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ عَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً . الْأَغَانِي (١١ : ١٣٤ - ١٤٠) وَالْإِسْتِشْقَاقُ ١٧٦ - ١٧٧ وَالْإِصَابَةُ وَاللُّكَلِيُّ ٢٩٩ : ٦٣٠ .

(٣) التَّبْرِيْزِيُّ : « قِيلَ لَهَا فِي دِيْوَانَ أَرطَاةَ : زَرَّابِي عَلَى مِثَالِ غَرَّابِي ، فَكَأَنَّهَا جَمْعُ زَرِّيَّةٍ ، فَجَعَلَ الْعِدَاوَةَ زَرِّيَّةً لِأَنَّهَا تَزْرُبُ فِي الْقَلْبِ ، أَى تَدْخُلُ » . وَأَنْشُدَهُ أَبُو النَّدِيِّ « زَرَّابِي » وَهِيَ الْقَوَارِصُ ، قَالَ أَبُو النَّدِيِّ : وَلَا أَعْرِفُ لَهَا وَاحِدًا .

(٤) بِتَثْلِيثِ الزَّايِ فِيهِمَا ، كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٥) كَذَا وَرَدَّ هَذَا الْفَلْظُ . وَلَعَلَّ لَهُ صِلَةٌ بِكَلِمَةِ « شَادِكُونَهُ » الْفَارْسِيَّةِ ، بِمَعْنَى مَا يَنَامُ

عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَشِيَّةٍ وَنَحْوِهَا . انظُرْ مَعْجَمَ اسْتِئْنِجَاسِ ٧٢٢ .

الْقُطُوعُ الحَيْرِيَّةُ الرَّقِيقَةُ . وفي كلام بعض الفصحاء : « فُرِشَتْ بَيْنَنَا قُطُوعُ النَّأَمِ » . فعَلَى هذا استعمل هذا الشاعر الزَّرَابِي . فأما قوله « على ذلك بيننا » ، فإنما أشار بذلك إلى ما جَمَعَهُم من سببِ العمومة ونَسَبِهَا . ويُروى : « على ذات بيننا ، زرابي » كأنه أراد بذاتِ بَيْنِهِم خالِصَةَ النَّسَبِ والقَرَابَةِ ، ثم جعل فوقها ما قد غَمَرَهَا وسترها من زرابيِّ الفساد . ويُروى :

..... على ذلك بيننا تناءً وفيها بَغْضَةٌ وتنافسُ

والمعنى : وعلى ما يجمعنا من الرَّحِمِ ينأى بعضنا عن البعض ، ومع ذلك بيننا تدابُرٌ وتباغُضٌ ، وتهاجُرٌ وتقاطعٌ . كأنهم جعلوا التَّنَائِيَّ مداوأةً في إزالة ما بينهم فلم ينفع .

٢- وَنَحْنُ كَصَدْعِ العُسِّ إِنْ بَعْطَ شَاعِبًا يَدَعُهُ وَفِيهِ عَيْبُهُ مُتَشَاخِسٌ

العُسُّ : القَدْحُ الضَّخْمُ . والشَّعْبُ ، يستعمل في الجمع والتفريق . ويقال أيضاً : تفرَّقَ شعبُهُم . والشاعِبُ هاهنا : مُضْلِحُ القَدَاحِ . يقول : استَحْكَمَ الفسادُ بَيْنَنَا حتى لا يَقْبَلَ صُلْحًا ولا صِلَاحًا ، وتفاوَمَ الانصداعُ حتى لا يلتحمَ تبايُنًا وتداقُعًا ، فلن تعودَ الحالُ إلى ما كانت وإن أمسكنا عن إثارة الشرِّ والزيادة فيه زمانًا ، وتصنَعْنَا في الاحتمالِ والمُقارَبَةِ إبقاءً على الحظِّ من المراجعةِ وإدناءً ، بل يكونُ ما بيننا كالشَّقِّ في القَدَاحِ ، إِنْ أُعْطِيَ شَاعِبًا تَرَكَهُ والعَيْبُ ظاهرٌ فيه ، غيرُ مُنكَّرٍ ولا خافٍ . والمتشاحِسُ : المتفاوتُ المُتبايِنُ . ومنه قولهم : تشاحست أسنانه من الكبر ، إذا اختلفت . قال الخليل : هو أن يسقط بعضها ويميل بعضها . وقيل الشَّخْسُ في الأصل فتوح الفم للتشاؤب . ويجوز أن يريد بقوله « وفيه عَيْبُهُ » : ومَعَيْبُهُ هكذا . وفي طريقته قول الآخر :

وَمِنَ المَوَالِي ضَبُّ جَنْدَلَةٍ نَخِرُ المَوَدَّةَ ظَاهِرُ العَمْرِ

وقد أحسن أبا ن اللّاحقّ في مُزْدَوِجَتِهِ حينَ قال :

وإنما مودّة الأشرار في وهبها كمثل الفخار
بصيبه أذنى يد فينكسر^(١) وليس يُرَى شعبه إذا جُر

٣ - كفى يديننا ألا تُردّ تحية^٢ على جانب ولا يشمت عطس^٣

يُروى « يشمت » بالشين والسين ، وما بمعنى واحد ، وسمتُ أبا عليّ
الفارسيّ يقول في اشتقاق التسميت بالسين غير معجمة - وهو قولك للعاطس :
يرحك الله - فقال : كأنه إذا عطس لحقته نفضة في جسمه ، فإذا دعا الداعي
له فكأنه رده إلى سمتيه وهذبه . وقال في التسميت بالشين معجمة : كأنه التثيت
من الشوامت وهي القوائم^(٢) . يقول : يكفيك من الشرّ الراتب بيننا أنه لا تُردّ
تحية الواحد منا - يريد جواب تسليمه - وإن كان الالتقاء معه عن غير
كالالتقاء مع الأجانب والغُرباء ، وأنه إذا عطس واحد لا يتلقى بالدعاء له
على ما استمرّ وعُرف من عادة الناس في تناديهم وتجاورهم^(٣) . وقوله « كفى
بيننا » هو بين الذي كان ظرفاً ، فنقله إلى باب الأسماء . ومثله قول الله
عز وجل : ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾^(٤) . وقال الشاعر^(٥) :

كان رماحهم أشطان بئر بعيد بين جالينها جرور

ويجوز أن يُروى « أن لا تُردّ » بالرفع ، وكذلك « ولا يشمت » على أن

(١) كذا في الأصل ، رف م : « أذنى أذى » .

(٢) قال ابن جنى : « وذلك أن القائمة هي التي تحمل الفرس ونحوه ، وبها عصمته ،
وهي قوائمه . وكأنه إذا دعا له فقد ثبت أمره وأنهضه وأحكم دعائه » .

(٣) كذا في النسختين ، بالجيم .

(٤) وردت في الأصل بفتح النون والاستشهاد يقتضى ضمها كما في م . والأولى قراءة فافع
وحفص والكسائي وأبي جعفر ، وقرأ الباقون بالضم . إنحاف فضلاء البشر ٢١٣ في سورة الأنعام .

(٥) هو مهلهل . انظر الكامل ٢١٢ ، ٣٥٢ لبيسك . وانظر القصيدة بتأملها في

أمالي القتالي (٢ : ١٢٩ - ١٣٣) .

تَجَعَلَ أَنْ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا تُرَدُّ تَحِيَّةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعَ ﴾ ، بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ .

١٣٦

وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ ^(١) :

١ - تَنَاهَوْا وَاسْأَلُوا ابْنَ أَبِي لَيْبِدٍ أَعَدَّبَهُ الضُّ - بَارِمَةَ النَّجِيدِ

يقول : كُفُّوا عَمَّا أْتَمَّ عَلَيْهِ مِنْ تَهْيِيجِ الشَّرِّ ، وَأَمْسَكُوا عَنِ الشَّرِّ فِي تَأْرِيثِ
فَارِ الْحَرْبِ ، وَاسْأَلُوا هَذَا الرَّجُلَ : هَلْ أَرْضَاهُ الْأَسَدِيُّ الْقَوِيُّ الْغَالِيزُ الشَّدِيدُ لَمَّا
تَحَكَّكَ بِهِ ، وَهَلْ وَقَاهُ مَا اسْتَحَقَّهُ عَلَيْهِ . كَأَنَّهُ جَعَلَ لِإِنْزَالِهِ الشُّؤْمَ بِهِ وَالزِّيَادَةَ
عِنْدَ تَكَرُّهِهِ لَهُ إِعْتَابًا ، عَلَى التَّهْكُمِ وَالشُّخْرِيَّةِ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشْرِ :

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسْرِ فَأُعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

وَالضُّبَارِمَةُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الْجَرِيُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ . وَسُمِّيَ الْأَسَدُ ضُبَارِمًا .
قَالَ : وَيُقَالُ هُوَ الْأَسَدُ الْوَثِيقُ الْخَلْقِيُّ ، لِلْمَكْتَنَزِ اللَّحْمِ . وَيَجُوزُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ
مِنْ مَعْنَى الْمُضَبَّرِ لِأَنَّ لَفْظَهُ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ دَمَيْتِ وَدِمَّتْ ، وَدَلَامِصٍ
وَدِلَاصٍ وَسَبِطٍ وَسَبْطَرٍ . وَالنَّجِيدُ : ذُو النَّجْدَةِ ، وَهِيَ الْبَاسُ وَالشَّدَّةُ .

(١) هُوَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرِّيِّ . شَاعِرٌ مَجِيدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْوَلَوَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ
مَعْرُوفًا بِكِبَرِهِ وَاعْتِزَاؤِهِ بِنَفْسِهِ . وَانظُرْ أَخْبَارَهُ فِي الْأَغَانِي (١١ : ٨١ - ٨٩) وَابْنِ سَلَامٍ
٢١٤ وَالْخَزَائِنَةَ (٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩) . وَعَقِيلُ ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، قَالَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمَبْهَجِ :
« اسْمٌ مَرْتَجِلٌ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، أَيْ مَعْقُولٌ ... وَالطَّلَفُ : ثَمَرُ الْأَرَاكِ ،
الْوَادِحَةُ عُلْفَةُ » .

٢ - وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ إِخَالٌ حَتَّى يَنَالَ أَقاصِيَ الحَطَبِ الوُقُودُ

حَذَفَ مَفْعُولَ قَوْلِهِ فَاعِلِينَ ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ « تَنَاهَوْا » كَمَا أَنَّهُ قَالَ : وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ التَّنَاهَى . يَقُولُ : مَا أَرَى أَنْكُمْ تَنْتَهُونَ إِلَى مَا رَسَمْتُمْ ، أَوْ تَقْبَلُونَ كَلَامِي الَّذِي إِلَيْهِ أَشْرْتُ ، حَتَّى يَعْظُمَ الحَطَبُ ، وَيَبْلُغَ الْبَلَاءُ أَقْصَى مَبَالِغِ الجُهدِ ، فَيَتَعَدَّى الْأَقْرَبَ إِلَى الْأَبْعَدِ ، وَيَتَأَدَّى مِنَ السَّقِيمِ إِلَى الْبَرِيِّ . وَذَكَرَ الحَطَبَ وَالوُقُودَ هَاهُنَا مِثْلَ لِنِغَامِ الشَّانِ وَاسْتَفْحَالِهِ ، وَاتِّسَاعِ الْمَكْرُوهِ وَاشْتِمَالِهِ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي « إِخَالٌ » وَكَسْرِ الْهَمْزَةِ مِنْهُ .

٣ - وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَيْهِ لِسَانِي مَقْشَرٌ عَنْهُمْ أَدُودٌ

يَقُولُ : إِنِّي مَتَعَطَّفٌ عَلَى عَشِيرَتِي وَإِنْ كَانُوا مُسَيِّئِينَ إِلَيَّ ، مَتَكْرِّمٌ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَحَامِلِينَ عَلَيَّ ، فَأَبْغَضُ إِنْسَانَ إِذَا كَرِهْتُهُ وَأَتَنَاوَلُهُ بِلِسَانِي مُتَنَقِّصًا لَهُ ، قَوْمٌ أَدْفَعُ عَنْهُمْ فِي وَقْتِي ، وَأَحَامِي عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِي . وَفِي الْبَيْتِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَأَصْلُ تَرْتِيبِهِ : أَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَى قَوْمٍ هَكَذَا شَأْنِي مَعَهُمْ . وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الرِّشَادَ فِي الْحِفَاظَةِ عَلَى حُرْمِ ذَوِي الرَّحْمِ وَإِنْ كَانُوا مُنَابِذِينَ . فَمَنْ مِنْ قَوْلِهِ « أَبْغَضُ مَنْ » نَكِيرَةٌ مُوصُوفَةٌ ، وَصِفَتُهُ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ الْجُمْلَةُ . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَالبَعْضِ الْآخَرَ بِقَوْلِهِ « إِلَيَّ » وَهُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا . وَهَذَا فِي الصِّفَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ فِي الصَّلَةِ ، فَاحْتِمَالُهُ فِيهِ أَقْرَبُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ جَرِيرٍ :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حَامِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

وَمَعْنَى أَدُودٍ : أَدْفَعُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللِّسَانُ الْمَذُودَ ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ الْمِفْصَلُ .

٤ - وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي أَعْيَابُ رِجَالِكِ أَمْ شُهُودُ

يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَدْبِجَّحَ بِتَعَفُّفِهِ فِي جَارَاتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ

مفارقة القِيَمِينَ بِهِنَ ، مبرصداً للتمكّن منهنّ ، فيكون ذلك باعناً للسؤال عن
رجاهنّ ، ليقتنم الخلوّة بهنّ . والثاني أن يريد رفع الطّمع عن جِيرَتِهِ ، وقلة
الفِكرِ في تفتيح أحوالِهِم ، عند حضورهم وغيبتهم ، إذ لم يكن همّه في التّئيلِ
منهم ، ومشاركتهم فيما يتجدّد لهم من خَيْرٍ ، ففعل المُسِفَّ للطامع الدنيّة .
ويكون هذا كما قال الآخر :

وإذا أتى من وجهه بطريقه لم أطلع بما وراء خبائه
وهذا أوجه ، لأنّ ذكر العفة قد جاء من بعد .

٥ - ولستُ بصادِرٍ عن بيتِ جاري صدور العيرِ عمّره الورود^(١)

هذا يشهد لما اختزنناه في تفسير ما قبله ، فيقول : وإذا دعاني الجار إلى
بَيْتِهِ يَكْرِمُنِي بِرَبِّهِ ، ويُشْرِكُنِي فِي خَيْرِهِ ، لا أنصرفُ عنه والطّمعُ فيه بحاله ،
والاستغنام للحقير من ماله وطعامه على حدّه ، انصراف العيرِ عن الماء وقد عمّره
الورود . والتغمير كالتصريد ، وهو شرب دون الرّي . ومنه الغمرُ : القَدْحُ
الصّغير ، وقال الخليل : يُتَكَايلُ به الماء في التّمَاهِمِ . وأنشد :

تَكْفِيهِ حُرَّةٌ فَلَيْدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوِي شُرْبَهُ الْغَمْرُ^(٢)

وقيل في عمّره معناه أرواه من الغمر : الماء الكثير ، فيكون المعنى :
إني لا أتهالك على طامه ففعل المنهوم الخسيس الهمة فاتصّل ، لكني آكل
أكلاً كريماً . وهذا المعنى أقربُ عندي .

٦ - ولا ملتي لذي الودعاتِ سوطي الأعباءِ وربيتَهُ أريدُ

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبي عمير القتالي ، من بني مرة ،
جاء بهما أبو تمام صلة في هذه الأبيات ، وليسا منها » .

(٢) لأعشى باهلة يري أخاه المنثور بن وهب . اللسان (عمر) وإصلاح المنطق ٥٠ ، ٩٨
و ٣١٦ . وقصيدته في حماسة ابن الشجري ١٠ والأصمعيات ٣٣ ليسك .

هذا مثل قول الآخر^(١) :

لا آخذُ الصَّبِيَّانَ التَّمُهْمَ والأمرُ قد يُغَيِّرِي به الأمرُ

وفي طريقته أيضاً قول الآخر :

أحبُّ صَبِيَّ السَّوِّءِ من أجلِ أمِّه وأبغضُه من بُغْضِها ، وهو حادِرٌ^(٢)

أى حَسَنُ الخَلْقِ : يَصِفُ عِفَّتَه فيقول : لا أُنْقِي سَوَطِي بين يَدَيِ الصَّبِيِّ الذي في عُنُقِهِ عُوذٌ وتمايم لصِغَرِهِ ، الأَعْبَهُ في الظاهرِ ، وأضْمِرُ التَّوَدُّدَ إلى أمِّهِ وأطْلُبُ الخِلْوَةَ بها لاشتغاله . وهذا إذا رَوَيْتَ : « ورَبَّتَهُ أريدُ » ، وقوله الأَعْبَهُ في موضع الحال . ويُرْوَى : « ورَبَيْتَهُ » وهو أَكْشَفُ . ورَأَيْتُ من يَحْضُرُ الأبياتِ الثلاثة على صِفَةِ العَفَّةِ عن الجارات ، وأن يكون كلُّ بيتٍ منها لمعنى أحسن وأولى .

١٣٧

وقال محمد بن عبد الله الأزدي^(٣) :

١ - لا أدفعُ ابنَ العَمِّ يَمْشِي على شَفَا وإنْ بَلَغْتَنِي من أذاهُ الجَنَادِعِ

الشَّفَا : حَرَفُ الشَّيْءِ . ويمشى في موضع الحال . والبيت يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى إذا أشفى ابن عمي على بلاءٍ وشرٍّ يُخَافُ عليه منه ، ويُخَشَى عَطْبُهُ فيه ، فإنِّي لا أدفعُ في صدرِهِ تحاملاً عليه ليقتمحه ، ولا أزعجُ به فيه لأغرِّقه . ويجوز أن يريد : إذا انحرَفَ عنِّي مهاجِراً لي ومشى على جانبٍ من اللؤانسة معي لا أنفِّره ، ولا أتمُّ استيحاشه بما أُثِرُ من كوامن غيظه ، وإن

(١) هو مسكين الدارمي . أمالي القالي (١ : ٤٥) .

(٢) أنشده في اللسان (حدر) شاهداً على أن الحادر : الغليظ .

(٣) المهج : « قد قالوا الأزدي والأسدي ، وكان الزاي يدل من السنين ، وكلاهما علم مرتجل » .

بلغتني الدواهي عنه ، وقاسيتُ الشدائد من التأذي به . أي لا أتهدرُ الفرصة في مكاشفته وإن اتصل بالشوء تعرّضه ، ودام فيما يعينُ اعتراضه . والجنادِعُ في الأضل تُستعمل في هوامِّ الأرض ، تُستعمل كنايةً عن ضروب المكاره وأنواع الأذى . ومن قولهم ^(١) : « بَدَتِ جَنَادِعُهُ وَاللَّهُ جَادِعُهُ » . وهذا كما استعاروا العقاربَ فقالوا : دَبَّتْ عِقَارِيهِ . وقال الخليل : الجنادِعُ : جنادب في جِجْرَةِ الحشرات يخرجُن إذا كان الحافرُ يبلغ أقصاها . ومنه قيل في المثل : « جاءت جَنَادِعُ الشَّرِّ » ، أي أوائله . واستعمل في الكلام أيضا فقيل جنادِعُ القولِ لما يسوء منه . ويجوز في قوله « يمشی على شفا » وجهٌ آخر حسنٌ ، وهو أن يكون يمشی في معنى يَيمُنُ ويحطبُ . وفي المثل : « هو أضرَبُ من مَشَى بِشْفَةٍ ^(٢) » . وكأنه مأخوذٌ من قوله تعالى ﴿ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ ﴾ ، ويكون على هذا قوله « على شفا » متعلقًا بمضمر ، كأنه قال : يفعل ذلك كأننا على شفا أو حاصلا ؛ والمعنى مُنْحَرِفًا : أي لا أدفعُهُ عن التحريش والنميمة قَهْرًا وَعُنْفًا ، ولكن أعطفُهُ بالحُسْنَى .

٢- ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه لترجمعه يوما إلى الرواجع

قوله « أواسيه » أي أجعله إسوةً لنفسي ، فأقاسمه مالي وميكي : يقول : لكنتُ أنفاسي ذنوبه وهفواته ، وأتفاني جرائمه وزلاته ، وأحسنُ التأتني في أثناء ذلك لمواساته ، عند ما أنتظر من قبيته وعطفته ، حتى يرُدّه إلى ما كان عليه من قبَلِ دَوَاعِي الأحوال ، وتشابك الأرحام ، ورواجع العقب ، ولواحق السبب . وهذا الذي وصّفه هو الغاية في الإبقاء والاستبقاء .

٣- وحسبك من ذل وسوء صنيعة مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

(١) م : « ومن كلامهم » .

(٢) كذا في م والتبريزي . وفي الأصل : « هو أضرَبُ » ، بالخاء .

يقول : كافيك من سوء الفعل واكتساء الذلّ ، أن تُتأوى أقاربك وإن كانوا قاطعين عاقين ، مهاجرين مُصارمين . وإنما قال « من ذلّ » لأنّ عزّ الرّجل بعشيرته ، ومن أفات نفسه الخطّ منهم فقد ذلّ . وللمناواة أصلها الهمز ، واشتقاقها من النّوء : النّهوض . كأنّ المتعادين يُناهض كلُّ صاحبته إما بنفسه ، وإما بعقيدته ونيتته . وقوله « سوء صنيعه » جعل الصنيعه اسما فهي كالسكرية . وقوله « وإن قيل قاطع » ارتفع قاطع على أنّه خبر ابتداء مُضمر ، كأنّه أراد وإن قيل هو قاطع . وفي طريقته قول الخطيئة :

فأبقوا أباكم عليهم^(١) فإنّ ملامّة المولى شقاء

وروى بعضهم : « وأن قيل » بفتح الهمزة ، كأنّه ينطفئ على قوله مُناواة ، والمعنى حسبك من الأمرين المذكورين مُناواة الأقارب ، وقول الناس هو قاطع عاق . والأول أجود وأشبه بما اقتضته وتصرّف فيه .

١٣٨

وقال آخر :

١- إن يحسدوني فإني غير لائيمهم قبي من الناس أهل الفضل قد حسدوا^(٢)

الضمير في « يحسدوني » لطائفة من الناس خصّهم بالإخبار عنهم ، وقصدّم بالكلام . فيقول : إن نافسوني وحسدوني ، ورمقوا النعمة علىّ بعين التسخّط . فإني لا ألومهم ولا أعتب عليهم ، إذ كان التنافس والحسد يتبعان الفضل ،

(١) وكذا في الديوان ٢٧ . وفي م : « عليكم » تحريف . وبعده :

فإن أباهم الأدنى أبوهم وإن صدورهم لكم براء

(٢) الايات في أمالي القائل (٢ : ١٩٨) وعبون الأخبار (٢ : ١٠ - ١١) . ورواية

عيون الأخبار :

* إن تحسدوني فإني لا ألومكم *

وإذ كَانَ من قَبْلِنَا اعتَادَ بعضهم من بَعْضٍ مِثْلَ مَا نَرَاهُ بسببِ الْفَضْلِ . وقد أَحْسَنَ كُلَّ الْإِحْسَانِ من قَالَ :

وإذا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لم تَلَقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا^(١)
فَأَمَّا قَوْلُهُ « قَبْلِي من النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قد حُسِدُوا » . فَمِثْلُهُ قولُ عُمَرَ بنِ
أبي رَبِيعَةَ :

* وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ^(٢) *

وَقَبْلِي جَعَلَهُ لِعَوًا ، ومن النَّاسِ تَبْدِيبِينَ ، وقد حُسِدُوا خَيْرَ المَبْتَدَأِ .
٢- فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
هَذَا الْكَلَامُ دُعَاءَ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ ، على طَرِيقِ التَّسْلِيِّ وَقَلَّةِ الْاحْتِفَالِ ، ولأنَّ
الحَاسِدَ يَرْفَعُ الخَامِلَ من الْفَضْلِ وَيُنَوِّدُ بِهِ . فيقول : أَدَامَ اللهُ لِي مَا أَنَا عَلَيْهِ
من الْفَضْلِ ، وَلَهُمْ مَا مِثْلِهِ من الْحَسَدِ ، وَمَاتَ أَكْثَرُنَا لَغِيظِهِ بِمَا يَجِدُ . وقَوْلُهُ
« وَمَاتَ أَكْثَرُنَا » الْأَكْثَرُ من الْحَسَدَةِ ، لِأَنَّهُ - وإنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِيمَنْ
أَضَافَ الْأَكْثَرَ إِلَيْهِ - وَاحِدٌ . وقَوْلُهُ « بِمَا يَجِدُ » حَذَفَ الْمَفْعُولَ ، والمعْنَى بِمَا
يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ من الْحَسَدِ ، أو بِمَا يَجِدُهُ من النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُحْسُودِ .
وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَزَةُ بنُ الْحَسَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بنَ مَهْدِيٍّ
الْكِسْرَوِيِّ يَقُولُ : أَنَا قد تَدَبَّعْتُ من دَوَائِنِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهِمْ وَمُجَدِّدِهِمْ
فَوَجَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ الطَّائِيَّ مُتَفَرِّدًا بِمَعْنَى قَوْلِهِ :

وإذا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ النِّعْمَى على الْمُحْسُودِ

(١) في م : « فإذا سرحت » .

(٢) صدره في الديوان ٧٦ :

غير مَسْبُوقٍ إليه . وعندى أنه أخذه من فَحْوَى هُذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَإِنْ كَانَ زَادَ عَلَيْهِ .

٣- أنا الذى بَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُ قَوْلُهُ « يَجِدُونِي » كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ يَجِدُونَنِي ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ النُّونَ تَخْفِيفًا . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ لَوْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الصَّلَاةِ : يَجِدُونَهُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَاةِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى الَّذِي . وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَجِيءَ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَعُودُ إِلَى الَّذِي وَإِنْ كَانَ صِلَةً لَهُ ، لِأَنَّ الَّذِي خَبَّرَ أَنَا ، وَهُوَ وَالْمَبْتَدَأُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَمَّا كَانَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي شَيْئًا وَاحِدًا لَمْ يُبَالِ أَنْ يَرُدَّ الضَّمِيرَ الَّذِي يَجِبُ رَجُوعُهُ إِلَى الثَّانِي إِلَى الْأَوَّلِ . وَمِثْلُ هَذَا مَا نُسِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ (١) *

فَقَالَ سَمَّيْتَنِي وَلَمْ يَقُلْ سَمَّيْتُهُ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي مِثْلِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مُسْتَقْصَى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَا الَّذِي صِرْتُ غَضَّةً فِي صُدُورِهِمْ قَدْ نَشِبْتُ فَلَا تَصْدُرُ وَلَا تَرُدُّ ، أَيْ صَارَتْ لِازِمَةً لَا تَسُوغُ وَلَا تُؤَوَّبُ . وَقَوْلُهُ « صَدْرًا » مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَ« لَا أَرْتَقِي » إِنْ جَعَلْتَنِي فِي صُدُورِهِمْ لَفَوْا يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ، وَإِنْ جَعَلْتَنِي فِي صُدُورِهِمْ مَفْعُولًا ثَانِيًا كَانَ لَا أَرْتَقِي حَالًا .

١٣٩

وقال آخر :

١- الشَّيْءُ يَبْدُوهُ فِي الْأَصْلِ أَصْغَرُهُ وَلَيْسَ يَصِلِي بِكُلِّ الْحَرْبِ جَانِبِهَا يَبْدُوهُ أَيْ يَبْدَأُ مِنْهُ ، فَحُذِفَ حَرْفُ الْجُرُوعِ وَوَصَلَ الْفِعْلُ فَنَصَبَ . يَقُولُ :

أوائلُ الأمورِ ضعيفةٌ ، ومبادئُها صغيرةٌ حقيرةٌ ، ثم تستحكِم على مرِّ الأيامِ وتصرِّف الأحوالِ فتمعظمُ . وهذا كما قال الآخرُ^(١) :

الحربُ أولٌ ما تكونُ فُتيةٌ تَسعى بِزِمَّتِها لِكُلِّ جهولٍ
وفي طريقته قولُ الآخرِ^(٢) :

* كَم مَطَرٍ بَدُوهُ مُطِيرٌ^(٣) *

وقوله «وليس يصلي بنار الحرب جانبا» يروى : «يجل الحرب» والمعنى : لا يصطلي بنار الحربِ ومُعظَمِها من يكتسبها ويوقدها فقط ، بل يحصل بالمشاركة فيها ويُمنى ببلواها ، من لم ينقل خطوته في بقعها ، ولم يسع في تهيجها .

٢- والحربُ يلحقُ فيها الكارِهونَ كما تَدنو الصَّحاحُ إلى الجَرَبِ فتغديها يقولُ : شرُّ الحربِ يُغدي إعداءَ الجَرَبِ ، فترى الكارِهَ لها يلتحقُ بها^(٤) وإن كان غيرَ حازمٍ لها ، وتلقى البعيدَ منها يصطلي بحرِّها وإن لم يُذِكها^(٥) ولم يُشيع موقدها . وفي هذا التشبيه خروجُ المُشبه من الكُمونِ إلى الظهورِ ، ومن الخفاءِ إلى البروزِ ، حتى يتجلى لِمُتأمله والمُفكرِ فيه على بُغده في التصوُّرِ تجلَى القريبِ في العُرفِ والاعتقادِ . وهذا هو غاية المراد من التشبيهاتِ .

٣- إني رأيتك تقضي الدين طالبةً وقطرةً الدِّمِ مكروهةً تقاضيتها
هذا البيتُ يصلحُ أن يكونَ مدحاً ، فيكون المعنى : إني رأيتك تخرجُ إلى اللدنيينِ سريعاً من دينهم عليك ، غيرَ مُدافعٍ بما في ذمتك لهم ولا مُماطِلٍ ،

(١) عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٣) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٤) م : « يمتحن بها » .

(٥) في الأصل : « يدركها » والوجه ما أثبتنا من م .

فَإِذَا طَوَّلْتِ بَدَمٍ أَوْ نَوَزَعْتَ فِي ذَحَلٍ ، شَقَّ تَقَاضِيكَ بِهِ وَتَعَذَّرَ ، وَتَصَعَّبَ نَيْلُهُ مِنْ جِهَتِكَ وَتَعَسَّرَ . فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » ، مَعْنَاهُ مَرُوءٌ تَقَاضِيكَ بِهَا . وَيُضْلِحُ أَنْ يَكُونَ ذَمًّا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَأَقْرَبِ طَلَبٍ تَخْرُجُ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالِدِمَاءِ إِلَى طُلَّابِهَا ، فَلَا كُفْلَةَ فِي نَيْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا مِنْ جِهَتِكَ ، وَالتَّقَاضِي بِالذَّمِّ عَسِرٌ صَعْبٌ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَبْلَكَ ، فَذَا ذَلِكَ إِلَّا لَضَعْفِ كَيْدِكَ وَمَهَانَةِ نَفْسِكَ ، وَقُصُورِ آيَاتِكَ . وَالذَّمُّ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُرَادُ بِهِ الْوِثْرُ وَالذَّمُّ . وَقَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » يَعْنِي تَقَاضِي غَيْرِكَ بِهَا . وَمِثْلُ قَوْلِهِ مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ لَيْبِدٍ :

* بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُخْرَةٍ ^(١) *

لَأنَّ الْمَعْنَى بَاكَرْتُ حَاجَتِي إِلَيْهَا .

١٤٠

وَقَالَ شُرَيْحُ بْنُ قَرِوَاشٍ ^(٢) :

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاشَتْ عَكَرَتْهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكِرٍ

يَقُولُ : لَمَّا تَحَرَّكَتْ حَمِيَّتِي وَغَابَ ^(٣) نَفْسِي ، حَتَّى كَادَتْ تَثُورُ مِنْ مَقَرِّهَا فَتَجْرِي أَنْفَةً وَامْتِعَاضًا ، عَطَفْتُهَا عَلَى صَاحِبِي مِسْحَلٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ مَعْطَفٍ فَعَلْتُ ذَلِكَ . وَهَذَا تَفْظِيحٌ لِلشَّانِ ، وَتَفْظِيحٌ لِلأَمْرِ . فَإِذَا رَوَيْتَ « وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكِرٍ » بِالرَّفْعِ يَكُونُ مَبْتَدَأً وَخَبْرَهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكِرٍ

(١) مِنْ مَعْلَقَتِهِ . وَعَجِزَهُ :

* لِأَعْلٍ مِنْهَا حِينَ هَبَ نِيَامَهَا *

(٢) كَانَ مِنْ سَبَبِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَا رَوَاهُ التَّبْرِيذِيُّ عَنْ أَبِي رِيَاشٍ قَالَ : لَقِيَ شُرَيْحُ بْنُ مَسْعَرٍ أَخُو بُلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، مِسْحَلُ بْنُ شَيْطَانَ بْنِ جَذِيمِ بْنِ رِوَاحَةَ ، فَطَمَعَنَّ مِسْحَلًا فَصَرَعَهُ فَحَمَلَ شُرَيْحُ بْنُ قَرِوَاشٍ عَلَى شُرَيْحِ بْنِ مَسْعَرٍ فَطَمَعَنَهُ فَصَرَعَهُ وَاسْتَنْفَعَهُ مِسْحَلًا . وَقَالَ هَذِهِ الْآيَاتُ .

(٣) كَذَا فِي النُّسخَاتَيْنِ ، أَيُّ غَلَبَتْ نَفْسِي .

وَمَكْرٍ تِلْكَ السَّاعَةُ . وَإِذَا رُوِيَتْهُ بِالنَّصْبِ يَكُونُ ظَرْفًا ، وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ مَضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَعَكْرَتْ أَيْ وَقَتْ مَعَكْرٍ . وَمَعْنَى عَكْرٍ : عَطَفَ . وَيُقَالُ : هُوَ عَكَرٌ فِي الْفِتَنِ . وَجَوَابُ لَمَّا « عَكَرْتُهَا » .

٣ - عَشِيَّةٌ نَازَلَتْ الْفَوَارِسَ عِنْدَهُ وَزَلَّ سِنَانِي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مُسَهْرٍ

عشية انتصب على أن يكون بدلاً من قوله وأى ساعة معكرو إذا نصبت أياً ، وإن رفعت فانتصاب عشية على أن يكون ظرفاً والعامل فيه فعل مضمراً دل عليه ما قبله ، كأنه قال عكرت عشية . ولا يكون العاقل نازلت ، لأنه مضاف إليه وبيان للوقت ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . فيقول : عطف عليه ذاباً عنه ومدافعاً دونه ، عشية منازلتى الفرسان بحضرته ، وحين زل سنان رحي عن ابن مسهر ، وإنما زل السنان عنه وسلم من طعنته لأنه كان لبس درعاً تحت ثيابه وهو لا يشعر ، فكأنه يعتذر ويتلهف .

٣ - وَأَقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاعٍ وَالنَّسْرِ

قوله أقسم يمين ، والحلوف به محذوف ، وهو لفظه الله . ولكثرة مجيئها مع أقسم صار وهو محذوف كالمندوق به ، وجواب القسم استغني عنه بحديث لولا ، لأنه فيه . والمعنى أنه بين العذر فيما اتفق عليه ، فقال لولا درعه التي استظهر بها ، وظاهر بثوبه فوقها ، تركته بطعنتي مقتولاً ، وعوافى السباع والطيور تأتيه وتنال منه . ويقال عفاه واعتفاه بمعنى واحد .

٤ - وَهَلْ غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا نَزَالُكَ أَلْ كَمِيَّ عَلَى نَحْمِ الْكَمِيِّ الْمُقَطَّرِ

هذا الكلام بيان ما تكلفه عند التعطف على مسحل ، وتصوير لهول ماركبه وعاناه من عظيم البلاء في نصرته . ولهذا جعل النبي بلفظ الاستفهام ، فقال : وما شائد الموت إلا منازلتك الكمي فوق لحم الكمي ، أي فوق جيف

القتلى . ولولا أن هَلَّ في طريق النفي هاهنا لما جاء بعده إِلَّا . والمُقَطَّرُ : المُلْتَقَى على أحد قُطْرَيْهِ ، وهما الجانبان . ولقَطَّرَ اختصاصُُ بالعِبارَةِ عن الإسقاط والصَّرْعِ . على ذلك قول عمرو بن مَعَدْيَكِرَبٍ :

* ما قَطَّرَ الفَارِسَ إِلَّا أَنَا^(١) *

ومن المَحْكِيِّ عنهم في المعنى الذي قَصَدَهُ هذا الشَّاعرُ ، أنه سُئِلَ بَعْضُهُمْ : ما أَشدُّ ما رَأَيْتَهُ فيما زاوَلْتَهُ من الحروب ؟ فقال : « الزَّلَقُ على المَلَقِ » . وفي طريقته قول الآخر :

يَطَّانَ مِنَ المِتَلَى وَمَنْ قَصَدِ القَنَا شَرِيحًا فَمَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَوْهًا^(٢)

١٤١

وقال طرفة الجذيمي^(٣) :

١ - يارَا كِبَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِي بِنِي فَعَسَى قَوْلِ امْرِئٍ نَاخِلِ الصَّدْرِ^(٤)

(١) صدره كما في شرح شواهد المغنى ٢٤٥ .

* قد علمت سلمى وجاراتها *

(٢) م : « إلا تقحها » .

(٣) ذكره الأمدى في المؤلف ١٤٦ ، وقال : « أحد بني جذيمة بن رواحة بن قطيعة ابن عيس بن بغيض ، شاعر فارس » ، وتصحف على صاحب القاموس فجعله طرفه الجذيمي ، وقال : « من بني خزيمه بن رواحة » . وقال ابن جنى في المبهج : « الطرفه : واحدة الطرفاء ومثله قصبة وقصباء ، وحلقة وحلفاء وجذيمة : علم مرتجل وليس منقولاً . ويجوز أن يكون من جذمت يده أى قطعها ، فيسكون اسماً كالنطيحة والذبيحة . وقال ابن جنى في التنبيه : « طرفة الجذيمي جذيمة عيس ، ويقال الجنمي » . وهذه النسبة الأخيرة وردت في المؤلف (٤) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس - هو ابن فقمس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه . وذلك أن حية بنت مالك بن مرة كانت تحت فقمس فمات عنها فخلف عليها رواحة ، فولدت جذيمة على فراشه . فزعموا أنها تزوجته وهى حبلى بجذيمة فولدته لثلاثة أشهر ، فجعله جذيمة يطلب بميراثه من أبيه فقال له أعيان بن طريف : ما أعرفك . ولولا لك عندي ميراث . فقال له : ويحك أعطني ولو بكراً أستحق به النسب . فنهه . . . وثبت جذيمة في بني عيس » .

يَخَاطِبُ واحداً من الركبان غيرِ مُعَيَّنٍ ، ويكلفُهُ إن عَرَضَ لِبَنِي فِقْمَسٍ
 أن يُبَلِّغَهُم عنه قولَ رَجُلٍ نَاحِلِ الصَّدْرِ ناصِحِ الجَنِيْبِ ، صَادِقِ الوُدِّ . وإنما
 نَكَرَ المدْعُوَ لأثرين : أحدهما شِدَّةُ اهْتِمَامِهِ بِالرَّسَالَةِ وتحميلها رسولاَ كائناً من
 كانَ . والثاني أَنه أراد أن يضع رسالةً ظاهرها أَنها أودِعَتْ متحملاً ، علماً
 بأنَّ الرسالة بنفسها إذا ضُمَّنْتَ الشُّعْرَ وعُقِدَتْ به ستباغٌ على أفواه الرُّوَاةِ .
 وقوله « نَاحِلِ الصَّدْرِ » يريدُ مُصَنِّفَ ما في الصَّدْرِ ، فحذف المضاف . أو يريد
 ناخِلَ الصَّدْرِ لما يَعييه فجعل الفعل للصَّدْرِ توشعاً ، والمعنى أَنه موافق الظاهر
 للباطن . ويقال : نَخَلْتُ الوُدَّ والنُّصْحَ لفلانٍ ، إذا أخلصتهما .

٢- فوالله ما فارقتكم عن كَشَاحَةٍ ولا طيبِ نفسٍ عنكم آخِرَ الدهرِ

يقول : أَحْلَفُ أَنِّي لم أُوْرِّزُ فراقكم لعداوةٍ لازمةٍ لِكَشْحِي ، وبغضاءٍ
 متمكِّنةٍ من طويَّتي ، ولا لِسُلُوِّ نفسٍ عنكم وسخاءٍ قابٍ بكم آخِرَ الدهرِ . وهذا
 الكلامُ إظهارٌ مَئِيلٌ إلى إصلاحِ ذاتِ البين لو تساعدت الأحوال ، ومَعْدِرَةٌ
 أقامها فيما قَصَدَهُ من مُراغمتهم ، وآثَرُهُ في مهاجرتهم ومفارقتهم ، وإبانهٌ عن
 الأمرِ في أَنَّ الباعث على ما اتفق لم يكن من سُوءِ خِلَّةٍ ، وانطواءً على حسنةٍ
 وقطيعةٍ . وإنما قرَنَ السُّلُوَّ بقوله آخِرَ الدهرِ ليرى أن ذلك التقدير ليس بمحاصلٍ
 ولا واقعٍ أبداً ، وهذا كما يقال لا أفعل كذا ما دامت السموات والأرض .

٣- ولكنتي كنتُ امرأً من قبيلةٍ بَغَتْ وَأَتَتْنِي بالمظالمِ والنَّخْرِ

هذا كَشَفُ العِدْرَةِ وذكُرَ السَّبَبِ الموجب للجانبة والفرقة ، فيقول :
 ولكنتي كنتُ رَجُلًا من قبيلةٍ خرجت عن طريق التَّوَأَصْلِ إلى طريق التَّقَاعِ
 بما استعملته من البغي والشقاق ، وتماطتته معي من الظلم والعناد ، حتَّى تدَاعَتْ
 مباني التَّوَأَشِجِ والتَّحَابِ ، وانفصمت عُرَى العلائق بيننا والتَّوَادِ ، وعِيلَ

الصَّبْرُ، بما لحق من الهضم، وحرَجَ الصَّدْرُ، لِمَا تلاحقَ حالًا بعد حالٍ من الاستخفاف والذلِّ.

٤- فَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ أُبْتَهُمْ عَلَى حَالَةٍ حَدَبَاءَ نَائِيَةِ الظَّهْرِ^(١)

انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين توعدهم، وإن كان الكلُّ من جملة الرِّسَالَةِ. ويروى: «لَشَرُّ النَّاسِ» بكسر اللام، والمعنى أنا ابنُ شرِّ الناس، كما قال النابغة:

* لئن كان للقبرين قبرٍ يجلقِي^(٢) *

والكلام لفظه لفظ الخبر والمعنى معنى القسم. وهذا من الأيمان الشريفة. ويروى: «لَشَرُّ النَّاسِ». والمعنى: أنا شرُّ الناسِ إِنْ أُحْمِلَ هَؤُلَاءِ القَوْمَ بيانا على حَالَةٍ مُنكَرَةٍ، وَخَطَّةٍ صَعْبَةٍ، لَا يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا، وَلَا يُثَبَّتُ عَلَى ظَهْرِهَا. وفي هذه الطريقة قولُ الآخر^(٣):

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ حَرْبَنَا عَلَى يَابِسِ السَّيِّئِ مُحَمَّدِ وَدِبِ الظَّهْرِ
فقوله نائية الظهر مثل قول هذا مُحَمَّدِ وَدِبِ الظَّهْرِ، أَي ظَهْرُهَا يَجْبُو لِنُتُوِّهِ
وَنُبُوِّهِ فَيَقْلُقُ رَاكِبَهَا وَلَا يَقِرُّ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ.
٥- وَحَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا وَتَقَعْدَ لَا نَدْرِي أَنْتَزِعُ أَمْ نَجْرِي

تَعَلَّقَ حَتَّى يَفْعَلَ مَضْمِرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَدِيمُ ذَلِكَ لَمْ حَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ،
أَي إِلَى أَنْ يَفِرَّ النَّاسُ. والمعنى: إِنِّي لَا أُرَاؤُ أَمَادِي فِي اللَّجَاجِ وَالشَّرِّ، وَأَتَرَقَّى فِي
دَرَجَاتِ النَّزَاعِ وَالْحَرْبِ، حَتَّى يَسْقِيلَ النَّاسُ مِنْ مِشَارِ كِتْمَانِ وَمَلَابِسْتِنَا فِيمَا نَزَاوَلَهُ،
وَيَسْتَعْمُقُوا مِنَ التَّوَشُّطِ بَيْنِنَا وَرَدَّنَا عَمَّا نَقْتَحِمُهُ، وَيَنْفُضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ اسْتِطْلَاحِنَا

(١) كذا ورد في الأصل وفي م والتبريزي والمؤتلف: «على آلة». والآلة: الحالة أيضا.

(٢) عجزه: * وقبر بصيداء التي عند حارب *

(٣) هو الأخطل، ديرانه ١٢٩ واللسان (سيس).

وتتغير نحن أيضاً ونرتبك إذا توسطنا أمورنا، فلا ندرى أنقصر ونكف، أم
نجرى فننفذ. وهذا إلام بما سار به المثل في قصة السائلة للسمن، ويقول
الشاعر^(٢) :

وَكُنْتُ كذاتِ القَدْرِ لم تَدْرِ إذْ غَلَّتْ أَتَنَزَّلُهَا مُذْمُومَةٌ أم تُذَيِّبُهَا^(٣)
وفي المثل السائر: « اختلط الخائر بالزُّبَادِ^(٤) ». وقوله « لا ندرى »
في موضع الحال.

١٤٢

وَقَالَ أَبُو بِنِ حَمَامِ المَرِّيُّ^(٥) :

- ١ - تَمَنَّى لِي المَوْتَ المَعْجَلِ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ أَيْسَ يُعْرِفُ حَاسِدُهُ
 - ٢ - فَخَلَّ مَكَانًا لَمْ تَكُنْ لَتَسُدُّهُ عَزِيزٌ أَعْلَى عَبْسٍ وَذُبْيَانٌ ذَائِدُهُ^(٥)
- يقول: وَدَّ لِي المَوْتَ الوَحِيِّ السَّرِيعِ الإِتْيَانِ خَالِدٌ، حَسَدًا مِنْهُ وَبُغْضًا،
وَمَقَاسَةً فِي الرِّبَاسَةِ وَحَقْدًا. نَمَّ قَال مُتَسَلِّيًا: وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا حَاسِدَ لَهُ،
لَأَنَّ الحَسَدَ مِنْ تَوَابِعِ الفَضْلِ وَمَسَبِّاتِهِ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الآخَرِ:
إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَأِيْمِهِمْ

قَبِيلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(٦)

وقد شرح القول فيه. وقوله « فخلَّ مقامًا » أقبل على خالدٍ مُبَسِّكًا له

(١) هو بشر بن أبي خازم. المفضليات (٢: ١٣١).

(٢) رواية المفضليات: « فكانوا كذات »

(٣) الزباد، كرمان: ما لا خير فيه.

(٤) التبريزي والآمدني: « العبسي » قال التبريزي: وحام هو ابن جابر بن قراد بن

مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيمة بن عبس. ومثله عند الآمدني في المؤلف ٩١.

(٥) التبريزي والآمدني: « فخلَّ مقامًا ».

(٦) من الحماسية ١٣٨.

وَمُقَصِّرًا بِهِ ، يَعْرِفُهُ أَنَّهُ يَحْسُدُهُ فِيمَا لَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا يُسْتَكْفَى مِثْلُهُ فِيهِ ، فَقَالَ :
 أَتْرُكُ مَقَامًا تَزِلُّ قَدَمُكَ عَنْهُ ، وَتَسْقُطُ رُتْبَتُكَ دُونَهُ ، وَأَنْسَ مَكَانًا لَا تَسُدُّهُ
 بِكِفَايَتِكَ ، وَلَا تَقُومُ فِيهِ بِغَنَائِكَ ، [وَبِعِزِّ الدَّفَاعِ دُونَهُ عَلَى طَوَائِفِ عَبَسِ
 وَذُبْيَانَ — وَإِنَّمَا يَرِيدُ رِيَاةَ الْعَشِيرَةِ ^(١)] — وَخَلَّ الْقِيَامَ بِأَمْرِ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ
 إِذْ لَسْتَ مِنْ رِجَالِ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « لِنَسُدَّهُ » الَّلَامُ فِيهِ لَامُ الْجُودِ ، وَهِيَ لَامُ
 الْإِضَافَةِ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُ يَنْتَسِبُ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ وَلَا يُظْهَرُ الْبَيِّنَةُ .

١٤٣

وقال أيضًا :

١- لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءَةٍ أُدْعَى لَهَا فَإِنَّ لَسَوَاتِ الْأُمُورِ مَوَالِيًا

مَوْلَى سَوْءَةٍ : مُتَوَلِّئًا وَصَاحِبَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَلِيِّ : الْقُرْبُ
 أَمْ لَا أَقَارِبُهَا ^(٢) وَلَا أَدَانِيهَا : وَقَوْلُهُ « أُدْعَى » مِنَ الدَّعَاوَةِ وَالدَّعْوَةِ ، وَهِيَ
 الدُّنْيَا . يَقُولُ : لَا أَتَعَاطَى قَبِيحًا ، وَلَا أَنْوَلِي مُخْزِيَةً فَأَنْسَبَ إِلَيْهَا ، وَأَعْرِفَ
 بِهَا ، فَإِنَّ لِمَقَابِحِ الْأُمُورِ أَرْبَابًا غَيْرِي . وَهَذَا انْتِفَاؤًا مِنَ الْأَدْنَسِ ، وَتَبَرُّؤًا مِنْ
 الْمَقَابِحِ ، وَتَمْرِيبُضًا بِأَنْ مَا يَنْزَعُهُ عَنْهُ حَاصِلٌ فِي مُجَازِيهِ وَمَلَازِمٌ لَهُ .

٢- وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْعِدِيَّ إِذَا عَدُّوا أَدِيمِي وَاهِيًا ^(٣)

(١) التكملة من م .

(٢) م : « أقاربها » . والمقاربة : المقاربة والمداناة .

(٣) ابن جنى : « زاد لا مؤكدة للنق ، وقاصلة بين معنيين ، وذلك أنه لو قال : ولن
 يجد الناس الصديق والعدو أديمي واهيًا لم يكن فيه دليل أنه لا يجد بعضهم دون بعض ، وإنما
 فيه من الدليل أنه لا يجدونه كذلك كلهم ، فقد يجوز أن يجده واهيًا بعضهم ، كما أنك إذا
 قلت ما جادني الناس كلهم ففيه نفي مجيء الكل وليس فيه نفي مجيء البعض . فإذا قلت ما جادني
 الصديق والعدو جاز أن يكون قد جاء بعض أولئك . فإذا قلت ما جادني الصديق ولا العدو لم
 يجز أن يكون جادك أحد منهم . فهذا هو الفرق ، وهو أمدح ، لأنه لم يطلع أحد منهم
 على ضعفه » .

يقول: إني صحيح الأصل، تقي العرض، فلو تعاون في الكشف عما أدعيه والبحث دونه أصدقائي وأعدائي، ومن يرى التغميض على ما يُنكره، أو التشهير والتنديد بما يثيره، لما وجدوا غميرة، ولا ظفروا بتقيصة. وذكر الأديم مثل للعرض والأصل. والتد والإحصاء كناية عن النحص والتنقيب.

٣ - وإن نجاري يابن غم محالف نجار اللثام فابني من وراثيا

النَّجَارُ: الأصل. وهذا تعريضٌ بالمخاطب، يقول: أصلي مخالفٌ لأصول الأديان، فاطلبنى للمفاخرة إذا غبتُ عنك [أوفتكَ^(١)]. فأما إذا حَضَرْتُ فإنك لا تقاومني ولا يستقيم لك مساجلتي. هذا إذا جعلت وراء بمعنى خلف، فإن جعلته بمعنى قدام يكون بمعنى أبعني إذا تقدمتني. ومن طلب من تخلف عنه من قدام لا يُدركه. والكلام على هذا يكون تهكماً وسخريةً. فالعنى في الأول والثاني: إنك لا تلحق شأوي فاطلبنى طلب المعدر واليأس^(٢). ويجوز أن يكون يريد: إني كريم الأصل، رفيع الحال، على الرتبة، ومن كان كذلك لا يُظفر به، ولا يُضطادُّ مثله [إلا^(٣)] بالخضوع له والانقياد بالتذلل بين يديه، فأبعني وأنت تابع لي، وواطئ عقيبي، حتى تنالني، وإلا لم تبلغ مسرادك مني. ويقال: فلان من وراء فلان، إذا كان ناصرًا له، وتابعا. وأنشد ابن السكيت:

لعمرك ما كان القرني رهطه بعمي ولا خالي ولا من وراثيا

وقال: المعنى ولا ناصرى. فأما قولهم الله من ورائك، فالعنى طالبك ومترصد لك فأنتك. فعلى القول الأخير يكون من وراثي في موضع الحال لضمير الفاعل في أبع.

(١) التكملة من م . (٢) التبريزي: « كبعض الرجال » .

(٣) المعدر: المقصر المتواني من غير عذر. ومنه: « وجاء المعدرون » .

٤- وَسِيَانٍ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى كِبْعَضِ رِجَالِ يَوْطِنُونَ الْمَخَازِيَا

ارتفع سِيَانٍ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدَّمُ لِقَوْلِهِ « أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى » ، وَالْمَعْنَى :
مِثْلَانِ عِنْدِي مَوْتِي وَأَنْ أَرَى كَمَنْ يَأْلَفُ الْمَخَازِيَا وَيَرْضَاهَا وَطَنًا وَمَأْوَى ،
وَلَا يَأْتَسُّ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا إِلَيْهَا . وَهَذَا تَعْرِيزٌ بِالْمُخَاطَبِ أَيْضًا .
وَالسِّيُّ : الْمِثْلُ . قَالَ :

فَيَا كُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ هُمُوزِ التَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِيٌّ^(١)

٥- وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا

يَقُولُ : لَا أَحْسِبُ مَنْ لَا يَحْتَشِمُنِي ، وَلَا أَنهَيْبُهُ إِذَا لَمْ يَتَهَيَّبْنِي ، وَلَا أَرَى
مَنْ يُعْظَمُ الْمَرْءُ وَإِجْلَالُهُ مَا لَا يَرَاهُ لِي ، لَكِنِّي أُوزِنُ النَّاسَ فِي أَفْعَالِهِمْ ،
وَأُجَازِيهِمْ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ . وَقَوْلُهُ « مَا لَا يَرَى لِيَا » حَذَفَ مَفْعُولَ يَرَى
تَخْفِيفًا ، وَهَذَا الْحَذْفُ سَائِعٌ إِنْ جَعَلْتَ مَا مَعْرِفَةٌ فَكَانَ مَا بَعْدَهُ صِلَةً ، أَوْ جَعَلْتَهُ
نَكْرَةً فَكَانَ صِفَةً .

٦- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحْبِبْكَ إِلَّا تَكَرَّهَهَا عِرَاضَ الْعَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا

انْتَصَبَ قَوْلُهُ « تَكَرَّهَهَا » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ
إِلَّا مَتَكَرَّهَهَا . وَانْتَصَبَ « عِرَاضَ الْعَلُوقِ » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
« لَمْ يُحْبِبْكَ إِلَّا تَكَرَّهَهَا » ، لِأَنَّ الْمَعْنَى إِذَا الرَّجُلُ عَارَضَكَ فِي الْحُبِّ عِرَاضَ
الْعَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْحُبُّ بَاقِيًا وَلَا ثَابِتًا . وَالْعَلُوقُ ، هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَرَامُ وَلَدَهَا
وَتَلْسُنُهُ حَتَّى يَأْتَسَّ بِهَا ، فَإِذَا أَرَادَ ارْتِضَاعَ اللَّبَنِ مِنْهَا ضَرَبَتْهُ وَطَرَدَتْهُ . قَالَ :

(١) للحطيثة في ديوانه ٦٩ واللسان (سوا) .

وما نَحْنِي كِنَاجِ الْعَلْوِ قِي مَاتَرَ مِنْ غِرَّةٍ تَضْرِبِ (١)
 وَيُشْبَهُ الْبَيْتَ الَّذِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلُ الْأَخَرِ (٢) :
 أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعَلُوقُ بِهِ رِيْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

١٤٤

وقال عنتره بن شداد (٣) :

١ - يُدَبِّبُ وَرَدُّ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمْكَنَهُ وَقَعُ مِرْدَى خَشِبِ

هذا وَرَدُّ بن حَابِسٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ بَوَثْرٍ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ (٤) . فيقولُ :
 تَسْرَعُ هَذَا الرَّجُلُ فِي إِثْرِ الْمَهَارِبِ مِنْهُ ، وَاسْتَعَثَّ فَرَسُهُ فِي حَلَاقِهِ ، فَكَنَّهُ مِنْهُ
 عَدُوُّ فَرَسٍ صُلْبٍ كَأَنَّهُ مِرْدَاةٌ . وَالْمِرْدَى : صَخْرَةٌ يُكْسِرُهَا النَّوْمِيُّ وَغَيْرُهُ . وَمَعْنَى
 خَشِبِ خَشِنٌ . وَيُقَالُ خَشِبْتُ الشَّيْءَ خَشْبًا فَخَشِبَ . وَالْخَشِبُ (٥) مِنَ السَّيْفِ (٦) :
 الَّذِي بَدِيءُ طَبْعُهُ فَلَمْ يَلِنْ بَعْدُ . وَقَوْلُهُ « وَقَعُ مِرْدَى » هُوَ مَنْ وَقَعَتْ الْحَدِيدَةُ ،

(١) للنايفة الجعدى فى اللسان (علق) . وقد روى فى الأصل : « تضرب » بالرفع ،
 وصوابه بالخفض لأنه جواب الشرط كما فى م ، وعليه نبه ابن برى . اللسان (علق) . وقبله :

وكان الخليل إذا راى فدايته ثم لم يعتب

(٢) هو أفنون التغلبى . اللسان (علق ، رأم) والبيان والبيبين (١ : ٩) والمفضليات

(٣) (٦٢ : ٤) وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) .

(٤) كذا فى الأصل . وفى م والتبريزى : « وقال عنتره » فقط . ويبدو أن هذا الأخير
 هو النص الصحيح . وقال التبريزى : « قال أبو هلال : يعنى عنتره بن معاوية بن شداد بن قراد
 بن مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عيس ، وكنيته أبو المغلس . وفى الشعراء جماعة يقال لهم عنتره
 منهم هذا ، ومنهم عنتره بن عكبرة الطائى ، وهو عنتره بن الأخرس ، وقد مر ذكره . ومنهم
 عنتره بن عروس مولى ثقيف ، وكان مولدا فى بلاد أزد شنوءة : شاعر راجز » . وانظر الحماسية
 ٥٣ والمؤتلف والمختلف للامدى ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) التبريزى : « وقيل ورد : اسم فرسه » .

(٥) فى الأصل : « والخشيب » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٦) كذا فى النسختين ، كأذ جعل السيف جنسا ، أو لعل : « من » مقحمة .

إذا ضربتها بالميقعة، كأنّ الفرس كان يضرب الأرض بحوافره ضرب الحديد بالميقعة. ومن هذا قول الهذليّ ساعدة:

وحوافرُ تَقَعُ البراحَ كأنما أَلِفَ الزَّمَاعِ بها سِلامٌ صُلبٌ^(١)

[فمعنى تقع البراح، أى تفرعه. وروى الجعفي هذا البيت:

..... كأنما أَلِفٌ^(٢) الزَّمَاعِ ردى سِلامٌ صُلبٌ^(٣)]

وقال: رَدَى صخره، شَبَّه الأَنفَ بها، فملى هذه الرواية يَحْصُلُ التوافق بين بَيْتِي عنتره وساعدة الهذليّ في اللفظ أيضا.

٢- يتابعُ لا يبتغي غيرهُ بأبيض كالقبس الملتهب^(٤)

التتابع والتابعة يستعملان في أطراد الشيء واستمراره على حدٍ واحدٍ. على هذا قوله:

* وَعُرَاةُ السَّيْتَيْنِ تُوبِعَ بَرِيها *

ومفعول يُتابع محذوف، ويجوز أن يكون الفعل للرجل ويجوز أن يكون للفرس. كأن المراد: يتابع الرّكض أو العدو. وموضع لا يبتغي نصبٌ على الحال. والباء من قوله « بأبيض » يجوز أن يُريدَ به سَيْفًا. والقبس: النار. شَبَّهُ بها في بَريقها ولعانها ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً، ويكون على هذا « يتابع » للفرس. وشبَّههُ بالنار لذكائه ونفاذه. واستعمالُ البياض في الكرم ونقاء العرَضِ كثيرٌ معروف، على ذلك قولُ الآخر^(٥):

(١) ديوان الهذليين (١ : ١٨٦).

(٢) في الأصل، وهو هنا م: « كفا أنفسه ».

(٣) هذه التكملة من م. (٣) أي تهادى هذا الرجل لا يبتغي

غير نضلة. والتتابع في الشر دون الخير. ويروى: يتابع، ومفعول يتابع محذوف.

(٥) هو ابن قيس الرقيات. ديوانه ٨٣.

* أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ (١) *

فأما معنى قوله « بيتني غيره » فيجوز أن يكون أن هيمته كانت موكولة به لا بشيء من الغنم والاموال . وكأنه ألم بقوله :

* أَغَشَى الْوَعَى وَأَعَفُّ عِنْدَ الْمَغَمِّ (٢) *

ويجوز أن يريد أن قصده في الطلب كان إليه لا إلى غيره من الناس .

٣- فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أبا نَوْفَلٍ قَدْ شَجِبُ

أضاف المصدر في قتله إلى المفعول . يقول : مَنْ شَكَّ فِي قَتْلِ وَرْدٍ لِنِضْلَةٍ فَلْيُزِلِ الشَّكَّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلْيَدْعِ الْارْتِيَابَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ هَلَكَ لَا مَحَالَةَ . وَأَبُو نَوْفَلٍ : كنية نضلة . وفي الكلام تهكم وإظهار شماتة . ويقال شجب بفتح الجيم ، إذا هلك ، فهو شاجب ، وشجب بكسر الجيم فهو شجب ، لغتان .

٤- وَغَادَرْنَ نِضْلَةَ فِي مَعْرِكِ بَجْرُ الْأَسِنَّةِ كَالْحَطِيبِ

النون ضمير الخيل . يقول : تَرَكَتِ الْخَيْلُ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا انْكَشَفَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي مُزْدَحَمِ الْحَرْبِ جَارًا لِلْأَسِنَّةِ الْمَكْسُورَةِ فِيهِ عِنْدَ الطُّعْنِ ، كَأَنَّهُ جَامِعُ حَطِيبٍ . وَيُقَالُ أُحْرَزْتُ فَلَانًا الرَّمْحَ فِجْرَهُ ، أَيْ كَسَرْتُهُ فِيهِ لَمَّا طَعَنْتُهُ فَصَارَ يَجْرُهُ . وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

* أَجْرُهُ الرَّمْحَ وَلَا تَهَالَةَ (٣) *

وحكى بعضهم أن الحطيب : دُوَيْبَةُ تَمْرٍ عَلَى الْأَرْضِ فَيَعْلَقُ بِهَا الْعِيدَانُ .

(١) هو بتمامه كما في الديوان وما مضى في حواشي الحماسية ٢٥ : ٣ :

أملك بياض من قضاة في ال * بيت النوى يستكن في طنبه

(٢) لعنترة في معلقته . رصدهه :

* يخبرك من شهد الواقعة أننى *

(٣) سبق إنشاده في البيت السابع من الحماسية ٢٩ ص ١٦٢ .

ويكون المعنى يجرُّ الأسنَّة كما تجرُّ هذه الدُّويبة العيدان . وهذا تصويرٌ
للخفى بالجلِّي .

١٤٥

وقال عروة بن الورد^(١) :

١ - لَحَى اللهُ صُغْلوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي المَشَاشِ آ لِفَا كُلِّ مَجْزِرٍ^(٢)

لَحَى اللهُ : كلمةٌ تُستعملُ في السَّبِّ ، وأصله اللَّوْمُ والقَشْرُ أيضًا . والصُّغْلوكُ :
الفقير . يقول : زاد اللهُ كلَّ فقيرٍ يرضى من عَيْشهِ بَأَن يَطُوفَ في المَجَازِرِ إِذَا أَظْلَمَ
عليه الليلُ ، ويلتقطُ المَشَاشَ منها كأنه يَصَافِيها ويلَازِمها حُبًّا لها - فقَرًّا^(٣) .
وإنما قال هذا على وجه الإنكار . أى لِمَ يَقنعُ بذلك ، وماله يُسِفُّ لمثلِ هذا
الطَّمعِ الخسيسِ ولا يَطْلُبُ مَعَالِيَ الأُمورِ . والمَشَاشُ : كلُّ عَظْمٍ هَشٍّ دَسِيمٍ ،
والواحدُ مُشَاشَةٌ . وقولُه « مُصَافِي المَشَاشِ » نَكِرَةٌ ، وانتصبَ على أَنه صفةٌ
لقوله صُغْلوكًا . وإضافته ضعيفةٌ ، لأن المَشَاشَ أُشيرَ به إلى الجنسِ ، ولا يَحْصُلُ
التخصيصُ بالإضافة إليه . وعلى هذا قولهم : قَيْدُ الأَوَابِدِ ، وَدَرَكُ الطَّرِيدَةِ وما
أشبهه . وكان يجب أن يجرَّك الياء من مُصَافِي بالفتح ، فسكَّته لأن منهم من
يُجرِّى الفتحَةَ في مثله من المعتلِّ مجرى سائر الحركات فلا يُشْبِهُها .

٢ - يَعُدُّ الغَنَى من نَفْسِهِ كلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا من صَدِيقٍ مُيسِّرٍ

(١) التبريزى : « سمى بالعروة من الشجر ، وهو ما لا يبس في الشتاء فتستغيث به الإبل
في الجذب » . وعروة : شاعر جاهلي فارس من بني عبس ، كان يلقب عروة الصماليك ، لجمعه
لياهم وقيامه بأمرهم . انظر الأغاني (٢ : ١٨٤ - ١٩٠) واللالئ (٨٢٣ - ٨٢٤)
والخزانة (٤ : ١٩٤ - ١٩٦) والشعر والشعراء ٦٥٧ .

(٢) رواية الديوان : « مضى في المشاش » .

(٣) فقرا ، مفعول « زاد » في أول هذه العبارة .

يقول: لِفَرَحِهِ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ كَسْبِهِ الدِّينِيَّ، وَرِضَاهُ عَنْ أَيَّامِهِ بِعَيْشِهِ اللِّثِيمِ يُعَدُّ - إِذَا أَصَابَ القِرَى لَدَى صَدِيقٍ وَوَلِدَتْ لَهُ شَيْئًا فَاتَّسَعَ اللَّبَنُ عِنْدَهُ وَفِي رَحْلِهِ - الغِنَى مُحَوَّرًا لَهُ، وَمَحْصَلًا عِنْدَهُ، فَلَا غَضَاضَةَ تَلْحَقُهُ، وَلَا أَنْفَقَةَ تَقْبِضُهُ. وَالمَيْسَرُ ضِدُّ المَجْنَبِ، يُقَالُ يَسَّرَ الرَّجُلُ وَيَسَّرَتْ غَنَمُهُ. وَجَنَّبَ الرَّجُلُ، إِذَا قَلَّتِ الخُلُوبَةُ فِي إِبِلِهِ وَغَنَمِهِ. قَالَ:

* وَكُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامٌ تَجَنَّبُ (١) *

وقوله « أَصَابَ قِرَاهَا » أَضَافَ القِرَى إِلَى اللَّيْلَةِ عَلَى المَجَازِ، وَالمِرَادُ قِرَاهُ فِيهَا.

٣ - يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحْتُ الحَصَى عَنِ جَنَبِهِ المَتَعَفَّرِ (٢)

يقول: يَنَامُ هَذَا الصُّغْلُوكُ لِدَنَاةِ هِمَّتِهِ، وَقِيَامَةَ مَعِيشَتِهِ، وَاسْتِيْلَاءِ الكَسَلِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَكْسَبِهِ قُبُلَ اللَّيْلِ (٣)، لِأَنَّ هِمَّتَهُ (٤) فِي رَاحَتِهِ وَنَوْمِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى مَا يَسُدُّ جَوْعَتَهُ بِهِ. ثُمَّ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَاعِسٌ بَعْدُ، غَيْرَ قَاضٍ حَاجَتَهُ مِنَ الرِّقَادِ، وَلَا ضَجِيرٍ فِي مَضْجَعِهِ بِالتَّسَاقُطِ وَالاِنْجِدَالِ، يَنْفِي عَنِ جَنَبِهِ مَا أَصِقَ بِهِ مِنَ الحَصَى وَالتُّرَابِ، وَنَشِبَ فِيهِ مِنْ دُقَاقِ الحَصَى. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَامَ بِلَا وِطَاءٍ. وَقَوْلُهُ « يَحْتُ الحَصَى » أَي يُسْقِطُهُ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ يُحِطُّ. وَالعَفْرُ: التُّرَابُ. وَيُقَالُ عَفَّرْتُهُ فَتَعَفَّرَ.

(١) للجميح الأسدي في المفضليات (١ : ٣٣) وصدده :

* لما رأت إبل قلت حولتها *

(٢) الديوان : « ثم يصبح طاويا » .

(٣) م : « ومكسبته . وقبل كل شيء : أوله .

(٤) كذا على الصواب في م . وفي الأصل : « لأن نهمته » .

ع - ولكن صعلوكاً صفيحةً وجهه كضوء شهاب القابس المتنور^(١)

صَفْحَةُ الرَّجُلِ وَصَفِيحَتُهُ : عُرْضُ وَجْهِهِ . يَقُولُ : وَلَكِنْ فَقِيرًا مُشْرِقَ
الْوَجْهِ صَافِيَ اللَّوْنِ ، لَا يَتَشَخَّعُ لِفَقْرِهِ ، وَلَا يَتَذَلُّ إِذَا أَثَّرَ الدَّهْرُ فِيهِ ، فَكَانَ
ضَوْءَ وَجْهِهِ ضَوْءَ نَارِ الْقَابِسِ الْمُنْتَوِّرِ . وَالْقَابِسُ هَاهُنَا ذُو الْقَبَسِ مَعْنَاهُ .
وَالْقَبَسُ : النَّارُ ، وَيَكُونُ الْقَابِسُ الطَّالِبَ . وَيَقَالُ : أَقْبَسْنِي نَارَكَ . وَالْمُنْتَوِّرُ :
الْمُتَفَعِّلُ مِنَ النَّارِ . وَيَقَالُ تَنْوَرْتُ النَّارَ ، أَيْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَاسْتَضَّأْتُ بِنُورِهَا .
وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

تَنْوَرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَثْرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَلِيٍّ
وموضع « صفيحة وجهه » مع خبره نصب على أن يكون صفة لصعلوكاً
وخبر لكن يجيء فيما يجيء من بعد . وقوله « صفيحة وجهه » حذف المضاف
منه لأن المراد ضوء صفيحة وجهه كضوء شهاب ، فأقام المضاف إليه مقامه .

٥ - مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهَرِ
يَقَالُ : أَطَّلَّ عَلَى كَذَا ، إِذَا أَوْقَى عَلَيْهِ . وَالْمَنِيحُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الثَّامِنُ
مِنَ الْقِدَاحِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : الْمَنِيحُ وَالسَّفِيحُ وَالْوَعْدُ قِدَاحٌ لَا أَنْصِيَاءَ لَهَا ،
وَلِنَّمَا يُكْتَرُّ بِهَا الْقِدَاحُ فَهِيَ تُجَالُ أَبَدًا ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْمَنِيحُ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ
بِهِ . فَيَقُولُ : وَلَكِنْ الْفَقِيرُ الْوَضِيءُ الْوَجْهِ ، الَّذِي يَبْدُلُ جُهْدَهُ وَيَبْتَدِلُ نَفْسَهُ
فِي طَلَبِ غِنَاهُ ، وَيُقَصِّرُ سَعْيَهُ عَلَى مَا يَبْلُغُ بِهِ عُذْرَهُ فَيُشْرِفُ عَلَى أَعْدَائِهِ غَازِيًا
وَمُغْبِرًا ، وَهُمْ يَزْجُرُونَهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَيَكْرَهُ هُوَ عَلَيْهِمْ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ يُزْجَرُ
هَذَا الْقِدَاحُ فِي خُرُوجِهِ وَمَعَ ذَلِكَ يُرَدُّ . وَخَبْرٌ لَكِنْ بَعْدَ لَمْ يَجِيءُ .

(١) بين هذا البيت وسابقه عند التبريزي :

يُعِينُ نِسَاءَ أُلْحَى مَا يَسْتَعِينُهُ وَيُمْسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمَحْسَرِ

٦ - إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفَ أَهْلَ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَّرِ (١)

يقول : هذا الفقير لا يقعدُ به عن طلبِ الأعداء والإغارة عليهم والنيلِ منهم بُعدَ الغزاةِ وتناؤى الدار ، فهم لا يأمنونه وإن شحطوا ، بل يتشوّفونه تشوّفَ الغائبِ المُتَظَرِّ ، أى كما يُتَشَوَّفُ غَائِبٌ دَنَا قَفْوُهُ وَيُنْتَظَرُ . وانتصب « تشوّف » على المصدرِ فيما دلّ عليه لا يأمنون اقترابه ، ومفعول تشوّف محذوف ، كأنه قال تشوّف أهل الغائب رجوعه .

٧ - فَذَلِكَ إِنْ يَلِقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيداً وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

يقول : ذلك الصُّعْلُوكُ إِنْ أَدْرَكَهُ الْأَجَلُ ، قَبْلَ نَيْلِ الْأَمَلِ ، لَقِيَهُ مَحْمُوداً ، إِذْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ عُذْرَهُ فِي مَطْلُوبِهِ بِاسْتِفْرَاحِ الْوُسْعِ فِي السَّعْيِ لَهُ ، وَإِذْ كَانَ التَّبِعَةُ فِيمَا فَاتَ عَلَى مَنْ يَمْلِكُ الْعَوَاقِبَ دُونَهُ . وَإِنْ نَالَ الْغَنَى يَوْمًا فَمَا أَخْلَقَهُ بِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « إِنْ يَلِقَ الْمَنِيَّةَ » خَبَرٌ قَوْلِهِ وَلَكِنْ صُعْلُوكًا لَوْ انْفَرَدَ عَنْ قَوْلِهِ فَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا تَرَخَى الْخَبَرَ عَنِ الْخَبْرِ عَنْهُ وَتَبَاعَدَ الْمُفْتَضَى عَنِ الْمُفْتَضَى لَهُ أُنِيَ بِقَوْلِهِ فَذَلِكَ ، مُشِيرًا بِهِ إِلَى الصُّعْلُوكِ . فَصَارَ إِنْ يَلِقُ خَبَرًا عَنْهُ . وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ وَالثَّانِي شَيْءًا وَاحِدًا ، وَمِمَّا أُجْرِيَ هَذَا الْجُرْيُ لِحُصُولِ مِثْلِ هَذَا التَّرَاخِي فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا (٢) أَنَّهُ مِنْ مُجَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأِنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ ، فَأَعَادَ أَنْ فِي قَوْلِهِ « فَأَنْ » كَمَا تَرَى .

(١) الديوان : « فإن بعدوا » .

(٢) هذه قراءة الحسن والأعرج . وقراءة الجمهور : « ألم تعلموا » بالياء . انظر تفسير

أبي حيان (٥ : ٦٤) .

١٤٦

وقال عنتره بن شداد العبسي (١) :

١ - تَرَكْتُ بَنِي الهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

البيت يُرَوَى عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهَا :

تَرَكْتُ بَنِي الهُجَيْمِ لَهُ دَوَارٌ إِذَا يَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ يَعُودُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس ، ويمضى فِعْلٌ لَهُ ، وجماعتهم ينتصب على المفعول ، لأن يمضى هذا يتعدى ، ومعناه يُجَاوِزُهُمْ . ويكون المعنى : تَرَكْتُ هَؤُلَاءِ القَوْمَ لفرسي مَطَافًا بِمَنْزِلَةِ الدَّوَارِ - وهو صَمٌّ كانوا يحجونه - يَطُوفُ حَوْلَ ذَلِكَ الصَّمِّ ، إِذَا نَفَذَهُمْ وَخَرَقَ صَفُوفَهُمْ وَدَارَ عَلَيْهِمْ عَادَ إِلَى مِثْلِ فَعَلِهِ الأَوَّلِ ، وَإِلَى مَكَانِهِ الأَوَّلِ . وَيُشَبِّهُ هَذَا البَيْتَ بَيْتَ الأَعَشَى فِي المعنى وَاللَّفْظِ ، وَهُوَ :

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَتَمَضِيهِمْ كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ المُرْتَجِمِ

وجاء في الحديث حُجَّةً لَتَعْدَى يَمَضَى ، فِي صِفَةِ المَحْشَرِ : « يَمَضِيهِمِ الدَّاعِي وَيَنْفِذُهُمُ البَصْرُ » .

والثاني أن يُرَوَى :

تَرَكْتُ بَنِي الهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

والمعنى : تَرَكْتُهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ قَتْلَاهُمْ كَمَا يَطُوفُ عَلَى ذَلِكَ الصَّمِّ ، أَوْ ذَلِكَ النُّسْكِ ، فَإِذَا انْقَضَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَادَتِ الأُخْرَى لِلنَّظَارَةِ (٢) . وَقَوْلُهُ « جَمَاعَتُهُمْ » يَرِيدُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، فَأَضَافَ البَعْضَ إِلَى الكُلِّ ، وَليس يَرِيدُ جُمْلَتَهُمْ ، فَهُوَ فِي

(١) سبق له الحماسية ١٤٤ .

(٢) كذا وردت الكلمة بضمها في الأصل . وهي ساقطة من م .

حِكْمِ النَّسِكَرَاتِ . وَمَوْضِعُ « لَمْ دَوَّارٌ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « تَعَوُّدٌ » فَاعِلُهُ مَضْمَرٌ ، وَهُوَ جَمَاعَةٌ أُخْرَى ، فَاصْتَفَى بِذِكْرِ الْأُولَى عَنْهَا .

٢ - تَرَكَتُ جُرْيَةَ الْعَمْرِيَّ فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ مُعْتَدِلٌ سَدِيدٌ^(١)

يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ أَصَابَ الْمَذْكُورَ ، لَمَّا رَمَاهُ بِسَهْمِهِ مُحْكَمِ النَّصْلِ ، مُقَوِّمِ الْقِدْحِ ، صُلْبِ الْعَيْرِ ، سَدِيدِ الْوَقْعِ . وَمَوْضِعُ قَوْلِهِ « فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . وَالْعَيْرُ : النَّاتِي مِنْ وَسْطِ النَّصْلِ . وَقَدْ أَقِيمَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سَهْمٌ شَدِيدُ الْعَيْرِ . وَلَوْلَا مَا حَصَلَ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ بِإِضَافَةِ الشَّدِيدِ إِلَى الْعَيْرِ لَمَّا جَازَ ذَلِكَ فِيهِ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ . فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَامَّةً فِي أَجْنَاسٍ ، فَلَا يَمُوزُ ذَلِكَ فِيهِ . لَوْ قُلْتَ مَرَّرْتُ بِطَوْبِلٍ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ رَجُلًا ، لَمْ يَحْسُنْ ، لِأَنَّ الطَّوْبِلَ يَكُونُ فِي غَيْرِ الرِّجَالِ كَمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ . وَلَوْ قُلْتَ مَرَّرْتُ بِكَاتِبٍ ، يَحْسُنُ إِذْ كَانَتْ الْكِتَابَةُ مُخْتَصَّةً .

٣ - فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدُ فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ

كَانَ مِنْ رَمُوزِهِمْ أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا رَمَى بِسَهْمٍ وَأَرَادَ سَلَامَةَ الرَّمِيَّةِ مِنْهُ رَفَى سَهْمَهُ بِعُودَةٍ وَنَفَثَ فِيهِ ، ثُمَّ رَمَى بِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَاكَهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

فَلَمْ أَرْقُهُ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ فَرَمِيَّةٌ لَا غُسَّ وَلَا يُمَغْمَرُ^(٣)
 وَقَوْلُهُ « فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ » الْمَبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ فَهُوَ حَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ ،

(١) التبريزي : « إنما قال العمري لأن المهجم ابن عمرو » . ورواية التبريزي : « معتدل شديد » بالشين .

(٢) هو زهير بن مسعود ، كما في اللسان (غسس) . وقد سبق الاستشهاد بعجز البيت في ص ٣٥٣ .

(٣) فيما سبق وفيها سيأتي في الصفحة التالية : « فطمنة لاغس » . ونخشى أن تكون الرواية التبتت على المرزوق .

لأنَّ الفاء يُجَلَّبُ في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر ، ولو قُصِدَ إلى أن يكون الفعل جواباً لا يُسْتَعْنَى عن الفاء . وبعض من يدقِّع هذه الطريقة يقول لا رُقِيَّةَ ولا نَفَثَ ، إنَّما كَنَّوا عن الإبقاء بمثل هذا الكلام . وقوله : « وإن يُفَقِّدَ » فهو مثل قوله « فَطَمَعْتُهُ لا عُسَى » . والمعنى : إن يَبْرَأَ فليس ذلك من بُقْيَايَ ، وإن يَهْلِكُ فواجِبٌ لأنَّ المصابَ بمثله يَهْلِكُ لا مَحَالَةَ .

٤ - وما يَدْرِي جُرِّيَّةُ أَنْ نَبِيَّيْكَ يَكُونُ جَفِيرَها الْبَطْلُ النَّجِيدُ
يُرْوَى : « وهل يَدْرِي جُرِّيَّةُ » . والمعنى لا يعلم أنه كما أنى أصبته فداوى
وعادنى أن تكون الأبطال الثَّجَدَاءُ لِنَبِيَّيْكَ بمنزلة الجمعة ، أُصِيبَهُمْ أبدأ بها .
وفي ذكره البطلُ النَّجِيدُ المأمُ بقول الآخر (١) :

طَادُ نَفُوسًا مَبْتًى عَلَى كَرَمٍ (٢)

ويقول الآخر (٣) :

من عَهْدِ عَادٍ كان مَعْرُوفًا لَنَا أَمْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا

وأخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُمُونِها فَقَدْ أَسْكَنْتَ بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَاجِمِ (٤)

ويجوز أن يُريدَ بالبطلِ النَّجِيدِ جُرِّيَّةَ بعينه ، ثم يجوز أن يكون متهكماً فيما وُصِفَهُ به ، ويجوز أن يكون مادِحاً له ، لأن مدحَ خصمه وقتَ غلبه راجعٌ إليه .

(١) أحد بنى بولان ، من طيس . الحماسية ٣١ .

(٢) صدره : * نستوقد النبل بالحيض ونص *

(٣) هو بشامة بن الغدير . الحماسية ١٣٤ .

(٤) كذا في م والديوان ٣٨٧ . وفي الأصل : « ولا تطلبوا » .

١٤٧

وقال قيسُ بنُ زُهَيْرِ العَبْسِيُّ سَيِّدُ بَنِي عَبْسٍ (١) :

١ - تَعَلَّمْ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلَى جَفْرِ الهَبَاءِ لَا يَرِيمُ (٢)

يُرْوَى « أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا » ، والمعنى هو حَيٌّ ، وقوله « عَلَى جَفْرِ الهَبَاءِ » خَبْرٌ أَنَّ . وَيُرْوَى : « مَيْتًا » وإعرابه على ما ذكرناه في حَيًّا . وَيُرْوَى : « مَيْتٌ » وارتقاعه على أنه خَبْرٌ أَنَّ ، و « عَلَى جَفْرِ الهَبَاءِ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ . وَمَعْنَى تَعَلَّمْ : اعْلَمْ . وَلَا يُقَالُ فِي جَوَابِهِ تَعَلَّمْتُ ، اسْتَعْنَى عَنْهُ بَعَلَّمْتُ . وَيَعْنِي بِخَيْرِ النَّاسِ حَمَلُ بَنِ بَدْرِ . وَجَفْرُ الهَبَاءِ : بَيْتٌ قَرِيبُهُ الْقَعْرُ ، وَمَاؤُهَا كَثِيرٌ مَعِينٌ . وَكَانَ حَمَلٌ انْهَزَمَ فِي وَقْعَةٍ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الهَبَاءِ أَمِنَ لِبُعْدِهَا عَنِ الطَّلَبِ ، فَرَّحَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْتَرِدَ ، فَاتَّفَقَ حَقَاقُ قَيْسٍ بِهِ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ ذَوِيهِ ، فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

٢ - وَلَوْلَا ظَلْمُهُ مَازِلَتْ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

أشار بالظلم إلى ما جرى بينهم في أمرٍ داحسٍ والغبراء ، وإنكاره السَّبْقَ ، وَرُكُوبَهُ البَغْيَ . وَقَوْلُهُ « مَا طَلَعَ النُّجُومُ » يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الدَّهْرِ . وَالْمَعْنَى : لَوْلَا مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الظُّلْمِ لَاقْتَضَى مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالذَّمِّ ،

(١) قيس بن زهير العبسي شاعر جاهلي فارس . وهو صاحب داحس ، وكانت الغبراء فارس حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد أجرى السبق بين الفرسين فوضع حمل بن بدر أخو حذيفة كينا يصدون داحسا عن الغاية ، وحدث خلاف أيهما السابق ، فندشبت الحرب بسبب ذلك بين عبس وفزارة ، واستمرت أربعين عاما قتل فيها خلق كثير . انظر العقد والأغنى (٧ : ١٤٣ / ١٦ : ٢٣) والكمال ٣٤٣ والميداني (١ : ٢ / ٣٥٩ : ٥١) .

(٢) جعل التبريزي الرواية الأولى : « أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ » ثم نبه على روايتي « حَيًّا » و « مَيْتًا » .

والتشاجر والرحيم - البكاء عليه مدة الدهر . وقوله « ما طلع » بمنزلة المصدر ، وقد حذف اسم الزمان معه . والمراد بذكر الدهر الكثير والمبالغة والتأيد . وقد بينه بقوله « ما طلع النجوم » ، لأنه على ذلك يصح أن يكون بدلاً منه . فمعنى « عليه الدهر » عليه طوال الدهر^(١) ، وامتداد الدهر .

٣ - ولكن الفتى حمل بن بدر بنى والبغى مرتهعه وخيم

يقول : استعمل البغى واستوبل العافية ، واستدم المرتع ، ومن بغى عليه فإنه ينصر . ويقال : بغى الرجل على فلان ، أى جار . وبغى الفرس فى عدوه ، وهو فرس ناغ ، وذلك إذا اختال وصرح . وإذا استعمل فى الفخار والاستطالة فهو من هذا . والوخامة : الثقل يعرض من الطعام . يقال وخم وخامة فهو وخيم ووخم ، أى لا يستمراً .

٤ - أظن الحليم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم^(٢)

يقول : احتمالى من عشيرتى ، واستعمال الحليم معهم ، هو الذى جسرهم على فيما أظن ، ودلهم على قصدى واهتضامى على ما يدين . ثم قال « وقد يستجهل الرجل الحليم » أى إذا أخرج الحليم وأخرج^(٣) فقد يتكلف ما لا يكون معهوداً فى طبيعته ، ولا موجوداً من خلقه . وإنما تبة بهذا الكلام على أنه يتعلم عن الأدبين ، ويضرب على أذام ، وأنه لتاعيل صبره وحمل فوق ما فى وسعه ، خرج عن المعتاد منه إلى غيره .

(١) كذا فى م . وفى نسخة الاصل : « طول الدهر » .

(٢) أنشده بعد التبريزى :

ومارست الرجال ومارسونى ففوج على ومستقيم

(٣) فى الاصل : « وأخرج » ، والصواب ما أثبتنا من م

١٤٨

وقال مساور بن هند^(١) :

١ — سائلٌ تميمًا هل وفيتُ فإتني أعددتُ مكرمتي ليومِ سبَابِ

يقول : سائل تيميا هل كان مني وفاء بما تضمنته لجاري ، فإني رجلٌ نظارٌ في أعقاب الأحاديث ، مهمتهم بإعداد المكارم ليومِ النَّفَارِ ، شديدُ النزاعِ في مجالسِ الفَخَّارِ . كأنه يقرّرُ خصماءَهُ على ما كان من وفائه ، لِيَسْقَطَ التَّبِعَةُ عنه فيه ، وَيُنْبِئَهُ على أنه يرعى أفعاله فيخلصها مما يُعَدُّ سَيِّئَةً وَسُبَّةً وَوَضْمَةً في حَسَبِهِ .

٢ — وَأَخَذْتُ جَارَ بَنِي سَلَامَةَ عَنُودَ فَدَقَعْتُ رِبْقَتَهُ إِلَى عَتَابِ

عَتَابٌ هَذَا كَانَ مَعْتَصِمًا بِجَبَلِهِ ، وَمُسْتَظْهِرًا بِذِمَّتِهِ ، فَلَحِقَهُ مِنْ بَنِي سَلَامَةَ اهْتِضَامٌ فِي أَمْرِ ، فَجَاءَ مُسَاوِرٌ وَمَكَّنَهُ مِنْ جَارِهِمْ ، وَأَعْطَاهُ رِبْقَتَهُ لِيَتَحَكَّمَ فِيهِ ، وَيَسْتَفِي لِمَا لَحِقَهُ مِنْهُمْ . وَهَذَا الْكَلَامُ بَيَانٌ لِكَيْفِيَةِ وَفَائِهِ وَالخُرُوجِ إِلَى جَارِهِ . مِمَّا كَانَ تَضَمَّنَ لَهُ . وَقَوْلُهُ « عَنُودَ » أَي قَهْرًا ، وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَيُقَالُ : أَخَذَ بِلَدِّ كَذَا عَنُودًا ، أَي قَهْرًا بِالسَّيْفِ . وَالرِّبْقَةُ : الْحَبْلُ يُشَدُّ فِي عُنُقِ النَّهْمِ ، وَقَدْ تَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : خَلَعَ فُلَانٌ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ . وَقَوْلُهُ « فَدَقَعْتُ رِبْقَتَهُ » ، هُوَ كَمَا يُقَالُ دَفَعْتُ مَقَادَتَهُ .

٣ — وَجَلَّبْتُهُ مِنْ أَهْلِ أْبُضَّةٍ طَائِعًا حَتَّى تَحَكَّمَ فِيهِ أَهْلُ لِرَابِ

(١) هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي . شاعر فارس مخضرم أدرك النبي ولم يجتمع به ، ويقال إنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاما . الإجابة ، والخزانة (٤ : ٥٧٣) والشعر والشعراء ٣٠٧ . وفي المبهج أن « مساور » منقول من اسم الفاعل . وأما هند فعلم مرتجل .

الماء من « جَلَيْتُهُ » ترجع إلى دار بنى سلامة . وأَبْضَةٌ : اسم ماء . وقوله « جَلَيْتُهُ طائعا » تنبيهٌ على أنه وإن لَزِمَهُ لجارِهِ الانتقام له من خصمه ومهْتَضِمِيهِ فقد تبرَّع له بما لم يكن عليه ، وتكلف فيه ما لم يلزمه . وإرَابُ : موضع ، وقيل إرَابُ : مالا لبني العَنْبَرِ . وأَبْضَةٌ : مالا لطائِيء . والأَبْضُ كالعَقْل ، ومنه المَأْبِضُ في الرَّجُلِ . وقيل للغرابِ مُؤْتَبِضُ النَّسَا ، لأنه يَحْجِلُ فكأنه مأبوض .

٤ — قتلوا ابن أخيتهم وجار بيوتهم من حينهم وسفاهة الأبواب

يَشْرُ بِفَعْلَتِهِمُ الذَّمِيمَةَ وَيُنَدِّدُ ، فيقول : قَطَعُوا الرَّحِمَ وَتَقَضُوا الْعَهْدَ ، وارتكبوا ما كان محظورا في الدين والمرورة ، والعهد والذمة ، فقتلوا جارهم وابن أخيتهم ، بِحِمَّةِ عَقُولِهِمْ ، واقترب هلاكهم . وَالسَّفَةُ : الخِطْفَةُ في الأضل ، ومنه قيل زمامٌ سَفِيهُ ، إذا كان كثير الاضطراب ، ومنه قيل : تَسَفَّتِ الرِّيحُ الغضن ، وتَسَفَّتُهُ عن ماله . واللَّبُّ : العَقْلُ ، والفِعْلُ منه لَبَّ يَلْبُ . وقالت صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب^(١) : « أُضْرِبُهُ لَكِنِّي يَلْبُ ، وَيَقْوَدُ الْجَيْشَ ذَا الْجَلْبِ^(٢) » .

٥ — غدرت جديمة غير أني لم أكن أبدا لأولف غدره أتوا بي

عَيَّرَهُمُ بِاسْتِعْمَالِ الْغَدْرِ وَتَرْكِ الْوَفَاءِ لِلْجَارِ ، ثم برأ ساحتَهُ من تعاطي مثل فعلهم ، ونزّه نفسه عن ارتكاب نظير ما ارتكبوه . فأما قوله « لم أكن لأولف » فاللامُ فيه لامُ الجُحودِ ، وانتصابُ الفِعْلِ بأن مضمرة بينه وبين اللام . وموضع « لاولف » نصبٌ على أنه خبر كان ، وانتصابُ غَيْرَ على أنه استثناء

(١) في الأصل : « عبد الملك » ، صوابه في م واللسان (لبب) . وكانت قد ضربت

الزبير فقيل لها : لم تضربينه ؟

(٢) ويروى : « ذا اللجب » .

مُنْقَطِعٌ . وَذَكَرَ التَّوْبَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ النَّفْسِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ :
 نُبِّيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نَلْتُهُ فَهَرِيقٌ فِي تَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرٌ
 وَقَدْ قِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾ ، أَيْ نَفْسَكَ . وَيَقُولُونَ
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : فَلَانَ غَمْرُ الرَّدَاءِ ، وَعَفِيفُ الْحِجْزَةِ ، وَالْمُرَادُ النَّفْسُ .
 وَعَلَى هَذَا قَوْلُ التَّابِغَةِ :

* رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجِزَ أَمْرُهُ (١) *

وَقَوْلُ الْهُذَلِيِّ (٢) :

تَبْرَأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَبِرِّهِ وَقَدْ عَلَقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا

٦ - وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ تَتْرُكُوا أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الْأَحْسَابِ

الْخَطَابُ يُوجِّهُ إِلَى جَذِيْمَةٍ وَهُوَ مِنْهُمْ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ لَهُمْ أَحْسَابًا يُحْتَاجُ
 إِلَى الذَّبِّ عَنْهَا ، وَيُنْصَحُ لَهُمُ بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَتَرَكَ الْأَفْعَالَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى
 الْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِنْهَا ، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِمَّا عَصَبَ مِنَ الدَّمِ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمْ
 مِنْ ذِمِّهِ الْقَوْلَ فِي شِيَمِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، فَقَالَ : إِذَا رَكَبْتُمْ مِنْ شَفِيعِ الْغَدْرِ مِثْلَ
 مَا أَنْكَرْتُهُ اشْتَهَرَ أَمْرُكُمْ ، وَانْتَفَى النَّسِيبُ وَالْغَرِيبُ مِنْ مُلَابَسَتِكُمْ ، وَخُلِيَ
 بَيْنَ الْقَادِحِ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَبَيْنَكُمْ ، فَلَا يَذُبُّ عَنْكُمْ ذَابٌ ،
 وَلَا يُدَافِعُ دُونَكُمْ مُدَافِعٌ ، وَتَفَرَّدْتُمْ بِالْعَارِ اللَّاحِقِ ، وَالتَّهْجِينَ الْعَائِدِ .

(١) : عجزه . * يحيون بالريحان يوم الحساب *

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢٦) .

١٤٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَبْلِغْ أَبَا سَلَمَةَ رَسُولًا يَرُوعُهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بِعَسَجَلِ
٢ - رَسُولٌ أَمْرِي يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً فَإِنْ مَعَشَرٌ جَادُوا بِعَرْضِكَ فَأَبْخَلِ

يخاطب بقوله «أبلغ» صاحباً له ، يقول أدُّ إلى أبي سلمة رسالة تُفزعُه على ما يفتننا من البُعد ، وعلى استيطانه ذَا سِدْرٍ ونزولِ أهلي بعَسَجَلِ .
وذو سِدْرٍ : موضع فيه السِّدْر ، وهو شَجَرُ النَّبِقِ . وَعَسَجَلٌ : موضعٌ من حَرَّةِ بنى سُلَيْمٍ ، وبينهما مسافةٌ بعيدةٌ . والرَّسُولُ يقع على المرسلِ والرَّسَالَةُ جميعاً ، ويجرى تجرَى المصادر ، فيقع على الواحدِ فما فَوْقَهُ ، ومجازُ « لَوْحَلٌ » مجازُ الشَّرْطِ ، فهو يفيدُ معنى إن ، كأنه قال : أَبْلِغْهُ ذَلِكَ فَإِنِّي لَا أَذْخَرُهُ نُصْحِي ، وإن بَعْدَ عَنِّي وَعَنْ عَشِيرَتِي . وانتصب « رسول » من البيت الثاني على أنه بدلٌ من رَسُولًا يَرُوعُهُ . ونقل الكلام في البيت الثاني عن الإخبار إلى الخطاب ، لتكون الوصاةُ أنجع ، والرَّسَالَةُ أبلغ . وإنما قال « رَسُولًا يَرُوعُهُ » لما فيه من التحذير . فيقول : أدُّ إليه رسالةً رَجُلٌ مُتَنَصِّحٌ متقربٌ ، وعلى ما يكون فيه صلاحه وخلاصه مُلْتَبِّهٍ . وقوله « فَإِنْ مَعَشَرٌ جَادُوا بِعَرْضِكَ » تعريضٌ بمن كان يَفْعُلُهُ ويخونُهُ ، ويداجيه فيما استشاره فيه فلا يَصْدُقُهُ . وارتفع « مَعَشَرٌ » بفعلٍ مُضْمَرٍ « جَادُوا » تفسيره ؛ لأنَّ إنَّ بالفعلِ أَوْلَى ، والمعنى : إن عَرَضَكَ مَنْ لَا يَهْمُهُ سَلَامَةُ عَرْضِكَ لَمَّا فِيهِ ذَهَابُ النَّفْسِ وَتَلَفُ الْمُهْجَةِ ، وَتَسَخُّ بِكَ

(١) هو العباس بن مرداس السلمى الصحابى ، أسلم قبل فتح مكة ببسبر . وأمه الخنساء الشاعرة ، وكان العباس من المؤلفات قلوبهم . الخزانة (١ : ٧٣) والإصابة ، والأغاني (١٣ : ٦٢ - ٧٠) والمرزبانى ٢٦٢ - ٢٦٣ واللائى ٣٢ - ٣٣ والطبرى (٣ : ١٣٦ - ١٣٧) والشعر والشعراء ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٧٢٢ - ٧٢٥) .

وبما يجمعك وإياه من أسباب المودة والأحمة ، فأبخل أنت به وتماسك ،
قبيل فوت الوقت ، وانظر ليومك وغدك قدأم تولى الأمر .

٣ - وإن بوءوك مبركا غير طائلٍ غليها فلا تنزل به وتحوّل

يقال : بوأته مبركا صدق ، أي أحلته . والمبأة : المنزل . يقول : وإن
حملوك على مرّكب غير وطىء يسومونك فيه خسفا ، وأنزلوك منزلا خشنا
حزنا بؤثر في فئنت الإبل فيدميها ، ويستوعره الركب فلا يرونه منزلا
لها ، فلا ترض به ، وانتقل عنه . وهذا مثل لما عرّضوه له ، ويبعته بضره
إياه على محاذرتة ، وتصوّر الأمر معهم بصورته . وقوله « غير طائل » يجب
أن يكون من الطول : الفضل ؛ يقال : طال عليهم طولاً فهو طائل . والمعنى :
لا خير فيه فيطول على غيره . ومثل هذا البيت قول امرئ القيس :

هُوَ الْمَنْزِلُ الْآلَافِ مِنْ جَوْ نَاعِطٍ بِنِي أَسَدٍ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا

وقوله « فلا تنزل به » الفاء [مع ما^(١)] بعده جواب الشرط في قوله وإن بوءوك .
وموضع فلا تنزل رُفِعَ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : فأنت لا تنزل به .

٤ - وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَعْلِفُونَكَ إِهْنَمُ أَتَوَكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ بِالْمُشْمَلِ^(٢)

أخرج ما قدّمه من التمثيل لكيدهم وسوء دختهم ، وما يجب عليه من
الأخذ بالتحرز منهم ، وترك الاستفاضة في أمرك^(٣) الذي اختاروه ، والمبوء
الذي أعدوه ، في معرض آخر . والمعنى : وما يعدّ قرى لك فتجنّبها ولا تتناولها ،
فإنهم هيئوا لك به سماً قاتلاً فلا تطعمه . والمشمّل ، هو السم الذي قد خلط به

(١) التكلة من م .

(٢) سبق الاستشهاد بصدر البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) كذا في م . وفي الاصل : « المنزل » .

ما يقويه ويهيجه ، ليكون أنفذ . ويقال للصوفة التي توضع في الهناء عند^(١)
طلي البعير به . الثملة ، وهو مما ذكرت . قال الرازي^(٢) :

* كما يُلاثُ في الهناء الثملة^(٣) *

وقوله « أتوك على قرابهم » يجوز أن يريد به على تقرّبهم وتنصّحهم ،
ويجوز أن يريد به على قرابتهم وتشابك الأحوال بينك وبينهم . وإنما تنقل
في المثل بعد المثل تأكيداً للقول عليه في محاذرتهم^(٤) ، وإنذاراً في الركون
إليهم ، والاستنامة إلى ناحيتهم .

٥ - أَبْعَدَ الْإِزَارِ مُجْسِداً لَكَ شَاهِداً أُتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَتَزَيَّلِ

هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فهو تفرّيع وإنكار ، وتنبيه
وإنذار ، فيما يضرب المحاطبُ عنه ، وَيَفْعُلُ دُونَهُ ، مع كونه أعدل شاهدٍ على
سوء نيتهم ، وَخُبْتُ طَوِيَّتِهِمْ ، ومع خروجه عن حيز الاستدلال عليه إلى
المشاهدة ، ومن خَلَلِ الْخَفَاءِ وَالتَّشَكُّكِ إِلَى ظَاهِرِ الضَّرُورَةِ . فيقول : أُتَعَتَّرْتُ
بِهِمْ ، أو تَسْتَرِيبُ بِمَا أَحَدَّرْتُكَ مِنْهُمْ ، بعد ظهور أمرهم وانكشاف قصدِهِمْ ،
وبعد ما أُتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ مِنَ الْإِزَارِ الْمُتَلَطِّخِ بِدَمِ ابْنِ عَمِّكَ ، وقد يبس عليه
ولم يتزَّيَّلِ عَنْهُ . فقوله « بعد الإزار » يتعلّق بِفِعْلِ مُضْمَرٍ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ خَبِيثَاتُ
الْقِصَّةِ الْحِكْمِيَّةِ^(٥) . وَالْمُجْسَدُ : الثَّوْبُ الْمُسَبَّحُ صَبِغًا . وَالْجِسَادُ : الزَّعْفَرَانُ .
ومعنى لم يتزَّيَّلِ : لم يفارق الدَّم ، ولم يَنْفَكْ مِمَّا خَالَطَهُ مِنْهُ .

(١) م : « بعد » ، تحريف .

(٢) هو صخر بن عمير ، كما في اللسان (ثمل) .

(٣) في اللسان : « كما ثلاث بالهنا » . وقيل :

مغوثة أعراضهم موطلة في كل ماء آجن وسمله

(٤) في الأصل : « محاذرتهم » ، صوابه من م .

(٥) كلمة « قد » و « خبيثات » من م .

٦- أراك إذا قد صيرت للقوم ناصحًا يُقال له بالغرب أذبر وأقبل

الناصح: البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء. والنَّصَحُ من الحياض^(١): ما قَرَّبَ من البئر فيُفَرِّغُ الماء من الدَّلْوِ فيه، وهذا الكلامُ صدرَ عَن نَصَحِ جُهْدِهِ وَبَيَّنَ لموعوظِهِ رُشْدَهُ، فلمَّا لم يُتَلَقَّ بالقبول قوله جعله قضيَّةً منه على المُخاطَبِ، بسوء الاختيار، وركوب الاغترار، وأظهر أنه قد صار من التضجُّرِ به ورَفَعَ الطمع عنه وعن صلاحه، في حكم اليأس من فلاحه، وألْمَسِكَ عن وعظه وإبلاغه، لكونه في حكم المُسَخَّرِ لهم حتى لا رَأَى له ولا اعتبار، ولا تدبُّر ولا اختيار. فقال: أراك قد صيرتَ معهم بمنزلة البعير الذي يُسْتَقَى عليه، طاعةً وانقيادًا، فيقال له أذبر وأقبل بالغرب. والمعنى تُسَامُ ما تُسَامُ فتلتزمه وتنفقأ، ففعل ذلك البعير. ومعنى « يُقال له » أى يُحْمَلُ على ذلك. والتصرف في القول على وجوه كثيرة من الجاز.

٧- فخذها فليست للعزير بخطئة وفيها مقالٌ لأمرى متذللٌ

هذا الكلامُ خروجٌ عن^(٢) عهدة ما يفعله المُخاطَبُ، وبرائةٍ إليه مع الإنكار عليه والتنبية على موضع الخطأ فيه، فيقول: وكلمتك إلى نفسك، ونفضتُ يدي من مُراجعتك، فأرضَ بما عليه تُدارُ، وابدأ ما تُراودُ عنه وتُسامُ، علماً أن مثله لا يرضى به عزيرٌ، ولا يلتزمه آفٌ؛ وفيه مع ذلك نظرٌ وجدالٌ لمن يتذللُ: هل هو خطئته أيضاً. والمعنى: إنك تركبُ ظهراً لا يقتعده المتكلفُ للذلِّ فكيف العزيز. ويجوز أن يكون المعنى: فيها للناس، إذا تذاكروا الأحوالَ والخططاتَ، نظرٌ وكلامٌ مبسوطٌ: هل يرضى بمثله المتذللُ

(١) كذا في النسختين. وفي اللسان: «النصح».

(٢) م: «من».

أولاً . ويجوز أن يريد : إن الذليل يتكلم فيمن يرضاها خُطَّةً ويُعيِّره إياها ، فكيف يكون خُطَّةً للعزير . وهذا الوجه أبلغُ الوجوه الثلاثة وأدقُّها .

١٥٠

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَتَشْحَدُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا وَتَتْرُكُ أَرْمَاحًا بِهِنَّ مُنْكَابِدَ^(٢)

هذا مثلٌ . والمعنى : أتعينُ أعداءنا علينا ، لأنَّ مَنْ أَحَدَّ سِلَاحَ العَدُوِّ الذي يقاتل به ، وتتركُ سِلَاحَ صاحبه الذي يكأيدُه فقد أعانَه عليه . وإتما خصَّ من بين العُدَدِ الرِّمَاحَ لأنها كأنها أخصَّ بهم . وقوله « وتتركُ أَرْمَاحًا » أراد وتتركُ شَحْدَ أَرْمَاحٍ ، فحذف المضاف . ويجوز أن يكوفى كُنَى بالأرماح عن الرِّجال . والمعنى : أتهدِّج أصحابَ عدوِّي^(٣) علىَّ ، وتسدِّدهم نحوى ، وتتركُ أصحابي الذين بهم أكأيدُ ، فلا تُقوِّى في القتال والصِّبر رأيتهم ولا تُمرِّئُ في الثَّبات عزائمهم ، ومن المعروف قولهم : فلانُ سِنِّي ورُمحِي ، في الذي يستظهر به عند مُلاقاة الأعداء وفلانُ تُرْمِي وَجُنَّتِي ، فيمن يُتَّقَى به من الأسواء . وإتما قال في هذا الوجه أَرْمَاحًا بأيدي عدوِّنا لأنه إذا كُنَى عنهم بما يكونُ آلةً جعلها باليد . ويقال شَحَدْتُ السَّكِّينَ ، إذا أهددته . والباء من قوله « بأيدي » يتعلَّق بمضمر ، كأنه قال أَرْمَاحًا مستقرَّةً وحاصلةً بالأيدى . والعدوُّ يقع على الواحد وعلى الجمع . وفي القرآن ﴿ فَأَيُّهَا عَدُوِّي ﴾ .

٢ - عَلَيْكَ بَجَارِ القَوْمِ عَبْدِ بنِ حَبْتِرٍ فَلَا تَرَشِدَنُ إِلَّا وَجَارِكَ رَاشِدُ

(١) التبريزي : « وقال أيضاً » .

(٢) التبريزي : « بين تكأيد » . وفي تفسيره : « والمكأيدة : معالجة الأقران . يقال كأبت الشيء مكأبدة وكباداً ، إذا قاسيته في مشقة . والكيد : الشدة .

(٣) في الأصل : « رسول » ، وأثبتنا ما في م .

هذا الكلامُ بَعَثُ وتحميضٌ على مراعاة العهود والذِّمِّ ، وصيانة الجار من الاهتضام ، وإن لام فيها اللوائيم . فيقول : أُتَصِفُ لَجَارِكِ وانتقم له بأن تؤثر في جار القوم ، فإنك لا تكون راشداً إلا وقد رَشَدَ جاركُ معك . ويقالُ رَشِدَ يَرَشُدُ ، ورَشَدَ يَرَشُدُ ، لغتان . والباء من قوله : « بجار » يتعلّق بعليك ، لأن معنى عليك خُدُّ . ويقال خُدُّ كذا وخُدُّ بكذا . يقال أيضاً عليك كذا وبكذا . ودخول النون الخفيفة في قوله « تَرَشَدَنَّ » لأنه ليس بواجب فهو يجرى بجرى الأمر والنهي والاستفهام .

٣- فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةَ يَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ

الضمير في « فيها » للفعلَةِ والخُطَّةُ . ألا ترى قوله « فخذ خُطَّةَ يرضاك فيها الأبعاد » . والمعنى : إن تسخط ما تنكفئه لجارك من الذبِّ عنه والانتقام له هؤلاء القومُ فلا تُبال بهم ، وخُدُّ في أمره ما يحمّدك الأبعادُ دون الأقارب ، فإن الأخبار إذا انتشرت عنك بالوفاء استرَجَحَكَ الأجانب . وخُدُّ الجار وتسليمه إشاراً لهوى الأقارب ، ومُجانبةً لكرهاتهم ، يجلب الذمَّ ويُبلِّغ العار .

٤- إِذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أَوْلِي الْقُوَى أَضَاعَتْ وَأَضَعَتْ خَدَمَ مَنْ هُوَ فَارِدٌ

هذا بيان الرَّأْيِ في قبول ما أشار به ، وترك التَّمَرِيجِ على غيره . والعامل في « إذا طالت » أضاعت ، وهو جوابه أيضاً . فيقول : إذا طالت المناجاة وامتدَّت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القوية ضَيَّعتِ المستشيرَ وأمالت خَدَه ، وصار في الانفراد بما يعانیه بمنزلة مَنْ لا ناصرَ له ولا مُشِيرَ ، لوقوع التشاور على غير خَدَه ، وتقصير المُشيرِ في القيام بواجبه ، وقد جمع بين فعلين في قوله « أضاعت » و « أضعت » فأعمل الثاني ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين . ويموز أن يكون مفعول أضاعت غير « خَدَمَنْ » فحذفه ، كأنه قال أضاعت رَّبَهَا . وكان

الحكم في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول : وأصفت حذّه لكونه فاردًا
 وحيداً ، لكتنه لما كان الآخر هو الأول وقد حذفه ، لم يُبالي بإظهاره ، لأن
 الذي هو فاردٌ ربُّ النجوى لا غير . ومعنى إصغاء الحدّ الإذلال والانحراف
 للفتور والحجل . والقوى : جمع قوة ، وأصلها طاقات الحبل ، ثم استعملت في
 الآراء والعزائم . وأصل النجوى المسارّة ، فاستعميت للشورة لأنها في أكثر
 المواضع تقع بها . ويقال : فلانٌ نجى فلان ، وتناجوا فيما بينهم وانبجوا ،
 وهم نجوى ، وصنف بالمصدر . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلَّبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ
 ٥ - فحارب فإن مولاك حارَدَ نصره ففي السيف مولى نصره لا يحارِدُ

يقول : حارب من قصد جارك وأعان عليه ، ولا تقعد عن نصرته والانتصار
 له ، فإن لم يعاونك فيما ترومه مواليك ، وتأخروا عن النهوض معك ، فاستعن
 بالسيف ، فإن فيه مولى لك لا يخذلك ، ولا يتباطأ عنك . وهذا كما قال غيره (١) :

* أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا السِّیُوفَ عَلَى الدَّهْرِ (٢) *

والمحاردة أصلها في قلة اللبن ، واستعير في قلة الموازنة والمظاهرة . وقوله
 « فَإِنْ مَوْلَاكَ » ارتفع مولاك يفعل مضمر ما بعده . [تفسيره ، لأن إن بالفعل
 أولى (٣)] .

(١) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .

(٢) صدره : * فلما نأت عنا العشرة كلها *

(٣) التكملة من م . وانظر ما سبق في ص ٤٣٣ من ١٦ - ١٧ .

١٥١

وقال أيضاً :

وهذه الآيات تُعدّ من المنصّفات^(١) :

١ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا فَوَارِسًا

أشار بالحى إلى قومٍ معبودين . يقول : لم أر مغاراً عليه كالذين صبّحناهم ، ولا مغيراً مثلنا يوم آتيناهم . فقسّم الشهادة قسّم السواء بين أصحابه وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقةٍ منهم . وانتصب قوله « حَيًّا مُصَبَّحًا » على التمييز ، وفيه دلالةٌ على جواز قول القائل : عندى عشرون درهماً وَضَحًّا^(٢) . وكذلك قوله فوارسًا تمييزاً وتبييناً . ويجوز أن يكون الأول والثانى فى موضع الحال ، والمصّبِحُ الذى يُؤْتى صُبْحًا للغارة ، وبستعمل فى الخير أيضاً ، يقال : صَبَّحَكَ اللهُ بخيرٍ . فإن قيل . لم قال فوارس والتمييز يُؤتى به مُوَحَّدَ اللفظ . قلت : إذا لم يَتَّبِعَنَّ كثرة العدد واختلاف الجنس من المميّز يُؤتى بالتمييز مجموع اللفظ متى أُريد التنبية على ذلك . وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ، كأنه لما كانت أعمالهم مختلفةً كثيرةً ، نَبَّه على ذلك بقوله : أَعْمَالًا

(١) المنصّفات : القصائد التى أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اضطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم من إحماس الإخاء . ويروى أن أول من أنصف فى شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال :

كأنا غلوة وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير

ومن المنصّفات قول الفضل بن العباس بن أبى لُهب :

لا تطعموا أن تهينونا ونكرمكم * وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا

انظر الخزانة (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) الوضح : النقى الأبيض .

ولو قال عملاً كان السامع لا يبيعد في وهمه أن خسرتهم^(١) كان جنس واحد من أجناس المعصية ، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة . فكذلك قوله « فوارس » جمعه حتى يكون فيه إيدان بالكثير .

٢ - أَكْرَّ وَأَنْحَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد ، والمصراع الثاني إلى عترته وأصحابه . والمراد : لم أر أحسن كراً ، وأبلغ حامية للحقائق منهم ، ولا أضرب للقوانس بالسُّيُوفِ منا : وانتصب القوانس من فعل دلَّ عليه قوله « وأضرب منا » . ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أضرب لأنَّ أفعال الذي يتم بمن لا يعمل إلا في النكرات ، كقولك : هو أحسن منك وجهاً . وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تعدى إلى المفعول الثاني باللام ، فقلت ما أضرب زيداً الممرو . وقول الله تعالى : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^(٢) ، موضع حيث نصب بما دلَّ عليه أعلم . والقوانس ، قال اللديدي : هو أعلى البيضة وقال غيره : قونس الفرس : ما بين أذنيه إلى الرأس . ومثله قونس البيضة من السلاح .

٣ - إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً نَضَبُوا النَّا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحَ الدَّوَاعِسَا

يروي : « إذا ما شددنا شدة^(٣) » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ، ونصبوا صدور الخيل القرح ، والرماح المعدة لذلك^(٤) .

(١) في الاصل : « جسرهم » ، والصواب في م .

(٢) هذه دى قراءة جمهور السليفة . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

تفسير أبي حيان (٤ : ٢١٦ - ٢١٧) .

(٣) جعلها التبريزي الرواية الأولى ، وما قبلها الرواية الثانية .

(٤) م : « للدفع » .

وَلَدَعَسَ : الدَّفْعُ فِي الْأَصْلِ ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّعْنِ وَشِدَّةِ الْوُطْءِ وَالْجَمَاعِ .
وَالذَّكَاءُ : ضِدُّ الْفِتَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ مُذَكٌّ ، إِذَا تَمَّ سِنُّهُ وَكَمَلَ قُوَّتُهُ . وَفِي
الْمَثَلِ : « جَرَى الْمَذَكِّيَاتِ غِلَابٌ » . وَيُقَالُ « غِلَابٌ » . وَيُقَالُ : فَتَاءُ فُلَانٍ
كَذَكَاءِ فُلَانٍ وَكَتَذَكِيَةِ فُلَانٍ ، أَي حَزَامَتُهُ عَلَى نَقْصَانِ سِنِّهِ كَحَزَامَةِ ذَاكَ مَعَ
الِاسْتِكْمَالِ لِسِنِّهِ . وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى :

يُفْضَلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ
ع- إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكَّرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرَجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا
يَقُولُ : إِذَا الْخَيْلُ دَارَتْ عَنْ مَضْرُوعٍ مِنَّا كَرَزْنَا عَلَيْهِمْ لِنَصْرِعَ مِنْهُمْ
مِثْلَ مَا صَرَعُوا مِنَّا . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ عَنْ صَرِيحٍ مِنْهُمْ
لَا يُقْنِعُنَا ذَلِكَ فِيهِمْ ، بَلْ نَكَّرُهَا عَلَيْهِمْ لِمِثْلِهِ ^(١) ، وَإِنْ كَرِهَتْ الْكِرَّةَ لِشِدَّةِ
الْبَاسِ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَّا كَوَالِحٍ . وَالْعَامِلُ فِي قَوْلِهِ « إِذَا الْخَيْلُ » نَكَّرُهَا ، وَهُوَ
جَوَابُهُ أَيْضًا . وَإِلَّا عَوَابِسًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « الْخَيْلُ » ارْتَفَعَ بِفِعْلِ
مُضْمَرٍ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ .

١٥٢

وقال عبد الشارق بن عبد العزى الجهنى ^(٢) :

٢- أَلَا حُبِيْبَتِ عَنَّا يَا رُذَيْنَا نُحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِمِثْلِهِ » ، صَوَابُهُ فِي م .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ » ، وَالنَّكْمَلَةُ بَعْدَهُ مِنْ م . وَزَادَ التَّبْرِيْزِيُّ بَعْدَهُ
« وَهِيَ مِنَ الْمُنْصَفَاتِ » وَانظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى « الْمُنْصَفَاتِ » فِي الْحَمَاسِيَةِ السَّابِقَةِ .
وَعَبْدُ الشَّارِقِ ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَسْمِيَّتِهِ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ . قَالَ فِي الْمَبْهَجِ : « الشَّارِقُ اسْمٌ صَنَعَ لَهُمْ ،
وَلِذَلِكَ قَالُوا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ الْعَزَى ، وَكَلَاهِيَّ صَمٌّ . وَمِثْلُهُ عَبْدُ يَنْوُثَ وَعَبْدُودُ وَنَحْوُ
ذَلِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّارِقُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَبْدُ الشَّارِقِ ، وَهُوَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، كَقَوْلِهِمْ لِأَكْلَمِكَ
حَاذِرُ شَارِقٍ ، أَيْ مَا طَلَعَ قَرْنَ الشَّمْسِ ، فَقَوْلِهِمْ إِذَا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ شَمْسٍ . وَأَمَّا
الْعَزَى فَهُوَ اسْمٌ صَنَعَ ، وَهُوَ تَأْنِيْثُ الْأَعْزِ » .

هذا على كلامين . و « أَلَا » افتتاح^(١) . والتحية ، قال بعضهم : هى الوداعُ
ها هنا ، يقول : أَلَا أَبْلَغْتِ وَدَاعَنَا يَارُدَيْسَةُ . ثم قال : نَحْيِيهَا ، أى نُودِعُهَا
وإن عَزَّتْ^(٢) علينا مفارقتها . ويجوز أن يكون دعا لِرُدَيْسَةَ مبتدأ فقال :
جَزَاكَ اللهُ عَنَّا ، أى تَوَلَّى اللهُ ذلك من دُونِنَا ، ثم راجع نفسه فقال : نَفْعَلُ ذلك
على فِخَامَةِ مَوْعِيهَا مِنَّا ، وَجَلَالَةِ مَحَاطَّتِهَا مِن قُلُوبِنَا ، إِذْ كُنَّا لَا تَقْدِرُ لَهَا عَلَى غير
ذلك . وقوله « نَحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ » يَسْمَى الذَّمَّانَا ، كَأَنَّهُ التَّفَتَّ إِلَى من معه
فقال ذلك .

٢ - رُدَيْسَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِنَّا عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدْ أَحْتَوَيْنَا
توصل بمخاطبتها إلى اقتصاص الحال التى يريد شرحها ، فأخذ يبأسها
فيقول : لَوْ رَأَيْتِنَا غَدَاةَ حَتْنَا عَلَى حَزَازَاتِ فِي النَّفْسِ ، واحترافاتِ فِي الْجَوْفِ
وَالصَّدْرِ ، من الغَيْظِ وَالْحِقْدِ ، وَقَدْ حَوَيْنَا أَمْوَالَ أَعْدَائِنَا ، وَاسْتَبَحْنَا حَرِيمَهُمْ ،
وَمَلَأْنَا أَيْدِينَا مِنْ غَنَائِهِمْ . هذا إِذَا رَوَيْتَهُ بِالْهَاءِ غير مُعْجَمَةٍ . وروى بعضهم :
« أَحْتَوَيْنَا » بِالْهَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَيَكُونُ افْتَعَلَ مِنَ الْخَوَى ، وَالْمَعْنَى : خَوَتْ أُنْفُسُنَا
مِنَ الْوُدِّ ، كَقَوْلِ الْآخِرِ^(٣) :

وَإِذْ صَفَرْتَ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامٌ
وَأَجُودُ مِنْهَا « وَقَدْ أُجْتَوَيْنَا » بِالْجِيمِ ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْجَوَى ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ
مَا اشْتَمَلَ الْجَوَانِحُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ حَتَّى صَارَ جَوَى . وَالْأَضْمُ : الْغَضَبُ . وَمَعَ
ذِكْرِ الْأَضْمِ أُجْتَوِيَ بِالْجِيمِ أَشْبَهُ ، وَهُوَ أَقْرَبُ . وَجَوَابُ لَوْ مَحذُوفٌ ، لِأَنَّ
الْأَفْعَالَ التَّابِعَةَ لِهَذَا الْبَيْتِ جَمِيعُهَا مَقْصُورٌ عَلَى بَيَانِ الْقِصَّةِ ، وَشَرَحَ أَحْوَالَ الْوَقْعَةِ .

(١) أى ألا : أداة لافتتاح الكلام . وفى الاصل : « والافتتاح » ، صوابه فى م .

(٢) فى الأصل : « كرمت » ، صوابه فى م .

(٣) هو بشر بن أبى خازم . المفضليات (٢ : ١٣٥) .

وقد بَيَّنْتُ فيما تقدَّم أَنَّ حَذْفَ الجوابِ منِ مثلِ قولِ الفائلِ : لو رَأَيْتَ زَيْدًا
وفى يده السيفُ ، أدلُّ على التحويلِ والتفخيمِ من إثباته .

٣ — فأرسلنا أبا عمرو ربيثًا فقال ألا أتعموا بالقومِ إعيانًا

يقول : توجَّهنا نحوهم وأفدنا من قبلنا من ارتبأ لنا ، فعاد مبشراً وقال :
قرؤا عينا واستبشروا ، فقد أقبلوا . وهذا مما يُترجمُ عن محبتهم لملاقاة
الأعداء ، وحرصهم على القتال ، وتشوئهم للجاذبة والنزاع ، حتى عدوا قُرْبهم
بِشَارَةٍ ، والالتقاء معهم غنيمة . وهذا عندي أبلغُ من قول الآخر :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبِئْسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا (١)

ومن قوله :

* لقاء أَعَادِ أَم لِقَاءِ حَبَائِبِ *

وقوله « عَيْنًا » انتصبَ على التمييز ، وهو من باب ما نُقِلَ الفِعْلُ عنه
وَوُضِعَ النِّكْرَةُ فيه موضعَ المَعْرِفَةِ ، لأنَّ الأَصْلَ في قَرَرْتَ به عَيْنًا : قَرَرْتُ
عيني . ومثله قولهم : يَتَصَبَّبُ عَرَقًا ، ويتَفَقَّأُ شَحْمًا . وفي القرآن : ﴿ وَأَشْتَعَلَ
الرُّؤْسُ شَيْبًا ﴾ .

٤ — ودسوا فارسًا منهمم عشاء فلم تغدر بفارسهم لدنبا

يقول : وجَّهوا فارسًا لِيَنْدَسَ في أثناء خيلنا ، ويعرف سرنا وعلنا ،
ويقف على عدونا وعدتنا ، فيرجع إليهم بواضح الأحوال والأخبار ، نخلفنا
والانصراف إليهم ، ولم نستعمل غدراً في احتباسه عندنا ، وطى أخبارنا عنهم .

(١) « يستعذبون منا » هي من هامش نسخة الأصل فقط مع علامة إلحاق ، وهذه
العبارة سابقة من م . وبقية حروف الكلمة ، وهي « ياهم » من « مناياهم » هي تكملة ضرورية
وليست في النسختين . ويبدأ الاستشهاد في النسختين بكلمة « كأنهم »

وأصل الدسّ : إخفاء الشيء تحت غيره . وفي القرآن : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ويقال (١) : اندس إلى فلان ، أى أناه بالتمام . فإن قيل : ما فائدة ذكر الغدر هاهنا والفراس الذى أفذوه جاسوساً (٢) لم يكن اتخذ (٣) منهم أماناً ، ولا اشترط عليهم شرطاً يوجب سلامته به مع مخالطته لهم . قلت : كأن المراد لم نستعمل مكرّاً باحتباس الرسول ، إذ كان فى منعه من الانصراف إليهم انطواء أخبارنا عنهم ، فيكون كالغدر بهم وبه . ويجوز أن يكون ذلك الفارس الذى ظهر لهم ثمة بالمعرفة بينه وبينهم ، فقدّ ظهوره أخذاً للأمان عليهم . ويجوز أن يكون سمى ترك أقرب الأمرين إلى الكرم والوفاء معه غدرّاً ، ثم برأ ساحتَه منه .

٥ - فجاءوا عارضاً برداً وجئنا كمثل السيف نركب وازعينا

يقول : تسارعوا مُقبِلين نحونا ، وكأنهم فى كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها بردٌ - وَوَجْهَ التَّشْبِيهِ أَنْ لَهُمْ حَفِيْفًا وَوَقْعًا شَدِيدًا مَتَهَانِتًا ، كما يكون لذلك السحاب - ونحن لكثرتنا وإتياننا على ما يمترض فى طريقنا كالسيل الذى لا يُبقى ولا يذر . ومعنى « نركب وازعينا » أى لا تنقاد لمن يريد ضبطننا ، ولا تطاوع من يطلب كفننا من الجيشين جميعاً . ولم يُثن « وازعينا » لأنه يشير إلى رجلين ، لكنه أراد الكثرة والجنس بالوزاع ، ثم ثنى مبيدناً اختلاف الطائفتين من الخيلين . ولا يجوز أن يُروى « وازعينا » بكسر العين لما يُحْضَل من العيب بالسناد مع ارتفاع الضرورة (٤) .

(١) فى النسختين : « ويقول » .

(٢) م : « داسوسا » فاعول من الدس . وقد أُشير فى نسخة الأصل إلى أنها كذلك

فى نسخة أخرى . والمعروف ، كما فى مادة (دس) من المعجم : « الدسيس » .

(٣) م : « أخذ » .

(٤) فى التنبيه : « وقد رواه بعض الرواة : وازعينا ، فركب قبح السناد لضيق طريق

المنى الأول عليه . والقول فيه ما ذكرته » .

٦- فَنَادَوْا يَا بُهْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقَلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنًا

يقول : لما شارفناهم استغاثوا ببني بهثة مُعْتَزِينَ إِلَيْهِمْ ، وَمُسْتَمِدِّينَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَنْزَنَا نَحْنُ أَيْضًا فِي مَقَابِلَةِ مَا فَعَلُوا بِبَنِي جُهَيْنَةَ ، وَهَزَزْنَا لَهُمُ اللَّضْرِبَ فِيهِمْ ، وَالْإِيْقَاعَ بِهِمْ . وَإِنَّمَا يَسْتَعْمَلُونَ الْإِعْتِزَّازَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ تَهْوِيلًا لِلْأَمْرِ ، وَتَكْثِيرًا لِلْعَشِيرَةِ ، لِيَسْتَشْعَرَ كُلُّ مَنْ الْفَرِيقَيْنِ الرَّغْبَ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَالتَّهَيُّبَ لَهُ . وَاللَّامُ مِنْ « يَا بُهْثَةَ » لَامُ الْجَرِّ ، وَتَعَلَّقَتْ بِهَا : حَرْفُ النَّدَاءِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ تَعَلَّقَتْ بِالْفِعْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ يَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَمَّا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْوُجُودِ سَقَطَ حِكْمُهُ . وَفَتِحَتْ لَوْ قَوَعُ الْمُنَادَى مَوْجِعَ الضَّمْرِ . وَبُهْثَةُ مَدْعُوَةٌ ، وَالْجَارُ مَعَ الْجُرُورِ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ لِأَنَّهُ مُنَادَى . وَقَوْلُهُ أَحْسِنِي ضَرْبًا « يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْبًا مَفْعُولًا بِهِ مِنْ أَحْسِنِي ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ ضَارِبَةً . وَيُرْوَى : « أَحْسِنِي مَلَأً » ، وَمَعْنَاهُ خُلِقًا . وَالْمُرَادُ مَخَالَفَةً^(١) أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْمُسْتَنْصِرِينَ ؛ وَهَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي زَيْدٍ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : مَعْنَاهُ أَحْسِنِي تَمَالُؤًا أَيْ تَعَاوُنًا . وَيُقَالُ مَالَتُ عَلَى فُلَانٍ ، وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ مَلِيٌّ ، وَقَدْ مَلَأَ بِلُؤٍ مُلَاءَةً وَمَلَاءً .

٧- سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَاءَ—وَلَهُ ثُمَّ ارْعَوَيْنَا

يقول : قَرَعَ أَسْمَاعَنَا فِي أَثْنَاءِ التَّهَيُّوِّ وَالنِّطَالِغِ دَعْوَةٌ تَأَدَّتْ مِنْ مَكَانٍ غَائِبٍ عَنْ عِيُونِنَا ، فَدَرْنَا دَوْرَةً ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَمَاكِنِنَا . وَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَافُوا الْكَمِينَ فْجَاءُوا لِيَتَأَمَّلُوا ، فَلَمَّا أَمِنُوا رَجَعُوا . وَيُقَالُ : ارْعَوَى عَنْ الْجَهْلِ ارْعَوَاهُ وَرَعَوَى حَسَنَةً وَرَعَوَى ، أَيْ رَعَى . وَيُقَالُ : فَعَلَ فُلَانٌ كَذَا بظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَأَتَانِي خَبْرٌ عَنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ .

(١) كذا على الصواب بالتفاف عند التبريزي . وفي النسختين : « مخالفة » .

٨ - فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَنَّا لِلْكَلَاكِلِ فَارْتَمِينَا^(١)

هذه الموافقة التي أشار إليها، يجوز أن تكون للتفجيرية والتهيئة، ويجوز أن تكون لتداعي الأبطال والمبارزة، واعتراضهم بين الصّفين للطاعنة. وقوله « قليلا » يجوز أن يُرِيدَ به زَمَانًا قَلِيلًا، فيكون ظرفًا، ويجوز أن يريد به^(٢): تَوَاقَفًا قَلِيلًا، فيكون صفةً لمصدر محذوف. والصفات تنوبُ عن المصادر والظروف كثيرًا. وجوابُ لَمَّا « أَنْخَنَّا »، ومفعولُه محذوف. والمعنى: إِنَّا بَعْدَ الْمَطَارِدَةِ نَزَلْنَا، وَأَنْخَنَّا لِلصُّدُورِ فَتَنَّا ضَلْنَا.

٩ - فَلَمَّا لَمْ نَدْعِ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينًا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

١٠ - تَلَالُؤُا مُزْنَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافِ رَدِينَا

يقول: لَمَّا مَلْنَا الطَّرَادَ والرَّمَاءَ، بِإِقْنَاءِ النَّبَالِ وَتَعْطِيلِ الْقِسِيِّ لَانْقِطَاعِ الأوتار، مَشَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ لِكِفَاحِ الْجِلَادِ، طَلِبًا لِلِاشْتِفَاءِ، كَأَنَّهُمْ تَنَقَّلُوا فِي دَرَجِ الْقِتَالِ وَمِرَاتِيهِ، حَتَّى بَلَّغُوا أَعْلَاهَا وَأَصْعَبَهَا، وَأَوَلَاهَا بِدَرَكِ الثَّأْرِ وَأَحَقَّهَا. ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمر بن معدٍ يكرِب عن أنواع السِّلَاحِ، وَاثَمَى إِلَى ذِكْرِ السَّيْفِ، قَالَ «عِنْدَهُ تَشَكُّلُ الأَمْهَاتِ». وَانْتَصَبَ

(١) م: « وارتمينَا ». وقال ابن جنى: « لك أن تجعل اللام صلة إلى المفعول تؤكدوا كقول الله سبحانه: قل عسى أن يكون ردف لكم، وكقوله: إن كنتم للرؤيا تعبرون. غير أن هذا قدم فيه المفعول فحسن زيادة اللام لإعانة الفعل. وقرأت على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى لابن ميادة:

وملكت ما بين العراق ويشرب ملكا أجار لمسلم ومعاذ

أى أجار مسلما ومعاذاً، فكأنه قال: أَنْخَنَّا الكَلَاكِلَ، فزاد اللام من حيث ذكرنا. ويجوز أن يكون اللام خبر مبتدأ محذوف يدل عليه قوله أَنْخَنَّا، فكأنه لما قال أَنْخَنَّا قَالَ = إِنَّاخْتَنَّا لِلْكَلَاكِلِ.

(٢) كذا في م وفي الأصل: « أن يكون به ».

« تَلَاوُءُ مُرْنَةٍ » على أنه مصدرٌ مما دلَّ عليه « مَشِينًا نَحُومٌ وَمَشُوا إِلَيْنَا » ، لأنَّ في ذلك تَلَاوُءَ السَّلَاحِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ جَمِيعًا ، وَوَمِيضَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعًا لِلْأُخْرَى . وَقَوْلُهُ « إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافِ رَدَيْنَا » ، أَى إِذَا كَانَ مَشِيهُمُ إِلَيْنَا حَجَلًا كَانَ مَشِينًا إِلَيْهِمْ رَدِيَانًا . وَالرَّادِيَانُ فَوْقَ الْحَجَلَانِ ، لِأَنَّهُ مَشَى الْحَمَارُ بَيْنَ أَرْبَيْهِ وَتَمَمَّكَهُ ، فَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْحَجَلَانِ ، إِذْ كَانَ فِي الْحَجَلَانِ تَقَارُبُ الْخَطْوِ كَمَشَى الْمُقَيَّدِ وَوَثِبَتْهُ . فَيَقُولُ : تَلَاوُءًا لَوْ فُورٍ أَسْلَحْتِنَا ، وَبَرَبِقٍ دُرُوعِنَا وَبِيضِنَا ، وَإِعْمَاضِ أَعْيُنِنَا ، تَلَاوُءَ سَحَابَةٍ بَرَقَتْ لِسَحَابَةٍ أُخْرَى قَابَلَتْهَا . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هَذَا مِنْ رَدِيَانِ الْجَوَارِي إِذَا لَعِنَ (١) تَرَفَعَ إِحْدَاهُنَّ رِجْلًا وَنَخَطُوا بِأُخْرَى خُطْوَتَيْنِ ، ثُمَّ تَضَعُهَا وَتَرَفَعَ الْأُخْرَى ، تَفْعَلُ ذَلِكَ سِرًّا . قَالَ : وَالغَرَابُ يَرْدِي وَيَحْجَلُ .

١١- شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنًا

١٢- وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُورِنَا

يَقُولُ : حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مُنْكَرَةً (٢) ، فَأَصَبْنَا مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ مِنَ الْفَتْيَانِ ، وَقَتَلْتُ قَيْنًا . وَقَيْنٌ : اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَشْهُورًا فِيهِمْ بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، فَلِذَلِكَ عَيَّنَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ » فِتْيَةٌ مِنْ أُنْبِيَةِ الْقَلِيلِ ، كَغِلْمَةٍ وَصَبِيَّةٍ ، وَلِذَلِكَ أَضَافَ الثَّلَاثَةَ إِلَيْهَا . وَبَنَاءُ الْكَثِيرِ الْفَتْيَانِ . وَ« شَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى » ، يَقُولُ : وَحَمَلُوا حَمَلَةً فَأَصَابُوا مِثْلَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ ، وَارْتَثَ مِنْ قَتْلَانَا مِثْلُ مَا ارْتَثَ مِنْ قَتْلَانِهِمْ ، وَرَمَوْا جُورِنَا أُخِي . قَوْلُهُ « بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ » لَوْ قَالَ : أَمْثَالِهِمْ لَجَازَ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ ﴾ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « نَعِينِ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ ، وفي موضع آخر : ﴿ إِنَّا كُنَّا إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ .
وهذه الأبيات تُسَمَّى الْمُنْصِفَةَ ، لِمَا تَقَابَلَ فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْجَيْشَيْنِ عَلَى وَجْهِ
التَّعَادُلِ ، وَسَوَّانِ التَّصَادُقِ . إِنْ قِيلَ مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ « شِدَّةٌ أُخْرَى » ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ
تَقَدَّمَ لَهُمْ أَوْلَى ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَوَالِي بَيْنِنَا سَحْلَتَانِ : الْأَوْلَى مِنَّا ،
وَالْأُخْرَى مِنْهُمْ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ اقْتِصَاصُ الْحَالِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
أَرَادَ أَنْ يَبِينُ أَنَّهُمْ كَانُوا السَّابِقِينَ وَالْمُبْتَدئين ، فَوَصَفَ شِدَّتَهُمْ بِالْأُخْرَى لِيُعْلَمَ
أَنَّ الْمُنْقَدِمَ فِي الذِّكْرِ كَانَتْ الْأَوْلَى .

١٣- وَكَانَ أَخِي جُوبَيْنَ ذَا حِفَاظٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتِيَانِ زَيْنَا

١٤- فَأَبَا بِالرَّمَا حِ مَكْسَّرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسِّيُوفِ قَدْ أَمْحَنَيْنَا

نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بَحْسُنٌ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الشَّرَفِ ، وَجَمِيلٌ مَدَافِعَتِهِ دُونَ الْعَشِيرَةِ
تَبَّتْ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَنَّ قَتْلَتَهُ كَانَتْ قِتْلَةً مَحْمُودَةً تَزِينُ وَلَا تَسِينُ . وَقَوْلُهُ :
فَأَبَا بِالرَّمَا حِ مَكْسَّرَاتٍ ، وَأَبْنَا بِالسِّيُوفِ مُنْجَنِيَاتٍ ، جَعَلَ فِيهِ أَعْلَى الصَّفَتَيْنِ
لِنَفْسِهِ وَذَوِيهِ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قَصْدِهِ فِي الوَصْفِ الْجَرِيَّ عَلَى
سَوْنِ النَّصْفِ ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا رَتَبَهُ زَهَيْرٌ فِي قَوْلِهِ :

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا أُطْعَمُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَقْنَا

أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الطَّعْنَ فَوْقَ النَّضْلِ ، وَالضَّرَابَ فَوْقَ الطَّعَانِ ، وَالْعِنَاقَ
فَوْقَ الْكِفَاحِ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي الرَّدِّيَانِ وَالْحَجَلَانِ ، وَفِي وَصْفِ أَخِيهِ بَحْسُنِ
الْحِفَاظِ عِنْدَ قَوْلِهِ « وَرَمَوْا جُوبَيْنَا » فِي مَقَابَلَةِ « وَقَتَلْتُ قَيْنَا » . وَأَمَّا قَوْلُ
الْآخِرِ ^(٢) .

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِنَفْسِهِ مِنْ ذَوِيهِ » .

(٢) هُوَ الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمُرِّي . الْمَفْضَلِيَّاتُ (١ : ٦٣) .

نُظَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعِيَّ الْمُقَوَّمَا
فليس من التناصُفِ في شيء؛ إذ كان المعنى: إنا عند الطعانِ نذوهم عن
ظهور الدَّوَابِّ، فنَغْنَمُ دوابَّهم ونفوز بها، وهم يستنقذون رماحنًا لأننا نكسرُها
فيهم إذا طَعَنَّاها، ونُجِرُّها إياهم فيفوزون بها. فيقول: انصروا وقد تكسرت
رماحهم بالإجْرارِ، ورَجَعْنَا وقد تَثَنَّتْ سُيُوفُنَا بِأَعْمَالِنَا إِيَّاهَا فِي الْبَيْضِ وَالذَّرُوعِ
وقت الجِلاَدِ.

١٥- فبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحٌ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا السَّكْمَى سَرِينًا
يقول: بقوا ليالهم بئثون على الصَّعِيدِ، وهو وجه الأرض، ولو ساعدتنا
الطائفة المجروحة مِنَّا، وَقَدَّرَتْ عَلَى الشَّرِيِّ لَسَرِينًا، لَكِنَّ كُلاًَّ مِنَّا اضْطُرَّ
إِلَى الْإِقَامَةِ وَالتَّلَوُّمِ رَيْثَمَا يَثُوبُ إِلَيْهِ الْقَوِيُّ بَعْدَ لُحُوقِ الْجَهْدِ، ومشاركة
الرَّدَى. وقد قيل إن الأحاح العطش، والمشرف من الجراح على الهلاك يَعْطَشُ.
وقد قيل إن الأحاح شِدَّةُ الْوَجْدِ مِنَ الْغَيْظِ حَتَّى يُسْمَعُ لَهُ مِنَ الصَّدْرِ
صَوْتٌ، وهو على مثال الأذواء والأصوات جميعًا؛ لأنَّ فَعْلًا يَكْثُرُ فِيهِمَا.
وَالسَّكْمَى: جَمْعُ كَلِيمٍ، وَفَعْلَى يَكُونُ جَمْعًا لَمَّا كَانَ مِنَ الزَّمَانَةِ وَالضَّرَرِ
وأنواع البَلَايَا. وَأَبْنِيَةٌ وَاحِدَةٌ تَخْتَلِفُ

١٥٣

وقال بشر بن أبي^(١):

١- إِنْ الرِّبَاطَ التُّسْكَدَ مِنْ آلِ دَاحِسٍ كَبُونَ فَمَا يُفَاجِنَ يَوْمَ رِهَانِ

(١) التبريزي: «وقال بشر بن أبي حماد العبسي، لبي زهير بن جذيمة. ويروى:
بشير». وفي المؤلف ٦١ «بشير بن أبي جذيمة العبسي، بضم الباء، تصغير بشر». وقد
سبقته ترجمة «أبي بن حماد» في الحماسية ١٤٢.

يُرْوَى «أَبِينَ فَلَا يُفْلِحَنَّ»^(١) ، وَيُرْوَى «كَبُونَ» أَيْ سَقَطَنَ لُجُوهَهَا . قَالَ :

* فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنَقُ تَارِزُ^(٢) *

وهذا الكلام تَضَجَّرُ بما أُنْتَجَجَ بَيْنَ ابْنِي بَفِيضِ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ مِنَ الشَّرِّ ، فِي الرَّهَانِ عَلَى دَاحِسٍ وَالغَبْرَاءِ ، وَدُعَاءٍ عَلَى دَاحِسٍ وَنَسْلِهِ بِالْأَلَا تُفْلِحَ فِي خِطَارٍ ، وَأَنْ تَأْتِيَ الدَّجَاحَ فِي سَبَاقٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الخَيْلَ المَرْبُوطَةَ المَشَائِمِ مِنْ آلِ دَاحِسٍ وَدَاحِسًا ، أَبَتِ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ وَمِيدَانٍ ، وَالْفَلَاحَ يَوْمَ خِطَارٍ وَرِهَانٍ . وَالْمَعْنَى : لَا جَعَلَ اللهُ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ تَرَدَّدْنَا مِنَ البَلَاءِ فِي عَمَائِي لَا انْكَشَافَ لَهَا . وَخَبْرٌ إِنَّ «جَلْبَنَ بِإِذْنِ اللهِ» وَقَوْلُهُ «كَبُونَ فَمَا يُفْلِحَنَّ» أَوْ «أَبِينَ فَلَا يُفْلِحَنَّ»^(٣) اعْتَرَضَ بَيْنَ ابْنٍ وَخَبْرِهِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدُّعَاءِ ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ إِنَّ زَيْدًا خَذَلَهُ اللهُ فَعَلَّ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الِاعْتِرَاضِ بِالدُّعَاءِ قَوْلُ الأَخْرِ^(٤) :

..... مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا^(٥)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ كُلَّهُ إِخْبَارًا مَتَجَرِّدًا^(٦) عَنِ الدُّعَاءِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى كَبُونَ وَأَبِينَ ، أَنَّهُ حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ . وَالتَّكْدُّ : جَمْعُ التَّكْدِ . وَالرِّبَاطُ :

(١) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَرَوَايَةُ التَّبْرِيذِيِّ : «أَبِينَ فَمَا يُفْلِحَنَّ» . وَانظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي الحَاشِيَةِ التَّالِيَةِ .

(٢) لِأَبِي ذُؤَيْبِ الهَلَلِيِّ فِي دِيوَانِ الهَلَلِيِّينَ (١ : ١٥) . وَعَجَزَهُ :

* بِالحَبِيبِ إِلا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ *

(٣) كَذَا فِي الأَصْلِ . وَفِي م : «فَمَا يُفْلِحَنَّ» .

(٤) هُوَ الحَصِينُ بْنُ حَمَامِ المُرِّيِّ . الحِمَاسِيَّةُ ١٣٢ .

(٥) صَدْرُهُ : * فَتَلَّتْ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ *

(٦) أُتِيرَ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ أُخْرَى : «بِجَرْدِهَا»

مصدر رَابَطْتُ ، ولذلك وَقَعَ على الواحدِ والجَمْعِ . والآلُ ، ذَكَرَ البَصْرِيُّونَ أنه في معنى الأهل ، لا فَرَقَ بينهما ، وأنَّ تصغيره أَهْيَلٌ ، وهذا يُؤْذِنُ بأنَّ أصلَ أَلْفِهِ هاءٌ . وحكى ثَعْلَبٌ عن شيوخه أنَّ الأهلَ ، القِرابَةُ ، مُتَّبِعًا كان أو غيرَ مُتَّبِعٍ ، وأنَّ الآلَ المُتَّبِعُ وإن لم يكنْ ذا قِرابَةٍ ، فهما لمُعْنَيْنِ . قال : وحكى الكسائيُّ في تصغير الآلِ أَوَيْلٌ ، وفي تصغير الأهلِ أَهْيَلٌ .

٢ - جَلْبَنٌ يَأْذِنُ اللهُ مَقْتَلَ مَالِكٍ وَطَرَحْنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ

أخذ يعتقدُ انخِصَالَ المكروهةِ الحاصلةِ بها ، فيقول : جَلَبَ سَبْقُ دَاحِسٍ يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى قَتْلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وتطرحَ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ إِلَى عُمَانَ . وكان قَيْسٌ نَذْرًا أَلَّا يَنْظُرَ فِي وَجْهِ غَطَفَانِيٍّ أَبَدًا ، فدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى مِرَاغِمَةِ الْعَشِيرَةِ ، والتباعدِ فِي الْغُرْبَةِ . وقوله « يَأْذِنُ اللهُ » مِنْ قَوْلِكَ أَذِنْتَ بِأَقْوَمِ . وفي الحديث : « مَا أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ^(١) » . وقصدُ الشَّاعِرِ أَنْ يَذْكَرَ مَا أَغْقَبَ سَبْقَ دَاحِسٍ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَلْحَقَ مِنَ الشُّؤْمِ . وقوله « جَلْبَنٌ » جَعَلَ اللَّفْظَ لِلآلِ ، وَالْمُرَادُ دَاحِسٌ ، لَكِنَّهُ لَمَّا جَعَلَ الدُّعَاءَ لآلِهِ اسْتَمَرَّ فِي الْإِخْبَارِ عَلَى حاله ولم يَغْيِرْ . وبشبه قول الآخر :

إِنَّ ابْنَ ضِرَّارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَعِيًّا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أراد : إِنَّ ابْنَ ضِرَّارٍ زَيْدًا ، فذكر الآلَ والمراد غيره . وهم في كثير من المواضع أقاموا الوالدَ مَقَامَ الوالدِ والولدَ مَقَامَ الوالدِ ، والعشيرةَ مَقَامَ الواحدِ منها ، والواحدَ مَقَامَ العشيرةِ ، لأغراضٍ مختلفة ، حين أمِنُوا الالْتِبَاسَ . ومِمَّا يُجَانِسُ هَذَا زِيَادَتُهُمْ « ذُو » و « حَيٌّ » . أشدُّ أبو زيد :

(١) تمام الحديث ، كما في اللسان : « ما أذن الله لشيءٍ كما أذن لشيءٍ يتعنى بالقرآن » . وقد فسر الأذن ، بالتحريك ، أنه الاستماع .

يَا قُرَّ إِنَّ أَبَاكَ حَيٌّ خَوْيَلِدٍ قَدْ كُنْتَ خَائِفَهُ عَلَى الْإِحْمَاقِ (١)
وقال الشَّامِي :

* فَأُدْمِجَ دَمِجَ ذِي شَطَنِ بَدِيعِ (٢) *

وَالْقَصْدُ إِلَى خَوْيَلِدٍ وَإِلَى شَطَنِ .

٣ - لُطْمُنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ يَرُونَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهُوَ أَنْ

المَلُطُومُ دَاحِسٌ ، فَبَرِي عَلَى مَا بَنَى عَلَيْهِ الْكَلَامَ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ نَسَلِهِ
وَأَلِهِ . وَكَانَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ أَرْصَدَ فِتْنِيًّا لَهُ مِنْ بَنِي فِرَازَةَ لَمَّا تَغَالَقَ هُوَ
وَقَيْسٌ عَلَى الْفَرَسَيْنِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَاتِ الْإِصَادِ لُقِّبَ بِشُعْبِ الْخَيْسِ - الْخَيْسِ
أَكَلُوهُ فِيهِ - وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ جَاءَ دَاحِسٌ مُتَقَدِّمًا سَابِقًا فَالْطُومُ وَنَهْنَهُوهُ عَنْ
الْغَايَةِ حَتَّى تَتَقَدَّمَ الْعَبْرَاءُ ، فَرَّ بِهِمْ دَاحِسٌ مُبَرِّزًا وَفَعَلُوا بِهِ مَا رَسَمَ لَهُمْ حَتَّى
تَخَلَّفَ عَنِ الْعَبْرَاءِ ، فَاجْتَهَدَ دَاحِسٌ وَتَكَفَّفَ مِنَ الْعَدُوِّ مَا لَحِقَ بِهَا ، وَتَقَدَّمَ
عَلَيْهَا ثَانِيًا فَجَاءَ سَابِقًا . وَقَوْلُهُ « وَجَمْعُكُمْ يَرُونَ الْأَذَى » ، يُخَاطَبُ بِهِ بَنِي
عَبْسٍ ، وَإِنَّمَا يُصِفُ مَا نِيلَ مِنْهُمْ وَرَكِبَهُمْ مِنَ الْمُضْيِمَةِ فِي فَرَسِهِمْ لَمَّا لَطِمَ ، وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حِينَ مُنِعُوا مَا اسْتَحَقُّوا لَهُ . وَاللَّطْمُ : الضَّرْبُ فِي الْخُلْدِ ، ثُمَّ قِيلَ فَرَسٌ
لَطِيمٌ تَشْبِيهًا بِذَلِكَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ هُوَ مَمْسُوحٌ بِالْجَمَالِ مَسْحًا . وَذَاتُ الْإِصَادِ
يُرِيدُ الْبُقْعَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِصَادُ ، وَيُقَالُ هِيَ رَدَّهَةٌ بَيْنَ أَجْبَلٍ . وَالرَّدَّهَةُ
كَالْحَفِيرَةِ (٣) يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ ، وَالْجَمِيعُ الرَّدَّاهُ .

٤ - سَمِعْنَا مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ

(١) نوارد أبي زيد ١٦١ .

(٢) صدره في ديوان الشَّامِي ٦١ :

* أَطَارَ عَقِيْقَهُ عَنْهُ نَسَالًا *

(٣) م : « كَالْحَفْرَةِ » وَأَشِيرُ فِي الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « كَالنَّقْرَةِ » .

هذا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَمَلَ الْخَطَابَ لِصَاحِبِ الْفَرَسِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ ، وَالْمَقْصُودُ الْفَرَسُ ، فَيَقُولُ : تُتَمَنَعُ مِنَ السَّبْقِ إِنْ سَبَقْتَ - وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ لَطَمِ دَاحِسٍ . وَقَدْ قُدِّمَ ذِكْرُهُ - فَإِنْ خَفَّتْ قَدَمَاكَ بِكَ وَبَرَزْتَ ثَانِيًا أَتَى عَلَيْكَ . وَيَكُونُ قَوْلُهُ « زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ » عَلَى مَا فَسَّرْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدَحُ زَلُولٍ ، إِذَا كَانَ خَفِيفًا . فَهَذَا وَجْهُ . وَالثَّانِي أَنْ يُتْرَكَ الْخَطَابُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَدِّهِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : سَيُتَمَنَعُ مِنْكَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ بِسَبْقِ فَرَسِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ قَدَمَاكَ عِنْدَ التَّقَاضِي بِهِ ، وَفِي الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِكَ فِيمَا يُرَادُ مِنْ ظُلْمِكَ وَيَرَامُ مِنْ هَضْمِكَ قُتِلْتَ أَيْضًا . وَهَذَا أَقْرَبُ وَأَشْبَهُ بِاتِّقِصَّةِ .

١٥٤

وقال غلاق بن مروان^(١) :

١ - هُمْ قَطَعُوا الْأَرْحَامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا الْمَحَارِمَا
قَطَعُوا بِالْتَّخْفِيفِ يَصْلُحُ لِقَلِيلِ الْفِعْلِ وَكَثِيرِهِ ، فَإِذَا تَقَلَّتْ لَمْ يَكُنْ
إِلَّا لِتَكْثِيرِ أَوْ التَّكْرِيرِ . وَالشَّاعِرُ يَصِفُ مَا أَجْرَى إِلَيْهِ الْقَوْمَ فِي سَبْقِ دَاحِسٍ
مِنْ قِطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَاتِّهَاكَ الْمَحْرَمِ ، وَاسْتِحْلَالَ الْمَحْظُورِ الْمَحْرَمِ ؛ وَيَقْتَصُّ
مَا تَنَقَّلُوا فِيهِ وَتَدَرَّجُوا إِلَيْهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ « أَجْرُوا
إِلَيْهَا » إِجْرَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَكْرِ الْمَذْمُومِ ، وَمَفْعُولُهُ مُحَذُوفٌ ، كَأَنَّهُ أَجْرُوا

(١) التبريزي : « غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع » . المبهج : « يكون غلاق فعلا من غلق الرهن فهو غلاق ، كطلم فهو غلام ، وسلم فهو سلام . ويجوز أن يكون من أغلق الباب ونحوه ، وهذا أقلها لئزة فعال من أفل ، إنما إجماع منه أسار فهو سار ، وأدرك فهو دراك ، وأجبر فهو جبار . وأقصر فهو قصار . وقزأ بعضهم : يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . ومروان : علم مرتجل » .

بِفِعْلِهِمْ إِلَيْهَا ، وَالضَّمِيرُ فِي « إِلَيْهَا » لِلْقَطِيعَةِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى مَصْدَرِهِ .
وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَيْ كَانَ الْكَذِبُ شَرًّا لَهُ .

٢ - فَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِي شَيْئًا مِنَ الْقَوْمِ فَاطِمًا

الْبَيْتُ عَلَى كِلَا مَيِّنٍ : صَدْرُهُ إِخْبَارٌ ، وَعَجْزُهُ خِطَابٌ لِفَاطِمَةَ ، وَهِيَ أُخْتُ
لِهَا . وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ كِلَا مَيِّنٍ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لِذُنُوبِكِ ﴾ . وَالشَّاعِرُ قَصَدَهُ إِلَى إِظْهَارِ التَّوَجُّعِ مِنَ الْحَالِ ، فَيَقُولُ مُتَمَنِّيًا : بِيُودَى
إِنْ يَكُونُوا الْوَصْلَةَ وَقَرَابَةَ غَيْرِ وَصْلَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْلُغَ الْجَفَاءَ مِنْ جِهَتِهِمْ
مَبَالِغَةً فِي نَفْسِنَا ، لِأَنَّ ظُلْمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ تَأْثِيرًا . وَالشَّرُّ إِذَا وَرَدَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْ مَظْنَنَةِ الْخَيْرِ كَانَ أَنْفَدَ تَحْزِينًا . فَقَوْلُهُ « كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا »
أَيْ لِقَرَابَةِ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْقَرَابَةِ ؛ أَوْ لِأَرْحَامٍ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْأَرْحَامِ .
وَقَوْلُهُ « لَمْ تَلِدِي شَيْئًا » تَمَنَّى ارْتِفَاعَ الْوَصْلَةِ كَمَا تَمَنَّى فِي الْأَوَّلِ انْقِطَاعَ الْقَرَابَةِ ؛
كَأَنَّهُ وَدَّ بَعْدَ اسْتِبْدَالِهِم بِالْتَّنَاصُرِ تَدَابُرًا ، وَبِالتَّوَاصُلِ تَقَاطُعًا ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ
غُرَبَاءَ . وَقَوْلُهُ « فَيَا لَيْتَهُمْ » الْمُنَادَى مَحْذُوفٌ ، أَرَادَ يَا قَوْمَ لَيْتَهُمْ .

٣ - فَمَا تَدْعِي مِنْ خَيْرِ عَدْوَةٍ دَاحِسٍ فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمًا

يَدُّ مَا أَحْمَدُوهُ مِنْ سَبْقِ دَاحِسٍ وَتَبْرِيزِهِ ، وَيُسَوِّئُ رَأْيَهُمْ فِي تَبْجِيحِهِمْ ،
وَيَعْرِفُهُمْ قُبْحَ عَاقِبَتِهِ مَا اخْتَارُوهُ ، وَسُوءَ مَقْبَلَتِهِ مَا شَرُّوا فِيهِ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَا تَدْعِي »
لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغُبْرَاءِ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(١) سَبْقَ دَاحِسٍ وَيَنْكُرُونَهُ ، فَلِهَذَا عَلَنَى مَا حَكَاهُ
عَنْهُ بِاللَّعْوَى . وَقَوْلُهُ « مِنْ خَيْرِ عَدْوَةٍ » أَيْ مِنْ نَفْعِهِ وَسَنَاءِ ذِكْرِهِ . وَقَوْلُهُ
« فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا » رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْعَدْوَةُ . يَرِيدُ : لَمْ يَرْجِعْ

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغُبْرَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

إليك منها جدوى ، ولا ارتفع الأمر فيه كغفاً . وأما فانت الغنيمة فيه لم تحصل لك السلامة أيضاً .

٤ - شَأْتُمْ بِهَا حَيِّيْ بَغِيضٍ وَغَرَبْتُ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَآلَى الْأَعَاجِمَةَ
قال أبو زيد : يقال شَأْمُ فلانُ أصحابه ، إذا أصابهم الشؤم من قبله .
و « بها » يُريدُ بالعدوة ، وهذا تفسير قوله : فلمَ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمًا .
يقولُ : أَوْفَعْتُمْ بِعَدْوَتِهَا وَالْخِطَارِ عَلَيْهَا الشُّؤْمَ فِي حَيِّيْ بَغِيضٍ : عَبَسَ وَذُبْيَانَ ،
وَأُحْوِجَ أَبُوكَ - يعني قيس بن زهير - إلى تركِ أرضِ العربِ ومهاجرتِها .
يعنى حينَ أُخْرِجَ (١) وَأُزْعِجَ إلى بلادِ العجم ، حتى صار يُواليهم بها ، إلى أن
مات غربياً بين ظهرانيهم . وأشار بقوله « حَيْثُ » إلى عُمان وما وراءه .

٥ - وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً فَطَرْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاعِمَةَ
يقول : كان بنو ذبيانَ لكم يا بنى عَبَسٍ مَلَاذًا وَعِزًّا ، وَعَتَادًا وَظَهْرًا ،
لما يَجْمَعُكُمْ وَإِيَابُهُمْ مِنَ الْأَخْوَةِ ، فَاطْرَحْتُمْ مَوَاتِ التَّمَازِجِ وَالتَّشَابُكِ ،
وتجاوزتُموها إلى التَّجَاذِبِ وَالتَّقَاتِلِ . وهذا تحسيرٌ لهُخاطَبٍ فيما انتقل عنه من
موالاةِ العشيرة ، والإبقاء على الأحوالِ الجامعة ، وتلفيفٌ فيما انتقلوا إليه من
تهيبِجِ الحرب ، وَبَسْطِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، وتنبيةٌ على ما يتعقبُ أحوالهم إن
استمرُّوا عليها من التَّفَانِي وَالتَّهَالُكِ . وكان الواجب أن يقول : فَطَرْتُمْ
تَضْرِبُونَ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ ، فاكْتَفَى بِالْإِخْبَارِ عَنْ إِحْدَى الْفِرْقَتَيْنِ ؛ إذ قد
عَلِمَ أَنَّ حَالَ الْأُخْرَى كَعَالِهَا . ومعنى طَرْتُمْ : تَسَرَّعْتُمْ ، كما قال :

* طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا (٢) *

(١) كذا في م . وفي الأصل : « أُخْرِجَ » بالخاء المعجمة .

(٢) من الحماسية الأولى . وصدوره :

* قوم إذا الشر أبدي ناجذيه لهم *

٦- فَأَضَحَّتْ زُهَيْرٌ فِي السَّنِينِ الَّتِي مَضَتْ وَمَا بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ إِلَّا الْأَشْأَمَاءَ
أَنْتَ الْفِعْلُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ زُهَيْرِ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهِا ، وَمَعْنَى يُدْعَوْنَ يُسَمَّوْنَ ،
كَمَا قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

* وَكَفْتُ أَدْعُو قَدَّاهَا الْإِثْمِدَ الْقَرْدَا ^(١) *

يريد أُسْمَى ، ولذلك تمدى إلى مفعولين ، فيقول : صار أسلاف بني زُهَيْرِ
ابن حُدَيْفَةَ وَأَخْلَافَهُمْ لَا يُسَمَّوْنَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا إِلَّا الْمَشْأَمُ . وَالْأَشْأَمُ : جَمْعُ
أَشْأَمٍ . وَيُقَالُ : جَرَّتْ لَمْ طَيْرٌ أَشْأَمٌ ، أَيْ جَرَّتْ لَمْ بِالشُّؤْمِ . وَقَالَ زُهَيْرُ :
* فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمًا ^(٢) *

أى غلمان أمرٍ أَشْأَمٍ . وَقَوْلُهُ « فِي السَّنِينِ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَضَحَّتْ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ « لَا يُدْعَوْنَ » . وَقَوْلُهُ « وَمَا بَعْدُ » يَرَادُ بِهِ وَفِيمَا بَعْدَ
فِيكَوْنُ مَا مَعطُوفًا عَلَى السَّنِينِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ « مَا » نَصْبًا عَلَى أَنْ
يَكُونَ مَعطُوفًا عَلَى مَوْضِعِ فِي السَّنِينِ لَا عَلَى لَفْظِهِ ، لِأَنَّ مَوْضِعَهُ نَصْبٌ لِكَوْنِهِ
ظَرْفًا . وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ مَا صِلَةً ، كَأَنَّهُ فِي السَّنِينِ الْمَاضِيَةِ وَبَعْدَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ
يُرْوَى : « وَمَنْ بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ » ، وَهُوَ حَسَنٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ ^(٣) أَنَّ مَا مِنْ قَوْلِهِ
« وَمَا بَعْدُ » لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا صِلَةً وَزَائِدَةً ^(٤) لِأَنَّ بَعْدُ لَمَّا جُعِلَ غَايَةً
وَدَخَلَ النُّفْصَانَ بِحَذْفِ مَا كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ امْتِنَعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى شَيْءٍ
وَخَبْرًا عَنْهُ ، وَإِذَا امْتِنَعَ مِنْ ذَلِكَ امْتِنَعَ أَنْ يَكُونَ صِلَةً لِمَوْصُولٍ ، لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ

(١) صدره ، كما في اللسان (دعا) :

* أهوى لها مشتقًا جشرا فشر بها *

(٢) تمامه : فتنتج لكم غلمان أشمام كلهم كأحر عاد ثم ترضع فتفظم

(٣) هو ابن جني في التنبية .

(٤) نص التنبية : « ينبغي أن يكون ما من قوله : وما بعد ، زائدة ... » الخ .

صِلَّةٌ مِنَ الظُّرُوفِ وَالْجَمَلُ هُوَ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ خَبْرَ الْمَبْتَدَأِ . وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَهُ ، أَلَا تَرَى أَنْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ . مَعْنَاهُ : وَمِنْ قَبْلِ الَّذِي فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ، أَيْ قَدَّمْتُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ : وَمِنْ قَبْلِ تَفْرِيطِكُمْ ، فَيَكُونُ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ . وَعَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعًا مَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ . وَمِنْ قَبْلِ خَبْرِهِ . وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ فِي مَا مِنْ آيَةِ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ ، مَا ذَكَرْنَا أَحَدَهَا . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمَا ذَكَرَهُ هَذَا الْقَائِلُ غَيْرَ صَحِيحٍ ، لِأَنِّي قَدْ أَرَيْتُكَ بَعْدَ وَهُوَ غَايَةٌ خَبْرًا ، وَكَوْنُهُ صِلَّةً تَابِعٌ لِكَوْنِهِ خَبْرًا ، فَاعْلَمَهُ .

١٥٥

وقال المساور بن هند^(١) :

١ - أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَالَهُ مُتَقَفِّرٌ وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ الْمَغْبِرُ^(٢)

يقول : أَدْبَرَ الشَّبَابُ وَوَلَّى^(٣) ، فَهِيَ فَائِتٌ لَا يُتَّبَعُ^(٤) ، وَمَطْلُوبٌ لَا يُلْحَقُ ، وَعَدِمْتُ نَظْرَائِي وَأَقْرَابِي ، فَأَيْنَ بَقَائِي بَعْدَهُمْ ، وَكَيْفَ خَلَاصِي مِمَّا اخْتَرَمَهُمْ وَأَفْنَاهُمْ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَوْجُّعٌ وَتَحَسُّرٌ لِمَا تَقَضَّى مِنْ شَبَابِهِ ، وَعُغْفُوانٌ مَعْرِهِ^(٥) وَتَقَدَّمَ مِنْ أَقْرَانِهِ وَلِدَاتِهِ . أَيْ إِذَا خَلَوْتُ مِنْهُمْ ، وَصِرْتُ عَائِشًا فِي

(١) سبقت له الحماسية ١٤٨ .

(٢) التبريزي : « وأكثر الناس ينشد : وفقدت أحمالي » .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « وقل » مع الإشارة إلى أنها في نسخة أخرى :

« وولى » .

(٤) م « لا يتبع » .

(٥) أشير في الأصل إلى أنها في نسخة : « أمره » .

غَيْرِهِمْ فَكَمْ عَسَى أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُمْ . ويقال غَيْرَ إِذَا مَضَى ، وَغَيْرَ إِذَا بَقِيَ .
ويريد (١) بِالْمَغْبَرِ هُنَا الْبَقَاءُ ، وَيُقَالُ : اقْتَفَرْتُ الشَّيْءَ وَتَقَفَرْتَهُ ، إِذَا تَتَبَعْتَهُ .

٣- وَأَرَى الْغَوَانِيَّ بَمَدِّمَا أَوْجَهَنِي أَعْرَضَنْ ثُمَّتَ قُلْنِ شَيْخِ أَعْوُرُ

الغواني : جمع غانية ، وهي التي تَسْتَعْفِي بزوجها عن الرِّجال ، وقيل هي التي تَسْتَعْفِي بمحاسنها عن التزويج بالحلي . وقال أبو عبيدة : هي المتزوجة ، وأنشد لجميل بن مَعَمَرٍ :

حَبْتُ الْأَيَّامِي إِذْ بُنِيْنُهُ أَيْمٌ فَلَمَّا تَفَعَّتْ أَعْلَقَتْنِي الْغَوَانِيَا
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

* أَرْمَانَ لَيْلَى كَعَابُ غَيْرُ غَانِيَةٍ (٢) *

والشاعر يقول متشكياً من الشيبِ الْمُقْتَضِ مِنَ الشَّبَابِ ، وَمِن الضعف التابع لصحة الجسم ، وَمِن السقوط والانحطاط بعد الجاهِ عند الغانيات : أرى النساءَ بعدما كُنَّ يَجْعَلْنَ لِي عِنْدَهُنَّ جَاهًا أَعْرَضَنْ عَنِّي وَأَطْرَحَنِي ، وَأَبْدَ لَنِي بِالْحَمْدِ ذِمًّا ، وَبِالتَّسْمِيَةِ تَلْقِيمًا وَنَبْرًا (٣) ، فَتَى ذُكِرَتْ عِنْدَهُنَّ قُلْنُ هُوَ شَيْخٌ أَعْوُرٌ . وَقَوْلُهُ « أَوْجَهَنِي » مِنَ الْوَجَاهَةِ : الْمَنْزِلَةُ . يُقَالُ وَجَّهَ وَجْهَهُ وَجَاهَةً ، وَوَجَّهَنِي السُّلْطَانُ وَأَوْجَهَنِي : جَعَلَ لِي جَاهًا وَمَنْزِلَةً . وَرَجُلٌ مُوجَّهٌ وَوَجَّيْهُ . وَقَوْلُهُ « شَيْخٌ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مَبْتَدَأَ مُحَدِّثٌ ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي التَّاءِ مِنْ ثُمَّتَ وَرُبَّتْ ، وَأَنَّهُ عِلَامَةُ التَّائِيْدِ لِلْقِصَّةِ . وَجُعِلَتْ تَاءٌ مُفْتَوْحَةٌ فَرَقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّتِي تَلْحَقُ الْفِعْلَ وَالْإِسْمَ .

(١) أُشِيرَ فِي الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ : « وَيُرَادُ » .

(٢) لِنَصِيْبِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (غِنَا) . وَعِجْزُهُ :

* وَأَنْتَ أَمْرُدٌ مَعْرُوفٌ لَكَ الْغَزَلُ *

(٣) النَّبْزُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّلْقِيْبِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ . اللَّقْبُ .

٣- ورأين رأسي صار وجهها كله إلا قفاي وحيية ما تُضفر^(١)

يقول مستمراً في تكلف الجزع إثر ما تولى من الشَّبَاب ، وباسِطاً مَعذِرَةً للنِّسَاء فيما استحدثن له : رأيني قد صَلَّغْتُ وانحسر الشَّعْرُ عن رأسي حتَّى صار كُلُّهُ كوجهي ، إلا قفاي فإنَّ به نَبْذاً مِنَ الشَّعْرِ ، وإلا لحيية لا تُقام مقام الذُّوَابَةِ في الضَّفْرِ والتَّجَمُّلِ . فقوله « لِحِيَّةٌ مَا تُضْفَرُ » تَحَسَّرُ على ما عَدِمَ في رأسه من الضَّفَائِرِ وإن كانت اللحيية لم يُعْتَدِ ضَفْرُهَا . وقوله « كلُّه » ارتفع على أنه توكيدٌ للمُضْمَرِ في صار ، أو على أنه اسم صار ، أو على أنه يرتفع بفعله وفعله ما دلَّ عليه قوله « وَجْهًا » كأنَّ المراد توجَّه كُلُّهُ ، ويكون كقولك رأيتُ زَيْدًا قَيْسِيًّا أبوه ، أي تَقَيَّسَ أبوه ، ومهرت بِسِرْجٍ خَزِيٍّ صُفْتُهُ^(٢) .

٤- ورأين شيخاً قد تحنَّيَّ صُلْبُهُ يَمْشِي فَيَقْعُسُ أو يُكَبِّثُ فَيَعْتَرُ^(٣)

يقول : ورأين شيخاً منحنى الصُّلْبِ ، مُحْدَوِدِبَ الظَّهْرِ ، يَمْشِي مِشْيَةً القَعْسَانَ إذا استمرَّ في المشي ، أو يتعثر فيسقط لوجهه . وكان الواجب أن يقول : أو يَعْتَرُ فَيُكَبِّثُ ، لأنَّ العِثَارَ قَبْلَ السُّقُوطِ للوجه ، لكنَّه لم يُبَالِ بتغيير الترتيب ، لأمنه من الالتباس ، وهذا دون ما يجيء في كلامهم من القَلْبِ ، مثل قوله :

* كما أسلمت وحشيية وهفما *

(١) ابن جنِّي : « يروى كله بالرفع والنصب . فانصب على أنه توكيد للرأس ، والرفع على أنه توكيد للضمير في صار . والوجه الرفع ، وذلك أنه ليس يريد أنهن رأين رأسه كله ، وإنما يريد أنهن رأين رأسه قد صار كله وجهها . وقد يجوز أيضاً أن يكون كله إذا رفع اسمها صار ، حتَّى كأنه قال : ورأين رأسي صار جميعه وجهها . . . وقد يجوز أن يكون كله صفة أو تأكيداً ، وهو أولى من أن يباشر به العامل ، ألا تراه أخوا ما لا يباشر العامل أبداً ، وهو أجمع وأجمعون » . (٢) الصفة : هنة كالمرفقة فوق السرج ، بمنزلة الميثرة للرجل . (٣) يقعس ، كذا ضبطت بضم العين في الأصل ، وهي رواية أبي هلال كما نص التبريزي . وضبط في م . بفتح العين . التبريزي : « ويروى : يقعش . أي يضطرب . ومنه تمعوشت الحية ، إذا سقطت » .

وكقول امرئ القيس :

* كازلت الصفواء بالمنتزِل^(١) *

ويقال : قيس يقعس ، إذا صار أقعس خلقه فيه ، وقعس يقعس قعسانا إذا مشى مشية الأقعس تكلفاً ، ومثله عرج يعرج وعرج . ويقال : أكب زيد فلا يتعدى ؛ وكبه الله لوجهه ، وهذا على العكس مما عليه أكثر الأفعال . ومثله أفلح الغيم وقلمه الله .

٥ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّوْا فِتْنَةً عَمِيَاءَ تُوَقَّدُ نَارُهَا وَتَسْعَرُ^(٢)

إنما قدم ما اقتضاه من ضعفه وكبرته ، ليرى العذر فيما يعجز عنه من النهوض في الفتنة التي ذكرها ، فيقول : لَمَّا وجدتُ الناس قد كرهوا ما ترددوا فيه من فتنة لا يهتدى لوجهها ، ولا يقتدر على كشفها ، تستعر نارها وتلهب ، ويبتعث شرها فشتمل . ويعني بهذا فتنة ابن الزبير وعبد الملك . وجواب لَمَّا منتظر ، وهو هنا محذوف يدل عليه الكلام ، كأنه قال : انقبضنا عن النهوض فيها والجرأك ، لننظر ماذا تكون . والفتنة العمياء : التي لا يهتدى فيها لوجه أمر ، وفصل شأن . والتعمية : التلبيس . ويقال : هو في عميانه^(٣) ، أى عماء ، مصدر كالطغيان .

٦ - وَتَشَعَّبُوا شُعْبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ

شعبتُ يكون بمعنى جمعتُ وبمعنى فرقتُ . ويقال التأم شعبهم ، إذا اجتمعوا بهد تفرقتُ ؛ وتفرقت شعبهم ، إذا تبددوا بعد تجمع . والشعبة : الطائفة ، وجمعها شعب . يقول تفرقت الناس فرقا ، فصار الاختلاف لازما

(١) صدره : * يزل الغلام الحف عن صهواته *

(٢) م : « تسعر » بالفاء . (٣) هذه الكلمة مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

لأهوائهم ، والتباين مُقْتَرِنًا بآرائهم ، في كلِّ جزيرة أمير المؤمنين ومِنْبَرٌ ،
يدعو إلى نفسه ويخطبُ على منبره ليجذب^(١) الأمر إليه . وقوله « أميرُ
المؤمنين » لفظه معرفة للإضافة المعتادة في هذه اللفظة المألوفة على الحدِّ الذي
ترى ، لكنَّ التثوين منويٌّ ، وإذا كان كذلك كان في حُكْمِ النكرات .
وإنما ساغ ذلك لأنَّ قوله « أمير المؤمنين » يُشارُ به إلى الحال ، أى فيها أمير
على المؤمنين ، واسمُ الفاعل إذا أُريدَ به الحال أو الاستقبال كانت إضافته على
وجه التخفيف لا على وجه التعريف ، ويصير التثوين الذى هو الأصل مُتَوَيِّبًا
فيه ، وعلى هذا قوله : ﴿ عارضٌ مُمَطَّرُنَا ﴾ لأنَّ التقدير مُمَطَّرٌ لَنَا . وكذلك
قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَدْيًا بِاللَّحِ كَعَمْبَةٍ ﴾ . وعنى بذلك ابن الزبير ونظراءه
مَنْ كان يَطْلُبُ الخلافةَ في أيام عبد الملك بن مروان . وهذا البيت منمطَّفٌ بما
فيه على قوله « هَرُّوا فِتْنَةً » .

٧ - وَلَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ إِنَّ هِيَ أَعْرَضَتْ أَنَا لَنَا الشَّيْخُ الْأَغْرُ الْأَكْبَرُ^(٢)

يقول على وجه التَّوَعُّدِ : لَتَعْلَمَنَّ هذه القبيلةُ إن تَوَجَّهَتْ نَحْوَنَا أَنَا لَنَا
هذا الرئيس المشهور الشأن ، العظم الأمر . ويُقالُ : عَنَى به زُهَيْرٌ بن جذيمةَ
العَبْسِيَّ . وقيل هو قيس بن زُهَيْرٍ . وِبُرْوَى « إِنَّ هِيَ أَدْبَرَتْ » . والمعنى :
إِنْ وَاثَتْ وَأَعْرَضَتْ ، فَإِنَّهَا سَتَعْلَمُ أَنَا نَكْتَفِي مِنْ دُونِهِمْ . ويجوز أن يكون
الرَّادُّ بِأَدْبَرَتْ : تَرَكْتُ الْحَقَّ . وجواب إن في قوله : « لَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ » ،
وقد مَضَى مِثْلُهُ .

٨ - وَلَنَا قَنَاءٌ مِنْ رُدَيْبِنَةَ صَدَقَةٌ زَوْرَاءَ حَامِلَهَا كَذَلِكَ أَرْوَرٌ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « يجذب » .

(٢) في الأصل : « إن هي أدبرت » ، والوجه ما أثبتنا من م والتبريزي ، كما يدل

عليه سياق الشرح .

قوله : « من رُدَيْنَةً » أى من رِمَاحِ ردينة ، وهى امرأةٌ كانت تبيع الرِّمَاحَ ؛ فحذف المضاف . والصدقةُ : الضُّلْبَةُ ، والعربُ تذكُرُ الفئاةَ وصلابتها واعوجاجها ، وأنها لا تلين ولا تقبل التَّقويمَ والتَّخفيفَ ، ضاربةٌ بها المثلَ فى الخِلافِ والإباءِ ، والامتناعِ والتَّعَشُّرِ على من يُريدُ إكْرَاهَهُمْ ، والتَّصَعُّبِ على من يُريدُ^(١) تَلْيِينَهُمْ أو الغَضِّ منهم . والمعنى : فَنَاتِنَا لا تَسْتَقِيمُ لِمُقَوْمٍ ، وحاملها لا ينفقُ لِمُجْتَذِبٍ . وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم :

عَشَوَزَنَةٌ إِذَا عُحِزَتْ أَرَنْتَ تَشَجُّقًا قَفَا الْمُقَوْمِ وَالْجَيْفِيا^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

كَانَتْ قِنَاتِي لَا تَلِينُ لِعَامِرٍ فَالَانْهَا إِصْبَاحُ وَالْإِنْسَاءِ
وهذا الشاعر لم يَرْضَ بِذِكْرِ الفئاةِ وما جرت به العادة من وصفِ اعوجاجها ، حتَّى عَقِبَهُ بقوله « حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَرْوَرُ » ، فزاد على مَنْ تَقَدَّمَ كما ترى ، وإنما أراد التأكيدَ واللباقةَ وتبيينَ قوَّةِ الامتناعِ على مَنْ يطلب اقتسارَهُمْ . وهذا كما يصفون التَّكَبُّرَ بالشَّوْسِ وَالصَّمْرَ وَالصَّيْدَ . وقوله : « حَامِلُهَا كَذَلِكَ » من صِفةِ الفئاةِ ، وارتفع حاملها بالابتداء ، وقد أَخْبَرَ عنه بِخَبَرَيْنِ : كَذَلِكَ ، وَأَرْوَرُ . وقوله « كَذَلِكَ » إِذَا وَقَعَ هذا الموضع لا يُغَيَّرُ ، بل يكون للمذكَّرِ والمؤنَّثِ على حالٍ واحدة^(٤) . وأنشد أبو زيد :

(١) م : « يطلب » .

(٢) المقوم ، هى فى م : « المثقف » . وقد أُشير فى نسخة الأصل إلى أنها فى نسخة

أخرى : « المثقف » .

(٣) هو شاعر جاهلي كما فى الكامل ١٢٥ لبيسك .

(٤) الحق أن هذه إحدى اللغات ، وإلا فهناك لغة المطابقة التى تطابق فيها الكاف

المخاطب إفراداً وجمعاً وتذكيراً وناثياً ، وهى أفصح اللغات . انظر مع الهوامع (١ : ٧٦ - ٧٧)

وشرح ابن يعيش على المفصل (٣ : ١٣٥) وشرح التصريح (١ : ١٢٨) طبع ١٣٤٤

والمعنى (١ : ١٥٥) طبع ١٣٤٨ .

أَمَا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ وَلَا كَذًّا رَجُلًا إِلَّا بِأَصْحَابِي^(١)
وَالْمَعْنَى وَلَا كَمَا أَنَا السَّاعَةَ رَاجِلًا .

١٥٦

وقال عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ^(٢) :

١- قَلْتُ لِقَوْمٍ فِي الكَنِيفِ تَرَوُّحُوا عَشِيَّةً بِنَنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحٍ
تقدير البيت : قَلْتُ لِقَوْمٍ رُزَّحٍ عَشِيَّةً بِنَنَا عِنْدَ مَاوَانَ فِي الكَنِيفِ :
تَرَوُّحُوا . وَالْمَعْنَى بَعَثْتُهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي الرِّوَاكِ ، وَإِنْ كَانُوا مُتَسَاقِطِي القُوَى^(٣)
كَالْبَيْنِ ، لَا حَرَكَ بِهِمْ ، وَلَا نُهْوُضَ يُقِيمُهُمْ ، هَزَلَى لِتَأْثِيرِ السَّفَرِ فِيهِمْ ، وَظُهُورِ
أَثَرِ الشَّقَّةِ عَلَيْهِمْ . وَوَأَحَدُ الرُّزَّحِ رَازِحٌ^(٤) ، وَيُقَالُ رَزَّحَ البَعِيرُ رُزُوحًا ،

(١) في نوادر أبي زيد ص ٥ وكذا عند التبريزي : « بأصحاب » ، بدون إضافة . وقد
تكلم أبو زيد على البيت ، ونسبه إلى حبيبي بن وائل .

(٢) سميت ترجمته في الحماسية ١٤٥ . وكان من خبر هذه الأبيات كما في ديوانه ص ٨٨
والتبريزي عن أبي رياش : « تتابعت على معد سنوات جهدن الناس جهداً شديداً ، وكانت
غطفان من أحسن معد فيها حالا ، وترك الناس الغزو لجدوبة الأرض ، وكان عروة في تلك
السنين غائبا فرجع محنقا قد ذهبت إبله وخيله ، وجاء إلى قومه وقد عن بعضهم عليه عنة ، فندب
منهم رهطا فخرجوا معه فنحر لهم بعيرا و حملوا سلاحهم على بعير آخر وقد دهم بعيرا فوزعه بينهم
وخرج يريد أرض قضاة ، وقصد قبل أرض بني القين ، فر بمالك بن حار الفزاري وقد نقد
ما معه فقال له مالك : أين تنطلق بفتيانك هؤلاء تهلكم ضيعة ؟ قال : إن الضيعة ما تأمرون
به : أن أقم حتى أهلك هزالا . فقال : إن أطعتني رجعت على حرسين - وهما جلابن في أرض
بني فزارة - فكان طريقك حتى تأتي قوى فتكون فيهم . فقال : فما أصنع بمن كنت عودتهم إذا
جاءوني واعتروني ؟ قال تعذر فيمذرونك إذا لم يكن عندك شيء . قال : لكن أنا لا أعذر
نفسى بترك الطلب . فقال عروة يذكر شدة حال أهل الكنيف ومن بماوان ، وقيامه بأمرهم حتى
حصلوا ، وندبه بإياهم حتى خرجوا معه » .

(٣) م : « ساقطي القوى » . (٤) الكلام بعده إلى « رزاح » ساقط من م .

إِذَا أَعْيَا، وَإِبِلٌ رَزَحَى، وَقَوْمٌ رِزَاحٌ^(١) أَى مَهَازِبِلٌ سَاقِطُونَ. وَالكَئِيفُ :
الْحَظِيرَةُ مِنَ الشَّجَرِ .

٢- تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبَلُّغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاِحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبْرِحٍ^(٢)

قوله « تنالوا » جواب الأمر من البيت الأول، وهو تَرَوَّحُوا. والمعنى :
سَهِرُوا وَاجْتَهِدُوا تَنَالُوا الْغَنَى، وَتَبَلُّغُوا حَدًّا مِنَ الطَّلَبِ يُفِضِي بِكُمْ إِلَى الْمَوْتِ
الْمُرِيحِ الْبَاسِطِ لَعُدْرِكُمْ^(٣). وَالْمُبْرِحُ : الْمَلِيحُ الشَّدِيدُ، وَمِنْ هَذَا وَصَفَ الرِّيحُ
بِالْبَارِحِ. وَيُقَالُ : بَرَّحَ بِي الْحُبُّ، أَى اشْتَدَّ؛ وَبَرَّحَ بِي فُلَانٌ، إِذَا آذَى؛
وَأَبْرَحَ الرَّجُلُ، إِذَا أُنِيَ بِالْبَرْحِ، وَالْبَرْحُ يَكُونُ الشَّدَّةَ وَيَكُونُ الْعَجَبَ،
وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْشَى :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٤) *

٣- لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً وَمُبْلِغٌ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

قوله « لِيَبْلُغَ » تفسير ما قدَّمه. ويشير بقوله « عُذْرًا » إلى قاطع الموت
لأنَّ الْمُجْتَهِدَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ إِذَا حَالَ أَجَلُهُ دُونَ أَمَلِهِ فَقَدْ أَعْذَرَ، إِذْ كَانَ قَدْ
فَعَلَ مَا عَلَيْهِ^(٥). وَقَوْلُهُ « أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً » إِشَارَةٌ إِلَى نَيْلِ الْغَنَى. وَالرَّغِيْبُ :
اتِّسَاعُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ بَطْنُ رَغِيْبٍ. وَقَوْلُهُ « وَمُبْلِغٌ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ » أَى مِنْ
أَعْذَرَ فِيمَا يَطْلُبُهُ، أَصَابَهُ أَوْ فَاتَهُ، فَقَدْ أَنْجَحَ. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ

(١) هذا الجمع لم يرد في المعاجم المتداولة، وبدله « رزاحى » بفتح الراء مع قصر آخره.

(٢) الديوان : « من عناء برح ».

(٣) م : « إلى موت يريحكم ويبسط عدركم ».

(٤) هو بتمامه في ديوان الأعشى ٣٧ :

تقول ابنتي حين جد الرحيم * ل أبرحت ربا وأبرحت جارا

(٥) م : « إذا كان ما عليه قد فعل ».

وظاهرُ صدرِ البيتِ الأوَّلِ أنَّه يتكرر به المعنى الذي قدمه فيه ، فليس الأمرُ كذلك ، لأنَّه ذَكَرَ في الأوَّلِ إبلاغَ النَّفسِ مِنَ الْمَوْتِ حَدًّا يُرِيحُهُ ، ولم يُبيِّنْ من فَعَلَ ذلكَ : هل أَنْجَحَ أولاً . وفي الثاني بَيَّنَّ أَنَّ الْمُعْذِرَ في طَلَبِ الشَّيْءِ كَالْمُنْجِحِ ، وأنَّه إذا اسْتَفْرَقَ وَسَعَهُ في طَلَبِ ما يَهْتُمُّ به ثمَّ حالَ دونَهُ حائلٌ فَقَدْ أَعْذَرَ . وفي طريقتِهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامَ :

لِأَمْرِ عَلَيْهِمُ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمُ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

١٥٧

وقال أبو الأبيض العبسي (١) :

١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَقُولُنْ فَوَارِسٌ وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولٌ
قوله « شِعْرِي » اسمُ لَيْتَ ، وخَبْرُهُ مُضْمَرٌ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِمَفْعُولِ شِعْرِي .
ولَيْتَ شِعْرِي لا يَجِيءُ إِلا هَكَذَا ، كما أَنَّ لولا يَجِيءُ أَبَدًا مَحذُوفٌ خَبْرُ الْمَبْتَدَأِ
الذي بَعْدَهُ ، وقد اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِجَوَابِهِ ، وذلكَ كَقَوْلِكَ لولا عبد الله لَفَعَلْتُ .
وقوله « هَلْ يَقُولُنْ فَوَارِسٌ » سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِ لَيْتَ شِعْرِي . ومعنى الكلامِ
لَيْتَ عَلَيَّ وَاقِعٌ : هل يَقَعُ هَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْفُرْسَانِ في تلكِ الحالِ ؟ ومفعول
« يَقُولُنْ » أولُ البيتِ الثاني ، وهو قوله « تَرَكَنَا » ، واعتَرَضَ بينهما قَوْلُهُ
« وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولٌ » ، وموضِعُهُ نَصْبٌ على الحالِ ، والذي تَمَّتْ
عِلْمُهُ أَنَّهُ هَلْ يُقْتَلُ ، فإذا انصَرَفَ الْأَبْطَالُ عَنْهُ قالوا هَذَا الْقَوْلُ أولاً . وتحقيق
الكلامِ : لَيْتَنِي عَلِمْتُ ما يَقْتَضِي هَذَا السُّؤالُ مِنَ الجوابِ ، لأنَّ ذَاكَ يَهْمُهُ

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : وكان في أيام هشام بن عبد الملك ، وخرج مجاهداً في بعض الوجوه فرأى في المنام كأنه أكل تمرأ وزبدأ ودخل الجنة ، فلما كان من الغد أكل تمرأ وزبدأ وتقدم فقتل حتى قتل » .

لا نفس السؤال . وقوله : وقد حان منهم قفولٌ ، أى رجوعٌ عن المعركة إلى ديارهم وحيهم ، كأنه كان همّ بالاستقبال ، ووطن نفسه من مصادمة العدو^(١) ، ومصادمة القتال على ما غلب اليأس من الانصراف عنهم ، لتعرضه لِمَا لا يسلم معه من يُلابسه ، فتسكلم بذلك . وقوله « يوم ذاك » إشارة إلى يوم ملاقات الأعداء . فإن قيل : هل تقدّر في الكلام بعد الاستفهام شيئاً لأنك إذا استفهمت عن شيء كان ما تستفهم عنه وخلافه سواءً عندك ، وإلا لم تكن مُستفهماً ؟ قلت : معنى الاستفهام هل يقولن فوارسٌ كذا ، وهل زيدٌ عندك ، على « أو » أو « أم » ولولا ذلك لامتنع الاستفهام . وسنشرح الكلام فيما يقتضيه هذا الموضع في البيت الذى بعده .

٢ - تَرَ كُنَا وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لِحْمَهُ أَبَا الأَبْيَضِ العَبْسِيَّ وَهُوَ قَتِيلٌ^(٢)
يقول : ليتنى علمتُ هل يقولون فى مُنْصَرَفِهِمْ تَرَ كُنَا أبا الأبيض مصرُوعاً متروكاً بالعرَاء ، تَعْفُوهُ^(٣) سِبَاعُ الطَّيْرِ وتَأْكُلُ مِنْ لِحْمِهِ ، غير مستورٍ عنها ولا ممنوعٍ منها . وقد اعترض بين تَرَ كُنَا ومفعوله وهو أبو الأبيض بقوله « ولم يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لِحْمَهُ » ، وموضعه نصبٌ على الحال . فإن قيل : فما اللدّر بعد الاستفهام هنا من حرفِ العطف : أم ، وأو ، وكيف يكون معنى الكلام مع ذلك المقدّر ؟ قلت : المعنى على أو ، بدلالة أنه يُجَابُ مثل هذا الكلام بنعم أو لا ، إذ كان المبنى على ليتنى علمتُ هل يقع ذلك منهم . فأما تقدير أم وهى عاطفةٌ فلا يصحُّ فى مثل هذا الموضع ، كما لا يجوز اللَّفْظُ بها على جهة المعادلة . وقد قال أبو العباس :

(١) كذا على الصواب فى م . وفى الأصل : « على مصادمة العدو » .
(٢) التبريزى : « ولم نجنين » .
(٣) تعفوه : تعريه . وهذه رواية م . وفى نسخة الأصل : « تعفوه » .

لا يكونُ أمٌ بَعْدَ شيءٍ من حروف الاستفهامِ سِوَى الألفِ إلّا على كلامين .
وأما تقديرُ أمِ المنقطعةِ فبمعيدٍ ، لأنه لو قُصِدَ لم يكن بُدٌّ من ذِكْرِهِ وذِكْرُ
المُسْتَفْهَمِ به عنه بعده . فاعلمهُ .

٣- وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَانِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنِّي غَدًا لَقَلِيلُ

يقول : رَبِّ إنسانٍ يُعَلِّقُ طَمَعَهُ بِمِرَانِي ، ويرجو تحصيله بَعْدِي ، والذي
يَنَالُهُ منه غَدًا - يُشِيرُ إلي يَوْمِ مَوْتِهِ - قليلٌ غير كثير . وَالغَنَى : إِنِّي
لَا أَذْخَرُ مَالِي بَلْ أَتْلِفُهُ فِي اكْتِسَابِ الْحَامِدِ ، فلا يكون لي تَرَاثٌ إِلَّا سِلَاحِي
وما لا بُدَّ لِلْفَارِسِ مِنْهُ .

٤- وَمَا لِي مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٌ^(١)

٥- وَأَسْمَرُ خَطِيئَةُ الْفَقَاةِ مُتَمَفِّفٌ وَأَجْرُدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلٌ

نَقَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَدَّخِرُهُ^(٢) طَوَلَ حَيَاتِهِ ، وَيَرِثُهُ الْوَارِثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
إِلَّا دِرْعَهُ وَبَيْضَتَهُ ، وَسَيْفًا مَضْقُولًا طُبِعَ مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ ، وَرُمْحًا حَمَلَتْ
قَنَاتَهُ مِنَ الْخَطِّ - وَهُوَ جَزِيرَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ - وَفَرَسًا قَصِيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدَ
الظَّهْرِ مِنَ اللَّحْمِ ، مُشْرِفَ الْهَامَةِ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ . الْمَغْفَرُ : حَلَقٌ يَتَّقَعُ بِهَا
الْمَسْلُوحُ ، وَكَذَلِكَ الْفِقَارَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْمَغْفَرُ : رَفْرَفُ الْبَيْضَةِ . وَأَصْلُ
الْمَغْفَرِ التَّغْطِيَةُ وَالسَّرُّ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ دِرْعٍ » يَجُوزُ رَفْعُهُ ، وَهُوَ الْوَجْهُ ، عَلَى أَنْ
يَكُونَ بَدَلًا ، وَبِجُوزِ النَّصْبِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ .

٦- أَقِيهِ بِنَمْسِي فِي الْحُرُوبِ وَأَتَقِي بِهَادِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ

(١) م والتبريزي : « غير درع ومنفر » . وأشير في حواشي الأصل إلى أنها في نسخة

« ومنفر » .

(٢) م : « يدخره » .

هذا معنى شريف حسن . يقول : أَحْفَظُ مَقَاتِلَ فَرَسِي بِفَخْدِي وَرِجْلِي ،
وَأَتَّقِي فِيهَا ^(١) يَا تَبْنِي بَعْنِقَهُ . والمعنى : من أراد أن يصيب مَقَتْلِي جَعَلْتُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ عُنُقَ دَابَّتِي ، كما أن من أراد مَقَتَلَ فَرَسِي أَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَخْدِي
وَرِجْلِي . ثم قال : « إِي لِّلْخَلِيلِ وَصَوْلُ » أي لا أَخْذُلُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَلَا أَنْتَفِعُ
بِهِ إِلَّا وَأَنْفَعَهُ . وهذا مثلٌ . والعَرَبِيُّ يُسَمِّي ^(٢) سِلَاحَهُ وَمِرْكُوبَهُ خَلِيلًا ،
على ذلك ما أَنشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، وهو :

وَإِنِّي كَمَا قَالَتْ نَوَارُ إِنْ أُجْتَتَّتْ عَلَى رَجُلٍ مَا شَدَّ كَفِّي خَلِيلَهَا

١٥٨

وقال قيس بن زهير العبسي ^(٣) :

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ذِمَارَ أَبِيهِمْ فِيمَنْ يُضِيعُ

اللُّمُّ من « لَعَمْرُكَ » لام الابتداء ، وخبر المبتدأ محذوف ، كأنه قال :
لعمرك قسَمِي . يقول : وبقائك ما ضييع لهؤلاء العصابة من حق أبيهم وشرَفِ
أسلافهم ، ما يوجب التذمّر عند المحافظة عليه في جملة من يُضِيعُ حَقَّ آبَائِهِمْ ،
وما أَثْلَوْهُ من مَفَاخِرِهِمْ وَمَحَاسِنِهِمْ ؛ بل حافظوا عليه بما ضَمُّوا مما استحدثوه
وإطرفوه إليه . وحذف مفعول يُضِيعُ كأنه قال : فِيمَنْ يُضِيعُ الذِّمَارَ .
ويقال : فلان حامى الذمارة ، أي إذا ذمّر وغضب حمي . وهذا كما يُقال ، هو
ثَبْتُ الخَبَارِ ، أي إذا حَصَلَ فِي الخَبَارِ ثَبْتُ . وقوله « ما أضاع » تَهَكُّمٌ

(١) م : « ما » .

(٢) في النسختين : « والعرب تسمى » .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٤ . والتبريزي : « وقال قيس بن زهير في بني زياد الربيع ،

وعمارة ، وأنس ، وكان يقال لهم السكلة » .

أو تعريض؛ لأن الذين أخبر عنهم أشهرُ أمراً وأعظمُ شأنًا من أن يُقال فيهم ذلك .

٢- بَنُو جِنِّيَّةٍ وَلِدَتْ سَيُوفًا صَوَارِمَ كُلِّهَا ذَكَرَهُ صَنِيعٌ

بَعْنِي وَلَدَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِبِ الْعَبْسِيِّ ، يَقُولُ : هُمْ بَنُو امْرَأَةٍ كَانَتْهَا فِي فَضْلِهَا وَدَهَانِهَا مِنَ الْجِنِّ . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرَشِبِ الْأَمَارِيَّةِ ، وَهِيَ إِحْدَى الْمُنْجَبَاتِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ قَدِ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا كَأَنَّ (١) قَائِلًا قَالَ لَهَا : « أَعْشَرَةٌ هِدْرَةٌ (٢) ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ ثَلَاثَةٌ كَعَشْرَةٌ » فَلَمَّا انْتَبَهَتْ اقْتَصَّتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ لَهَا : إِنْ عَاوَدَكَ قُتُولِي : بِلِ ثَلَاثَةٌ كَعَشْرَةٌ . فَرَجَعَتْ إِلَى الْمَنَامِ وَرَأَتْ مِثْلَ مَا رَأَتْ مِنْ قَبْلِ ، فَجَمَلَتْ تَقُولُ فِي الْجَوَابِ : بِلِ ثَلَاثَةٌ كَعَشْرَةٌ . فَوَلِدَتْ بَيْنِ ثَلَاثَةٍ (٣) صَارَ كُلُّ مِنْهُمْ أَبًا لِقَبِيلَةٍ ، وَمُعْظَمًا فِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَهِيَ رِبِيعُ الْحِفَاظِ ، وَعُمَارَةُ الْوَهَّابِ ، وَأَنْسُ الْفَوَارِسِ . وَكَأَنَّ جَمَلَ الْأُمِّ جِنِّيَّةً لَخُرُوجِهَا فِيمَا أَتَتْ بِهِ عَنِ الْمَعْتَادِ [مِنَ الْإِنْسِ (٤)] جَمَلَ الْأَوْلَادِ سَيُوفًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : هُمْ أَوْلَادُ امْرَأَةٍ وَلِدَتْ رِجَالًا كَانَتْهُمْ فِي النَّفَازِ سَيُوفٌ

(١) كذا في م . وفي الأصل : « أن » .

(٢) ضبطت في الأصل بالتحريك ، وفي م بكسر الهاء ، وفيها لغة ثالثة وهي ضم الهاء وفتح الراء ، أي ساقطون ليسوا بشيء . وفي المسان : قال ابن سيده : والفتح أقيس ، لأنه جمع هادر مثل كافر وكفرة . وإما هدره - أي بكسر ففتح - فلا يكسر عليه فاعل من الصحيح ولا المعتل ، إلا أنه قد يكون من أبنية الجموع . وأما هدره - أي بضم ففتح - فلا يوافق ما قاله النحويون ، لأن هذا بناء من الجمع لا يكون إلا للمعتل دون الصحيح نحو غزاة وقضاة ، اللهم إلا أن يكون اسماً للجمع . والنزى روى هدره بالضم إنما هو ابن الأعرابي . وقد أنكر عليه .

(٣) وهذا يوافق السمع قبله . والحق أنهم أربعة ، أو أنهم صاروا فيما بعد أربعة وهم المسمون بالكلمة . والرابع هو قيس الحفافظ . وأما ربيع فالمعروف في لقبة ، أنه « ربعة الكامل » . انظر شروح سقط الزند ٢٠٥١ والاشتقاق ١٦٩ .

(٤) التكله من م .

قواطع ، كلٌّ واحدٍ منها ذَكَرُ الحَدِّ ، مَصْنُوعٌ صَقِيلٌ . و « صَنِيعٌ » كما
اسْتُعِيلُ فِي السَّيْفِ اسْتُعْمِلُ فِي الحَيْلِ . بِقَالَ صَنَعْتُ الفَرَسَ ، إِذَا ضَمَّرْتَهُ .

٣- شَرَى وُدِّي وَشُكْرِي مِنْ بَعِيدٍ لِأَخِيرِ غَالِبٍ أبدأ ربيع

يقال : شَرَبْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتُ وَبِعْتُ جَمِيعاً ، وَكَذَلِكَ بَعْتُ
يَصْلُحُ لِلأَمْرَيْنِ ، وَمَنْ شَرَبْتُ الضَّرْوَى ، وَهُوَ المِثْلُ ، لَكِنْ لأمُهُ وَهُوَ يَأْ
قَلَبْتُ وَأَوَّأ ، لِأَنَّ فَعْلَى إِذَا كَانَ اسْمًا وَلا مَهُ يَأْ يُفَعَلُ بِهِ ذَلِكَ ، فَرَقًا بَيْنَ
الاسْمِ وَالصِّفَةِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الفَتَوَى . فيقول : اشترى ربيع الحفاظ على
بُعْدِهِ مِنِّي ، وَدَى لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ وَعَلَى آخِرِ رَجُلٍ يَبْقَى مِنْ بَنِي غَالِبٍ
أبدأ^(١) . وَقَوْلُهُ « مِنْ بَعِيدٍ » فِي مَوْضِعِ الحَالِ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ نَالَهُ
إِحْسَانَهُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُ وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ وَبُعْدٌ .

(١) وكذا وردت العبارة بتمامها عند التبريزي مما يدل على اعتياده اعتماداً كبيراً على المرزوقي
وزاد التبريزي : « وإنما شكر الربيع بن زياد لقيامه معه ، ونصرته إياه في حرب
داحس . وذلك أن الربيع قد كان ساوم قيساً على درع له ، والربيع راكب وقيس راجل ،
فلما وضعها على قريوسة ركض فرسه ففضى بها ، فلما انتجعوا أخذ قيس بن زهير بزمام أمه
فاطمة بنت الخرشب يريد أن يرتهاها بدرعه فقالت : أين ضل حملك يا قيس ؟ أترجو الصلاح
فيما بينك وبين بني زياد ، وقد ذهبت بأهمهم يمته ويسرة ، وقال الناس ماشاءوا ، وحسبك
من شر سماعة ! فذهبت مثلاً . وعلم قيس أنها صدقت ، فأرسلها وأغار على إبل الربيع فاستاقها
وكان هذا بينهما . فلما قتل حذيفة مالك بن زهير ظن قيس أن الربيع لا يقوم معه بطلب
ثأر أخيه لما بينهما من الشحنة . فلما قام معه قال قيس :

* شرى ودى وشكرى من بعيد *

أى كان بيني وبينه بعد فألقى العداوة وراء ظهره ونصرني ، للرحم والقراية . وغالب من
عبس . وقال أبو هلال وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذه الأبيات لحاتم . وكان
قد جاور حاتم زمن الفساد بنى زياد عبد الله بن عبس ، فأحسنوا جواره ، فقال فيهم هذه
الأبيات .

١٥٩

وقال هُدْبَةٌ (١) :

١- إني من قضاة مَنْ يَكِدُّهَا أَكِيدُهُ وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانٍ (٢)

ليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قضاة فقط ، بل يريد اختصاصه بهم ، وتمصّبه لهم . وهذا كما يقال : أنا من فلان وإلى فلان ، أى ابتدأى منه واتتهى إليه ، فيقول : إني مُنْتَمٍ إلى قضاة أهوى هواها ، وضلّى معها ، فنّ عاداها أو نابذها عاديتها ونابذته ، وهى آمنة من مكروهى وأذاهى ، إذ كنتُ أنعطِفُ عليها فيما ينوبها ، وأعتقرُ زلاتها فيما يتفق منها . وهذا الكلام فى التنبيه فى الاختصاص ، والإبانة عن الطاعة والإخلاص ، من أبلغ كلام وأكرم إناس . ألا ترى أنه فضّل ما أجمل ، وفسّر ما أبهم بقوله « من يكدها أكدها وهى منى فى أمان » ؟ وهذا صفة جوارح الإنسان مع جملته وأبعاضه مع كلّه ، بدلالة أنه يدافع من يريد إصابة أحدها ، ثم هى آمنة من جنائته عليها ، أو على شيء منها .

٢- ولستُ بشاعرٍ السّفْسَافِ فيهم ولَكِن مِدْرَةَ الحَرْبِ العَوَانِ

(١) التبريزى : « هُدْبَةٌ بن خشرم » . المبهج : « هُدْبَةٌ واحدة الهدب ، وهى للشوب وللأرطى والخشرم : جماعة النحل ، وهو أيضاً الثول والدبر » . وهسدبة ابن خشرم بن كرز شاعر عذرى ، وكان صاحب زيادة بن زيد العذرى فى سفرة ، فلم يزل يطلب غرته حتى قتله ، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، وكان ولّى دمه أخوه عبد الرحمن زيد ، فكنه منه سعيد فقتله . انظر الأغانى (٢١٠ : ١٦٩ - ١٧٧) ومعجم المرزبانى ٤٨٣ واللكل ٢٤٩ - ٢٥٥ ، ٦٣٩ - ٦٤٠ والخزائن (٤ : ٨١ - ٨٧) والشعر والشعراء ٦٧١ - ٦٧٦ .

(٢) روى التبريزى خبر هذه الأبيات مسهباً فى نحو تسع صفحات تصور ما كان بينه وبين زيادة بن زيد من عداة ومكايدة .

يقول: ليس محلى منهم وفيهم محلّ شاعرٍ يُسْفِسِفُ القَرِيْبُضَ ، ثم يقف
دُونَ غايته باليدِ واللِّسانِ . والسُّفْسَافُ : ما لا خَيْرَ فيه من الأفعال والأقوال :
وفي الحديث : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا » .
والمَعَوَانُ من الحرب : التي قُوتِلَ فيها مَرَّةً بعد أخرى . فإن قيل : ابن عَجْرٍ
البيتُ مِنْ صَدْرِهِ في النظام ، وهَلَّا قال بعد ما نَفَى عن نفسه من الشعر
الرتكيك : ولكنني شاعرٌ المتخبرُ الرصين ؟ قلت : إنما المراد (١) التنبيهُ على
فضلهِ فيهم (٢) وطَوَّلِهِ ، وعلى كفاية بيانه ، وعلى غناء سِنَانِهِ . والحرب كما تقع
بالضَّرَابِ والطَّعَانِ تقع بمجازة الحِجَاجِ عند النَّفَارِ والفَخَّارِ . وآثر أن يقول :
« ولكن مِدْرَه الحربِ » ليدخل تحتها الأمران جميعا . وقيل : المِدْرَه هو
السَّيِّدُ الذي يُدْفَعُ به الشرُّ فينتظم به أمورُ الحربِ ، ويقوم بأسباب الصَّحَابِ .
وذكر بعضهم أنه من دَرَه عَلَيْنَا ، أى طلع . وقيل إنه من دَرَأَ أى دَفَعَ ،
وأنَّ الماءَ فيه بَدَلٌ من الممرّة . ويجوز أن يكون الكلام تعريضا بإنسان نَفَى
عن نفسه حاله وأَنبَأَ أَنَّ الأمر (٣) بخلافه .

٣ - سَأَهُجُو من هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

قوله « من سواهم » يتعلّق من بهجَاهُمْ (٤) ، وموضعه نصبٌ على الحال .
ويحتمل معاني : يجوز أن يريد به مخالفاً لغيرهم ؛ لأنَّ من هذه تكون للملابسة ؛
على ذلك قولهم : أنت مني فرسخين ، أى أنت مُخَالِطِي . يقوله الدليل
والخفير (٥) . ويكون للولاء والنُّصْرَةِ ، على ذلك قول النابغة :

(١) م : « إنما أراد » .

(٢) كذا في م ، وفي الأصل : « منهم » . (٣) م ، « أمره » .

(٤) م والتبريزي : « من سواهم يتعلّق بمن هجَاهم » .

(٥) كذا في م والتبديورية . وفي الأصل : « يقوله الدليل الحقيق » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

فيكون معنى « مِنْ سَوَامٍ » ناصراً لغيرهم . وتكون للنَّسْلِ والولادة . يقول هُم مِنْ أَبِي وَاحِدٍ وبعضهم من بعض ، فيكون المعنى منتسباً إلى غير أَصْلِهِمْ . وعلى هذا قوله « وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ » يتعلق مِنْ بِهِجَانِي ، ويكون الكلام في موضعه ومعناه على الحدِّ الذي بيناه . من تعرض لهم بمكروهٍ أَوْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَإِنِّي أَدِيفُهُ عَنْهُمْ ، وَأَعَارِضُهُ دُونَهُمْ ، وَأَقَاتِلُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ مِنْهُمْ ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِي مِنْهُمْ فَإِنِّي أَعْرِضُ عَنْهُ ، وَأَصْفَحُ عَنْ غَيْبِهِ فَلَا أُوَاخِذُهُ بِهِ ، صِيَانَةً لَهُمْ ، وَمَحَافِظَةً عَلَى مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُمْ .

١٦٠

وقال عمرو بن كلثوم (١) :

١ - مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَّ مِنَ الْقَتْلِ

مَعَاذَ اللَّهِ ، مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا مَنْصُوبَةً ، وَضِعَتْ مَوْضِعًا وَاحِدًا مِنَ الْإِضَافَةِ عَلَى مَا تَرَى ، وَلَا يَتَصَرَّفُ . وَالْعِيَاذُ فِي مَعْنَاهُ وَمِنْ أَصْلِهِ ، وَهُوَ يَتَصَرَّفُ مَرْفُوعًا وَمَنْصُوبًا وَمَجْرُورًا ، وَبِالْأَلْفِ وَاللَّامِ . وَاتَّصَبَ مَعَاذَ الْإِلَهِ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلِ تَرِكَ إِظْهَارَهُ . وَيَقُولُونَ : عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، فَيَجْرَى تَجْرَى عِيَاذًا بِاللَّهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ عَائِذًا وَعِيَاذًا . وَمِنْ أَيْبَاتِ الْكِتَابِ :

(١) ليس في حاجة إلى ترجمة . وشهرته شاعراً من شعراء المعلقات شهرة ظاهرة . وهو تغلبي من بني عتاب ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . انظر ترجمته بإسهاب في الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٨) والخزانة (١ : ٥١٧ - ٥٢١) وشرح شواهد المعنى للسيوطي ٤٤ - ٤٥ والشعر والشعراء ١٨٥ - ١٨٨ .

أَلْحِقْ عَذَابِكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَفَعُوا وَعَانِدًا بِكَ أَنْ يَغْلُوا فَيَطْفُونِي^(١)
 وَيُقَالُ : عَذْتُ بِاللَّهِ عَوْذًا وَمَعَادًا وَعِيَاذًا . وَيُقَالُ : أَفَلَتَ مِنْهُ عَوْذًا
 بِفَتْحَتَيْنِ ، أَيْ عَانِدًا ، وَأَتَيْتُهُ عَوْذًا . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّؤٌ مِنْ إِظْهَارِ الْجَزَعِ
 عَلَى قِتْلَاهُمْ ، وَاسْتِعْمَالِ الْبُكَاءِ وَالصَّجَّاجِ فِي بَلَوَاهُمْ ، وَتَصَبُّرٌ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ،
 وَانْتِفَاءٌ مِنْ تَكَرُّهِ الْقَتْلِ . يَقُولُ : نَفُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَوْجِ نَسَائِنَا عَلَى مُتَوَفَّى مَنَا
 مَفْقُودٍ ، وَمَنْ ضَجِيجِنَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدُهُ هُذَيْنِ مِنَّا وَقَدْ
 تَعَوَّدَتْ نَسَاؤُنَا الشُّكْلَ ، وَنَشَأْنَا فِي مِمَارَسَةِ الْحَرْبِ وَمِرَاوَلَتِهَا . وَفِي طَرِيقَتِهِ
 قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

إِذَا مَا أَتَنَى مِيَّتِي لَمْ أَبَالِهَا وَلَمْ تُذِرْ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي
 ٣ - قِرَاعِ الشُّيُوفِ بِالشُّيُوفِ أَحَلَّكُنَا بَارِضِ بَرَّاحِ ذِي أَرَاكِ وَذِي أُنْثَلِ
 الْأَصْلُ فِي الْبَرَّاحِ الْأَرْضُ الَّتِي لَا بِنَاءَ فِيهَا وَلَا عُمرَانَ . وَالْمُقَارَعَةُ :
 مُضَارَبَةُ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ . وَكُلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتُهُ بِشَيْءٍ فَقَدْ قَرَعْتَهُ . وَهَذَا عَلَى
 حَذْفِ الْمِضَافِ ، كَأَنَّهُ قَالَ قِرَاعُ أَصْحَابِ الشُّيُوفِ بِالشُّيُوفِ . أَخْبَرَ عَنْ
 نَفْسِهِ وَذَوِيهِ بِأَنْ صَبَّرَهُمْ فِي دَارِ الْحِفَاطِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ بَارِضِ وَاسِعَةٍ ذَاتِ أُنْثَلِ
 وَأَرَاكِ ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْإِنْتِجَاعِ وَتَطَلُّبِ الْخِطْبِ فِي الْمِظَانِ^(٣) . وَهَذَا صَرِيحٌ
 مَا قَالَهُ غَيْرُهُ^(٤) ، وَهُوَ :

* أَنْخَنَّا فِخَالْفَنَّا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٥)

(١) كتاب سيويه (١ : ١٧١) واللسان (عوذ) . وقد نسب فيهما إلى عبد الله
 ابن الحارث السهمي . وانفرد اللسان برواية : « أن يغلوا » .
 (٢) هو الشنفرى الأزدي . المفضليات (١ : ١١٠) .
 (٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « والمظان » .
 (٤) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .
 (٥) صدره : * فلما نأت عنا العشرة كلها *

والأراك : شجرٌ تُتخذ منه للساويك . ويقال : إبلٌ أوارِك ، إذا اعتادت أكلها . والائثلُ أيضاً : شجرٌ . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وتحلُّ في دارِ الحِفاظِ بِيوتنا زَمَناً ويظعنُ غيرُنا بالأزُوعِ ^(٢)

ونبّه بذِكْرِ الأرضِ البرّاحِ على أنّهم غيرُ محتجزين ^(٣) بمحْضُون ولا قِلاَج ، ولا ممتنعين بهضابٍ ولا حِبالٍ . والائثلُ والأراكُ يَنْبُتانِ في السّهْلِ أكثَر ، فوكّدَ بذِكْرِها المراد ، وجعلَ البرّاحَ بدلاً من قوله « بأرضٍ » ولذلك قال « ذى أراكٍ » ولم يقل ذاتٍ .

٣ — فما أَبَقَتِ الأَيامُ مِلْمالٍ عِنْدنا سِوَى جَدَمِ أذْوَادٍ مُحَدِّقَةِ النَّسْلِ

أراد بالأَيامِ الوَقَعات . وقوله « مِلْمالٍ » أراد من المال ، فجعلَ الحذفَ بدلاً من الإِدْغامِ لما التتقى بالنون واللام حَرَفانِ متقابلان ، الأولُ مُتَحَرِّكٌ والثاني ساكنٌ سكوتاً لازماً . والمعنى : ما بَقِيَ تأثيرُ الحوادثِ وَنَكباتِ الأَيامِ عندنا من أصولِ المالِ ومقتنياتها ، إلا بَقايا أذْوَادٍ قَطَعَ الضَّرُّ نَسْلَها ، ونمكّنَ الهُزالُ وسوءَ الحالِ منها ، فهي على شَرَفٍ فناءً وَذهابٍ . والجِذْمُ : الأصلُ . والأذْوَادُ : جمعُ الذُّودِ ، والذُّودُ يقع على ما دون العِشْرَةِ . وقال أكثرُ أهلِ اللُغة : إنها تَقَعُ على الإناثِ دون الذُّكورِ . وبعضهم يجوزُ وقوعَها على الذُّكورِ أيضاً . وما في البيتِ يَشْهَدُ للأوّلِ .

٤ — ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ فَأَمَّا مَنْ حَئِلَنا وَأَقْواتنا وما نَسُوقُ إلى العَقْلِ ^(٤)

(١) هو الحادرة الذياني . المفضليات (١ : ٨) .

(٢) المفضليات : « ونقيم » . م والمفضليات : « للأمرع » .

(٣) م : « محتجزين » بالراء المهملّة .

(٤) في الأصل : « وأقواتها » . تحريف . ورواية التبريزي : « إلى القتل » .

أراد : أموالنا ثلاثة أثلاث ، فيرتفع الثلاثة على أنه خبرٌ مبتدأ محذوف ، وما بعدها تفسيرٌ لها وتفصيل^(١) . ونَبَّهَ بما أُورِدَ وقَسَمَ على الوجوه التي انصرفت إليها أموالهم فأفنتها ، والطَّرِيقِ التي توزَّعَتْها فقللتها ، فقال : افترقت أموالنا فرقا ثلاثا^(٢) ففرقةٌ منها صرفناها إلى أمانٍ خيلنا لأننا غزَّأون ، ومُعَالِجُو حُرُوبٍ ، فلا نستغنى عنها ؛ إذ كان جدُّنا وهزُّلنا منها وبها . وفرقةٌ منها حبسناها على أقواتنا ومعاشنا ؛ لأنَّ العُفَاةَ والزَّوَارِ كانت تتناوبنا وتتناوبُ عليها حتى تستغريَ قها ، لأنَّ إقامتنا بدارِ الحِفاظِ [شغلَّتنا^(٣)] عن الغزوِ واجتذاب الزيادة إليها . وفرقةٌ منها وجهناها إلى الدِّيَاتِ ، وأرُوشِ الجِنَايَاتِ التي كَسَبَتْها أيدينا ، واجترحتنا رماحنا ، إذ كنا لِعِزِّنا وَمَنْعَتِنَا لا يُطْمَعُ في الاقتصاصِ مِنَّا . ومثَّل هذا قولُ الآخر^(٤) :

* نأسو بأموالنا آثار أيدينا^(٥) *

(١) ابن جنى في التنبيه : « أى أموالنا ثلاثة أثلاث ؛ فحذف المبتدأ وحذفه أيضاً فيما يعد في قوله : فأثمان خيلنا . أى فثلث أثمان خيلنا ، أو فأثمان خيلنا ثلث وكذا وكذا وكذا . ووجاز أن يقدره على : ثلث أثمان خيلنا . فيبتدئ بالنكرة ويخير بالمعرفة ، من حيث كان الغرض إنما هو ثلث أموالنا من ذى ناحية تناولناه . ويجوز أن تمتد زيادة الفاء فإن ذلك كثير في الشعر والقرآن . فيبدل أثمان وأقوات وما نفود ، من ثلاثة أثلاث . أى مالنا أثمان خيلنا وأقواتنا وما نفود إلى التثنية . وقال ثلاثة أثلاث ولم يقل ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية ، فأراد صحة القسمة ، واعتدال المساهمة . »

(٢) م : « ثلاثة » ، وكلاهما صحيح . فإن العدد إذا تأخر عن المحدود جاز فيه المطابقة وعدمها . انظر حاشية الصبان على الأشموني ، في أوائل (باب العدد) .

(٣) التكلة من م .

(٤) هو بشامة النملى . الحماسية ١٤ .

(٥) صدره : * بيض مفنارفا تغلِّ مراجلنا *

١٦١

وقال المثلّم بن عمرو^(١) :

١ - إني أباي الله أن أموت وفي صدري هم كأنه جبل

يقول : يا أبي الله عز وجل لي الاخترام وفي نفسي همّ عظيم لا أسعى في إمضائه وتنفيذه . ويعني بذلك دما يطلبه ، أو حقدًا ينقضه ، أو مئى من عدوه^(٢) يذركه . وهذا الكلام وعيد وإيدان بأنه مجتهد في الطلب ، وراج ألا يحول الأجل بينه وبين الأمل ، بما عودده الله من الصنح والظفر بالطلوب . والواو من قوله « وفي صدري » وأو الحال . وموضع « كأنه جبل » صفة للهّم . واللهم يجوز أن يكون مصدر هممت بالشيء ، ويجوز أن يكون واحد المموم .

٢ - ينعني لذة الشراب وإن كان قطاباً كأنه العسل

هذا من صفة الهّم . يقول : بضدني ذلك الهّم عن التلذذ بالشراب ، وإن طاب وصار مزاجاً كالعسل يستحلى ولا يتكره . ومنله لأبي ذؤيب :

* فبجاء بمزج لم ير الناس مثله^(٣) *

(١) التبريزي : « المثلّم بن عمرو التنوخي » ، ثم قال : « تنوخ هم أولاد تيم الله بن أسد ابن وبرة » . المبهج : « تنوخ اسم للقبيلة ، يجوز أن يكون فعولاً من تنخ بالمكان ؛ أى أقام به . ويجوز أن يكون تفاعل من الإناخة » . وقد ذكره الأمدى في المؤلف ١٨١ والمرزبانى في معجمه ١٨١ . وأنشد الأمدى هذه الأبيات ، ثم قال : « وهذه الأبيات في أشعار هذيل للبريق بن عياض الهذلى » . وتقول : إن هذه الحماسية في بقية أشعار الهذليين ص ٢٥ منسوبة للبريق بن عياض .

(٢) م : « عدو » .

(٣) عجزه في ديوان الهذليين (١ : ٤٢) واللسان والمقاييس (مزج ، ضحك) «

* هو الضحك إلا أنه عمل النحل *

جَعَلَ مَا يُمَزَجُ بِهِ مَزَجًا . ورواية الأصمعي « مَزَجًا » بكسر الميم . فالْمَزَجُ كالْمَزَاجِ وَالْقَطَابِ ، سَمَّاهُ بِمَا يُسْتَصْلَحُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يُفَعَلُ بِهِ مِنْ بَعْدُ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا أُصِيبَ مِنْ يَمَسِّهِ أَوْ وَتَرَ فِيمَنْ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَخْتَصُّهُ ، كَانَ يَفْقِدُ عَلَى نَفْسِهِ نَذْرًا فِي مَجَانِبِهِ بَعْضَ اللَّذَاتِ أَوْ أَكْثَرِهَا ، مِنْ مَعَارِفَةِ الشَّرَابِ أَوْ مَجَامِعَةِ النِّسَاءِ أَوْ مَا يَجْرِي بِجَرَاهَا ، إِلَى أَنْ يَفَالَ الْمُرَادُ ، وَيَحْصُلُ الْمُرْتَادُ . وَيُقَالُ قَطَبْتُ الشَّرَابَ ، أَي مَزَجْتُهُ . وَيُرْوَى : « وَإِنْ كَانَ رُضَابًا » . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ مَاءَ فَمٍّ مَحْبُوبٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَاءَ مَحَلِّهِ فِي جِنْسِهِ ذَلِكَ الْحَلُّ مِنَ الشَّرَابِ .

٣ - حَتَّى أَرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَانَتْهَا الْإِبِلُ^(١)

حَتَّى تَعَلَّقَ إِنْ شئتَ بِقَوْلِهِ أَبِي اللَّهِ ، وَإِنْ شئتَ تَعَلَّقَ بِيَمْنَعُنِي ، وَالتَّقْدِيرُ فِي الْوَجْهِينِ : يَا أَبِي اللَّهِ مَوْتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الْأَمْرَ ، أَوْ يَعْنِي الِاتِّعَازَ بِالشَّرَابِ حَتَّى أَرَاهُ وَأَشَاهِدَهُ . وَالصَّمُوتُ : اسْمُ فَرَسٍ^(٢) . وَيَعْنِي بِفَارِسِهِ نَفْسَهُ . وَأَكْسَاءُ الْخَيْلِ : أَدْبَارُهَا . وَيُقَالُ هُوَ يَكْسُوهُ وَيَدْبُرُهُ وَيَذْنُبُهُ ، أَي يَكُونُ فِي أَثَرِهِ . وَحِكْيُ الْخَيْلِ أَكْسَانُهُ الْخَيْسَلُ . وَاللَّعْنَى : لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى أَرَى نَفْسِي تَرَكُضُ فِي أَدْبَارِ خَيْلٍ مِنْهَزِمَةٍ وَتَسُوقُهَا ، كَمَا تُسَاقُ الْإِبِلُ . وَقِيلَ شَبَّهَهَا بِالْإِبِلِ فِي عِظَمِ خَلْقِهَا وَإِثْرَافِهَا . وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا يُرَادُ بِهِ خَيْلٌ مَخْصُوصَةٌ يَتَوَعَّدُهَا وَيَعْنِي عَلَيْهَا .

(١) التبريزي « ويروي : كأنها إبل ، بضم الهمزة والباء ، وهي جمع إبل . والأبيل =

العصا والخيل تشبه بالنصي في ضمها وصلابة لحمها . قال امرؤ القيس :

* كأنها هراوة منوال * * .

(٢) التبريزي : يجوز أن يكون اسم فرس ، أو اسم حي من العرب .

٤ - لا تحسبني مُحَجَّلًا سَبَطَ السَّاقَيْنِ أُنْبِكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ
 هذا توعُّدٌ وتعريضٌ بالمخاطب . المحَجَّل ، يجوز أن يكون مأخوذًا من
 الحِجْل الذي هو القيد ، ومن الحِجْل الذي هو الخَلْجَال ، ويجوز أن يكون
 من الحِجَلَة . والمعنى : لا تظنني إنسانًا مُتَرَفًا مُنْعَمًا لا غِنَاءَ عِنْدَهُ ، ولا كفاية
 لِدَيْهِ ، ولا رأى يُسْتَنَدُ إليه ، وبعوَل في المهمات عليه ، فهو في العجز كالمِنوع
 المُقَيَّد ، وكالمِراة المَخْلُوعَة ، وكالمُخَدَّر المِلَازِم للحِجَال والفُرُشِ يَجْزَع - لضعف
 نُهْوضِهِ ، وسقوط قُوَاهُ ، وسوء بصيرته - من ظَلَع جَمَلَهُ فَضْلًا مِنْ غَيْرِهِ . وقوله
 « أُنْبِكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ » صَرَفَ الْكَلَامَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَوْ قَالَ
 « يَبِكِي أَنْ يَظْلَعَ » لَتَرَكَ الْإِسْتِمْرَارَ فِي صِفَةِ الْحِجَّلِ جَارِيًا عَلَى حَدِّهِ ، غَيْرِ
 مُتَحَوِّلٍ عَنْهُ ، وَكَانَ الْكَلَامَ أَحْسَنَ فِي قِرَانِ النَّظْمِ .

٥ - إني امرؤ من تنوخ ناصرُه مُحْتَمِلٌ فِي الْحُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا^(١)

قوله « من تنوخ » أي أنسب إليها ، وأهوى هواها . و « ناصرُه »
 نَكْرَة لِأَن إِضَافَتَهُ إِضَافَةٌ تَخْفِيفٌ لَا إِضَافَةٌ تَعْرِيفٌ ، وَالتَّنْوِينُ مَنُوعٌ فِيهِ ،
 أَرَادَ : نَاصِرُهُ . وَقَوْلُهُ : « مَا احْتَمَلُوا » أَرَادَ : مَا احْتَمَلُوهُ ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ
 لِطَوْلِ الصَّلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنِّي مَخَالِطُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ ، وَصَابِرٌ عَلَى مَا يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ ،
 وَنَاهِضٌ تَحْتَ الْعِبَاءِ الَّذِي يَنْهَضُونَ فِيهِ .

(تم التسم الأول من شرح المرزوق للحامسة)

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : ويروى ناصرهم ، أي ناصر لهم . قال : وهذا
 الشعر في أشعار هذيل للبريت بن عياض الهذلي . وقال : إني امرؤ من هذيل » .